

الْبَصَائِرُ

لِمُنْكَرِي التَّوَسُّلِ بَاهِلِ الْمُقَابِرِ

من تالیفات

حضرت مولانا حمد اللہ جان الداجوی حفظہ اللہ
من شہر اور الغوی فاضل مظاہر علوم سہارنپور

ناشر

مظہری کتب خانہ

نزد دارالعلوم مظہر العلوم داگی صوابی

جميع الحقوق محفوظة للناسر

- اسم الكتاب : البصائر لمنكرى التوسل باهل المقابر
تأليف : الشيخ حمد الله جان الدا جوى حفظه الله من شرور الغوى
المتخرج : جامعة مظاهر العلوم سهارنبور
الاوراق : ٣٨٤
تاريخ الطبع : جمادى الاولى ١٤٣٣ هـ بمطابق ابريل ٢٠١٢
من منشورات : مظهرى كتب خانه
بجوار دار العلوم مظهر العلوم الدا جوى صوابى
مطبع : نيازي پرنترز محله جنكى بشاور
باهتمام : مولوى سيد محمد حقانى

يطلب ايضاً من

- (١) مكتبه رشيديه اكوره ختك نوشهره [٩٠٨٤٦٩٣_٠٣٤٤]
- (٢) مكتبه رشيديه كوئته
- (٣) حاجى عبد القيوم مزار افغانستان
- (٤) قدرت الله كابل
- (٥) مكتبه فاروقيه بشاور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هداانا الى الصراط المستقيم و جعلنا متبعين لسالكى الدين القويم.

و الصلوة و السلام على من هو وسيلتنا فى الدارين الذى دفع الله به بلاء الكفر و الشرك و الالحاد فى الدين و على آله و اصحابه الذين هم نجوم الهداية و اليقين و اولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و من تبعهم الى يوم الدين.

اما بعد: فيقول العبد المفتقر الى الله القوى حمد الله الداجوى مسكناً الحنفى مذهباً القادري مشرباً المظاهرى تلميذاً ابن فهامة زمانه و علامة أوانه مولانا عبد الحكيم ابن مولانا رحمة الله غفر الله لهما و رحمهما رحمةً واسعة. لما كان بعض المتشددى ينكر التوسل بالذوات الفاضلة و سماع الموتى و غيرهما من المسائل التى يتعصب فيها و يسيئ الادب فى شأن الصلحاء و العلماء الربانيين و صنف فى ذلك كتاباً سماه بد (البصائر للمتوسلين بالمقابر) [١]، و افرد فى شأن المتولين و شنع عليهم تشنيعاً بليغاً حيث سماهم مشركين و غير ذلك من الخرافات فى شأن العلماء الصالحين فأردت الذب عنهم غيرة فى دين الله تعالى مع كثرة المشاغل من الدرس و التدريس و العوائق الدنيوية و مع اضطراب الحال و تشتت البال و ذلك بايماء بعض اصدقائى و خلص اخوانى مولانا محمد كل رحيم الاسمارى الديوبندى و فقنى الله تعالى لاتمام الرد على ذلك الكتاب و كتبه الأخر المخالفة عن المذهب الاظهر و المشرب الاظهر بحرمة النبى المطهرة.

(١) مؤلف كتاب «البصائر للمتوسلين بالمقابر» ملا طاهر بنچيرى المردانى باكستانى رئيس الوهابية فى الهند.

بيت:

أَمِينَ آمِينَ لَا أَرْضِي بِوَاحِدَةٍ هـ حَتَّى أَضْمَّ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا

فجمعت دلائل قاطعة وحججاً واضحة لمن يدعى التوسل الى الله تعالى ببركة الأنبياء والأولياء المدفونين في المقابر ويدعى سماع الاموات في البرزخ جعلها الله وسيلة لهداية المنكرين لهما في هذا الدوران بجاء النبي الأمين. اللهم احفظنا من اساءة الأدب بأكابر الدين بحرمة الأنبياء والأولياء سيما سيد الأنبياء وسند الاولياء ورسول الثقلين وسميته بـ (البصائر لمنكر التوسل باهل المقابر) ورتبته على مقدمة ومقاصد اربعة وخاتمة فيها انا اشعر مستمعينا بالله القوى المتين .

اما المقدمة، ففيها نكات:

النكتة الاولى: في بيان حقيقة الموت بانه فناء محض وعدم بحث ام انتقال من دار الفناء الى دار البقاء ومن دار الغرور الى دار السرور.

فاعلم وفقك الله تعالى للعقائد الصحيحة. ان الموت فيه اختلاف كما قال الامام الغزالي رحمه الله عليه [١] في كتابه المسمى بـ (احياء العلوم ج: ٤، ص: ٣٣٢) اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا فيها.

فظنَّ البعض ان الموت هو العدم وان لا حشرو ولا نشرو ولا عاقبة للحير والشرو ان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النباتات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر. وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنذذ بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر.

وقال الآخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وان الأجساد لا تحشر اصلا.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والايخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما

(١) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.]

معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبشش باليد وتسمع بالاذن و تبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكدم ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء. فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقتها وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله تعالى اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

ثم قال [الغزالي] وحقيقة الانسان روحه ونفسه وهى باقية. نعم، تغير حاله من جهتين:

احدهما: انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلماؤه ودوره وعقاره و سائر املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء منه او يسلب هو من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق و الفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن الملك والمال، والألم فى الحالتين واحد.

وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له فى الدنيا شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه فى مفارقتها بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه و عقاره حتى الى قميص كان يلبس ذلك القميص مثلا الى ان قال فهذا احد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة.

والثانى: ان ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفاً له حال الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفاً له حال النوم (والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) ثم قال [الغزالي] نعم، لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت مالم يعرف الحياة اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح ولم يؤذن

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ولا ان يزيد على (... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي * الآية. الاسراء: ٨٥)

ثم قال [الغزالي] في الأخير: ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح و انعدام ادراكها آيات و اخبار كثيرة قال الله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا الآية. آل عمران: ١٦٩) ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يا فلان! يا فلان! قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) وقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات؟ فقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يجيبون) فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها و الآية نص في ارواح الشهداء والميت لا يخلو عن سعادة و شقاوة. قال عليه الصلوة والسلام (لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور).

وقال ابو سعيد الخدري رضى الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره) وغير ذلك من الروايات.

وقد صرح العلامة السيوطي رحمه الله عليه [١] في صدر كتابه المسمى بـ(بشرى الكتيب) بهامش كتابه المسمى بـ(شرح الصدور في احوال الموتى والقبور) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تحفة المؤمن الموت).

وعن الحسن بن علي رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الموت بطانة المؤمن).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الموت غنيمة المؤمن).

واخرج احمد بن حنبل رحمه الله عليه [٢] في مسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يكبر ابن آدم الموت والموت خير له من الفتنة).

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي الشافعي المتوفى بمصر، سنة: ٩١١ هـ [١٥٠٥ م].

(٢) المتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـ [٨٥٥ م].

هذا هو المتن

وايضا ذكر العلامة السيوطى رحمة الله عليه فى باب فضل الموت (ص ٣٥) قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف و انما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار والظاهر ان المراد بانقطاع التعلق المتعارف لا مطلقا بالنظر الى العام لما سذكروه عن على القارى [١] ان للروح تعلقا بالبدن فى المؤمن فلا يرد ما يرد.

واخرج ابو الشيخ فى تفسيره و ابو نعيم عن بلال بن سعد انه قال فى وعظه: يا اهل الخلود! يا اهل البقاء! انكم لم تخلقوا للفناء و انما خلقتم للخلود والابد وانكم تنقلون من دار الى دار.

واخرج الحاكم فى (المستدرک) والطبرانى فى (الكبير) وابن المبارك فى (الزهد) والبيهقى فى (شعب الايمان) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الموت تحفة المؤمن).

واخرج الطبرانى فى (الكبير) والحاكم فى (المستدرک) عن عمر بن عبد العزيز [٢] انه قال انما خلقتم للابد والبقاء ولكنكم تنقلون من دار الى دار.

فهذه الروايات كلها تدل على ان الموت ليس بعدم محض وفناء بحت والفناء عن دار الفناء والخلود والبقاء فى دار الخلود والبقاء فلا يرد انه ذكر العلامة السيوطى رحمة الله عليه انه قيل لآدم عليه الصلوة والسلام: لد للفناء وابن للخراب.

وايضا قال مجاهد ان الرجل يبشر بصلاح ولده فى قبره كما ذكره الحافظ ابن قيم فى (كتاب الروح) والكلام فى المقام له بسط الا ان فيما ذكرناه كفاية.

النكتة الثانية: ليس المراد بانقطاع تعلق الروح عن البدن انقطاعا كليا بالنظر الى كل الافراد بل فى الجملة.

ويبدل على ما ذكرنا ما ذكره على القارى فى (المرقاة) بخلاف روح المؤمن فانها تسير فى ملكوت السموات والارض وتسرح فى الجنة حيث تشاء وتأوى الى قناديل تحت

(١) على بن محمد المروى القارى التنويز بمكة المكرمة سنة ١٠١٦ هـ . [١٦٠٧].

(٢) التنويز سنة ١٠١ هـ . ٧٢٠ م.

العرش ولها تعلق ايضا بجسده تعلقا كلياً بحيث يقرأ ويصلى الى ان قال فلا يشكل شيء منها بالآيات (ج: ٢، ص: ٣٣٥)

وايضاً قال على القارى في (شرحه للفقه الاكبر) ان تعلقات الروح بالجسد خمسة انواع وذكر منها التعلق بالبدن حال البرزخ وسيأتى تفصيله في المقاصد الآتية وكذا ذكر اقسام التعلق الحافظ ابن قيم في (كتاب الروح)

النكتة الثالثة: ان الحياة البرزخية هل هى خاصة بالشهداء ام عامة.

فنقول الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل عامة في الانبياء والاولياء على تفاوت مراتبهم كما قال المظهرى [١] في تفسير قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا * الآية. آل عمران: ١٦٩) والحق عندى ان هذه الحياة غير مختصة بالشهداء بل موجودة في الانبياء والاولياء كما دل عليه الترتيب في قوله تعالى (... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * النساء: ٦٩)

النكتة الرابعة: في تفصيل تفاوت الحياة البرزخية فنقول الحياة البرزخية القوية حياة الانبياء حتى لا يجوز نكاح ازواجه المطهرات باحد الأمة وهذا اثر الحياة القوية وكونها امهات المؤمنين وجه اخر لحرمة نكاحهن ولا تنافى بين الوجهين فان الحكم الواحد يشبت بدلائل شتى. صرح بالوجه الاول في المظهرى. وورد في حديث الاسراء (مررت بموسى فاذا هو يصلى في قبره) والصلاة انما تكون بالجسد كما ذكره ايضا خليل احمد في (عقائد علماء ديوبند).

ثم حياة الشهداء على الترتيب حتى ورد تلاوة القرآن من القبر كما في حديث اخرجه الترمذى ولذا يقولون بلسان القال:

بيت:

مرا زنده پندار چون خويشتن * بجان آدم گرتو آئى بتن

(١) مؤلف هذا التفسير محمد ثناء الله القاضى البانى پتى المندى خليفة الشيخ مظهر جان جانان النقشبندى المندى. المتوفى بپانى پوت سنة: ١٢٢٥ هـ. [١٨١٠ م.]

مؤلف هذا التفسير محمد ثناء الله القاضى البانى پتى المندى

كما ذكره على التهانوى ايضا فى كتابه المسمى بـ (بزم جمشيد) فى واقعة الشاه عبد الرحيم
والد الشاه ولى الله رحمهما الله تعالى والواقعة طويلة فانتظر لعلها تأتىك.
وقد ورد فى شأن الانبياء عليهم السلام. (ان الله حرم على الارض اجساد الانبياء
ان تأكلها) وورد (فنبى الله حى يرزق) وورد (صلوا على فان صلوتكم تبلغنى حيث كنتم)
الى غير ذلك من الروايات كما فى (المشكاة) وغيره.

النكتة الخامسة: ان الموت [١] صفة وجودية او عدمية.

قال المفسر البغدادى الآلوسى فى تفصيل قوله تعالى (الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ
الْحَيَاةَ ۗ وَالْآيَةُ: الملك: ٢٠) والموت على ما ذهب اليه الكثير من اهل السنة صفة وجودية تضاد
الحياة واستدل على وجوديته بتعلق الخلق به وهولا يتعلق بالعدم لأزلية الاعدام. واما
ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما (انه تعالى خلق الموت فى صورة كبش لا يمر بشئ الا مات
وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا حى) فهو اشبه كلام.
بكلام الصوفية لا يعقل ظاهره وقيل هو وارد على منهاج التمثيل والتصوير. وذهب
القدرية وبعض اهل السنة الى انه عدمى وهو عدم الحياة عما من شأنه وهو المتبادر
الاقرب. واجيب عن الاستدلال بالآية الى ان الخلق بمعنى التقدير وهو يتعلق بالعدمى
كما يتعلق بالوجودى وان الموت ليس عدما مطلقا بل عدم شئ مخصوص ومثله يتعلق به
الخلق والايجاد بناء على انه اعطاء الوجود ولوللغير دون اعطاء الوجود فى نفسه وان الخلق
بمعنى الانشاء دون الايجاد وهو بهذا المعنى يجرى فى العدميات، او ان الكلام على تقدير
المضاف اى خلق اسباب الموت، او ان المراد بخلق الموت والحياة خلق زمان ومدة معينة
لهما لا يعلمها الا الله تعالى فايجادهما عبارة عن ايجاد زمانهما مجازا ولا يخفى الحال فى هذه
الاحتمالات.

ومن الغريب ما قيل انه كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع فيها وبالحياة كنى
عن الآخرة من حيث لا موت فيها فكأنه قيل خلق الدنيا والآخرة والحق انهما بمعناهما
الحقيقى والموت على ما سمعت والحياة صفة وجودية بلا خلاف.

النكتة السادسة: في بيان الكرامة:

اعلم ان مطلق الكرامة بمعنى الشرف على غير ذوى العقول عام لكل بنى آدم كما قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ الْآيَةَ. الاسراء: ٧٠) فهذه كرامة الآدمية.

واما الكرامة المصطلحة فهو ظهور امر خارق للعادة على يد مدعى الاسلام غير مدعى النبوة المعرض عن اللذات المنهمك في الطاعات لان الامر الخارق للعادة اما صدر من مدعى النبوة او غيره:

والاول لا يخلو اما صدر منه قبل النبوة او بعدها، الاول ارهاص وتسمى معجزة تغليبا وتشبيها. والثاني معجزة.

والثاني لا يخلو اما صدر من المؤمن المعرض عن اللذات المستغرق في الطاعات او لا، الاول الكرامة والثاني لا يخلو اما ان يكون موافقا لدعواه او لا، والثاني استدراج والثاني اهانة كما دعا مسيلمة الكذاب لاحد ان تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء وقسم آخر تسمى معونة وهو ان يدعو المؤمنون عموما لكشف الكربات فيكشف الله الكربات.

واذا علمت هذا فاعلم ان كرامة الاولياء حق كما في (شرح العقائد): كرامات الاولياء حق خلافا للمعتزلة ومن يحدو حدوهم وفي القصيدة الامالية بيت:

كَرَامَاتُ الْوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا * لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ

وفي (شرح المواقف) المقصد التاسع في كرامات الاولياء [١] وانها جائزة عندنا خلافا لمن منع جواز الخوارق واقعة خلافا للاستاذ ابي اسحق [٢] والحليمي [٣] منا وغير ابي الحسين من المعتزلة. قال الامام في (الاربعين) المعتزلة ينكرون كرامات الاولياء وافقهم الاستاذ ابو اسحق منا واكثر اصحابنا مثبتوها وبه قال ابو الحسين البصري من المعتزلة.

(١) نعم فرق بين الكرامة والولاية فان الكرامة لا بد لها من الولاية من غير عكس.

(٢) ركن الدين ابراهيم بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م].

(٣) حسين بن حسن المرحاني الشافعي الحليمي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٧ م].

اما جوازها فظاهر على اصولنا وهى ان وجود المكنات مستند الى قدرته الشاملة بجميعها فلا يمتنع شيء منها على قدرته ولا يجب في افعاله تعالى غرض ولا شك ان الكرامة امر ممكن، اذ لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته اما وقوعها فلقصة مريم حيث حبلت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة و جعلت هذه الأمور معجزات لذكريا على نبينا وعليه الصلوة والسلام وارهاسات لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام مما لا يقدم عليه منصف. وقصة آصف وهى احضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة فى طرفة عين ولم يكن ذلك معجزة للنبي سليمان على نبينا وعليه الصلوة والسلام، اذ لم يظهر على يده مقارنا لدعوى النبوة.

وقصة اصحاب الكهف وهى ان الله تعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة وازيد نياما احياء بلا أفة ولم يكونوا انبياء اجماعاً. وشيء من هذه الأمور الخارقة الواقعة فى تلك القصص لم تكن معجزة لفقد شرطها كما اشرنا اليه وهى مقارنة الدعوى والتحدى، احتج من لم يجوز الخوارق اصلاً بما مريجوابه انتهى.

قال الآلوسى البغدادي فى تفصيل قوله تعالى (... وَأَخَاطُ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا * الجن: ٢٨) اى فرد افراداً حال من فاعل (... يَسْأَلُكَ * الجن: ٢٧) بتقدير قد اى بدونه جيئ به لمزيد الاعتناء بامر علمه تعالى بجميع الاشياء وتفرد سبحانه بذلك على اتم وجه بحيث لا يشاركه سبحانه فى ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم فكأنه قيل لكن المرتضى الرسول يعلمه الله تعالى بواسطة الملائكة بعض الغيوب عما له تعلق برسالته و الحال انه تعالى قد احاط علماً بجميع احوال اولئك الوسائط وعلم جل وعلا جميع الاشياء بوجه حصري تفصيلي فاين الوسائط منه تعالى، او حال من فاعل، او جيئ به للاشارة الى ان الرصد انفسهم لم يزدوا ولم ينقصوا فيما بلغوا كأنه قيل ليعلم الرسول ان قد ابلغ الرصد اليه رسالات ربه فى حال ان الله تعالى قد علم جميع احوالهم وعلم كل شيء فلوانهم زادوا او نقصوا العلم سبحانه فما كان يختارهم الرصدية والحفظ. هذا ما ظهر لذهنى القاصر ولست على يقين بامره بيد ان الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى (... فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * الجن: ٢٦) على نفى كرامة الاولياء بالاطلاع على بعض الغيوب بما

لا يتم لان قوله تعالى (... فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ الجن: ٢٦) في قوة قضية سالبة جزئية لدخول ما يفيد العموم في حيز السلب واكثر استعمالاته لسلب العموم وصرح به في ما ههنا في (شرح المقاصد) [١] لا لعموم السلب وهو سلب جزئي. فلا ينافي الانجاب الجزئي كان يظهر بعض الغيب على ولى على ما قال بعض اهل السنة في قوله تعالى (لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذِرُكَ الْأَبْصَارُ الْآيَةُ. الانعام: ١٠٣) ولا يرد ان الاستثناء يقتضى ان يكون المرتضى الرسول مظهر على جميع غيبه تعالى بناء على ان الاستثناء من النفي يقتضى ايجاب نقيضه للمستثنى ونفيض السالبة الجزئية الموجبة الكلية مع انه سبحانه لا يظهر احداً كائنا من كان على جميع ما يعلمه عز وجل من الغيب وذلك لانقطاع الاستثناء المصرح به ابن عباس رضى الله عنهما وكذا لا يرد ان الله نفى اظهار شيء من غيبه على احد الا على الرسول. وما ذكر في (المفصل) فيلزم ان لا يظهر سبحانه وتعالى من الملائكة على شيء منه لان الرسول ههنا ظاهر في الرسول البشرى لقوله تعالى (... فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ۝ الْآيَةُ. الجن: ٢٧) ا هو ذلك ليس الا فيه. ويلزم ايضا ان لا يظهر احدا من الانبياء الذين ليسوا برسل بناء على ارادة المعنى الخاص من الرسول ههنا وذلك لما ذكرناه اولاً.

وكذا لا يرد انه يلزم ان لا يظهر المرتضى الرسول على شيء من الغيوب التي لا تتعلق برسالاته ولا يحل الاظهار عليها بالحكمة التشريعية اذ لا حصر لبعض المظهر فيما يتعلق بالرسالة وانما اشير الى المتعلق بها لاقتضاء المقام لذلك وكون كل غيب يظهر عليه الرسول لا يكون الا متعلقا برسالاته محل توقف.

وللمفسرين ههنا كلام لا بأس بذكره بما له وما عليه حسب الامكان. ثم الامر بعد ذلك اليك فنقول لما كان مذهب اكثر اهل السنة، القول بكرامة الولى بالاطلاع على الغيب وكان ظاهر قوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُهُ الْآيَةُ الجن: ٢٦) دالا على نفيها و لذا قال الزمخشري [٢] ان في هذا ابطال الكرامات اى في الجملة لا سلباً كلياً وهى ما كان من الاظهار على الغيب لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا

(١) صاحب هذا الكتاب مسعود بن عمر الشهرى بسعد الدين الفتازانى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ . [١٣٨٩ م.]

(٢) هو ابو القاسم محمود جار الله بن عمر المعتزلى الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . [١١٤٤ م.]

برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابها ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط انتهى. انجدوا واتهموا وايمنوا واشاموا في تفسير الآية على وجه لا ينافي مذهبهم ولا يتم عليه استدلال المعتزلى على مذهبه فقال الامام ليس في قوله تعالى (... عَلَى غَيْبِهِ ۝ الآية. الجن: ٢٦) صيغة عموم فيكفى في العمل بمقتضاه انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا تبقر. في الآية دلالة على انه سبحانه لا يظهر شيئاً من الغيوب لاحد ويؤكد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى (... وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ۝ الانبياء: ١٠٩) والمراد به وقوع يوم القيامة.

ثم قال فان قيل اذا حملتم الآية على القيامة فكيف قال تعالى (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۝ الآية. الجن: ٢٧) مع انه لا يظهر هذا الغيب لاحد من رسله قلنا بل يظهره عند القرب من اقامة القيامة وكيف لا وقد قال تعالى (وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۝ الفرقان: ٢٥) ولا شك ان الملائكة يعلمون في ذلك الوقت.

٥٠

وايضاً يحتمل ان يكون هذا الاستثناء منقطعاً كأنه قيل عالم الغيب فلا يظهر كما على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة أحداً ثم قيل (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُ خَلْفَهُ رَصْدًا ۝ الجن: ٢٧) حفظة يحفظونه من شر مردة الانس والجن انتهى. وتعقب بان في غيبه ما يدل على العموم كما سمعت والسياق لا يأباه. اللهم الا ان يطمعن في ذلك.

٥١

٥٢

٥٣

٥٤

وايضاً ظاهر جوابه الاول عن القيل كون المراد بالرسول في الآية الرسول الملكى وياباه ما بعد من قوله تعالى (... فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ۝ الآية. الجن: ٢٧) على ان علم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقق السماء ليس من الاظهار للغيب. و ابرازه للشهادة كاظهار المطر عند نزول وما في الارحام عند وضعه الى غير ذلك.

وايضاً الانقطاع على الوجه الذى ذكره بعيد جداً اذ فيه قطع المناسبة بين السابق واللاحق بالكلية اللهم الا ان يقال مثله لا يضر في المنقطع. وقيل ان الاظهار على الغيب بمعنى الاطلاع عليه على اتم وجه بحيث يحصل به اعلى مراتب العلم والمراد عموم السلب ولا يضر في ذلك دخول ما يفيد العموم في خيز النفي لان القاعدة اكثرية لأكلية مطردة لقوله

فمذهب اهل الحق انه تبقى الكرامة بعد الموت كما ان النبوة لا تنقطع بالموت و
كما ان ايمان المؤمن لا ينقطع بالموت وذلك لانه عقد الامام ابو داود [١] في سننه بابا
بمعنوان (باب ما يرى من النور عند قبر الشهيد) وذكر في ذيله حديث عائشة رضى الله عنها
كنا نتحدث انه لا يزال نور عند قبر النجاشي وهذا ليس الا الكرامة بعد الموت فان ظهور
النور عند قبر مسلم بلا سبب ظاهر امر خارق للعادة وما هذه الا الكرامة.

وايضا ذكر في (الطريقة المحمدية) [٢] كرامات الاولياء حق وذكر في حاشيتها
المسماة بـ (الحديقة الندية) كرامة الولي لا تنقطع بالموت كما ان رسالة الرسول لا تنقطع
بالموت.

وايضا ذكر المفسر البغدادي الآلوسي في تفسيره في الجزء الثلاثين في تفسير
(... قَالُمُتَرَاتِ أَمْرًا نَازَعَاتِ ٥) وقيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الابدان
بالموت فانها تنزع من الابدان غرقا اى نزعا شديدا الى ان قال فتصير بشرفها وقوتها من
(المدبرات) اى ملحقة بالملائكة او تصلح هى لان تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد مفارقة
الابدان قد تظهر لها آثار و احوال فى الدنيا فقد يرى المرأ شيخه بعد موته فيرشده لما يهيمه .
وقد نقل عن حالينوس انه مرض مرضا عجز عن علاجه الحكماء فوصف له
فى منامه علاجاً فافاق وفعله فافاق وقد ذكره الغزالي ولذا قيل وليس بحديث كما توهم
(اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة المتوفين و
لا شك فى انه يحصل لزارتهم مدد روحانى ببركتهم وكثيرا ما تنحل عقد الامور بانامل
التوسل الى الله تعالى بحرمتهم وتفسير (النازعات) بالنفوس مروى عن السدي، ثم قال
نعم لا ينبغى التوقف فى ان الله قد يكرم من شاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه قبل
الموت بما يشاء فيبرى سبحانه المريض وينقذ الغريق وينصر على العدو وينزل الغيث و
كيت وكيت كرامة وربما يظهر عز وجل من يشبهه صورة فتفعل ما سئل الله بحرمة مما لا
اثم فيه استجابة للسائل وربما وقع السؤال على وجه محظور شرعاً فيظهر سبحانه وتعالى ذلك
مكراً بالسائل واستدراجاً انتهى.

(١) اورداد سليمان بن اشعث الجبستاني الخليل المتوفى ببصرة سنة ٢٧٥ هـ . [٨٨٨ م.]

(٢) مؤلف طريقة المحمدية محمد بن علي البرگوي توفى سنة ١٩١ هـ . [١٥٧٣ م.] في ازميز

(٣) مؤلف الحاشية عبد الفتى النابلسي توفى سنة ١١٤٣ هـ . [١٧٣١ م.] في الشام

فقد ظهر من هذه العبارات ان للاولياء بعد الوفاة مدد روحاني وهذا ليس الا الكرامة بعد الموت. والمفسر البغدادي معتمدتهم ايضا ولعلمهم ما اطلعوا على هذا الموضع و الا لما اظهروا العقيدة عليه كما هو ديدنهم فانهم لا يتركون من اساءة الادب لا عالما ولا شيخا ولا مرشدا ولا مفسرا اذا خالفوا لعقيدتهم، اللهم انا نعوذ بك من اساءة الادب فان سيئ الادب محروم من فيضان الرب على ما قال مولانا الرومي.

مصرع:

بى ادب محروم بود از فضل رب

وايضا ذكر في التفسير المظهرى في تفسير قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۗ الْآيَةُ. آل عمران: ١٦٩) ان الصوفية العلية، قالوا (ان ارواحنا اجسادنا واجسادنا ارواحنا).

وقد تواتر عن كثير من الاولياء انهم ينصرون اولياءهم ويدمرون اعداءهم و الظاهر ان النسبة في قول المفسر مجازية كما في انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض. واعتقاد الموحدين يجعل دليلا على ذلك على ما ذكر في كتب البلاغة.

وايضا ذكر على القابى (شرح المشكاة ج: ١، ص: ٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فانها تسير في ملكوت السموات والارض وتسرح في الجنة حيث تشاء. وتاوى الى قناديل تحت العرش ولها تعلق كلى بجسدها ايضا بحيث تقرأ وتصلى الى ان قال فلا يشكل شيء منها بالآيات.

وايضا قال في ذلك المجلد (ص: ٣٤٢) ولا تباعد من الاولياء حيث طويت لهم الارض وحصل لهم ابدان مكتسبة متعددة وجدوها في اماكن مختلفة في آن واحد. وايضا ذكر في (المشكاة) في باب فضائل القرآن: تلاوة شهيد (سورة الملك) وسماع صحابى ضرب هناك خبائه وذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقريره عليه الصلوة والسلام هذا دليل بين على الكرامة بعد الموت وعلى تعلق الروح بحيث تقرأ.

وايضا ذكر محمد اشرف على التهانوى الهندي في (بزم جمشيد) ان والد الشاه ولي

الله الدهلوى كان يجىء الى مزار قطب الدين بختيار كاكى [١] رحمه الله فخطر في قلبه يوماً هل يحصل له علم بزيارتى اياه فسمع من القبر شعراً معناه هكذا: احسبني حياً مثل نفسك ان كنت جئت بجسدك فاني جئتك بالروح، ثم ذكر في ذلك قصة طويلة لعل اذكرها في المقاصد الآتية ان شاء الله تعالى.

فهذه كلها دلائل كرامات الاولياء بعد الوفاة ولهذا المطلب دلائل كثيرة الا انا اكتفينا بهذا القدر فان القليل انموذج الكثير، والفرقة تنبئ عن البحر الكبير، والعاقل تكفيه الاشارة. والحال انه ذكر ههنا اقوال المفسرين والمحدثين الذين هم من الاحناف فان الآلوسى السغدادي وكذا صاحب المظهرى وعلى القارى ناقد المحدثين وعلى التهانوى من اكابر الديوبنديين كلهم من الاحناف. الحمد لله فقد ثبت من كلام الاوائل والاواخر الكرامة بعد المات.

النكته الثامنة: في انه هل يكون قول غير المقلد كالقاضى الشوكانى [٣] وابن حزم وغيرهما حجة لنا - معاصر المقلدين - سيما الحنفيون، و هل يكون قول الظاهريين حجة لنا؟

فنقول اعلم ان المقلد يكون تسكه بقول مجتهد لا بقول الظاهريين ولا بقول الشوكانى لما ذكر في (المسلم). واما المقلد فمستنده قول مجتهد لا ظنه ولا ظنه على انه لو كان قول الظاهريين حجة لنا لزم ان نقول بالجهة والجسمية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. الا ترى الى ما قال في (شرح العقائد الجلالى): واكثر المجسمة المحدثون الظاهريون المستمعون لظاهر الحديث ولابى العباس احمد ابن تيمية ميل عظيم الى الجهة والجسمية مع علوه كعباً في العلوم. (ابو العباس تقى الدين احمد ابن تيمية) (الفوائد البهية لعبد الحى بن عبد الحلیم المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ).

وذكر في (بذل المجهود شرح سنن ابى داود) في تفسير قوله عليه الصلوة والسلام (لا يبولين احدكم في الماء الدائم) قال الظاهريون في الحديث لفظ البول لا الغائط فيجوز

(١) المتوفى سنة ٦٣٤ هـ.

(٢) شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسى كان مفتياً شافعياً في بغداد. وتوفى بها سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٣ م].

(٣) محمد بن عل الشوكانى الزيدى الشيمى المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ. [١٨٣٤ م].

الغائط فهل يجوز لنا ان نتمسك باقوالهم؟ قال في البذل وهذا جمود ظاهر. وان قلت ان الشوكاني وامثاله متمسكون بالاحاديث قلنا اليس في رفع اليدين احاديث وكذا في التأمين بالجهر وهل يحتمل ان هذه الاحاديث خفيت على الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى؟ كلا، فان زمان الائمة زمان اشتهار الاحاديث.

والمعجب من بعض مقلدى زماننا يرفعون ايديهم عند الركوع ويقولون في السند أليست احاديث رفع اليدين مرفوعة؟ فانه قال العلامة الشيرازي رحمه الله تعالى عليه [١] لكل مقلد مع امامه سلسلة فاذا نقصت حلقة انقصت السلسلة ولذا حكم الفقهاء بحرمة التلفيق. فيا للأسف.

النكتة التاسعة: هل يكون لزوم الكفر كفرا ام لا بد من التزام الكفر؟ وهل فرق بين لزوم الكفر والتزامه؟

فنقول انه فرق بين لزوم الكفر والتزامه فان التزام الكفر كفر واما لزوم الكفر فليس بكفر كمن سجد بغير وضوء على ظن انه متوضئ فانه ليس ملتزما لكفر فلا يكون كافرا بخلاف ما كان عالما فان السجدة بغير وضوء كفر عند البعض.

قال في (حاشية الخيالي ص: ٧٧) في بيان مسلك النصارى في الاقانيم الثلاثة حيث قالوا بالاقانيم الثلاثة كما هي مشكلة التثليث، قيل عليه اللزوم غير الالتزام ولا كفر الا بالالتزام وجوابه: ان لزوم الكفر المعلوم كفر ايضا فلذا قال في (المواقف) من يلزمه الكفر ولا يعلم به فليس بكافر ولا شك ان لزوم الذاتية للانتقال من اجلي البديهيات.

وذكر المفسر الآلوسي في (ج: ٤، ص: ١١٣) انه سئل الشيخ ولي الدين العراقي [٢] هل العلم بكونه عليه الصلوة والسلام بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او من فروض الكفاية فاجاب بانه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص أو من برسائته ولا ادري أ بشر ام جنى ام ملك ولا ادري أ من العرب أو من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن وجحد ما تلقته قرون الاسلام خلفاً من سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص

(١) ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد الشيرازي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]

(٢) ولي الدين احمد بن عبد الرحيم المصري الشافعي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. [١٤٢٣ م.]

والعام ولا اعلم في ذلك خلافاً فلو كان غيباً لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحد بعد ذلك حكماً بكفره انتهى. فانظر الى العلماء المحققين المحتاطين في امر التكفير وكذا يعلم من الحديث المعروف الذى فيه (اللهم انت عبدى وانا ربك) فهذه كلمة كفر لا التزام فيه. [١]

النكتة العاشرة: في تحقيق الايمان والكفر.

فاعلم ان معرفة الكفر يتوقف على معرفة الايمان لان الكفر عدم الايمان عما من شأنه ان يكون مؤمناً فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة ولا شك ان معرفة الإعدام تتوقف على معرفة الملكات.

فنقول: الايمان في اللغة مأخوذ من الامن، كانه آمن المؤمن المؤمن به عن التكذيب والمخالفة.

وفي الاصطلاح: عبارة عن التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلم كونه من ضروريات الدين اجمالاً فيما علم اجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ولا يشترك التفصيل على الكمال فان الائمة المجتهدين توقفوا في بعض المسائل كما نقل عن الامام مالك رحمه الله عليه انه سئل عن اربعين مسألة فاجاب عن الاربعة وقال في الباقية لا ادري وتوقف ابو حنيفة رحمه الله عليه في بعض المسائل مثلاً الكلب متى يصير معلماً و وقت الحتان وهكذا فعلم ان التفصيل الكلى في الايمان ليس بضرورى ولذا ورد في الاثر ان من العلم ان تقول لما لا تعلم لا أعلم.

واذا عرفت هذا فاعلم ان الكفر عبارة عن التكذيب الذى هو ضد التصديق. غاية ما في الباب ان الكفر على نوعين: كفر حقيقى بان يكون تكذيب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وكفر بالأمانة كشذ الزنار وسجدة الصنم وغير ذلك مما عده الشارع علامة التكذيب.

والشرك اخص من الكفر. والشرك انواع: شرك في الذات بان يعتقد احد ذاتا واجبا مثل ذات الواجب وشرك في الصفات مثل ان يعتقد احد شركة الغير للواجب تعالى

(١) الحديث (... ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم.

(٢) الامام مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة.

(٣) الامام الاعظم ابو حنيفة نعمان بن ثابت توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد.

في الصفات المختصة به تعالى من العلم المحيط وغيره وشرك في العبادة بان يعبد احد غير الله تعالى عبادة بدنية او مالية او مركبة.

وههنا قسم رابع الا ان اطلاق الشرك عليه صورة وهو الشرك في التسمية كما قال الملا على القاري واما التسمية بعبد النبي فظاهره شرك الا ان يؤول. وكذا الشرك في الحكم والامر والملك والاسم راجع الى ما ذكرنا. واما الشرك في الامر والحكم والملك فراجع الى ما ذكرنا. والشرك في التسمية كالتسمية بعبد النبي وعبد الرسول فظاهره شرك الا ان يؤول بالخادم.

و اما الشرك في الاستعانة بان يطلب احد العون من الغير فان كان يعتقد ان ذلك الغير مستقل وخالق للعون فهو شرك في الصفات والا فهو ليس بشرك. ولذا ذكر الخازن (ج: ٣، ص: ٢١) في قصة يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام في قوله تعالى (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ۖ الْآيَةُ. يوسف: ٤٢) والمعنى ان الشيطان انسى يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام ذكرربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا انه لما كان مقام يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام اعلى المقامات ورتبه اشرف المراتب وهي منصب الرسالة والنبوّة، لاجرم صار يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام مؤاخذا بعد القدر فان (حسنات الابرار سيئات المقرّبين) انتهى.

وقال في (المدارك) في تفسير قوله تعالى (... اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ۖ الْآيَةُ. يوسف: ٤٢) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة. وعلم منه ايضا ان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر او جلب النفع جائز الا ان شأن الانبياء عليهم الصلوة والسلام اعلى واجلى ولذا ورد انه لما القى ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام في النار، جاءه جبرائيل فقال له أ لك حاجة؟ فقال ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام اما اليك فلا فقال اذكره عند ربك فقال علمه بحالى يغنيني عن سؤالي. وكذا نقل عن ابي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى.

(١) مؤلف لباب التأويل المشهور بتفسير الخازن علاء الدين علي المتوفى سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤١ م.]

(٢) الغفلة ههنا بمعنى الزلة.

(٣) مؤلف تفسير المدارك عبد الله النسي المتوفى سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد

بيت:

فلو خطرت لى فى سواك ارادة ه على خاطرى يوما حكمت بردتى

الا ان هذا طور وراء طورنا ولنعم ما قال العارف:

بيت:

عقل در اسباب ميدارد نظر ه عشق ميگويد مسبب را نگر

فتلك النكات عشرة كاملة فانتقشها على صحيفة خاطرك لتكون على بصيرة فى

المقاصد الآتية وتكون وسيلة لدرك المقاصد فانما المسائل بالوسائل والدعاوى بالدلائل و شرف الانسان بالشمانل لا بالحلى والحلل.

المقصد الاول، فى اثبات سماع الموتى

ادلة سماع الموتى كثيرة ولنذكر قردرا ضروريا من ذلك.

منها حديث (قريب بدن) كما ذكره (الصحيح) انه عليه الصلوة والسلام ناداهم باسمائهم [يا ابا جهل! يا فلان! (... قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا الآية. الاعراف: ٤٤)] فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله! أتتكلم اجسادا بلا ارواح؟ فقال عليه الصلوة والسلام (والذى نفسى بيده ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لا يسمعون) فهذا الحديث دليل واضح على ان الموتى يسمعون ولكن لا يحيون بل سماعهم اشد من سماع الاحياء ولا يلزم من نفى الاجابة والجواب نفى السماع لانه ليس بينهما عينية ولا لازمة فان الاخرس يسمع ولا يقدر على الجواب وان قلت انه فى الابتداء قلنا وان كان فى الابتداء الا انه سماع الموتى والمقصود فى هذا القام اثبات نفس سماع الاموات ولا ندعى ان للاموات سماعاً فى كل وقت. واما انكار عائشة رضى الله عنها فانما هو لاجل تمسكها بظاهر قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى الآية. النمل: ٨٠) و (... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ فاطر: ٢٢) وقد اجاب لعلماء ان فى الآية نفى

الإسماع ولا يلزم منه نفى السماع لا بنفسه ولا على قاعدة المطاوعة على ما سيجيء في المقاصد الآتية.

ومنها قوله عليه الصلوة والسلام (ان الميت ليسمع خفق نعالهم) فهذا ايضا دليل على ان الميت يسمع صوتا خفيا وهو صوت خفق النعال وان قلت انه في اول الوضع، قلنا المقصود في هذا المقام اثبات ان لا منافاة بين الموت والسماع ولا شك انه في اول الوضع ميت والا لما دفن ولما صلى عليه.

ومنها قوله تعالى (وَلَا تَحْزَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۗ آل عمران: ١٦٩) و (... بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۗ البقرة: ١٥٤) قال في التفسير المظهرى ج: ٢، ص: ١٢١) يعنى ان الله يعطى لارواحهم قوة الاجساد فيذهبون من الارض والسماء والجنة حيث يشاؤون وينصرون اولياءهم ويدمرون اعداءهم، ان شاء الله تعالى ومن اجل ذلك الحياة لا تأكل الارض اجسادهم.

قال البغوى [١] قيل ان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة قال عليه الصلوة والسلام (ان الشهداء اذا استشهدوا انزل الله جسدا كاحسن جسد ثم يقال لروحه ادخل فيه فتنظر الى جسده الاول...) . ثم قال فذهب جماعة من العلماء ان هذه الحياة مختصة بالشهداء والحق عندى عدم اختصاصها بهم بل حياة الانبياء اقوى منهم واشد ظهوراً اثاراً فى الخارج حتى لا يجوز النكاح بازواج النبی عليه الصلوة والسلام بعد وفاته بخلاف الشهيد . والصدیقون ايضا على درجة من الشهداء والصالحون يعنى ان الاولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب فى قوله تعالى (... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۗ الآية. النساء: ٦٩) ولذا قالت الصوفية العملية: (ارواحنا اجسادنا واجسادنا ارواحنا) وقد تواتر عن كثير من الاولياء انهم ينصرون اولياءهم ويدمرون اعداءهم ويهدون الى الله تعالى من يشاء الله تعالى.

وقد ذكر المجدد رحمه الله تعالى [٢] ان ارباب کمالات النبوة بالوراثة قلت وهم الصدیقون والمقربون فى لسان الشرع يعطى لهم من الله تعالى وجوداً موهوباً. ويدل على ان

(١) حین بن مسعود الشهرى بحی السنة البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ هـ . [١١٢٢ م.]

(٢) يعنى الامام الربانى احمد بن عبد الاحد الفاروقى السرهندى المتوفى برهنت سنة ١٠٣٤ هـ . [١٦٢١ م.]

اجساد الانبياء و الشهداء و بعض الصلحاء لا يأكلها الارض ما اخرجها الحاكم [١] و ابو داود عن اوس بن اوس. قال قال رسول الله صلى عليه وسلم (ان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء) و اخرج ابن ماجة عن ابى الدرداء نحوه.

و اخرج مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة انه بلغه ان عمرو بن الجموح و عبد الله بن جبيرة الانصارى كان قد حفر السيل قبرهما و كان قبرهما مما يلي السيل و كانا في قبر واحد من استشهد يوم أحد فمثر ليغيرا من مكانهما فوجدوا لم يتغيرا، كانهما ماتا بالامس و كان بين حفرهما و غزوة أحد سب و اربعون سنة.

و اخرج البيهقي ان معاوية رضى الله عنه اراد ان يجرى كظامة (نهرأ)، نادى من له قتيل باحد فليشهد فخرج الناس الى قتلهم فوجدوهم رطابا ينبتون فاصابت المسيحات رجل رجل منهم فانبعث دماً و لقد كانوا يحفرون التراب فحفروا نثرة من تراب فاح عليهم ريح المسك. هكذا اخرجها الواقدي [٢] عن شيوخه و اخرج ابن ابى شيبه [٣] نحوه.

و اخرج البيهقي عن جابر رضى الله عنه و فيه فاصابت المسيحات قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث دماً الى غير ذلك من الروايات التى تدل على سلامة اجسادهم.

و قد صرح على القارى بان روح المؤمن لها تعلق كلى بجسده فثبت من هذا سماع الموتى بان يقال ارواح الانبياء و الشهداء و الاولياء لها تعلق باجسادهم مع سلامة اجسادهم و كل من شأنه هكذا فهو يسمع فالموتى المذكورون يسمعون و ليس مرادنا سماع الموتى على وجه الاستفراق و العموم لكل الاموات فى كل الازمان.

و ايضا النصر و التدمير يدلان على ان حياتهم له تعلق بهذا العالم فان نصر الاولياء و تدمير الاعداء يكون فى الدنيا و من لوازم الحياة السماع عند عدم المانع. و منها ما قال فى (التفسير المظهرى ج: ٢، ص: ٤٨٩)، و الشهيد لا يبلى فى القبر و لا يأكله الارض و هذا ايضا اثر من آثار حياته.

(١) محمد بن عبد الله الشهير بحاكم النيسابورى و هو صاحب كتاب المستدرک المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . [١٠١٤ م.]

(٢) ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى ببغداد سنة ٢٠٧ هـ . [٨٢٢ م.]

(٣) ابو بكر عبد الله بن محمد الشهير بابن ابى شيبه المتوفى سنة ٢٣٥ هـ . [٨٥٠ م.]

و ايضا ذكر انهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فاميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر فرأيت ابي كانه نائم و التمرة التي كفن فيها كما هي و الحزمة على رجله كما هي و بين ذلك ست و اربعون سنة.

قال البغوى، قال عبيد بن عمر مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير و هو مقتول فوقف عليه و دعا له ثم قرأ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ الْآيَةُ: الاحزاب: ٢٣) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة الا فاتوهم و زوروهم و سلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه) فعلم من رد السلام انهم يسمعون كلام المسلم عليهم و هذا هو سماع الموتى. و (المظهرى) حنفى فعلم ان هذا مذهب الاحناف.

ثم قال (مسئلة): هل يبلغ غير الشهيد درجة الشهيد؟ قلت: نعم، و ما ورد فى فضل الشهداء لا يقتضى نفى الحكم عن عداهم و ذكر بعده بسطور قال الشيخ الشهيد شيخى و امامى رضى الله عنه و رضى عنى بسره السامى، انه يرى بنظر الكشف تجليات ذاتية على الشهداء كما بذلوا ذواتهم فى سبيل الله.

و منها ما اخرجه احمد و الحاكم حديث عائشة رضى الله عنها (والذى نفسى بيده...) و عن عكرمة قال: يعطى الموتى مصحفا فى القبر يقرأ.

و عن الحسن قال بلغنى ان المؤمن اذا مات و لم يحفظ القرآن امر بحفظته ان يعلموه القرآن حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله كذا فى (شرح الصدور فى احوال الموتى و القبور) للسيوطى (حاشية المظهرى ج: ٤، ص: ٤٨٩)

و منها ما قال السيوطى: الاحاديث و الاثار تدل على ان الزائر متى جاء الى المزار علم به المزور و سمع كلامه و انس به و رد عليه و هذا عام فى حق الشهداء و غيرهم. و لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لامته ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبون و من يسمع و يعقل.

و منها ما ذكر الشيخ الدهلوى رحمه الله فى ذيل حديث (قليب بدر فى كتاب الجهاد ص: ٣٧٣) اعلم ان هذا الحديث متفق عليه، صريح فى ثبوت سماع الموتى و حصول

علمهم على ما يخاطبون به وكذا في حديث مسلم من سمع قرع النعال وكذا ورد في زيارته عليه الصلوة والسلام لاهل بقيع الغرقد انه عليه الصلوة والسلام سلم عليهم وخاطبهم لان الخطاب مع من لا يفهم قبيح كما قال ومن القبيح خطاب من لا يفهم يعد من العبث.

وكذا خطاب عائشة رضى الله عنها مع اخيها عبد الرحمن كما ذكر في زيارة القبور.

وذكر الشيخ ابن الهمام [١] في (شرح الهداية) ان اكثر الحنفية على ان الميت لا يسمع وصرحوا في كتاب الايمان انه ان حلف لا اكلم فلانا فكلمه بعد ما مات لا يحث لان الفهم ليس للميت واجابوا عن حديث مسلم بانه مخصوص بوقت الوضع في القبر مقدمة للسؤال وقال الشيخ هذا التخصيص خلاف الظاهر ولا دليل على هذا التخصيص وظاهر الحديث ان هذا حاصل للميت في القبر ويجابون عن الحديث المذكور الذى هو نص في هذا الباب غالياً لمذهبهم بان هذا كان مخصوصا به عليه الصلوة والسلام ومعجزته وزيادة الحسرة عليهم ولا يخفى ان الحمل على هذا مجرد احتمال وتأويل لا بد له من دليل يدل على استحالة سماع الموتى والله تعالى قادر على هذا وسببه الحواس، عادى بمجرد خلق الله كما يتقرر في كتب المذهب.

واجابوا تارة بان هذا من قبيل ضرب المثل وحقيقة الكلام غير مراد وهذا أبعد من الجواب الاول واضعف ومبنى الايمان على العرف. واقرى وجوه تأويلهم ان عائشة رضى الله عنها لما سمعت هذا الحديث عن عمر رضى الله عنه قالت كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً مخالفاً عن الكتاب كما قال (أَنْتَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى * الآية. النمل: ٨٠) و (... وَمَا أَنْتَ بِتَسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ * فاطر: ٢٢) كذا قال ابن الهمام. وقال في (المواهب اللدنية) ان عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العلم فوهم عمر رضى الله عنه فقال مكان علم سمع. [٢] وبالجملة ان عائشة رضى الله عنها انكرت سماع الموتى متمسكة بهاتين الآيتين و

(١) كمال الدين محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٨٦١ هـ. [١٤٥٦ م.]

(٢) مؤلف المواهب اللدنية أحمد القسطلاني الشافعي توفي سنة ٩٢٣ هـ. [١٥١٧ م.]

لكن العلماء اجابوا عن قولها رضى الله عنها ولم يقبلوا استدلالها بالنص القرآنى ولا بد لرد رواية الشقة من نص مثلها وفي الآية نفى الإسماع ولا يلزم منه نفى السماع وهو المتنازع فيه.

او المراد بـ(من في القبور) الكفار والمراد بعدم سماعهم عدم اجابتهم للحق بدليل ان هذه الآية نزلت في دعوة الكفار الى الايمان وعدم اجابتهم الحق.

او المراد بـ(الموتى) موتى القلوب والمراد بـ(القبور) اجسادهم.

و ذكرنا في (المواهب اللدنية) انه ذكر في مغازى محمد بن اسحق [١] باسناد جيد و ذكر الامام احمد ايضا باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها مثل حديث عمر رضى الله عنه فعلم من هذا رجوع عائشة رضى الله عنها الى كلامهم لان الرواية ثبتت عن الصحابة الكبار وعائشة رضى الله عنها ما حضرت في تلك القضية.

وقد ذكر في شروح (البخارى) مثل هذا وتمسك جماعة بقول قتادة [٢] في اخر الحديث لاثبات سماع الموتى ولا تخصيص في قول قتادة رضى الله تعالى عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم بانه على طريق المعجزة ولا تخصيص بهذه الاموات فان الله تعالى قادر مطلق على ان يوجد في الاموات كلها.

وايضا قال الشيخ الدهلوى رحمه الله عليه ان سلم ان السمع يكون بالسامعة وقد خربت السامعة بخراب البدن فنقول لا يلزم من نفى السماع نفى العلم لان العلم بالروح وهوباق فيحصل العلم بالمبصرات والمسموعات لا على وجه الابصار والاسماع وقد وردت اخبار كثيرة في علم الاموات باحوال زائرهم حتى ورد ان زيارة يوم الجمعة افضل لانه يعطى العلم للميت في هذا اليوم اكثر من سائر الايام واحوال الزائرين هم اكشف.

وايضا لاشك في حصول العلم للموتى بالآخرة والبرزخ وبحقيقة دين الاسلام كما قالت عائشة رضى الله عنها وهو متفق عليه في المراد بالحديث فيمكن العلم باحوال الدنيا واهلها ولا دليل على زوال علمها ونسيانها مع بقاء الروح.

(١) التوفى سنة ١٥١ هـ . [٧٦٧م].

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي التوفى سنة ١١٨ هـ . [٧٣٥م].

وبالجملة الكتاب و السنة مملوءان باخبار و آثار تدل على وجود علم الاموات
بالدنيا و اهلها فلا ينكره الا الجاهل بالاخبار و المنكر عن الدين المختار. ثم ذكر بعد ذلك
مسئلة الاستمداد باهل القبور و سذكها في مقصد التوسل، ان شاء الله تعالى.

و منها ما ذكر في (شرح الصدور ص: ٨٣) اخرج ابن عساكر [١] في تاريخه
بسند من طريق الاعمش عن المنهال بن عمرو قال انا و الله رأيت رأس الحسين رضي
الله عنه حين حمل وانا بدمشق و بين يدي الرأس رجل يقرأ (سورة الكهف) حتى بلغ قوله
تعالى (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا الكهف:
٩) قال فانطق الله الرأس بلسان ذرب اى فصيح فقال اعجب من اصحاب الكهف قتلى
و حملى انتهى. فعلم من هذا ان رأس الحسين كان يسمع تلاوة (الكهف) و لذا قال كذا
مع انه رأس فقط بلا جسد. قلت انه من الخوارق قلنا لا يضرنا فان فيه اثبات الكرامة بعد
المات.

و منها ما اخرجه ابو نعيم [٢] في (الحلية) من طريق عمر بن واقد عن يونس
بن جليس انه كان يمر على المقابر بدمشق ينحدر يوم الجمعة فسمع قائلا يقول هذا يونس
بن جليس، قد هاجر يحجون و يعتمرون كل شهر و يصلون كل يوم خمس صلوات انتم
تعملون ولا تعلمون و نحن نعلم ولا نعمل. قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه فقال
سبحان الله! اسمع كلامكم و اسلم عليكم ولا تردون على؟ قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها
حسنة و قد حيل بيننا و بين الحسنات و السيئات. (شرح الصدور، ص: ٨٤).

و منها ما اخرجه ابو نعيم عن عمرو بن دينار [٣] قال ما من ميت الا و
روحه في يد ملك ينظر الى جسده، كيف يغسل و كيف يكفن و كيف يمشى به و يقال و هو
على سريره اسمع ثناء الناس عليك. (شرح الصدور ص: ٣٧).

(١) عل بن حسن الشهير بابن عساكر المتوفى ٥٧١ هـ . [١١٧٦ م.]

(٢) ابو نعيم احمد بن عبد الله الشافعى الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . [١٠٣٩ م.]

(٣) ابو محمد عمرو بن دينار المكي المتوفى سنة ١٢٦ هـ . [٧٤٣ م.]

ومنها ما اخرج ابو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق. قال: كانت امرأة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم فمر على قبرها فقال (ما هذا القبر؟) قالوا ام محجن قال (التي تقم المسجد؟) قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها ثم قال (اي العمل وجدت افضل؟) قالوا يا رسول الله! أسمع قال (ما انتم باسمع منها) فذكر انها اجابته (قم المسجد) (شرح الصدور، ص: ٣٨).

ومنها ما ذكر في (شرح الصدور، ص: ٩٤). قيل: الارواح على افنية القبور قال ابن عبد البر [١] وهذا اصح ما قيل قال واحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها، وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك.

قال ابن القيم: هذا القول ان اريد به الملازمة مع القبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة وعرض المقعد لا دليل على ان الروح في القبر ولا على فئانه بل على ان لها اتصالا بجسده به، يصح ان يعرض عليه مقعده فان للروح شأن آخر فتكون في الرفيق الاعلى وهي متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها، يرد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبرئيل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستمانة جناح منها جناحان سد الافق فكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه وقلوب المخلصين تتسع للايمان بان من الممكن انه كان يدنو هذا الدنو وهو في مستقر من السموات. وفي الحديث في رؤية جبرئيل عليه السلام: (فرفعت رأسي فاذا جبرئيل عليه السلام، صاف قدميه بين السماء والارض يقول: يا محمد! انت، رسول الله وانا جبرئيل فجعلت لا اصرف بصرى الى ناحية الا رأيت كذا) وعلى هذا يحمل تنزله تعالى الى سماء الدنيا ودنوه عشية عرفة ونحوه فهو منزّه عن الحركة والانتقال وانما يأتي الغلط ههنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التي اذا اشتغلت مكانا لم يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ليلة الإسراء في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح هناك كانت في مثل البدن ولها اتصال

بالبدن بحيث تصلى في قبره وترد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الامرين فان شأن الأرواح غير شان الابدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الارض وان كان غير تمام للمطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض الشمس واما الروح فهي بنفسها تنزل. وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في ليلة الإسراء في السموات. الصحيح: انه رأى الارواح في مثال الاجسام مع ورود انهم احياء في قبورهم يصلون.

وقد قال عليه الصلوة والسلام: (من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائياً ابلغته) اخرجه البيهقي في (الشعب) من حديث ابي هريرة رضى الله تعالى عنه وقال (ان الله تعالى وكل بقبري ملكاً اعطاه اسماع الخلاق فلا يصلى على احد الى يوم القيامة الا بلغنى باسمه واسم اميه) اخرجه البزار [١] والطبراني [٢] من حديث عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه مع القطع بان روحه في اعلى عليين مع ارواح الانبياء وهو في الرفيق الاعلى. فتثبت بهذا انه لا منافاة بين كون الروح في عليين او في الجنة او في السماء وان لها تعلقاً بالبدن واتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصل وتقرأ وانما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا وامور البرزخ والآخرة على نمط غير هذا المألوف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم.

وقال في موضع آخر: للروح بالبدن خمسة انواع من التعلق مغايرة الاول: في بطن الام الثاني: بعد الولادة الثالث: حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. الرابع: في البرزخ فانها وان كانت فارقة بالموت فانها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لم يبق لها اليه التفات. الخامس: تعلقها به يوم البعث وهو اكمل انواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً.

وقال في موضع آخر: للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كالمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر الى السماء في ادنى لحظة وشاهد ذلك في روح النائم فقد ثبت

(١) احمد بن عمرو البزار العنقلى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ. [٩٠٥ م.]

(٢) سليمان بن احمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ. [٩٧١ م.]

ان روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد الى جسده في ايسر ساعة.

ثم حكى ابن القيم بعد ذلك بقية الاقوال وانها بالجابية او بثر زمزم وان ارواح الكفار ببئر برهوت . و اورد ما اخرج به ابن مندة [١] بسنده من طريق سفيان عن ابان بن ثعلب . قال : قال رجل : بت ليلة بوادي برهوت . فكانما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يا دومة ! يا دومة ! وحدثنا رجل من اهل الكتاب : ان دومة هو الملك الموكل بارواح الكفار .

ثم قال ابن القيم بعد ذلك بسطور ولا يحكم على شيء من هذه الاقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان بل الصحيح ان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ اعظم تفاوتاً ولا تعارض بين الادلة فان كلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة .

فمنها ارواح في اعلى عليين في الملا الاعلى وهم الانبياء ومن متفاوتون في منازلهم كما اراهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء .

ومنهم ارواح في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي ارواح بعض الشهداء لا جميعهم فان منهم من يجلس عن دخول الجنة لدين او لغيره كما في (المسند) عز محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! مالي ان قتلت في سبيل الله ؟ قال (الجنة) فلما ولي قال (الا الدين سائرني به جبرئيل آنفاً) .

ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة انه تشتعل عليه نار في قبره .

ومنهم من يكون محبوساً في قبره في الارض لم تصل روحه الى الملا الاعلى فانها

كانت روحاً سفلية ارضية فان الانفس الارضية لا تجتمع الانفس السماوية كما انها لا تجتمع معهن في الدنيا فالروح بعد مفارقتها تلحق باشكالها واصحاب عملها. (المرء مع من احب).

و منها ارواح تكون في تنور الزيات و ارواح في نهر الدم إلى غير ذلك فليس للارواح سعيدها و شقيها مستقر واحد و كلها على اختلاف محالها و تباين مقامها بها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم و العذاب كما كتب له. انتهى كلام ابن القيم كذا في (شرح الصدور، ص: ٩٥-٩٦).

و لعمري هذا تحقيق انيق و تفصيل عجيب و سيف قاطع على اعناق المنكرين - فماذا بعد الحق الا الضلال و ابن قيم [١] ممن يتمسكون باقواله فلذا ذكرت اقواله.

و منها ما قال ابن القيم في موضع آخر: الاحاديث والآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور و سمع كلامه و انس به و رد سلامه عليه و هذا عام في حق الشهداء و غيرهم و انه لا توقيت في ذلك قال و هو الاصح من اثر الضحاك الدال على التوقيت.

و منها ما ذكر على القارى: ان ما نسب الى الامام الاعظم من انكار سماع الموتى بناء على مسئلة الايمان بان حلف احد لا اكلم فلاناً أو لا اضرب فلاناً فكلمه بعد موته و ضربه كذلك لا يحنث ليس بصحيح لان مبنى الايمان على العرف ولا شك ان اهل العرف لا يعدونه كلاماً لان الكلام في العرف ما يكون مشافهة و علم المتكلم ان المخاطب يسمع كلامه و كذا المتكلم يسمع جواب المخاطب ولا شك ان هذا مفقود في الميت لانه لا يسمع مطلقاً.

و منها ما ذكر في (الكبرى) ان الميت لا يزال يسمع الاذان مالم يطين ولا شك ان لفظ (لا يزال) يدل على الدوام لان نفى النفي اثبات والاصل في الثابت ثباته مالم يعلم خلافه.

(١) ابو عبد الله حافظ محمد بن ابي بكر الشهير بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.] وهو من اشهر تلاميذ ابن تيمية.

ومنها ما ذكره العلامة محمد انور الشاه الكشميري [١] في (فيض الباري شرح صحيح البخاري) اثبات السماع للموتى بتفصيل شاف كاف واف فيه اثبات قول الحق وابطال قول المبطل (ج: ٢، ص: ٤٧) و (ج: ٢، ص: ٤٦٧) و (ج: ٢، ص: ٤٨٨).
وكذا العلامة ابن حجر والمفسر البغدادى الآلوسى (ج: ٢، ص: ٥٧) و (المظهرى ج: ٢، ص: ١٥٣) فعلم من هذه النقول ان سماع الموتى مسلك الاحناف و الشوافع من المحدثين و المفسرين و الاكابر الديوبنديين وغيرهم الذين يعتقدهم المنكرون فكيف تنكر هذه الفرقة المحدثه.

والادلة لسماع الموتى كثيرة ما ذكرت عشرا عشرا منها. فان القليل النموذج الكثير والغرفة تنبئ عن البحر الكبير وما لا يدرك كله لا يترك كله، بل يذكر بعضه ولعل النصف يكفي هذا والمتعصب لا يفيد الدفاتر والاسفار ولنسم ما قال العارف:

بيت:

آنكه اورا نبود از توفيق داد * كى كند تصديق او ناله جماد

فالعجب من هؤلاء النيام الغافلين الذين احاطت غشاوة التعصب على ابصارهم بل على بصائرهم (... فَإِنَّهَا لَا تَغْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَغْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * الحج: ٤٦) اللهم اهدهم و ارفع غشاوة التعصب عن ضمائرهم لينطبع دلائل الحق في طبائعهم ويرفع هذا الفساد والاختلاف عن الامة المحمدية المرحومة ومنشأ كل ذلك الافراط والتفريط فان الاقتصاد في هذا الزمان فقيد كالكبريت الاحمر فان الطبائع عموما مائلة الى اللد و العناد الا من شاء الله هدايته وسداده (... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * البقرة: ٢١٣)

١٠٠ - ١٠٠ - ١٠٠

المقصد الثاني

في اثبات التوسل الى الله تعالى في الحاجات ببركة الانبياء والاولياء وبحرمتهم وشرفهم وقربهم من الله حين الحياة وبعد الوفاة فانه قد انكر عنه مفرط زماننا ولذكر قدره ضرورياً من ذلك ليصير تبصراً لمن اراد ان يتبصر وتذكراً لمن اراد ان يتذكر والله الهادي الى سواء السبيل وعليه التوكل والتعويل.

فاعلم ان اثبات المسئلة يحتاج الى تحقيق لفظ (الوسيلة والبركة) فان مدار المسئلة نفياً وإثباتاً على هذا والمقاصد مبنية على المبادئ كما ان المسائل بالوسائل. ونقدم تحقيق لفظ (الوسيلة) فان التوسل مأخوذ منه.

فالوسيلة معناها الحاجة كما في قول القائل:

بيت:

ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان ياخذوك تكحلي وتخضبي

كما ذكر القاضي البغدادي بحواله ابن الانباري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وايضاً جاء معناها القرب كما في قول علي كرم الله وجهه:

بيت:

واذا مررت بابة في ذكرها * وصف الوسيلة والنعيم المعجب

فاستل الهك بالانابة مخلصاً * دار الخلود سؤال من يتضرع

وبمعنى ما يتوسل به ويتقرب به يقال توسلت اليه تقربت اليه.

وبمعنى الدرجة في الجنة كما في حديث (سلوا الله لي الوسيلة).

[١]

والوسيلة بمعنى ما يتقرب به مصرح في تفسير (روح المعاني) وكذا في (تاج اللغة)

فانه ذكر فيه التوسل نزدیکی جستن ويعدى بالي كما يقال توسلت الى فلان وبالباء كما يقال توسلت به.

والوسيلة بمعنى الذريعة، لها شواهد كثيرة في كتب الفن كما في (التلويح

ص: ١٣) اذا العمل هو الوسيلة الى نيل الجنات ورفع الدرجات ومثله في تفسير (البيضاوي)

و غيره من كتب فنون مختلفة كما في (خطبة شرح المطالع).

و البركة معناها الزيادة و النماء حسية او عقلية وكثرة الخير و دوامه و نسبتها الى الله عز و جل على المعنى الاول و هو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه جل و علا عما سواه في ذاته و صفاته و افعاله و صيغة التفاعل للمبالغة في ذلك كما في نظائره مما لا يتصور نسبته اليه تعالى كالتكبر و على الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه سبحانه على مخلوقاته من فنون الخيرات و الصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات و ازديادها شيئا فشيئا و أنأ فأنأ بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها. قيل ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال و انبائها عن نهاية التعظيم لم يجر استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك و تعالى.

ثم قال بعد ذلك بسطور فلذا قيل ههنا في معنى الآية (تعالى و تعاضم بالذات عن كل ما سواه ذاتا و صفة و فعلا الكامل الاحاطة والاستيلاء على كل موجود) وقوله تعالى (... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الْمَلِكُ : ١) تكميل لذلك لان القرينة الاولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى ارادته سبحانه ومشيته من غير منازع ولا مدافع و لا متصرف فيها غيره عز و جل كما يؤذن به تقديم الظرف في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ * الْمَلِكُ : ١) و هذا قول على القدرة الكاملة الشاملة ولو اقتصر على الاولى لأوهم ان تصرفه تعالى مقصور على تغير احوال الملك كما يشاهد من تصرفات الاملاك المجازى فقرنت بالثانية ليؤذن بانه عز سلطانه قادر على التصرف و على الابدان للاعيان المتصرف فيها و على ايجاد عوارضها الذاتية و غيرها الى آخر ما قال. (روح المعاني في ج: ١، ص: ٣٢٩).

ومما جاء البركة بمعنى كثرة الخير قوله (حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * الدخان: ٣-١) قال في (المدارك) كثرة النفع والخير فعلم منه ان البركة بهذا المعنى توصف بها الليلة. و كذا قوله تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا * الْآيَةُ: ق: ٩) فعلم ان البركة يوصف بها الماء. و كذا قوله تعالى (... مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ * الْآيَةُ: النور: ٣٥) فعلم ان البركة توصف بها الشجرة. و كذا قوله تعالى (...

إِنَّكَ يَا الْوَادِ الْمُقَدَّسَ طَوِيُّ * طه: ١٢) قال السيوطي في تفسيره: المطهر أو المبارك فعلم ان البركة توصف بها الوادي.

و كذا قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام (وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا أَتَى مَا كُنْتُ * الآية. مريم: ٣١) فعلم ان البركة توصف بها الذوات الفاضلة.

ولو تتبعتم محاورات القرآن والحديث وجدت البركة يوصف بها الطعام والمال والاولاد كما في الدعاء الماثور (اللهم بارك في ماله واولاده وعمره) وكما في (اللهم بارك على محمد ...) فعليك بالاستقراء في القرآن وكتب الحديث سيما كتاب الاطعمة. وفيما ذكرنا كفاية للبيب الحنيف. نعم، بين بركة الخالق والمخلوق فرق فان بركة الخالق ذاتي و بركة المخلوق مستعار و كم من فرق بين ما بالذات وما بالعرض وهكذا كل الصفات فان الاشتراك في الصفات فيما بين الواجب والممكن اسمي لا حقيقي كما هو مشروح في كتب الكلام في بحث الصفات ولذا فسر في (المندارك) (تبارك) اي تعظم عن صفات المخلوقين.

فما الحاصل ان البركة لها معان جمة يراد في كل مقام ما يناسبه ولذا قال الشيخ (اشعة اللمعات) في معنى قوله عليه الصلوة والسلام (انكم ترزقون بضعفائكم و فقرائكم) به بركت فقراء.

و كذا قوله تعالى (... وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا * الآية. فصلت: ١٠) قال صاحب (المدارك) بالماء والزرع والشجر والثمر والضمير فيها راجع الى الارض وقيل بارك فيها و اكثر خيرها. وقال (الخازن ص: ٨٦) اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها و هو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات و كل ما يحتاج اليه.

و اذا انقش هذا على صحيفة خاطرك، فاعلم ان التوسل على انواع:

منها التوسل بالاعمال الصالحة ولا ريب في جوازه لاحد كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا إِلَهُ تَابِعُوا فِي سَبِيلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * المائدة: ٣٥) قال المفسرون في تفصيله اي بالاعمال الصالحة.

و كما في حديث (الغار) المذكور في (البخارى) فانه ذكر فيه التوسل من كل من الثلاثة بعمله الصالح وهذا مما لا ريب فيه لاحد.

و منها التوسل بالذوات و هو على نوعين قبل الوفاة و بعد الوفاة اما قبل الوفاة فهو ايضاً جائز كما في واقعة عمر رضى الله تعالى عنه عن انس رضى الله تعالى عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنينا فتسقينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فسقوا. رواه البخارى (المشكاة ص: ١٢٤) و هذا صريح في جواز التوسل بالذوات.

تنبيه

استدل المنكرون عن جواز التوسل بالذوات الفاضلة بعد الوفاة بانه لو كان التوسل بعد الوفاة جائزاً لتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بالنبي عليه السلام مع انه توسل بعباس رضى الله تعالى عنه و تقريره بالنظم القياسى هكذا التوسل بعد الوفاة غير جائز لانه لو كان جائزاً لما توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالاحياء و التالى باطل فالمقدم مثله.

اقول بتوفيق الله تعالى و توقيفه: هذا استدلال عجيب لانا لانسلم الملازمة بين المقدم و التالى فانه لا يلزم من جواز التوسل بعد الوفاة توسل عمر رضى الله تعالى عنه حتى يلزم من بطلان التالى بطلان المقدم فان التوسل كما هو جائز بالاحياء كذلك جائز بالاموات و عمر رضى الله تعالى عنه فعل احد الجائزين و هذا كما يستدل احد بان التوسل بالاعمال الصالحة ليس بجائز و الا لما توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالذات وهذه سفسطة ظاهرة على انه لا يدل على عدم بصيرته في العلوم الآلية فان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما تقرر في الاصول في بحث الوجوه الفاسدة ان تخصيص الشيء بالذكر في النصوص لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله عليه الصلوة و السلام (الماء من الماء) و لذا نقول الفصل بالاكسال واجب. لان الحديث يعلم منه ان الانزال موجب للفصل و اما ان الاكسال موجب ام لا فمسكوت عنه و لم يتعرض له لانفيا ولا اثباتا بل ينظر الى الدليل الآخر. و الحكم لا يثبت في المسكوت لان الحكم الشرعى لا بدله من دليل شرعى

— الاكسال — عزل النطفة

- ٣٧ -

ولا دخل للرأى فى اثبات الاحكام (التلويح ص: ٣٤). فكذا ههنا التوسل بالاحياء ثبت من فعل عمر رضى الله تعالى عنه. اما التوسل بالاموات فمسكوت فى الدليل المذكور والحكم لا يثبت من الدليل المذكور فى المسكوت عنه فكيف يثبت فيه عدم جواز التوسل بالاموات ولو كان هذا الاستدلال صحيحا كما هو مزعوم المنكرين المعاندين فيستدل المعاند مثلهم بان يقول التوسل بغير العباس رضى الله تعالى عنه لا يجوز والا لتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بغيره من الصحابة مع كثرة الصحابة وافضلية عمر رضى الله تعالى عنه وهذا مما لا ريب فى بطلانه لعقل فضلا عن فاضل والله درالاحناف فى الدقة والاحتياط والمعادون غافلون وفى اودية الحيرة يهيمون (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون).

و ايضاً توسل عمر رضى الله تعالى عنه كان فى الحقيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم
كما يدل عليه قوله (اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا وانا نتوسل اليك بعم بنينا صلى الله
عليه وسلم) فهذه الاضافة دليل على ان المنظور فيه قرابة النبي صلى الله عليه وسلم. و ايضاً
يدل عليه دعاء عباس رضى الله تعالى عنه بعد دعاء عمر رضى الله تعالى عنه (اللهم ان القوم
توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك) كما ذكره حجة الاسلام والشيخ فى شرحه فانظر الى هذا
الاستدلال الركيك.

و من الدلائل بجواز التوسل بالاحياء ما رواه ابو داود ذكر في (المشكاة في باب فضل الصدقة) عن ابي جرى جابر بن سليم. قال: اتيت المدينة فرأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا الا صدروا عنه. قلت: من هذا؟ قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: قلت: عليك السلام يا رسول الله! مرتين قال: (لا تقل عليك السلام. عليك السلام تحية المبت. قل السلام عليك) قلت: انت رسول الله؟ قال (انا رسول الله الذي ان اصابك ضرر فدعوته كشفه عنك وان اصابك عام سنة فدعوته انتبتها لك او اذا كنت بارض فقرأ افلاة فضلت راحتك فدعوته ردها عليك.) (المشكاة ص: ١٦١).

فَعَلِمَ مِنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ مِنْ دَفْعِ الضَّرِّ وَانْبَاتِ النَّبَاتِ وَانْزَالِ الْمَطَرِ وَرَدِ الضَّالَّةِ .

و اما التوسل بعد الوفاة فهو على نوعين:

(١) مؤلف التلويح سعد الدين مسعود الشافعي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٨٩ م.] في سمرقند

(٢) مؤلف المشكاة محمد ولي الدين الشافعي توفي سنة ٧٤٩ هـ. [١٣٤٧ م.]

التوسل الى الله بالانبياء وهو جائز ايضاً خلافاً للمنكرين المعاندين و دليلنا قوله تعالى (... وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * البقرة: ٨٩) قال المحمود الآلوسى فى تفسيره: نزلت فى بنى قريظة كانوا يستفتحون على الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنه و قتادة و المعنى: يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم به على المشركين كما روى السدى: انه كان اذا اشتد الحرب بينهم و بين المشركين اخرجوا التوراة و وضعوا ايديهم موضع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم و قالوا انا نسلك بحق نبيك الذى وعدتنا ان تبعث فى آخر الزمان ان تنصرنا على عدونا اليوم فينصرون. فالسين للطلب و الفتح متضمن معنى النصر بواسطة على (روح المعانى ج: ١، ص: ٣٢٠) وهكذا ذكر فى غيره من التفاسير الا انه اقتصر على تفسير (القاضى) (الآلوسى) لان المنكرين يظهرون الاعتقاد فى حقه.

فعلم انهم يتوسلون به عليه الصلوة و السلام قبل مبعثه بل قبل ولادته و كان هذا توسلاً بروحانيته و هذا المعنى لا يختلف بعد الوفاة فان الروحانية لا تزول بل تزيد و ان قال المنكر هذا تمسك بفعل اليهود و قولهم. قلت: كلا. فانه تمسك بتقرير الشرع فانه تعالى ذكر استفتاحهم و لم ينكر عليه بل انكر على كفرهم و قال (... فَلَمَّا جَاءَهُمْ * الآية. البقرة: ٨٩). و قد ثبت فى الاصول ان شرائع من قبلنا اذا قص الله و رسوله و لم ينكر عليه كان دليلاً على جوازه و تقريره، كما فى كتاب سليمان على نبينا و عليه الصلاة و السلام (... إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * النمل: ٣٠) و ايضاً قال تعالى (وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ * الآية. المائدة: ٤٥) و ايضاً حكم الاسرائيليات فى كتب الحديث مشهور ان وافق شرائعنا نصدقها و ان خالفها نكذبها و ان لم نعلم لا نصدق و لا نكذب.

و منها ما روى ابو الجوزاء قهظ اهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضى الله تعالى عنها. فقالت انظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا فيه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ففعلوا فمطروا مغراً حتى نبت العشب و سمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق رواه الدارمى. (المشكاة ص: ٥٣٧).

قال صاحب (المرقاة) وقد قيل في سبب كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء لما رأت قبره بكّت وسال الوادى من بكائها. قال تعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ * الْآيَةُ. الدخان: ٢٩) حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار.

وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان يستشفع به عند الجذب فتمطر السماء كما

ورد.

مصرع:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فامرت عائشة رضى الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب.

وقال الشيخ وهذا في الحقيقة استشفاع بالذات الشريف وكشف القبر مبالغة في ذلك فعلم من هذا الحديث وتقرير العلماء الاعلام جواز التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد الوفاة فضلاً عن ان يكون شركاً.

ومنها ما ذكر في (الحصن الحصين^(١) في آداب الدعاء) وان يتوسل الى الله تعالى بانبيائه والصالحين من عباده وقال في (حاشية الحرز الثمين) قال المؤلف هو من المندوبات وذكر حديث عمر رضى الله تعالى عنه في الاستسقاء وذكر حديث عثمان بن حنيف في شأن الاعمى وقال صحيح على شرط الشيخين والترمذى قال حسن غريب ولحديث ابي امامة الذى ذكرنا في (المصباح) رواه الطبرانى في (المعجم الكبير) و (كتاب الدعاء) انتهى.

وقال في ذيل قوله (الصالحين) اى عموموا او خصوصاً وهم ما عدا الانبياء من الصديقين والشهداء والعلماء والاولياء اذ الصالح من يقوم بحق الله بكماله ثم بحق عباده وقد سبق التوسل بالاعمال الصالحة (ص: ٣)، مع الحاشية وعلم منه التوسل بنبي الانبياء ايضاً.

ومنها ما ذكر في (الحصن الحصين ص: ١٥١): ثم يدعو (اللهم انى اسئلك و

(١) مؤلف الحصن الحصين ابن الجزري محمد الشافعي توفي سنة ٨٣٣ هـ. [١٤٢٩ م.] في شيراز

اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد! انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى. اللهم فشفعه فى).

قال فى (الحاشية قوله يا محمد!) التفات اليه وتضرع لديه لتوجه روحه الى الله تعالى ويفنى السائل عما سواه وعن التوسل الى غير مولاه.

وقال فى (الحاشية) بعد هذا القول بسطور: واما التوسل بالنبي عليه الصلوة والسلام بعد خلقه فى مدة حياته فمن الاستغاثة به عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك ومن ذلك استغاثة ذوى العاهات به وحسبك ما رواه النسائي و الترمذى عن عثمان بن حنيف ان رجلاً ضريراً اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافينى. قال فامرته ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (اللهم! انى اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد! انى اتوجه بك الى ربى فى قضاء حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فى) وصححه البيهقى وزاد فقام وقد ابصر.

واما التوسل به بعد موته فى البرزخ فهو اكثر من ان يحصى وفى كتاب (مصباح الظلام فى المستفيثين بخير الانام) للشيخ محمد ابى عبد الله بن موسى بن النعمان طرف من ذلك ولقد حصل لى داء اعىى الاطباء واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ٦٧٣ ثلث وسبعين وستمائة بمكة زادها الله شرفاً ومن على بالعود اليها فى عافية بلا محنة فبينما انا نائم اذا رجل ومعه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء احمد بن على القسطلانى المالكى المتوفى سنة ست وثلاثين وستمائة من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوى ثم استيقظت فلم اجد بى شيئاً مما كنت اجدته وحصل لى الشفاء ببركة النبى المصطفى (المواهم اللدنيه فى الفصل الثانى فى زيارة القبر الشريف) وفى شرحه للزرقانى (ج: ٨، ص: ٣١٨).

وبركته عليه الصلوة والسلام ما نقصت بعد الوصال بل زادت.

ومن هنا ما ذكر فى (الحصن الحصين ص: ٣٢) فى بيان مواضع الاجابة. قال الحسن البصرى [٢] فى رسالته الى اهل مكة ان الدعاء يستجاب هناك فى خمسة عشر موضعاً فى

(١) التوفى سنة ٦٨٣ هـ. [١٢٨٤ م.]

(٢) حسن بن ابى الحسن البصرى التوفى ببصرة سنة ١١٠ هـ. [٧٢٨ م.]

الطواف وعند الملتزم وتحت الميزاب وفي البيت وعند زمزم وعلى الصفا والمروة وفي المسمى وخلف المقام وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات الثلاث. قلت: و ان لم يجب الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم اى عند قبره ففى اى موضع يستجاب فعلم من هذا ان الدعاء عند قبره عليه الصلوة والسلام يستجاب وما هو الا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها ما ذكر في (الخازن) عن ابي عمران واسمه اسلم. قال: كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفاً عظيماً من الروم فخرج اليهم رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس: سبحان الله! يلقي بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري^(١) فقال ايها الناس! انكم لتؤولون هذه الاية هذا التأويل وانما نزلت هذه الاية فينا - معاشر الانصار - لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرأ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه عليه الصلوة والسلام يرد علينا ما قلنا (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ * الآية. البقرة: ١٩٥) فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بارض الروم. وقال الترمذي حديث غريب صحيح. مات ابو ايوب رضى الله تعالى عنه في آخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (الخازن ج: ١، ص: ١٢١) فهذا ايضاً دليل على التبرك بالاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى بعد الوفاة فهو امر مندوب فضلاً عن ان يكون شركاً. ومنها ما ذكره العلامة السيوطي في تنسيده في دليل قوله تعالى (...تَوْفَنِي مُسْلِماً وَآخِزْنِي بِالصَّالِحِينَ * يوسف: ١٠١) من ابائي فعاش بعد ذلك اسبوعاً او اكثر وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في صندوق مرمر ودفنوه في اعلى النيل لتعم البركة جانيه فسبحان من لا انقضاء للملكه (الجلالين ص: ١٩٩).

قال الخطيب اى تنازع المصريون وتخاصم اهل مصر في قبره اى في المحل الذي يدفن فيه فطلب اهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء لبركته حتى هموا بالقتال فراوا ان

(١) خالد بن زيد ابو ايوب الانصاري توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

(٢) الخطيب البغدادي أحد الشافعي توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجرى عليه الماء و
تصل بركته الى جميعهم. قال عكرمة: دفن في الجانب الايمن من النيل حيث يتفرق الماء
بمصر فاخصب ذلك الجانب واجذب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الايسر فاخصب ذلك
الجانب واجذب الاخر فدفنوه في وسطه و قدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان الى ان
اخرجه موسى على نبينا و عليه الصلوة و السّلام و دفنه بقرب آبائه بالشام.

فعلم من هذين القولين التوسل بيوسف على نبينا و عليه الصلوة و السلام بعد
الوفاة و مثل ما ذكر في (الخازن ايضاً. ج: ٣، ص: ٤٥) وكذا في (المدارك ص: ٤٤).

و منها ما ذكر في (المشكاة ص: ٣٦٦) عن اسماء بنت ابي بكر رضى الله تعالى
عنها انها اخرجت جبة طيالية كسروانية لها لبنة ديباج و فرجها مكنوفين بالديباج و
كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها رواه (مسلم)
فهذا صريح في التوسل بجبة النبي صلى الله عليه وسلم في الاستشفاء للمرضى و ما ذلك
الا لاتصالها بيدنه الشريف.

و منها ما ذكر في (المشكاة) و عن عثمان بن عبد الله بن موهب: قال ارسلني اهل
الى ام سلمة بقدر من ماء و كان اذا اصاب الانسان عين او شيء بعث اليها محضبة
فاخرجت من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم و كانت تمسكه في جمل من فضة
فخضضته له فشرب منه قال فاطلمت في الجبل فرأيت شعرات حمراء رواه (البخارى)
(المشكاة ص: ٣٨٣) فعلم منه الاستشفاء بشعره عليه الصلوة و السلام و ما ذلك الا التوسل
بشعره صلى الله عليه وسلم.

و الحاصل انه علم من كلام الامامين الهمامين البخارى و مسلم التوسل و
الاستشفاء بشيابه و شعره عليه الصلوة و السلام و ما ذلك الا للاتصال بيدنه الشريف فما
بالي عليه الصلوة و السلام بنفسه لكن المعاندين صاروا صماً و عمياً.

و منها ما ذكر في (بذل المجهود شرح سنن ابي داود) في ذيل السند الاول حدثنا
مسدد بن مسرهد اه. ان هذه رقية المقرب مع البسلة و ما هذا الا التوسل باسمى الصالحين.

وعلم من هذا جواز ابقاء آثاره عليه الصلوة والسلام من الثياب والشعر والظفر مثلاً ويدل على اهمية التبركات ما ورد في المتفق عليه عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى منى فاتى الجمرة فرماها، ثم اتى الى منزله بمنى ونحرنسكه ثم دعا بالحلل والحلل وناول الحائق شقه الايمن فحلقه ثم دعا ابا طلحة الانصاري فاعطاه اياها ثم ناول الشق الايسر فقال احلق فحلق فاعطاه ابا طلحة فقال اقسمه بين الناس. قال الشيخ الدهلوى وكذا قلم الأظفار وقسمها على الحاضرين وبقيت هذه التبركات الى يومنا.

(ج: ٢، ص: ٢٨١)

فعلم من امره عليه الصلوة والسلام بتقسيمها اهتمام التبركات والتجديدين يعدونها شركاً. اعادنا الله من اساءة الادب.

ومنها ما روى عن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلاً على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم) قال الشيخ ببركة الفقهاء (ج: ٤، ص: ٢١٥).

ومنها ما ذكر في (الطريقة المحمدية) فيا غياث المستغيثين ويا مجيب المضطرين ويا ارحم الراحمين ويا غافر المذنبين بحرمة حبیبك المصطفى ونبیک المجتبی. (ص: ٧٢-٧٤).

ومنها ما ذكر الآلوسی البغدادی في تفسيره في ذيل قوله تعالى (فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا) النازعات (٥) وقيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الابدان بالموت فانها تنزع من الابدان غرقاً اى نزعاً شديداً من اغرق التنازع في النفوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهى الى النصل لعسر مفارقتها اياها حيث الفته وكانت مطمئنة لها لاكتساب الخير ومظنة لازدياده فتتشت شوقاً الى عالم الملكوت وتسبح به فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من (المدبرات) اى ملحقة بالملائكة او تصلح هى لان تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد المفارقة، قد تظهر لها آثار واحوال في الدنيا فقد يرى المرء شيخه فيرشده لما يهيمه.

وقد نقل عن جالينوس انه مرض مرضاً شديداً عجز عن علاجه الحكماء فوصف له في منامه علاجاً فافاق وفعله فافاق. وقد ذكره الغزالي ولذا قيل وليس بحديث كما توهم (اذا تخيرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة

المتوفين ولا شك انه يحصل لزارئهم مدد روحاني ببركتهم وكثيرا ما تنحل عقد الامور بانامل التوسل الى الله تعالى بحرمتهم. وتفسير (النازعات) بالنفوس مروى عن السدي.

ثم قال و كذا في حملها على النفوس الفاضلة ايها صحة ما يزعمه سخفة العقول من ان الاولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض و انقاذ الفريق و النصر على الاعداء و غير ذلك مما يكون في عالم الكون و الفساد على معنى انه تعالى فوض اليهم ذلك و منهم من خص ذلك بخمسة من الاولياء و الكل جهل و ان كان الثاني اشد جهلا نعم، لا ينبغي التوقف في ان الله تعالى قد يكرم من يشاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه بما شاء قبله فيسيرى سبحانه المريض و ينقذ الفريق و ينصر على العدو و ينزل الغيث و كيت و كيت كرامة. و ربما يظهر عز و جل من يشبهه صورة فتفعل ما سأل الله بحرمة مما لا اثم فيه و ربما وقع السؤال على وجه محذور شرعاً فيظهر سبحانه ذلك مكرراً بالسائل و استدراجاً به. (ج: ٣، ص: ٢٤-٢٥).

و منها ما ذكر الآلوسي البغدادي في تفسيره ذيل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة: ٣٥ حيث قال الوسيلة ما يتوسل به الى الله تعالى و يتقرب من فعل الطاعات و ترك المعاصي. من وصل الى كذا تقرب اليه بشيء.

و اخرج ابن الانباري^(١) عن ابن عباس رضى الله عنه ان الوسيلة، الحاجة:

بيت:

ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان ياخذوك تكحلي و تخضبى

و المعنى اطلبوا متوجهين حاجاتكم فان بيده مقاليد السموات و الارض. و فسر بعضهم الوسيلة بدرجة في الجنة و هذا لا يناسب المقام.

قال الآلوسي و استدل بعض الناس على هذه الآية باستغاثة الصالحين و جعلهم وسيلة و منهم من يقول لغائب او ميت: يا فلان! ادع الله تعالى ليرزقنى كذا و كذا و يروون (اذا اعيتكم الأمور فاستعينوا باهل القبور) او (فعليكم باهل القبور) و كل ذلك بعيد

عن الحق. [٢]

(١) ابو البركات ابن الانباري عبد الرحمن الشافعي توفي سنة ٥٥٧ هـ. [١١٨١ م.] في بغداد

(٢) هذا الكلام يشير الى ضلالة الآلوسي.

و تحقيق الكلام ان الاستغاثه بمخلوف و جعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه. لاشك في جوازه ان كان المطلوب منه حياً. وقد يكون الطالب افضل كما قال عليه الصلوة و السلام لعمر رضى الله تعالى عنه حين استاذنه للعمرة (يا اخى لاتنسنا من دعائك) و كما في اويس القرنى [١] و اما اذا كان ميتا فلا يستريب عاقل انه غير جائز بل من البدع التى لم يفعلها احد من السلف من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من ضجيعيه. نعم، السلام و الدعاء مشروعان. فاذا كان هذا هو المشروع في زيارة سيد الخليقة و علة الابداد. فماذا تبلغ زيارة غيره.

و اما القَسَم على الله بالغير من خلقه مثل (اللَّهُمَّ! انى اقسم عليك او اسألك بفلان الا ما قضيت لى حاجتى) فمن ابن عبد السلام جواز ذلك في النبى عليه الصلوة و السلام دون غيره لان الغير ليس له درجة. و نقله المناوى [٢] في شرحه الكبير للجامع الصغير و دليله ما رواه الترمذى من رواية عثمان بن حنيف وفيه (اللَّهُمَّ انى اسئلك واتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة. يا رسول الله! انى اتوجه بك الى ربى في حاجتى هذه لتفضى لى اللهم فشفعه فى). و نقل عن احمد مثل ذلك.

قال الآلوسى و من الناس من منع التوسل بالذوات مطلقاً و هو الذى يترشح به كلام ابن تيمية و نقله عن الامام ابى حنيفة رحمه الله تعالى و ابى يوسف رحمه الله تعالى و غيرهما من العلماء الاعلام و اجاب بان فيه حذف المضاف ففيه جعل الدعاء وسيلة و هو جائز مندوب. و قد شئع تاج الدين السبكى [٣] كما هو عادته على المجد فقال و يحسن التوسل و الاستغاثه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه و لم ينكر احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و ابتدع مالم يقله عالم و صار بين الانام مثله. و رد قول السبكى المفسر بانه ليس في الادعية التوسل بالذوات ولو فرض وجوده فبتقدير المضاف.

(١) اويس بن عامر القرنى * المتوفى سنة ٣٧ هـ.

(٢) عبد الرؤف بن تاج العارفين المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ. [١٦٢١ م.]

(٣) عبد الوهاب بن على تاج الدين السبكى المتوفى بدمشق سنة ٧٧١ هـ. [١٣٧٠ م.]

و ايضاً كان عمر رضى الله تعالى عنه يتوسل بالعباس ولو كان التوسل به بعد الوفاة جائزاً لما توسل بعباس رضى الله تعالى عنه وما ذكر من قياس غيره من الارواح المقدسة عليه مع التفاوت في الكرامة مما لا يكاد يسلم. وما ذكر في (البخارى) من ان فيه دلالة على الاقسام على النبى صلى الله عليه وسلم حيا وكذا بغيره اما الاول فكتوسل الصحابة (اللهم انا كنا نتوسل اليك نبينا) واما الثانى فكتوسل عمر رضى الله تعالى عنه بقوله (انا نتوسل اليك بعم نبينا) ففيه ان هذا التوسل ليس من باب الإقسام بل من باب التوسل والاستشفاع وهو ان يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ويطلب من الله تعالى ان يقبل دعاءه وشفاعته ويؤيد ذلك ان العباس رضى الله تعالى عنه كان يدعوهم وهم يؤمنون لدعائه حتى سقوا.

وقد ذكر المجد أنّ لفظ التوسل بالشخص والتوجه اليه و به وفيه اجمال و اشتراك بحسب الاصطلاح. فمعناه في لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوجه والتوسل في الحقيقة بدعائه وشفاعته ولا محذور فيه واما في لغة كثير من الناس فمعناه ان يسأل الله بذلك ويقسم به عليه وهذا هو محل النزاع. قال الآلوسى وما يذكره بعض العامة إذا كانت لكم الى الله حاجة فاسئلوا الله بجاهى فان جاهى عند الله عظيم لم يروه احد من اهل العلم ولا هو شئ في كتب اهل الحديث.

قال الآلوسى و ما رواه القشيري^(١) عن معروف الكرخي قدس سره انه قال نسلا مذته: ان كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فاني الواسطة بينكم وبين الله جل جلاله الان لا يوجد له سند يعول عليه عند المحدثين [٢]

قال الآلوسى واما ما رواه ابن ماجة في دعاء الخارج الى الصلوة (اللهم انى اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة و لكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك. ان تنقذنى من النار وان تدخلنى الجنة) ففى سننده (العوفى) وفيه ضعف وعلى تقدير ان يكون من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) عبد الكريم القشيري الشافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ [١٠٧٢ م.] في نيشابور

(٢) ذلك بهكم التوراة.

(٣) ابن ماجة عده في سنة ٢٧٣ هـ. [٨٨٦ م.]

ان حق السائلين ان يجيبهم وحق الماشين في طاعته ان يشيهم والحق بمنس الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلا لا وجوباً كما في قوله تعالى (...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) الروم: ٤٧) وفي الصحيح من حديث معاذ (حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه ان فعلوا ذلك ان لا يعذبه) فالسؤال حينئذ بالاجابة والاثابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية والسؤال بهما مالا نزاع فيه لاحد فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله (اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك) فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته وعلى نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عز وجل باعمالهم على ان التوسل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ولا شك ان الاعمال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك الذوات والاشخاص انفسها والناس قد افرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى فأقسموا عليه عز شانه بمن ليس في العير ولا في النقيير وليس عنده من الجاه قدر القطمير واعظم عن ذلك انهم يطلبون من اصحاب القبور نحو اشفاء المريض و اغناء الفقير و ردة الضالة وتيسير كل عسير وتوحى اليهم شياطينهم خيراً اذا اعيتكم الامور وهو حديث مفترى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه ولم يروه احد من العلماء وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه الامر بالاستغاثة والطلب من اصحابها. سبحانك هذا بهتان عظيم. وعن ابى يزيد البسطامي [١] قدس سره استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. ومن كلام السجاد ان طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله. ومن دعاء موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام (وبك المستغاث) وقال عليه الصلوة والسلام لابن عباس رضى الله تعالى عنه (اذا استمنت فاستمن بالله). وقال تعالى (أَبَاةً نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فاتحة: ٥) وبعد ذلك لا ارى بأساً في التوسل الى الله بجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حياً وميتاً ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفة الله تعالى مثل المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل (الهمى اتوسل بجاء نبيك ان تقضى لى حاجتى، الهمى اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتى) ولا فرق بين هذا وقولك الهمى اتوسل برحمتك ان تفعل كذا بل

لا ارى بأساً في الإقسام على الله بجاهه بهذا المعنى والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه و لايجرى ذلك في التوسل والإقسام على الذات البحث. نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن احد من الصحابة ولعل كان ذلك تحاشياً منهم عما يعلق في اذهان الناس اذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام. ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمة الطاهرين وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد ابراهيم على نبينا و عليه الصلوة والسلام لكون القوم حديثى عهد بالكفر كما ثبت ذلك في الصحيح وهذا الذى ذكره انما هو لرفع الحرج عن الناس والفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض في التوسل بجاه غير رضى الجاه صلى الله عليه وسلم لا للميل الى ان الدعاء كذلك افضل من الادعية المأثورة التى جاء بها الكتاب والسنة فانه لا يستريب عاقل منصف في ان ما علمه الله ورسوله ودرج عليه الصحابة الكرام وتلقاهم من بعدهم بالقبول افضل واجمع و انفع واسلم.

بقى ههنا امران: الاول ان التوسل بجاه غير النبى صلى الله عليه وسلم لا بأس به ايضاً ان كان المتوسل بجاهه مما علم ان له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه و ولايته و اما من لا قطع بصلاحه في ذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنى على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه وفي ذلك جراءة عظيمة على الله تعالى.

الشانى ان الناس قد اكثروا من دعاء غير الله من الاولياء الاحياء والاموات وغيرهم مثل (ياسيدى فلان اغثنى) وليس ذلك من التوسل المباح في شئ واللائق بحال المؤمن عدم التصفوه بذلك و ان لا يحوم حول حماه وقد عده الناس من العلماء شركاً و ان لا يكتنه فهو قريب و لا ارى احداً ممن يقول ذلك الا و هو يقصد ان المدعو الحى الغائب او الميت المعيب يعلم الغيب ويسمع النداء ويقدر بالذات او بالغير على جلب الخير او دفع الاذى والا لما دعاه و لا فتح فاه (... وَفِي ذَلِكَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب الا من الله القوى الغنى الفعال لما يريد ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى في معجمه من انه كان منافق يؤذى المؤمنين فقال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المنافق فجاءوا اليه فقال (انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله) لم

يشك في ان الاستغاثة باصحاب القبور الذين هم سعداء واشقياء الهاهم عذابهم وحسبهم في النيران عن اجابة مناديتهم وتقلبهم في الجنان عن الاصابة الى ناديتهم امر يجب اجتنابه ولا يليق بارباب العقول ارتكابه ولا يغرنك ان المستغيث بالملوك قد تقضى حاجته و تنجح طلبته فان ذلك ابتلاء و فتنه منه عز وجل وقد يمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذى استغاث به فيظن ان ذلك كرامة له هيئات هيئات انما هو شيطان اضله و اغواه و زين له هواه و ذلك كما يتكلم الشيطان في الاصنام ليضل بها عبدها الطعام و بعض الجهلة يقول ان ذلك من تطور الروح او من ظهور ملك بصورته كرامة ولقد ساء ما يحكمون لان التطور و الظهور و ان كانا ممكنين لكن لا في مثل هذه الصورة و عند ارتكاب هذه الجريمة نسأل الله تعالى باسمائه ان يعصمنا عن ذلك و نتوسل اليه بلطفه ان يسلك بنا و يكلم احسن المسالك انتهى كلام القاضى البغدادى (ج: ٦، ص: ١٢٩) [١]

ولا يخفى انه قد ذكرنا لك سابقا قبيل هذا القول كلام المفسر المذكور حيث قال ولا شك انه يحصل لزايرهم مدد روحانى ببركتهم.

وقوله نعم لا ينبغي التوقف الخ. ان المفسر المذكور قائل بالتوسل بروحانيتهم وقائل بحصول المدد بروحانيتهم.

و ايضا قال في هذا المقام ان التوسل بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا علم ان له جهاً فهذا القول ايضا صريح في جواز التوسل الى الله تعالى.

و ايضا ذكر المفسر (اذا تحيرتم في الامور) اه. انه ليس بحديث حيث قال هناك و لذا قيل وليس بحديث كما توهم (اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اى اصحاب النفوس الفاضلة. فعلم ان المفسر انما ذكر الرد على كونه حديثاً لا على نفس مضمونه و الا لما ذكره في مقام التأييد و ما ذكرهنا انما هو كلام ابن تيمية ^[٢] ولا يخفى انه قيل فيه ما قيل.

منه ما قال الصاوى [٣] في تفصيل قبله تعالى (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْهُ

(١) كلام الالمسى عندى لا علمى. (الفقيه حسين حلمى).

(٢) أحمد ابن تيمية الحنبلى توفى سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في التام

(٣) أحمد بن محمد الصاوى المالكي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ. [١٨٢٥ م.]

بَعْدُ الآية. البقرة: ٢٣٠) اى طلقة ثالثة سواء وقع الاثنان مرة او مرتين والمعنى فان ثبت طلاقها ثلاثا فى مرة او مرات فلا تحل اهـ . لما اذا قال لها انت طالق ثلاثا او البتة و هذا هو المجمع عليه واما القو، بان الطلاق الثلاث فى مرة واحدة لا يقع الا طلقة فلم يعرف الا لابن تيمية من الحنابلة وقد ردّ عليه اثمة مذهبه انه الضال المضل ونسبتها الى الامام الاشهب من المالكية باطللة انتهى. (حاشية الجلالين. ص: ٣٥).

ومنه ما قال الدوانى [١] فى شرحه على العقائد و اكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث والكتاب و اكثرهم المحدثون ولا بن تيمية ابى العباس احمد [٢] واصحابه ميل عظيم الى اثبات الجهة و مبالغة فى القدح فى نفياها ورايت فى بعض تصانيفه انه لافرق عند بداهة العقل بين ان يقال هو معدوم او يقال طلبته فى جميع الامكنة فلم اجده و نسب النافين الى التعمل هذا مع علو كعبه فى العلوم العقلية و النقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه (الدوانى على العقائد العضدية ص: ٦٧) فكيف يكون قول ابن تيمية حجة علينا.

و ايضا رد السبكى قول ابن تيمية كما قال المفسر وقد شنع تاج الدين السبكى كما هو عادته فقال و يحسن التوسل و الاستغاثة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه و لم ينكره احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و ابتدع ما لم يقل عالم و صار بين الانام مثلة. انتهى كلام السبكى. فانظر ايها المنصف الى تشنيع السبكى عليه و نسبة خلاف اجماع السلف و الخلف و نسبة الابتداع اليه فهل لمنصف ان يترك اجماع السلف و الخلف بقول شخص واحد سيما الخلف و السلف القائلون بحسنه و ابن تيمية يقول فى التوسل ما يقول فيه فترك اجماع السلف و الخلف بقول رجل واحد بعيد عن الانصاف.

و ما ذكر ان معنى التوسل فى لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء و الشفاعة فيكون التوسل فى الحقيقة بدعائه و شفاعته و لا محذور فيه ولا يخفى انه لا انحصار للتوسل فى هذا المعنى الا ترى الى قول القائل:

(١) جلال الدين محمد اسمعيل المتوفى سنة ٩٠٨ هـ . [١٥٠٢ م].

(٢) احمد بن عبد الحليم المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . [١٣٢٨ م].

بيت:

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فانه لا ذكر فيه للدعاء ولا للشفاعة فكيف الانحصار.

وما قال ان معناه في لغة كثير من الناس ان يسأل بذلك ويقسم به عليه وهو محل النزاع ولا يخفى ان معنى التوسل طلب ذريعة اجابة الدعاء الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والنفوس الفاضلة فالتوسل بقربهم من الله تعالى وروحانيتهم وما زال ذلك القرب والروحانية بموتهم.

وما قال ما رواه القشيري [١] عن معروف الكرخي [٢] ان كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فاني الوسيلة بينكم وبين الله جل جلاله فالآن لا يوجد له سند يعول اليه عند المحدثين فلا يخفى انه لا يستلزم عدم وجود السند الان ان لا يكون له سند في الاصل والمسئلة لا تصادم اصول الدين.

وما قال في حديث ابن ماجة ان في سننه العوفي وفيه الضعف لا يخفى ان السلف والخلف لما كانوا قائلين بجواز التوسل كان منجبراً على ان المفسر ايضاً قائل بجواز الإقسام على الله تعالى.

وما قال ان التوسل بالذوات ليس في الادعية الماثورة فلا يخفى ان التوسل المذكور مقرر في الآية والاحاديث كما نيهناك قبل.

وما قال ان طلب الدعاء من شخص ان كان المطلوب منه حياً جاز ومن الميت لا. فلا يخفى انه اذا كان سماع الموتى ثابتاً كما في المقصد السابق اى حرج في دعاء الميت كما في الحديث (ان اعمالكم تعرض على فان وجدت خيراً حمدت الله تعالى وان وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم) ليس هذا تصريح بالدعاء والدعاء من الميت اعجب ام تلاوة سورة تامة كسورة الملك واداء صلاة كاملة كصلاة موسى على نبينا وعليه الصلوة

(١) عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي المتوفى سنة ٤٢٥ هـ. [١٧٠٢ م.]

(٢) المتوفى سنة ٢٠٠ هـ. [٨١٥ م.] في بغداد

السلام فیهیات التنبہ للرمزة الدقيقة الشان واللمحة الخفية المكان سيما اذا صرح به العلماء الاعلام منهم المحدث الدهلوی رحمہ اللہ حیث قال فی شرحہ المعروف بـ (اشعة اللمعات، ج: ۳، ص: ۳۷۴).

و بالجمله کتاب و سنت مملو و مشحونند باخبار و آثار کہ دلالت میکند بر وجود علم مر موتی را بدنیا و اهل آن پس منکر نشود آنرا مگر جاهل باخبار و منکر دین و گفتم من بخدا توفیق: و اما استمداد باهل قبور منکر شده آنرا بعض فقہاء و اگر انکار از جهت آن است کہ سماع و علم نیست مر ایشان را بزائران و احوال ایشان پس بطلان او ثابت شد. و اگر بسبب آن ست کہ قدرت نیست مر ایشان را دران موطن تا مدد کند بلکه محبوس و ممنوع اند و مشغولند بآنچه عارض شده است مر ایشان را از محنت و شدت و آنچه باز داشته شده است از دیگران کہ این کلیہ نمی ماند خصوصاً در شان یقین کہ دوستان خدا اند کہ حاصل شود ارواح ایشان را از قرب در برزخ و منزلت و قدرت بر شفاعت و دعا و طلب حاجات مر زائران را کہ متوسل بایشان اند چنانچه در روز قیامت خواهد بود و چیست دلیل بر نفی آن الی ان قال لیت شعری چه میخواهند ایشان بامداد و استمداد کہ این فرقه منکرند آنرا آنچه ما می فهمیم ازان این است کہ داعی محتاج فقیر الی اللہ دعا میکند خدا را و طلب میکند حاجت خود را از جناب عزت و غنائی وی و توسل میکند بروحانیت این بنده مقرب و مکرم در درگاه عزت وی و میگوید خداوند! ببرکت این بنده مکرم و مقرب کہ رحمت کرده بروی و اکرام کرده اورا بلطف و کرمی کہ بوی داری بر آورده گردان حاجت مرا کہ تو معطی، کریمی.

یا ندا میکند این بنده مکرم و مقرب را کہ ای بنده خدا و ولی وی شفاعت کن مرا و بخواه از خدا کہ بدهد مسئل و مطلوب را و قضا کند حاجت مرا پس معطی و مسئل و مأمول پروردگار است تعالی و تقدس. و نیست این بنده در میان مگر وسیله. و نیست قادر و فاعل و متصرف در وجود مگر حق سبحانه اه.

فعلیم من کلام هذا السیخ الامام الفاضل ان دعاء المیت ایضا ممّا لا ینکر و کیف یکون ذلک شرکاً فانه ینجزّ الی امر عظیم و جراءة عظيمة علی اکابر الدین. نعوذ بالله من الاساءة و الجراءة علی اکابر الدین.

وما ذكر ان ابن تيمية نقل عدم جواز التوسل عن الامام المهام ابى حنيفة
والقاضي ابى يوسف رحمهما الله تعالى رحمة واسعة كيف يصح ذلك مع نقل القصيدة
المشهورة عن الامام ابى حنيفة عند حضور الروضة الشريفة:

شعر:

يا اكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضاك
انا طامع بالجود منك لم يكن * لابی حنيفة فى الانام سواك

وقال زين العابدين:

بيت:

يا رحمة للعالمين * ادرك لزين العابدين
محبوس ايدى الظالمين * فى موكب والمزدهم

فمن نظر فى تلك القصيدة علم من مسلك ابى حنيفة رحمة الله عليه فلا نعتد على
نقل ابن تيمية. نعم لا ينبغي ان يعتقد ان ارواح المشايخ خاضرة ناظرة فى كل وقت و كل
مكان فان ذلك مما لايقول به عاقل و افعال العوام مما لا يتمسك به بل لابد من التعليم
باحسن الطرق و اقرب السبل لاملثل هذه المتشددین المفرطين فان المعروف لا يترك لاجل
منكر كما هى القاعدة المقررة عند الفقهاء بل يجب التعليم على وجه يبقى المعروف و
يزول المنكر. الا ترى الى ما قال المفسر البغدادي و هذا الذى ذكرته انما لدفع الحرج عن
الناس و الفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض فعلم ان دعوى تضليلهم كما يفعله
المتشددون امر يجب الفرار عنه.

و ايضا قال المفسر المذكور فى (ج: ٤، ص: ١١٣) انه سئل الشيخ ولى الدين
العراقى رحمة الله عليه هل العلم بكونه عليه الصلوة والسلام بشرا و من العرب شرط فى
صحة الايمان او من فروض الكفاية فاجاب بانه شرط فى صحة الايمان. فلو قال شخص
أؤمن برسالته ولا ادرى أبشر او ملك ام جنى اولا ادرى أم من العرب ام من العجم فلا
شك فى كفره لتكذيبه القرآن و جحده ما تلقته قرون الاسلام خلفاً عن سلف و صار معلوما
بانضرورة عند الخاص و العام ولا اعلم فى ذلك خلافاً فلو كان عيباً لا يعرف ذلك و جب

تعليمه اياه فان جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى كلامه.

و علم منه رد قول من انكر عن بشرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه نور. نعم اطلاق النور عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء في القرآن والحديث (... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * المائدة: ١٥) والمراد من النور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مهتدياً هادياً كما ان النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره وقال عليه الصلوة والسلام في الدعاء المأثور. (اللهم اجعل في قلبي نوراً) الى ان قال (واجعلني نوراً). وقال على القارى في شرحه لانقلابه نوراً لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستجاب الدعوات. نعم القول بالنور بلا انكار البشرية لا يكون كفراً ولا ممنوعاً كما يفعله متشدد وزماننا فانظر الى هذا المفسر كيف احتاط في التكفير والتضليل.

ومن ههنا علم ما ذكرت سابقاً في النكات ان لزوم الكفر ليس بكفر بل التزام الكفر كفر. هكذا شان المحققين المرتاضين المحتاطين لا كامثال شيوخ هذا الزمان. واما ما قال من قول ابى يزيد البسطامي فيذكر الجواب عنه فيما سيأتى بان التوسل ثابت بالادلة القطعية و لكلام الصوفية محامل فان طورهم وراء طور العقل المتوسط ولنعم ما قال السالك:

بيت:

عقل در اسباب ميذارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

وهذا كما قال ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى:

بيت:

فلو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يوماً حكمت بردتي

و علم من قول الآلوسي الجواب عن شبهتهم بان السلف ما توسلوا بالذوات بعد الوفاة وهو قوله نعم لم يعهد التوسل بالجاء. اه. فعلم ان عدم معهودية التوسل انما كان سداً للباب لا لعدم جوازه. الا ترى الى ما قال الامام الشافعي^(١) رحمه الله عليه اني لأتبرك بابي حنيفة رحمة الله عليه واجيىء الى قبره فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وسألت الله عند قبره فتقضى سريعاً. شامى (ج: ١، ص: ٣٩) فعلم من فعل الامام الشافعي رحمه الله عليه

(١) الامام محمد بن ادريس الشافعي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨٢٠ م.] في القاهرة

ان مجواز التوسل امر ثابت في زمن الائمة المجتهدين ففعل الامام الشافعي رحمة الله عليه دليل ظاهر على جواز التوسل بالاولياء المدفونين في المقابر.

و ايضاً علم من ترك القنوت في صلاة الفجر نادبا علم الاموات باحوال زائرهم و رعاية ادبهم.

و من الدلائل على جواز التوسل ما ذكر العلامة الشامي [ابن العابدين] قوله و معروف الكرخي بن فيروز من المشايخ الكبار بحباب الدعوات يستسقى بقبره و هو أستاذ السري السقطي رحمة الله عليه (رد المختار، ج: ١، ص: ٧٢).

و اما ما ذكر المفسر الآلوسي من حديث الطبراني انه (لا يستغاث بي انما يستغاث بالله) فنقول لما ثبت من الادلة القطعية جواز التوسل علم انه عليه الصلوة والسلام انما نهاهم تواضعاً و هذا كما قال عليه الصلوة والسلام (السيد الله) حين قالوا له انت سيدنا في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال (السيد الله) فقلنا و افضلنا فضلاً و اعظمنا طولاً فقال (قولوا قولكم او بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان) (المشكاة ص: ٤١٠، باب المفاخرة) فانه يعلم من هذا الحديث انه لا يقال له السيد مع انه ورد في الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) و كما قال عليه الصلوة والسلام (لا تخبروني على يونس بن متى) مع انه عليه الصلوة والسلام خير الخليفة و ظاهره يقتضي ان لا يقال له السيد فاذا لا يقال للنبي صلى الله عليه وسلم السيد فكيف يجوز ان يقال لغيره مع ان المنكر قائل بجواز قول السيد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم و غيره بل يقول في المجالس (... آئِسْ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ هُوَ هُودُ: ٧٨) فيقول له بعض متبعيه لبيك يا سيدنا فانظر بعين الانصاف.

أو المعنى لا يستغاث مني لما في حديث جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه فانا نستشفع بك على الله عليك فقال (سبحان الله) الى ان قال (ويحك انه لا يستشفع بالله على احد) اها. (المشكاة، ص: ٥٠٩، كتاب الفتن) فعلم ان الانكار ما كان على الاستشفاع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل على العكس.

ومن الدلائل على جواز التوسل بعد الوفاة ما قال صاحب^(۱) (الدر المختار) شارح (تنوير الابصار) في خطبته و اتممت نعمتك علينا حيث يسرت ابتداء تبييض هذا الشرح المختصر تجاه منبع الشريعة و الدرر و ضجيعيه الجليلين ابى بكر و عمر بعد الاذن الشريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم. قال العلامة الشامي في ذيله و كان الاذن للشارح حصل منه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحاً برؤية المنام او بالالهام و ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فاق هذا الشرح على غيره كما فاق متنه حيث رأى المصنف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقام له مستقبلاً واعتنقه عجلاً و القمه عليه الصلاة و السلام لسانه الشريف كما حكاه في المنح فكل من المتن و الشرح من آثار بركته عليه الصلوة و السلام. (رد المحتار ج: ۱، ص: ۹).

فعلم ان جواز التوسل امر معروف في السلف حتى ان المصنفين يتدوّن تصانيفهم تجاه القبر الشريف فالعجب من هؤلاء المتعصبين الذين حصلت غشاوة التعصب على بصائرهم و بالغوا في تضليل الناس و نسبتهم الى الشرك اعاذنا الله من سيئاتهم هذه. و منها ما ذكر خليل بن احمد رحمة الله عليه^(۲) في كتابه المعروف بـ (عقائد علماء ديوبند) في (ص: ۱۲-۱۳):

سوال کیا وفات کے بعد جناب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کا توسل لینا دعاؤں میں جائز ہے یا نہیں تمہارے نزدیک سلف صالحین یعنی انبیاء و صدیقین و مہدّاء و اولیاء کا توسل بھی جائز ہے یا نا جائز؟
جواب تمہارے نزدیک ہمارے شاخ کے نزدیک دعاؤں میں انبیاء و صلحا و اولیاء و شہداء و صدیقین کا توسل جائز ہے ان کے حیات میں ہو یا بعد وفات باین طور کہ کہے کہ ”یا اللہ میں بوسیلة فلان بزرگ کے تجھ سے دعا کی قبولیت اور حاجت براری چاہتا ہوں۔ یا اس جیسے اور کلمات کہے۔ چنانچہ اس کی تصریح فرمائی ہے ہمکے شیخ المشائخ مولانا محمد حاق صاحب دہلوی ثم المکی نے پھر مولانا رشید احمد صاحب گنگوہی نے بھی اپنے فتاویٰ میں اس کو بیان فرمایا ہے جو چھاپا ہوا ہے علماء مکے کا چھ میں موجود ہے۔ پہلی جلد پر مذکور ہے فائدہ ہمارے اکابر مرشد العرب العجم حضرت حاجی اللہ وا اللہ صاحب مہاجر مکی اور شیخ المشائخ قلعہ علیہم حضرت مولانا رشید احمد گنگوہی اور حکیم الامت حضرت مولانا شاہ محمد شرف علی صاحب نے اپنے بزرگان کے شجر تصنیف فرمائے ہیں جو ان کے توسلین کے پہلے خالص اعمول یہاں ہے الی آخر ما قال فعلم من هذا الجواب ان

(۱) صاحب الدر المختار محمد علاء الدین الحسکفی الحنفی توفی سنہ ۱۰۸۸ ھ. [۱۶۷۶ م.] فی الشام

(۲) خليل احمد السہارنپوری توفی سنہ ۱۳۴۶ ھ. [۱۹۲۷ م.] فی المدینۃ المنورۃ

التوسل بالانبياء والاولياء جائز مطلقا سواء كان حين الحياة او بعد الوفاة. وعلم منه جواز التوسل بشخص معين ايضاً فانه ذكر فيه لفظ فلان. وعلم ايضاً ان هذه طريقتهما سلفاً وخلفاً منقولة عن مشايخ الشريعة والطريق. هم اكابر العلماء الديوبنديين.

وايضاً مسائل هذا الكتاب مجمع عليها لان في آخره تصاديق علماء العرب والعجم وفضلاء الحرمين ومشايخ جامع الازهر وفي تلك التصاديق تصاديق علماء الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية.

فعلم من هذا ان التوسل المنكر عند المنكر مجمع عليه. عند علماء العرب من المذاهب الاربعة وعلماء العجم ان كان جوازه قطعياً بحيث لا يبقى فيه ريب فضلاً عن ان يكون شركاً فهل هذه المشايخ افتوا بجواز الشرك. سبحانه هذا برهتان عظيم فان هؤلاء المنكرين قد اتهموا العلماء الديوبنديين. نعوذ بالله من الجراءة والاساءة بل علماء الديوبند قائلون بجواز الاستفادة من قبور الاكابر كما قال في (ص: ۱۸) :

ابن المشايخ کی روحانیت سے استفادہ اور ان کی قبروں اور مینوں سے باطنی فیضان پہنچنا سب سے بڑا صحیح ہے اس طریقہ سے جو اہل حق اور عوام کو معلوم ہے اس طریقہ سے جو عوام میں رائج ہے۔

و هذا ايضاً دليل واضح على جواز التوسل على رغم انف المنكرين الناكبين. اللهم ثبتنا على العقائد الصحيحة المرضية.

وايضاً هذه الفرقة انكروا عن ورد (دلائل الخيرات) وقالوا ان في (دلائل الخيرات) الفاظاً موهمة للشرك مع ان مشايخ الديوبند قاطبة قائلون بثواب قاريه كما قال في (ص: ۱۶). ہمارے شیخ مولانا گنگوہی و دیگر مشايخ دلائل خیرات پڑھا کرتے تھے۔ اور مولانا حضرت حاجی امام اللہ رحمۃ اللہ علیہ مہاجر کی قدس کو نے اپنے ارشادات میں تحریر فرمایا ہے اور یہ دونوں کو امر بھی کیا ہے کہ دلائل خیرات کا ورد کریں۔ اور ہمارے مشايخ ہمیشہ دلائل خیرات روایت کرتے تھے۔ اور مولانا گنگوہی رحمۃ اللہ علیہ اپنے مریدوں کو اجازت دیتے تھے۔

وايضاً هذه الفرقة انكروا عن الحياة البرزخية. المشايخ المذكورون اثبتوها

بالطریق الاكمل کما قال فی (ص: ۱۴):

ہمارے نزدیک ہمارے مشائخ کے نزدیک حضرت صلی اللہ علیہ وسلم اپنی قبر مبارک میں زندہ ہیں اور آپ کی حیات نیک الٰہی ہے بلا مکلف ہونے کے اور یہ حیات مخصوص ہے آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کیساتھ اور تمام انبیاء و شہداء کیساتھ یہ حیات برزخی نہیں ہے جو اصل ہے تمام مسلمانوں کو بلکہ سب آدمیوں کو چنانچہ علامہ سیوطی نے اپنے رسالہ (الانباء الاذکیاء بحمد اللہ) میں بصریح لکھا ہے چنانچہ فرماتے ہیں کہ علامہ تقی الدین سبکی نے فرمایا ہے کہ انبیاء و شہداء کی حیوۃ قبر میں الٰہی ہے جیسے دنیا میں تھی اور حضرت یحییٰ علی نبیہ و علیہ الصلوٰۃ والسلام کا اپنی قبر میں نماز پڑھنا اس کی دلیل ہے کیونکہ نماز زندہ جسم کو جانتی ہے پس ثابت ہوا کہ حیوۃ دنیوی ہے اور اس معنی کو برزخی بھی ہے کہ عالم برزخ میں حاصل ہے۔
اور علامہ شیخ مولانا محمد قاسم صاحب قسمرہ کا ایک سالہ بھی نہایت دقیق اور اچھوتے طرز کا کیشل جو شائع ہو کر لوگوں میں شائع ہے اس کا آثار حیات ہے۔

فعلم من هذا الكلام ان حياة الانبياء والشهداء حياة جسدانية ولذا ذكر العلامة السيوطي في كتابه المسطور المسمى بـ (شرح الصدور في احوال الموتى والقبور) باب احوال الموتى في قبورهم وانسهم فيها) فهم يصلون فيها ويقرؤون ويتزاوون ويتنعمون ويلبسون و ذكر في ذلك الباب ما يناسب المقام.

وايضاً ذكر في باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورويتهم لهم. واما نتن اجساد الاموات ففي غير الانبياء ومن الحق بهم ولذا ذكر السيوطي باب نتن الميت و بلاء جسده الا الانبياء ومن الحق بهم وان شئت التفصيل فعليك بـ (شرح الصدور).

وايضاً مسئلة التوسل في (عقائد علماء ديوبند ص: ۱۵):

سوال کیا جانے ہے مسجد نبوی میں دعا کرنے والے کو یہ ضرورت کہ قبر شریف کی طرف منہ کر کے کھڑا ہو اور حضرت صلی اللہ علیہ وسلم کا واسطہ دیکر حق تعالیٰ سے

فذكر في جواب هذا السؤال ما حاصله: ان التوجه الى القبر الشريف والقبلة كلاهما جائزان لكن التوجه الى القبر اولى ولذا افتى الامام حين سئل عنه خليفة عن هذه المسئلة و ذكر جواز التوسل ايضا واحال على (زبدة المناسك).

ومن الدلائل على جواز التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الوصال ما ذكر في مقدمة (البخارى) ومولانا احمد على السهارةفورى^(١) (ص: ٤). وروى عن عبد القدوس بن همام، قال: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حوّل البخارى تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومنبره و كان يصلى لكل ترجمة ركعتين. انتهى. ولا يخفى ان هذا الفعل ما كان الا للحصول البركة فى كتابه كما فعله مصنف (الدر المختار) وهذا ليس الا معنى التوسل بعد الوفاة.

فالحاصل ان مسألة التوسل مما قرره المفسرون والمحدثون قديماً وحديثاً سلفاً وخلفاً والمنكر معاند بل صرح الامام الغزالى رحمه الله عليه فى كتابه (جواز الرحلة الى قبور الانبياء والاولياء) حيث قال: وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث اى حديث (لا تشدوا الرمال ...) فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما يتن لى الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها. قال عليه الصلوة والسلام (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها ولا تقولوا هجرا) والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد [المقابر] فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل. نعم، لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحل الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء. ثم ليت شعرى، هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى على نبينا وعليهم الصلوة والسلام وغيرهم فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور العلماء والاولياء والصلحاء فى معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد. (احياء العلوم: ج: ١، ص: ١٦٩).

فقد صرح الامام الموصوف بجواز الرحلة الى قبورهم وتعجب من المنكرين و المعجب انهم لا ينظرون الى الاستثناء: هل هو متصل والمقدر مسجد فى جانب المستثنى منه فيكون التقدير (لا تشدوا الرحال الى مسجد من المساجد) الحديث. ام المقدر موضع والتقدير: (لا تشدوا الرحال الى موضع من المواضع) فعلى هذا يمنع الرحلة لطلب العلم والتجارة الحج. وهذا اظهر لزوماً وفساداً فعلم ان المستثنى منه مسجد فلا يدخل فيه مشاهد

الانبياء و الاولياء و صرح به في (الفتح) و اما قصد غير المساجد لزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب العلم او تجارة او نزهة فلا يدخل فيه اى في النهى،

و من تمسك بالعموم كابن تيمية فقال بتحريم شد الرحال الى قبر سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و سيما قال صاحب (الفتح) و هى من اشبع [اقبح] المسائل المنقولة عن ابن تيمية. (فتح البارى: ج: ٣، ص: ٤٢).

و من المتسمين بسمة شيخ القرآن في السنة الحاضرة تمسك بانكار ابي ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه على ابي هريرة رضى الله تعالى عنه في خروجه الى الطور و قال: لو اذركتك قبل ان تخرج ما خرجت و استدل بهذا الحديث و لم يدرك ذلك الشيخ ان الزيارة كان لمحض الطور لا لزيارة نبي او صالح فكيف الاستدلال و هذا كالمثل المشهور بين الطلبة، الفاء بمعنى الشرط. فاندفع جميع الاعتراضات.

و من الدلائل على التوسل بعد الوفاة: ما قال الامام الشافعى رحمه الله عليه: قبر موسى الكاظم تريقا مجرب لاجابة الدعاء.

و قال الامام الغزالى رحمه الله عليه: من يستمد به في حياته يستمد به بعد مماته. و منها ما ذكر في تفسير (روح البيان): و فيه اشارة الى أَنَّ السجدة لآدم على نبينا و عليه الصلوة و السلام و هو مقبور كالسجدة له و هو غير مقبور. اذ الانبياء عليهم الصلوة و السلام احياء عند ربهم و كذا اكمل الاولياء. قدس الله اسرارهم كما قال الصائب:

بيت:

شوبمرك ز امداد اهل دل نوميد ه كه خواب مردم آگاه عين بيدار يست

و الشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح. و مثله من ينكر الاولياء او زيارة قبورهم و الاستمداد منهم. نسأل الله العصمة و نعوذ بالله من الخذلان. (روح البيان: ج: ٢، ص: ٩٠) [٢].

و مما يكشف عن عقائد علماء ديوبند في باب التوسل: ما قيل في قصيدة مدحية

لرشيد احمد الجنجوهى. رحمه الله تعالى عليه. [٣]

(١) مؤلف فتح الباري أحمد ابن حجر العسقلاني توفي سنة ٨٥٢ هـ. [١٤٤٨ م.] في القاهرة

(٢) مؤلف روح البيان اسماعيل حقي الصوفي الجلوتني البروسوي توفي سنة ١١٣٧ هـ. [١٧٢٥ م.]

(٣) رشيد أحمد الديوبندي توفي سنة ١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لاهله

قصوى مرادى قصارى منيتى ابدًا * غوثى ملاذى معاذى منتهى املى
كنز العلوم و كهف الناس قاطبة * بحر الفهوم و عون الخلق فى الخليل

قيل فى تشريح هذا الشعر: كهف الناس لان له عند الله وجاهة و قربة فيرجى قبول دعائه و ايضا ببركة اولياء الله تدفع البلايا عن المخلوق و ان كانوا مستحقين لها.
(قصيدة مدحية: ص: ٣).

و من الدلائل على التوسل بعد الوفاة ما قال السيد السند فى تشريح قول (شرح المطالع) فلذلك وقع التوسل بافضل الوسائل. فان قيل: هذا التوسل، انما يتصور اذا كانوا متعلقين بابدان و اما اذا تجردوا عنها فلا. اذ لاجهة مقتضية للمناسبة. قلنا يكفيهم انهم كانوا متعلقين بها متوجهين الى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فان اثر ذلك باق فيهم و لذلك كانت زيارة مراقدهم عليهم السلام معدة لفيض انوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهددهم اصحاب البصائر و يشهدون به. (حاشية شرح المطالع: ص: ٦).

و من الدلائل على التوسل و الافادة و الاستفادة من الاولياء المدفونين، ما ذكره مولانا المحدث الشاه عبد العزيز الدهلوى^(١) فى تفسيره بعد بحث دقيق بسيط فى ترجيح الدفن على الاحراق. و توجه روح بزازرين مستأنسين و مستفيدين به سهولت ميشود كه بسبب تعيين مكان بدن گويا مكان روح هم متعين است و آثار اين عالم از صدقات و فاتحها و تلاوت قرآن مجيد چون دران بقعه كه مدفن بدن اوست واقع شود به سهولت واقع ميشود پس سوختن گويا روح را بى مكان كردن است و دفن كردن گويا روح را مكان ساختن است بنا برين كه از اوليائى مدفونين و ديگر صلحاى مؤمنين انتفاع و استفاده جارى است و آنها را افاده و اعانت نيز متصور بخلاف مرده هاى سوخته كه اين چيزها اصلا نسبت بآنها در اصل مذهب آنها واقع نيست. تفسير عزيزى سورة عبس (ص: ٥٠).
فعلم من كلام هذا المحدث: الافادة و الاستفادة و الانتفاع و الاعانة من الاولياء المدفونين فى المقابر.

و منها ما قال هذا المحدث فى موضع آخر بعد تفصيل: و اين حالت عوام مردگان

(١) عبد العزيز بن ولي الله الدهلوى توفى سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.] فى دلهي

است و بعضی از خواص اولیاء الله را که آله جارحه تکمیل و ارشاد بنی نوع خود گردانیده اند درینحالت هم تصرف در دنیا داده است و استغراق آنها بجهت کمال وسعت مدارك آنها مانع توجه باین سمت نمیگردد. و او یسیان تحصیل کمالات باطنی از آنها می نمایند و ارباب حاجات و مطالب حل مشکلات خود از آنها می طلبند و می یابند و زبان حال آنها درانوقت هم مترنم باین مقالات است

مصرع:

من آیم بجان گرتو آئی بتن

(تفسیر عزیزی، سورة انشقت: ص: ۱۱۳) فهذا ايضاً صريح في ابقاء التصرف لخواص الاولياء.

و مما يدل على تصرفات الاولياء ما قال ذلك المحقق في تفسيره في موضع آخر: چهارم تأثیر اتحادی که شیخ روح خود را که حامل کمالیست بارواح مستفید بقوت تمام متحد سازد تا کمال روح شیخ بارواح مستفید انتقال نماید و این مرتبه اقوی ترین مراتب تأثیر است چه ظاهر است که بحکم اتحاد روحین هر چه در روح شیخ است بروح تلمیذ میرسد و بار بار حاجت استفاده نمی ماند در اولیاء الله این قسم تأثیر به ندرت واقع شده از حضرت خواجه باقی بالله قدس سره [۱] منقول است که روزی در خانه ایشان چند کس مهمان شدند و ما حاضر موجود نبود اوقات حضرت خواجه در فکر ضیافت مهمانان در تلاش ما حاضر شدند اتفاقاً نانوائی متصل بخانه ایشان دکان داشت برین تشویش مطلع شده يك قرص نان پخته بانهاری مکلف مرغن بخدمت ایشان آورد ایشان باین سلوک او بسیار خوش شدند فرمود بخواه هر چه میخواهی او عرض کرد که مرا مثل خود سازید فرمودند که تحمل اینحالت نمیتوانی کرد چیزی دیگر بخواه او بر همین سوال اصرار داشت و خواجه رحمه الله علیه اعراض فرمودند تا که الحاح او بسیار شد ناچار او را در حجره بردند تأثیر اتحادی بروی کردند چون از حجره برآمدند در میان خواجه و در میان نانوائی در صورت و شکل هیچ فرقی نمانده بود مردم را امتیاز مشکل افتاد اینقدر بود که حضرت خواجه هشیار بودند آن نانوائی مدهوش و بیخود. آخر بعد از سه روز در همین حالت

سكر و بيهوشى قضا كرد رحمة الله عليه (تفسير غريزى، باره عم: ص: ٢٢٥) وهذا التصرف وان كان من الحى الا انى ذكرته طرداً لانه تصرف و تأثير عظيم، كما قال العارف الرومى فى كتابه المعروف بـ (المثنوى).

بيت: اولياء را هست قدرت از اله ه تير جسته باز گرداند ز راه

و بعض الحمقاء من المتسمين بسمة التوحيد عد هذا الشعر فى كتابه المسمى بـ (رسالة توحيدية) المملوءة من الخرافات شركاً. فانظر الى هذه الجراءة العظيمة. نموذ بالله منها. فاذا كانت جرائتهم واصله الى هذا الحد فمن انا وانت؟ ولواهب عمرى، لقد تناهت جرائتهم الى حد تقشعر من سماع كلامهم جلود المنصفين وتمج كلامهم آذان العاقلين (وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يونس: ٢٥) والعجب كل العجب: ان مشائخهم و اساتذتهم يقرون بهذه المسئلة وهم ينكرونها فهذا دليل على عنادهم وانهم عن الصراط لناكبون و كيف ينكرون عن المدد الروحانى و الحال ان اثر هذا المدد قد يوجد فى الخارج و يشاهد.

و من ذلك ما ذكره الحافظ ابن قيم عن (كتاب المناجات) لابن ابى الدنيا^(١) عن شيخ من قريش. قال: رأيت رجلاً بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يفتيه فسألته عن ذلك فقال: قد جعلت لله على ان لا يسألنى عن ذلك احد الا اخبرته به، كنت شديد الوقعة فى على ابن ابى طالب رضى الله عنه. فبينما انا نائم ذات ليلة، اذ اتانى آت فى منامى، فقال لى: انت صاحب الوقعة فى فضر ب شق وجهى فاصبحت و شق وجهى اسود كما ترى.

و ذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة. قال: كنت عند عائشة رضى الله تعالى عنها فاتها امرأة مشتملة على يدها فجعلت النساء يولمن لها. فقالت: ما اتيت الا من اجل يدى ان ابى كان رجلاً سمحاً وانى رأيت فى المنام حياضاً عليها رجال، معهم آنية، يسقون من اتاهم فرأيت ابى. فقلت: اين امى! فقال: انظرى، فنظرت فاذا امى ليس عليها الا قطعة خرقه! فقال: انها لم تصدق الا بتلك الخرقه و شحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب و تطرف بها و هى تقول

(١) ابن ابى الدنيا عبد الله توفى سنة ٢٨١ هـ. [٨٩٤ م.] فى بغداد

واعطشاه! قالت: فاخذت انا من الآنية فسقيتها فنوديت من فوقى: من سقاها، ايبس الله يده فاصبحت يدي كما ترين. (كتاب الروح: ص: ٢٩٨).

ومن ذلك: مما في ذلك الكتاب (المائة) ما قد اشترك في العلم عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتى وسؤالهم لهم واخبارهم اياهم بأمور خفيت عليهم فأروها عياناً وهذا اكثر من ان يتكلف ابراده.

واعجب من هذا الوجه الحادى والمائة: ان ارواح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح تراها على البدن اعياناً وهى من تأثر الروح في الروح كما ذكر القيروانى في (كتاب البستان) عن بعض السلف. قال: كان لى جار يشتم ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته وتناولنى فانصرفت الى منزلى وانا مغموم حزين فتمت وتركت العشاء فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقلت: يا رسول الله! فلان يسب اصحابك. قال (من اصحابى؟) قلت: ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما. فقال (خذ هذه المدينة. فاذبحه بها) فاخذتها فاضجعت وذبحته ورأيت كانت يدي اصابت من دمه. فالقيت المدينة واهويت بيدي الى الارض لامسحها فانتبهت وانا اسمع الصراخ من نحو داره. فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة فلما اصبحنا جئت، فنظرت اليه فاذا خط موضع الذبح. (كتاب الروح: ص: ٢٩٧). فانظر الى هذا المدد الروحانى والتصرف، كيف بقى اثره في الخارج الا ان من في قلبه زيغ ويشكك في امثال هذه ويوقع الاحتمالات الركيكة المشككة.

ومن ذلك: ما ذكر في ذلك الكتاب و كان نافع القارئ اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيّل له: كنما قعدت تنطيب. فقال ما امسّ طيباً ولا اقربه ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام وهو يقرأ فى فمى فمن ذلك الوقت، يشم من فمى هذه الرائحة.

وذكر مسعدة في (كتاب الرؤيا) عن ربيع بن زيد الرقاشى. قال اتانى رجلان فاغتابا رجلا فنهيتهما فاتانى احدهما بعد. فقال: انى رأيت فى المنام: كأن زنجيا اتانى بطبق، عليه جنب خنزير، لم يرقط لحم اسمن منه. فقال لى: كُلى. فقلت: آكل لحم الخنزير؟ فتهددنى. فاكلت، فاصحى. وقد تغير فمى، فلم يزل يجرد الريح فى فمه شهرين.

وذكر ابن ابي الدنيا عن ابي حاتم الرازي عن محمد بن علي قال: كنا بمكة في المسجد الحرام قعوداً فقال رجل: نصف وجهه اسود ونصفه ابيض. فقال: ايها الناس! اعتبروا بي فاني كنت اتناول الشيخين واشتمهما فبينما انا نائم ذات ليلة، اذ اتى بي آت فرفع فلفظم وجهي وقال لي: يا عدو الله! يا فاسق! لست تسب ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاصبحت وانا على هذه الحالة.

وقال محمد بن عبد الله المهلبى: رأيت في المنام كأنى في رجة بنى فلان واذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على اكمة ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وعمر رضي الله تعالى عنه واقفان قدامه صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! ان هذا يشتمنى ويشتم ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال (جئ به، يا ابا حفص) فأتى برجل فاذا هو العمان وكان مشهوراً بسبهما فقال النبى عليه الصلوة والسلام (اضجعه) فاضجعه ثم قال (اذبحه) فذبحه. قال: فما نبهنى الا صياحة. فقلت: ما لي، لا اخبره، عسى ان يتوب فلما تقربت من داره سمعت بكاء شديداً فقلت ما هذا البكاء؟ فقالوا: العمان، ذبح البارحة على سريريه فدنوت من عنقه، فاذا من اذنه الى طريقة حمراء كالدم المحصور (ص: ٣٠٠).

وقال القيروانى: اخبرنى شيخ لنا من اهل الفضل. قال اخبرنى ابو الحسن المطلبى امام مسجد النبى صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بالمدينة عجباً كان رجل يسب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فبينما نحن يوماً من الايام بعد صلاة الصبح، اذ اقبل رجل وقد خرجت عيناه و سالتا على خديه فسألناه: ما قصتك؟ فقال: رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رضي الله عنه بين يديه ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما. فقالا: يا رسول الله! هذا الذى يؤذينا ويسبنا. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من امرك بهذا يا ابا فيس؟) فقلت له: عَلىَّ رضي الله تعالى عنه واشرت اليه. فاقبل عَلىَّ عَلىَّ رضي الله عنه بوجهه ويده وقد صم اصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها الى عيني. فقال ان كنت كذبت ففقد الله عينيك و ادخل اصبعيه في عيني. فانتبهت من نومي وانا على هذه الحال فكان يبكي بخير الناس و اعلن بالتوبة.

وقال القيروانى: اخبرنى شيخ من اهل الفضل. قال: اخبرنى فقيه. قال: كان عندنا

الذين يسمونهم
الذين يسمونهم
الذين يسمونهم

رجل يكشر الصنوم ويسرده، ولكنه كان يؤخر الفطر. فرأى في المنام كأن أسودين آخذين بضبعيه وثيابه الى تنور محمى ليلقاه فيه. فقلت لهما على ماذا؟ قالاً: على خلافك لسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره. قال: فاصبح ووجهه قد اسود من وهج النار فكان يمشي متبرقعا في الناس. واعجب من هذا، الرجل يرى في المنام وهو شديد العطش والجوع والالام ان غيره قد سقاه واطعمه او داواه بدواء فيستيقظ وقد زال عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا اعجب.

وقد ذكر مالك عن ابى الرجال عن عمرة عن عائشة: ان جارية لها سحرتها وان سيدها دخل عليها وهى مريضة. فقال: انك سحرت؟ قالت: ومن سحرنى؟ قال: جارية فى حجرى صبى قد بال عليها. فدعت جارتها فقالت حتى اغسل بولا فى ثوبى فقالت: اسحرتنى؟ قالت: نعم. قالت: ومن دعاك الى هذا؟ قالت: اردت تعجيل العتق فامرت اخاها ان يبيعهما من الاعراب ممن يسيئ ملكها فباعها ثم ان عائشة رضى الله تعالى عنها رأت فى منامها ان اغتسل من ثلاثة ابار يمد بعضها بعضاً فاستسقى لها فاغتسلت فبرأت.

وكان سماك بن حرب، قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلوة والسلام فمسح على عينيه وقال: اذهب الى الفرات فانغمس فيها ثلاثاً. ففعل فابصر.

وكان اسماعيل بن بلال الحضرمى، قد عمى فاتى فى المنام فقيل له: قل: يا قريب! يا محبيب! يا سميع الدعاء! يا لطيف بمن شاء! ارد على بصرى. فقال الليث بن سعد [١] رأيت قد عمى ثم ابصر.

وقال عبيد الله بن ابى جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت اقرا (آية انكرسى) فنمت فاذا رجلان قائمان بين يدى. فقال احدهما لصاحبه انه يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستين رحمة: أفلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة؟ فاستيقظت ووجدت خفة. وقال ابن الخراز: كنت اعالج رجلاً مموّداً فغاب عني ثم لقيته فسألته عن حاله. فقال: رأيت فى المنام انساناً رى ناسك متوكفاً على عصاً وقف على وقال: انت رجل مموّداً؟ فقلت: نعم، فقال عليك بالكباء والجلنجبين فاصبحت فسألت عنهما فقيل

(١) التوفى سنة ١٧٥ هـ. [٧٩١ م.] وهو من اصحاب الامام مالك رحمه الله.

الكباء: المصطكى والجلنجين: الورد المرابا بالعسل. فاستعملتهما اياما فبرأت. فقلت له: ذلك جالينوس. والوقائع في هذا الباب اكثر من ان تذكر.

قال بعض الناس: اصل الطب من المنامات ولا ريب ان كثيرا من اصوله مستندة الى الرؤيا وبعضها من التجارب والالهام والقياس. من اراد الوقوف فلينظر في تاريخ الاطباء و(كتاب البستان) للقيروانى وغير ذلك (ص: ٣٠٠ الى ص: ٣٠٣).

وبعد ما انتقش هذا على صحيفة خاطرك ايها المنصف الا اراك شاكاً في هذه المسئلة لما علمت من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والعلماء الديوبنديين سلفاً وخلفاً ثم نذكر في باب التوسل اقوال الصوفية قدس الله اسرارهم تبركاً باقوالهم. رزقنا الله اتباعهم ومحبتهم.

فمن كلام الامام الربانى المجدد للالف الثانى احمد الفاروقى السرهندى قدس سره في الرسالة المسماة بـ (معارف لدنية) حيث قال: وهذا المقام هو اتم مقامات الدعوة الى الحق سبحانه ولكل منازل التكميل والارشاد الاثمة المناسبة الى الخلق للفيضة لكمال الافادة والاستفادة (... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * الحديد ٢١) وكل من الاحوال المذكورة والكمالات المسطورة حصل لى بطفيل افضل الانبياء و اكمل البشر عليه و عليهم من الصلوات افضلها ومن التسليمات اكملها. اللهم اثبتنا على متابعتة واحشنا في زمرة عليه الصلوة والتسليمات وعلى آله الطيبين ويرحم الله عبدا قال آمينا (ص: ٥١).

و العجب من منكرى التوسل، كيف ينكرون التوسل مع هذه الدلائل الواضحة و الحجج القاطعة ؟ ولننعم ما قال الشيخ المجدد الفاروقى السرهندى في هذه الرسالة (ص: ٥٣).

بيت: نمائد بعضيان كسى در گرو * كه دارد چنين سىدى پيشرو

وقال العارف الشيرازى رحمه الله عليه مشيراً الى مسئلة التوسل:

(١) الحافظ محمد التيرازى تولى سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.] في شيراز

مور مسکین ہوسی داشت کہ بر کعبہ رسد * دست بر پای کبوتر زد و ناگاہ رسید
و ایضاً قال فی موضع آخر.

بیت: خدا یا بحق بنی فاطمہ * کہ بر قول ایمان کنم خاتمہ

و مما يدل علی جواز التوسل، ما ذكره مولانا عبد الغفور العباسی القرشی
النقشبندی رحمۃ اللہ علیہ متع اللہ الناس بطول بقائه فی کتابہ المعروف بـ (الدعوات
الفضیلة) نقلاً عن (المشكاة) و كان علیہ الصلوۃ و السلام یستفتح بصعاليك المهاجرين. و
ذكر الموصوف المذكور بعد هذا فائدة حیث قال:

اے ملوک میں مقبولان الہی کے توسل سے دعا کرنا بکثرت شائع ہے اس حدیث سے اس کا ثبات ہوتا ہے۔ لہذا جو
بڑھنا جو اہل سلوک کے یہاں مول ہے اس کی بھی حقیقت اور غرض ہے۔ ثم ذکر حدیث ابی داود وقال
(ابغونی فی ضعفانکم فانما ترزقون او تنصرون بضعفانکم) (دعوات فضیلة: ص: ۱۳۰)
و قال فی موضع آخر: الہی! فیض تجلیات صفات ثبوتیہ کہ از لطیفہ مبارک آن
سرور دو عالم صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم در لطیفہ روح حضرت نوح و حضرت ابراہیم
علیہما الصلوۃ و السلام افاضہ فرمودہ بحرمت پیران کبار در لطیفہ روح من القا کن.
و ذکر فی مواضع متعدده بحرمت پیران کبار و بوسیلة پیران عظام و طفیل پیران
عظام کما فی (ص: ۱۵۴-۱۵۵-۱۵۶)

ثم ذکر فی خاتمۃ الكتاب المذكور السلسلۃ الشریفۃ بلسان عربی، ابتداءً ہا:
(الہی! بحرمة شفیع المذنبین الذی أرسلتہ رحمۃ للعالمین، سیدنا و مولانا محمد رسول اللہ صلی
اللہ تعالیٰ علیہ و علی آلہ وسلم) و انتہاؤها بقولہ: (الہی! بحرمة سیدنا و مولانا محمد فضل
علی القرشی رحمۃ اللہ تعالیٰ علیہ، ارحم الحقیر الفقیر احقر الدراویش عبد الغفور العباس
النقشبندی المجددی و ارزقہ کمالاً فی القرب و الاحسان).

(۱) عبد الغفور القرشی مرشدہ محمد فضل علی مرشدہ محمد سراج الدین مرشدہ محمد عثمان الدامانی مرشدہ دوست
محمد القندہاری مرشدہ احمد سعید الفاروقی المجددی قدس اللہ تعالیٰ اسرارہم العزیز احمد سعید المجددی الدہلوی
نوفی سنہ ۱۲۷۷ ھ. [۱۸۶۱ م.] فی المدینۃ المنورۃ. دوست محمد نوفی سنہ ۱۲۸۴ ھ. [۱۸۶۷ م.] محمد عثمان نوفی
سنہ ۱۳۱۴ ھ. [۱۸۹۶ م.] فی موسی زنی. سراج الدین نوفی سنہ ۱۳۳۳ ھ. [۱۹۱۵ م.] فضل علی نوفی سنہ
۱۳۵۴ ھ. [۱۹۳۵ م.]

ومن ههنا علم جهل بعض المتسمين بسمه الشيخوخة في العهد القريب ولا ادري في اي فن تلك الشيخوخة؟ فان للشيخوخة انواعاً حيث قال في كتاب صنفه عن قريب وسماه (جواهر التوحيد) الصادق عليه مثل البلاغة (ان من لا يعرف الفقه قد صنف فيه كتاباً) بلکہ بعض گدی نشینوں نے اپنے مریدوں کے لئے جو اوراد و وظائف تصنیف کی ہیں ان میں باقاعدہ تلاوت اور روزانہ ورد کے لئے اولیاء کرام اور شایخ عظام کے اسماء گرامیہ کی فہرست لکھ دی ہے بشکین عرب بھی عباد الصالحین کے ناموں کی تلاوت اس لئے کرتے تھے کہ ہماری حاجات پوری ہو جاویں اور جبرکٹ صل ہو جاوے۔ اور زمانہ حال کے اولیاء پرست بھی اس غرض سے پڑھتے ہیں ورنہ اس میں اور کیا غرض ہو سکتی ہے؟

فانظر الى هذا الاحمق حيث سوى بين المشركين القائلين (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ - الآية. الزمر: ٣) و القائلين (... هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ - الآية. بونس: ١٨) و بين الصالحين القارئین للسلال بقصد التوسل. فكم من فرق فان ذكر السلال له اصل كما مر.

ثم انظر الى لفظ اولیاء پرست فان لفظ پرست معناه من پرستش و هی العبادة فای شخص من المریدین یعبد شیخه؟ هل هذا الا بهتان عظیم، علی ان تلاوة السلال امر ثابت من اکابر دیوبند کامداد اللہ الدیوبندی و اشرف علی التھانوی و غیرہما.

و ایضاً قد عرفت ان تلاوة سند اول لابی داود رقیۃ العقب و ای شرک فیہا فان السؤال انما یکون من اللہ بحرمۃ مشائخ السلسلۃ و هذا امر معروف سلفاً و خلفاً، کیف یکون شرکاً؟

علی ان رقیۃ السم و السمیات باسمی المشائخ معمولۃ لمولانا و اولانا شیخ الحدیث استاد الاسانۃ حضرة نصیر الدین الفرغنتوی۔ اطال، اللہ فیوضہ۔ حیث قال: کان مرشدہ یقول لرقیۃ السم و السمیات: الہی! بحرمۃ الشیخ عبد القادر الجیلانی رحمۃ اللہ علیہ۔ الہی! بحرمۃ دوست محمد القندھاری رحمۃ اللہ علیہ وھی معمولۃ لہ.

و السمجیب، کل السمجیب! الہم لا ینظرون الی ما یمصدر من افواہہم و یمکتبون بافلاہم و لیس ہذا الا اثر الماضی علی الاضافی. فافہم و تأمل الحال، و تذکر الماضی.

وهذا كلام معترض في البين فان القلم ما رفع لرد هذا الشيخ بل لشيخ آخر
هذا العبد الضعيف كان يتعجب من جراته بمثل هذه الخرافات الواهيات، لكن بعد
الاطلاع على احواله الماضية زال ذلك التعجب الماضي في الاستقبال الاضافي.

ومن الدلائل على التوسل: ما ذكر الصاوي في تفصيل قوله تعالى (...وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَسَدُّ حُبًّا لِلَّهِ البقرة: ١٦٥) اى فقد انفرد المؤمنون بحبة الله تعالى واما محبة مثل الانبياء
والاولياء فمن المحبة لله تعالى.

ان قلت: ان الكفار كذلك يحبون الانداد ليقرّبوهم الى الله زلفى فيقتضى انها
ايضاً من المحبة لله.

اجيب بانهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة فلا
يعبد الا الله لا غيره بخلاف المحبة من اجل كون ذلك المحبوب مثلاً مقرباً من الله تعالى
كالانبياء والاولياء ومن عيدهم كفر. (الصاوي: ج: ١، ص: ٦٨).

فعلّم من هذا: جواب المنكرين حيث يقيسون حال متوسل زماننا على حال
المشركين حيث قال: وهكذا حال... شركى هذا الزمان يتوسلون باهل المقابر.

فانظر الى هذا القياس الفاسد كما يعلم من كلام الصاوي الظاهر في الفرق بين
المحبة والعبادة فان العبادة كما يعلم من جد النجديين في (كتاب التوحيد) العبادة:
التذلل غاية التذلل بخلاف المحبة فهذا قياس من غير علة مشتركة بل مع الفارق ولقد
غلب على طبعهم مثل هذا القياس الفاسد.

والعجب: انهم ينكرون عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة و
الحال انه عليه الصلوة والسلام واسطة لكل موجود كما ذكره الصاوي في (ص: ١٧٦) وفي
ذلك اشارة الى انه عليه الصلوة والسلام واسطة لكل موجود حتى لايه آدم على نبينا و
عليه الصلوة والسلام.

ومنها ما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى (...أَرْبَابًا لَهُ الْآبَةُ. آل عمران: ٨٠)
اى بل نحبههم ونعقدهم: انهم عبيد مكرمون، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون،
لا يضرون ولا ينفعون، فتتوسل بهم الى الله لذلك لا لكونهم اربابا. (الصاوي: ج: ١،

ص: ١٤٦). فعلم ان المالك للنفع والضرر هو الله تعالى والانبياء والاولياء وسائط ووسائل. فإى شرك فيه ؟

ومنها ما ذكره فى تفصيل قوله تعالى (وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ الْمَائِدَةُ: ٥٦) والمعنى يختار الله، يعبد و يلتجئ اليه و يختار رسوله ولياً بان يؤمن به و يتوسل به ويعظمه ويوقره و يختار الذين آمنوا اولياء بان يعينهم وينصرهم ويوقرهم اذا حضروا ويحفظهم اذا غابوا. (ص: ٢٥٣).

ومنها ما ذكره فى تفصيل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ۖ الْآيَةُ الْمَائِدَةُ: ٣٥) قوله (ما يقربكم الى الله) اى يوصلكم اليه وقوله (من طاعة) بيان لـ (ما) سواء كان فرضاً او نفلاً كما فى الحديث القدسى (ولا يزال عبدى يتقرب الى بالخوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به) الحديث. فالتقوى ههنا: ترك المخالفات و ابتغاء الوسيلة: فعل المأمورات و يصح ان المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة و ترك النهيات المحرمة والوسيلة ما يقربه اليه مطلقاً. ومن جملة ذلك محبة انبياء الله تعالى و اوليائه و الصدقات و زيارة احباب الله و كثرة الدعاء و صلة الرحم و كثرة الذكر و غير ذلك. فالمعنى: كل ما يقربكم الى الله تعالى فالزموه و اتركوا ما يبعدكم عنه.

اذا علمت ذلك فمن الضلال البين و الخسران الظاهر: تكفير المسلمين بزيارة اولياء الله تعالى زاعمين ان زيارتهم من عبادة غير الله. كلا بل هى من جملة المحبة فى الله التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا لا ايمان لمن لا محبة له) (ص: ٢٤٥)؛ فالحاصل ان التوسل فى المحبة و المحبة من افضل القربات و كيف لا تحب و ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو لنا فى البرزخ كما ذكره الصاوى فى تفصيل قوله تعالى (... إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۖ الْآيَةُ: التوبة: ١٠٣) هذا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و اما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعائه.

و ايضاً الاعمال تعرض عليه صباحاً و مساءً فان رأى خيراً حمد الله تعالى و ان رأى غير ذلك استغفر لنا، كما ورد فى الحديث (حياتى خير لكم و مماتى خير لكم، تعرض على اعمالكم صباحاً و مساءً فان وجدت خيراً حمدت الله و ان وجدت سوءاً استغفرت لكم).

فدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته و مماته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف عن ذلك. الصاوى (ج: ۲، ص: ۱۴۲).

وبالجملة كاشف الضر ليس الا الله تعالى ونسبة النفع والضرر الى غير الله تعالى باعتبار ان الله تعالى اجرى ذلك بيده. كما قال الصاوى في تفصيل قوله تعالى (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) الآية. بونس: (۱۰۷) اى لادافع ولا مانع له حقيقة الا الله فنسبة النفع والضرر لغير الله تعالى باعتبار ان الله تعالى اجرى ذلك على ايديهم لاعتبار انهم الخالقون فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر. (الصاوى: ج: ۲، ص: ۱۷۵).

فعلّم من التفاصيل المذكورة ان زيارة الصالحين احياء وامواتاً امر مرغوب، نعم، زيارة الصالح الحى افضل من زيارة الصالح الميت، كما قال (الصاوى: ج: ۲، ص: ۲۸۱) ومن ههنا زيارة الصالح الحى افضل من زيارة الصالح الميت فالحاصل ان مسئلة التوسل مما لا يترتب فيه بعد هذه الدلائل الواضحة. الا ترى الى قول العاشق الصادق:

بيت:

يا اكرم الخلق ما لى من الود به * سواك عند حلول الحادث العمم

والتجديون يعدون هذا الشعر شركاً.

والشيخ النانوتوى مولانا محمد قاسم بانى دار العلوم الديوبندية قال في ترجمة هذا:

شعر: هو كرم احمد كثره سوا
نہیں ہے قاسم بیس کا کوئی چارہ کار
جوفى بكونه پوچھ تو کون پوچھگا
بے کا کون ہا ماتیہ سوا غوار

كما ذكره مولانا السيد حسين احمد امدنى^(۱) رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة في (الشهاب الثاقب في الرجم على المفترى الكاذب: ص: ۷۱).

و ايضاً ذكر مولانا الموصوف المذكور في ذلك الكتاب (ص: ۵۵-۵۶) ان مولانا

(۱) حسين احمد المدي الديوبندي تولى سنة ۱۳۷۷ هـ. [۱۹۵۷ م.]

الجلجوهى رحمة الله عليه قد خلط تراب الحجرة المباركة النبوية بالكحل وكان يكتحل به .
و كانت عنده قطعة من الغلاف المتبرك فكان يريها المريدين و كان يقبلها و يضعها على العينين .

و ذكر فى (ص: ٥٧) ان بعض معتقديه ارسل اليه الزيت المحرق فى الحجرة المطهرة النبوية فشربه من فرط المحبة . فانظر الى اكابر ديوبند ، كيف قائلون بالتوسل و التبركات و المدد الروحاني و التجديون يعدونها شركا .

و ايضاً ذكر على القارى فى (نزهة الخاطر الفاتر) فى ترجمة الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه . من استغاث بى فى كربة كشفت عنه و من توسل بى فى حاجة قضيت عنه و ذكر بعد ذلك اشعاراً
بيت :

أيدركنى ضيم و انت ذخيرتى * و اظلم فى الدنيا و انت نصيرى

(نزهة الخاطر ص: ٦١) قال على القارى : و قد جرب ذلك مرارا فصح .
و من ذلك ما ذكر فى (الحصن الحصين : ص: ١٢٧) (واذا انفلتت دابة فليناد اعينوا بعباد الله) رحمكم الله . قال ملا على القارى فى (الحرز الثمين) و روى ابن السنى عن ابن مسعود مرفوعاً (اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله اجيبوا فان لله عباداً نجس) . قلت : حكى بعض شيوخنا الكبار فى العلم انفلتت له دابة اظنها بغلة و كان يعرف هذا الحديث فقال له حبسها الله عليهم فى الحال .

و كنت انا مرة مع جماعة فانفلتت بهيمة و عجزوا عنها فقلته فوقفت فى الحال بغير سبب سوى هذا الكلام . ذكره النووى فى (الاذكار)

و قال فى (الحصن الحصين) و ان اراد عوناً فليقل (يا عباد الله اعينونى يا عباد الله اعينونى) قال فى (الحرز الثمين) اى رواه الطبرانى عن زيد بن على عن عقبة بن غزوان عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (اذا ضل احدكم شيئاً و اراد عوناً وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينونى ، يا عباد الله اعينونى ، فان لله عبادا لا تراهم) . قال المؤلف

وقد جرب ذلك. قال على القارى وهذا حديث يحتاج اليه المسافرون وانه مجرب.
وقال في (الحصن الحصين) واذا خدرت رجله فليذكر احب الناس اليه وفي
حاشيته. خدرت مرة رجل عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا محمد عليه الصلوة و
السلام فكأنما نشط من عقال.

وعن مجاهد: قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال
له اذكر احب الناس اليك فقال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب عنه.
واذا بَلَّ الانسان بريقة اظافر اليد والرجل خدرت زال عنه ذلك مائة الفوائد
(الحصن الحصين مع حاشيته: ص: ١٧٤). فانظر الى هذه الروايات تمسك بها العلماء
المحققون المحدثون فالمنكر عن التوسل ليس الا معاند او مكابر. كيف يتمشى انكاره مع
الذى انتقش على صحيفة خاطره.

والعجب انهم لا ينظرون الى الدلائل المذكورة فكيف يصح ان تهمل هذه
الدلائل بكلام صدر عن ابن تيمية وقد قيل فيه ما قيل.
بيته:

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة ه وان كنت تدري فالمصيبة اعظم
ومن الدلائل على جواز التوسل ما ذكره الشيخ احمد الصاوى في (سورة الكهف)
قال بعضهم علموا اولادكم اسماء اهل الكهف فانها لو كتبت على باب داركم لم تحرق
وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق.

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: خواص اسماء اهل الكهف تنفع تسعة
اشياء: للطلب والهرب، واطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفئ
بأذن الله، وللبكاء الاطفال، وعمى المثلثة، والصداع تشد على العضد الايمن، ولام
الضبيان، وللركوب في البحر والبر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الاشقق
(ص: ٩).

ومن هذا: ظهر ايضا بطلان قول الشيخ الجديد في (جواهر التوحيد) كما ذكر

سابقاً.

ومنها ما ذكره ذلك الشيخ في تفصيل قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَفُوا مِنْ

جِدَائِي

السيد احمد صاوى

ذُوْنِ اللّٰهِ اَوْلِيَآءَ كَسَمَلِ الْعَنْكَبُوْتُ ۝ الْآيَةُ. العنكبوت: ٤١) حيث قال وحمل المفسرون الاولياء على الاصنام مخرج للاولياء بمعنى المتولين في خدمة الرب فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم و الالتجاء اليهم و التعلق باذيالهم مأمور به وهم اسباب عادية تنزل الرحمات و البركات عندهم لا بهم خلافاً لمن جهل وعاند وزعم ان التبرك بهم شرك (ج: ٣، ص: ١٩٧).

وايضاً قال في (ص: ٧). وبهذا تعلم ان حب الصالحين و التعلق بهم يورث الخير العظيم و الفوز بجنات النعيم.

ومنها ما ذكر في (الجزء الرابع ص: ٦٠). حيث قال فالكفر هو العبادة بان يقترب الى غيره كما يقترب اليه واما زيارة الصالحين و الانبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في دفع الغير لان الترضى عن الاولياء و الصلوة و السلام على الانبياء دعاء للغير بذلك ولا شك ان ذلك الغير ينتفع به و المتسبب له مثله لما ورد ان الملك يقول له و لك مثل ذلك. قال الامر الى ان زيارة الصالحين و التوسل بهم من جملة طاعات الله تعالى و صاحبها محبوب الله تعالى لان احب عباد الله الى الله انفعهم لعباده و صدق عليهم انهم يصلون ما امر الله به ان يوصل فليست معصية فضلاً عن كونه شركاً كما اعتقده ذووا الجهل المركب و العقيدة الزائفة انتهى. و اصحاب العقيدة الزائفة ههنا الفرقة المسماة بالوهابية كما ذكره الشيخ في الجزء الثالث (ص: ٢٥٥). حيث قال و قيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرقون تأويل الكتاب و السنة، ويستحل بذلك دماء المسلمين و اموالهم هو مشاهد الآن في نظائرهم و هم فرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهابية (... وَ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ مَقَاسِدَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ المجادلة: ١٨-١٩) نسأل الله الكريم ان يقطع دابرهم.

اقول و هكذا حال من يدعى التوحيد في زماننا و ينسبون من خالف عقيدتهم الزائفة الى الشرك اعاذنا الله من عقائدهم الزائفة و دمر الله عليهم (اللهم آمين).

ومنها ما ذكره ذلك الشيخ في تفسير قوله تعالى (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۝ الْآيَةُ.

(القصص: ٨٨) قوله (تدع) اشار بذلك الى ان المراد بالدعاء العبادة و حينئذ فليس في الآية

دليل على ما زعمه الخوارج من ان الطلب من الغير حياً او ميتاً شرك فانه حمل مركب لأن سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع والضرر على يده قد يكون واجباً لانه من التمسك بالأسباب ولا ينكر الأسباب الا جحود او جهول (ج: ٣، ص: ١٩٠)

وعلم من هذا الكلام ان التوسل من قبيل التمسك بالاسباب لانه فوق الاسباب كما يقوله المنكرون ومنشأ ذلك الاخذ بظواهر النصوص مع انه قال الشيخ احمد الصاوي (فاخرج عن المذاهب الاربعة هناك ومصل) وربما اداه ذلك الى الكفر لان الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر (ج: ٣، ص: ٩).

ومنها ما قال ذلك الشيخ في سورة (الشورى) في تفسير قوله تعالى (... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ الْآيَةَ. الزمر: ٣) قوله اى الاصنام تفسير للمفعول الاول فهو محذوف، والثانى هو قوله اولياء. والمعنى والذين اتخذوا الاصنام آلهة معبودة قائلين (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ۖ الْآيَةَ. الزمر: ٣) تدل عليه الآية الاخرى. واما الاولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعات الله تعالى لانهم الوسيلة لنا الى الله تعالى ورسوله. وليست محبتنا وتوسلنا بهم شركاً الا اذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً. فاعتقاد انهم يؤثرون بالذات في نفعهم وضررهم خلافاً للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا ان كل احد توسل الى الله باحد فهو مشرك (ج: ٤، ص: ٢٧).

ومنها ما ذكره ذلك الشيخ في (ج: ٣، ص: ٢٥). وبتفسير الاولياء بالارباب اندفعت شبهة الخوارج ان عبة الاولياء وزيارتهم اشراك. واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال ان كان اعتقاد الاولياء على سبيل انهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاخترهم واحبهم فهذا الاعتقاد منج من الممالك ومورث للفوز بصحبته ومرافقتهم في دار السلام لما ورد (المرء مع من احب) انتهى.

ولا يخفى انه ان كان المراد من الشرك في الذات فظاهر ان احداً من المتوسلين لا يعتقدون الانبياء والاولياء واجبة بالذات.

وان كان المراد الشرك في الصفات فظاهر ان احداً لا يعتقد ان الانبياء والاولياء مستقلون في النصر والضرر لا في الحياة الدنيوية ولا في الحياة البرزخية.

و ان كان الشرك في العبادة فليس في التوسل معنى العبادة فان عبادة الغير مطلقاً باطلة حياً وميتاً فلا تخصيص في الأموات.

و ان كان الشرك في الاستعانة فلا يعتقدون لهم الاستقلال.

و ان كان الشرك في التسمية فليس له احتمال ههنا.

و ان كان في الامر والحكم والملك فهو راجع الى هذه الاقسام و اذا انتفى الشرك

بحذافيره فما معنى الشرك؟

و ان كان الشرك في اصطلاحهم فلهم ان يصطلحوا على ما شاؤوا ولا يكونون

ملزمين علينا كما لا يخفى على ذوى البصائر.

و بعد هذا فنقول قد قرب نصاب الدلائل في مسألة التوسل الى التكميل وعلم ان

التوسل بالانبياء والاولياء في الحياة الدنيوية والبرزخية كليهما جائزان بل التوسل

بآثارهم ووثابهم ايضاً ثابت كما علمت مما مضى، بل اشرف على التهانوى: نقل في

رسالته (الشفاء بنعل المصطفى) من كتاب (فتح المتعال في مدح خير النعال) للعلامة الحافظ

المحدث التلمساني رحمه الله عليه ان توسل احد بنقش نعل سيد الاحرار والعبيد فهو ايضاً

جائز.

و كذا نقله من رسالة (الاستبرار بنعل سيد الاحرار والعبيد) وذكر ههنا

طريق التوسل ومن نفع بالتوسل به وذكر اشعاراً ذوقية.

شعر:

يا طالباً تمثال نعل نبيه * ها قد وجدت الى اللقاء سبيلاً

فاجعله فوق الراس واخضعن له * وتغال واوله التقيلاً

من يدعى الحب الصحيح فانه * يثبت على ما يدعيه دليلاً

و ذكر له اثارا عجيبة الا ان العوام لما زاد غلوهم فيه حيث كتبوا الآيات القرآنية على نقش

النعل المبارك فخالف فيه مولانا المفتي كفاية الله الدهلوى رحمه الله فبعد بحث طويل

حكم اشرف على التهانوى المذكور بضبط الرسالة لأجل الغلو لا لأن ذلك التوسل غير جائز

كما يدل عليه كلام اشرف على التهانوى الى مولانا الدهلوى في آخر كلامه.

بيت:

ندانى كه مارا سر جنگ نيست * و گر نه مجال سخن تنگ نيست

فانظر الى هؤلاء العلماء الاعلام اصحاب الشريعة والطريقة والفقه والتصوف فانهم قائلون بالتوسل بنقش نعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان نقش نعله صلى الله تعالى عليه وسلم وشعره المبارك كما ذكر فيما سبق من الاحاديث الصحيحة وليكن هذا آخر ما كتبنا في مسألة التوسل الذى هو مقصد ثان و جزء ثالث من اجزاء الكتاب.

بيت:

من آنچه شرط بلاغ است باتودر گفتم * تو خواه از سختم پند گير و خواه ملال

و لنشرع في المقصد الثالث فنقول:

المقصد الثالث في التنقيد على ما ذكر في بحث الانكار من سماع الموتى في كتاب البصائر

فنقول سماع الموتى حق كما ثبت بالادلة الواضحة في المقصد الأول الذى سبق لاثبات سماع الموتى.

وما ذكر من الاستدلال في (ص: ٨) بقوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) الآية. النمل: ٨٠) و (...وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) فاطر: ٢٢

فنقول قد ذكر في المقصد الايل ان هذا التقريب غير تام لان الدعوى نفى السماع والدليل يدل على نفى الإسماع.

وان قلت ان نفى الإسماع مستلزم لنفى السماع بناء على قاعدة المطاوعة.

فنقول قد ذكرنا ان الإسماع مطلق ومطاوعة مطلق السماع وقد نفى ههنا إسماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه الخطاب مع النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم في كلا الآيتين ونفى الخاص لا يستلزم نفى العام فكيف يثبت نفى السماع المطلق والا فلم يقيد المفسر سماع افهام وقبول وكيف التطبيق مع الاحاديث الدالة على السماع كما في حديث (قريب بدر) وكما في حديث (انه لسمع فرع نعالهم) .
وان قلت انه في اول الوضع .

قلنا اولاً لا تخصيص في الحديث ولئن سلم فنقول الميت في اول الوضع ايضاً ميت ولذا قال عمر رضى الله تعالى عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ناداهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أ تكلم أجساداً بلا ارواح) فاذا كان في اول الوضع ميتاً فلم انه ايضاً مخالف لعموم النص فلا بد من التوفيق وهو ان يكون المراد بالسماع السماع المتعارف الذى يترتب عليه الجواب . والا فالشيخ الدهلوى والحافظ ابن القيم كيف قالوا بسماع الموتى .

اما كانت الآيتان معلومتين لهما وكذا لغيرهما من العلماء القائلين بسماع الموتى واما التشبيه فهو دليل لنا لان الموتى ان كانوا لا يسمعون مطلقاً كما قلتم فكيف التشبيه فان الكفار يسمعون وان كانوا لا يسمعون سماعاً يترتب عليه القبول والجواب فهو مطلوبنا .

وما قال (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ • الآية . فاطر : ٢٢)

فنقول لا يلزم من سماع الموتى مساواة الموتى مع الأحياء وان كان هذا قولاً بالمساواة . لزم القول بنفى ادراك العذاب والثواب والا يلزم المساواة مع انهم قالوا بادراك الميت العذاب والثواب فكما ان نفس ادراك الثواب والعذاب من الميت لا يستلزم المساواة فكذا نفس السماع ايضاً لا يستلزم المساواة فان بين الأحياء والأموات تفاوتاً من وجوه :

وما ذكر من قول الامام الرازى في (ص : ٩) ان الاحياء لا يساويون الاموات .

فنقول بموجبه ودعوى السماع لا يلزم المساواة .

وما ذكر من قول الامام الرازى يرحمة الله عليه ان الميت لا يدرك شيئاً .

ان كان على عمومه الظاهر من وقوع النكرة في سياق النفي لزم عدم ادراك

العذاب والثواب والتالى باطل فالمقدم مثله فلا بد من التقييد .

وما ذكر في (ص: ١٠) ان عدم سماع الموتى موافق لاصول الحنفية رحمة الله

عليهم

فنقول اصول الحنفية انما هي مسائل الأيمان بان حلف احد لا يكلم فلانا و
لا يضربه فكلمه و ضربه بعد الموت لا يبحث لان الميت لا يسمع ولا يتألم. فنقول اجاب عنه
صاحب (المرقاة) في (شرح المشكاة) ان مبنى الأيمان على العرف فالمراد نفى الآلم المتعارف
والسماع المتعارف فهذه المسائل مبنية على اصول الحنفية ان مبنى الأيمان على العرف لا على
ان الميت لا يسمع ولا يتألم مطلقاً لانه قد ورد (كسر عظام الميت ككسرها حياً) ومن لزومه
الايلام كما ذكر سابقاً مفصلاً.

وما قال في (ص: ١١) ان نفى الاصل يستلزم نفى الفرع.

فقد ذكر الجواب عنه آنفاً و سماع الموتى لا يكون الا باسماع الله تعالى كما قال

(... إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ الْآيَةُ ۚ الْفَاطِرُ ۚ: ٢٢)

وما قال ان مشيئة الله لا سماع الموتى غير معلومة لنا.

فنقول اذا كانت الدلائل دالة كيف لا يكون معلوماً و لذا قال الحافظ ابن عبد
البر ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ما من مسلم يَمُرُّ على قبر اخيه كان
يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه حتى يرَدَّ عليه السلام) فهذا نص في انه
يعرفه ويردّ عليه السلام نقله الحافظ ابن القيم (في كتاب الروح ص: ٤). وكذا قال
الحافظ قد شرع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على الاموات والخطاب معهم ولولا
ذلك لكان الخطاب بمنزلة الخطاب مع المردوم والجماد والسلف مجمعون على هذا. وقد
تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف زيارة الحى ويستبشره و لذا انعقد ابن ابى الدنيا في
(كتاب القبور) باباً سماه باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء ثم ذكر الحافظ ابن قيم في هذا
روايات كثيرة من (ص: ٥، الى ص: ١٣).

وما ذكر في (البصائر ص: ١٣) فيكون الميت هناك بعد سؤال الملكين ميتاً

بلا روح.

فنقول ان كان المراد بلا تعلق روح اصلاً فممنوع لما ثبت ان للروح تعلقاً بالروح

ولذا يقبلاً. يصلّى ويتفاوت ذلك المتعلق بحسب تفاوت المراتب كما نقلت سابقاً من

(المراقبة) و (المظهرى) وان كان بلا تعلق روح كناية الدنيوية فذلك لا يضرنا.

وما قال في (ص: ١٥) ان اخبار الآحاد لا يخص النص.

فنقول ان كان الانكار عن سماع الموتى مطلقا سواء كان في اول الوضع او في بقاء الوضع فذلك مردود عليه برواية (قريب بدر) كما في حديث الصحيحين (وان الميت يسمع قرع نعالهم) كما في (صحيح مسلم) وان كان الانكار عن سماع الموتى بقاء والاقرار به ابتداء فنقول قد سلم تخصيص العام وان كان ابتداء والعام اذا خص او لا يخص ثانيًا بدليل ظنى كما ثبت في كتب الاصول في بحث العام فعلم ان هذا موافق لأصول الأحناف لا مخالف. نعم مخالف لاصولك ولا تلزمنا.

وما قال في (ص: ١٦) ان اكثر الروايات في سماع الموتى فيهم الموضوعون وما ثبت فقد ردتها عائشة رضى الله تعالى عنها.

قلنا قد ذكرنا ان انكار عائشة رضى الله تعالى عنها كان مستندا الى النص لكون الحديث مخالفاً للكتاب وقد ذكرنا انه لا مخالفة، علي ان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه صرح برجوع عائشة رضى الله تعالى عنها كما نقله من (المواهب اللدنية) والعجب انه ينظر اينكار عائشة رضى الله تعالى عنها ولا ينظر الى اقرار غيرها. أما كان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه عالما بالمذهب كما ذكر في السابق.

وما ذكر في (ص: ١٥) ان احاديث القراءة خلف الامام تبلغ حد الشهرة مع ان الامام رحمة الله عليه لا يخص النص بل يطلق على العموم فماذا لهذا المثبت للسمع بترك اصول مذهبه.

قلنا الاحاديث في باب القراءة خلف الامام معارضة لاحاديث أخر من قوله عليه الصلوة والسلام (من كان له امام فقراءة الامام قراءة له) وقوله عليه الصلوة والسلام (انما جعل الامام ليؤتم به) وقوله عليه الصلوة والسلام (ما لي أنزع في القرآن) الى غير ذلك من الاحاديث والآثار وكذا قوله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الاعراف: ٢٠٤) فلذا قال الامام بعدم القراءة خلف الامام مع ان في بعض الآثار الوعيد على القراءة خلف الامام لا ان عند الامام الاعظم العام يخص بالخبر المشهور فان علماء الاصول صرحوا بان الخبر المتواتر بجوز به نسخ القرآن اصلا وصفاً. والخبر المشهور يجوز به

النسخ وصفاً اى نسخ العموم والاطلاق لا اصلاً، والخبر الواحد لا يجوز به النسخ اصلاً، لا اصلاً ولا وصفاً وهذا مما لا يخفى على من له ادنى مس بكتب الأصول. الا ترى ان الأحناف يقيّدون قوله تعالى (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ البقرة: ٢٣٠) بالدخول بنكاح صحيح بحديث الوسيلة لان العلماء تلقته بالقبول. والعجب انهم كيف يتمسكون لدعاوهم بلوازم بعيدة.

وما قال ان معنى السماع، العلم.

فنقول سياق حديث (قريب بدر) يأبى هذا التأويل لانه عليه الصلوة والسلام قال في جواب عمر رضى الله تعالى عنه (والذى نفسى بيده ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن لا يسمعون) فانه عليه الصلوة والسلام لما قال (ما انتم باسمع) والظاهر انهم كانوا يسمعون قوله عليه الصلوة والسلام فكذا الموتى. وانكار عائشة رضى الله تعالى عنها انما هو عن تلك الرواية وهذا على تقدير عدم الرجوع وقد نقلنا سابقاً عن الشيخ ان في مغازى^(١) محمد بن إسحاق باسناد جيّد ومن الامام احمد باسناد حسن روى حديث عمر رضى الله تعالى عنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضاً فهذا دليل على رجوعها. (اشعة اللمعات ج: ٣، ص: ٣٧٤) على انه ان سلم العلم للموتى والعلم بالمسموعات ايضاً داخل في العلم كالعلم بالمبصرات الا انه لا يكون على وجه الإسماع والابصار وهذا على تقدير خراب البدن على ان خراب بدن الكل بطريق الايجاب الكلى في حيز المنع كما مرّ من (المظهرى) وغيره سلامة اجسام الانبياء عليهم الصلوة والسلام والملحقين بهم.

وما قال انها تأولت بالعلم اى يعلمون بالعذاب لا انهم يسمعون بالاذن.

فهذا التأويل جدير بان يضحك به لان انكار عمر رضى الله تعالى عنه هل كان عن العلم بالعذاب ام عن السماع حيث قال يا رسول الله اتكلم اجساداً بلا ارواح. فانكاره كان عن التكلم حيث قال انهم لا يسمعون كلامك فإى فائدة فيه فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر له انهم يسمعون بطريق ابلغ. والظاهر ان هذه الواقعة كانت عند حضور اشخاص كثيرة لانها واقعة (غزوة بدر). وما انكر على عمر رضى الله تعالى عنه في رواية الحديث احد غير عائشة رضى الله تعالى عنها وانها ما حضرت تلك الواقعة فالعجب من هذه التأويلات المستبشرة واذا كان سماع الموتى أمراً مخالفاً عن مذهب الاحناف

(١) محمد بن اسحاق امام الانمة توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور

كيف قال الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه.

وبالجملة الكتاب و السنة مملوءان بالاخبار والآثار الدالة على العلم للميت فلا ينكره الا جاهل او منكر عن الدين. (ج: ٣، ص: ٣٧٤) أ ينسب الجهل والانكار عن الدين الى الاحناف قاطبة كلا وحاشا.

وما قال فى (ص: ١٧) انه عليه الصلوة والسلام نهى ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال (لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون، تؤذون الاحياء.) وضم الشيخ معه الضميمة بان هذه الرواية تدل على انهم لا يسمعون. فنقول اولاً ان هذا حديث مرسل وحديث عمر رضى الله تعالى عنه الدال على السماع مرفوع.

وثانياً انه لا يعلم ان ذلك السب كان عند قتلى بدر قريباً و آظاھر ان هذا كان بعيداً اذ فى صورة القرب قال عليه الصلوة والسلام (ما انتم بأسمع من هؤلاء) ولاندعى السماع من اى مكان.

وثالثاً انه عليه الصلوة والسلام قال (لا يخلص اليهم) اى لا ضرر لهم بسبكم لانهم فى عذاب عظيم لا انهم لا يسمعون.

وما قال انه نزل قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى * الآية. النمل: ٨٠) فى خطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقتلى بدر بانهم لا يسمعون كلامك.

فاعجب العجائب اذ فى المتفق عليه (ما انتم بأسمع من هؤلاء) بل كان من الضروريات ان ينبه عليه ليثبت الرجوع عن الكلام السابق.

وايضاً لا معنى لبحث عائشة رضى الله تعالى عنها بل تقول رأساً ان الآية نزلت فى رد كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الكفار فالعجب كل العجب.

على ان على القارى صرح فى (ج: ٣، ص: ٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فانها تسير فى ملكوت السموات والارض وتسرح فى الجنة حيث شاء وتأوى الى قناديل تحت العرش ولها تعلق ايضاً بجسده تعلقاً كلياً بحيث يقرأ ويصلى الى ان قال فلا يشكل شيء منها بالآيات بل صرح العلامة القارى بانه لا تباعد من الاولياء حيث طويت لهم الارض و حصل لهم ابدان مكتسبة و وجدوها فى اماكن مختلفة فى آن واحد اهـ . مرقاة (ج: ٢، ص: -

(٣٤٢) فبعد هذا لا استبعاد في سماع الموتى.

على انا نقول ان كان المراد من نفى السماع السلب الكلى لدخل فيه الانبياء عليهم الصلوة والسلام والتالى باطل لما ورد (ان نبي الله حى يرزق) وكما قال عليه الصلوة والسلام (صلوا على فان صلوتكم تبلغنى حيث كنتم). وورد (ان كان بعيدا ابلغته وان كان قريبا سمعته) الى غير ذلك واذ ثبت صلاة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فى القبر كما فى (حديث المعراج). وتلاوة (سورة الملك) من القبر كما فى حديث رواه الترمذى. وذكره صاحب (المشكاة).

وإذا ثبت ذلك في الانبياء عليهم الصلوة والسلام فالأولياء ملحقون بهم كما قال الامام الغزالي رحمه الله عليه من انكر طور الولاية انكر طور النبوة.

و كما دل عليه الترتيب في قوله تعالى (... فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا * النساء: ٦٩) كما ذكر
سابقاً من (المظهرى) مفصلاً.

و ان كان السلب الجزئى فذلك لا يضرنا فانا لاندعى ان الاموات بقضهم و قضيفهم يسمع فى كل وقت فوجب قول من قال ان الميت لا يسمع بقيد سماع كلى او متعارف و الا فما يفعل بالروايات و المشاهدات و الآثار و الاخبار.

وما ذكر في (ص: ١٨) من شهادة هشام بن العاص ووقوعه على ثلثة وآباء المسلمين ان يطمأ جثته بالخيل وقال عمرو بن العاص انه استشهد ورفع روحه وانما هي جثة فوطأها ثم اوطأه وتبعه الناس حتى قطعوه نقله من (شرح الصدور).

فنقول أولا كيف يتمسك بما ذكر في (شرح الصدور) فان امثال هذا الشيخ لا يعبأون بقول السيوطي سيما في (شرح الصدور).

و ثانيا ان كان قوله في (شرح الصدور) قابلا للتمسك فلعله ما رأى في شرح الصدور (باب احوال الموتى في قبورهم وانسهم فيها فهم يصلون فيها ويقرؤون ويتزاورون و يتنعمون و يلبسون) (ص: ٧٤).

ولعله ما رأى قوله في شرح الصدور (باب زيارة القبور و علم الموتى بزوارهم و

رؤيتهم لهم) فلمل بصره ما وقع في (شرح الصدور) على تلك الابواب و غيرها بل وقع بصره على واقعة هشام بن العاص حيث وطأت جثته بالخيّل والمثل المشهور كيف انتلبق ههنا على الشيخ ان صاحب الغرض و يحرق الطين و كما قيل في البلاغة تشبيه اظهار المطلوب كما يقول الجائع (وجه زيد كالرغيف).

وثالثا ان هذه حكاية حال لاعموم لها فكيف يتمسك بها في العمومات.
ورابعاً انه كان هناك ضرورة عامة حيث كان سبباً لسد المؤمنين و (الضرورات تبيح المحظورات).

وخامساً هل يعتقد الشيخ ان وطأ جسد المؤمن سيما الشهيد بالخيّل جائز فان كان يعتقد جوازه فهذه عقيدة تليق به و كشفت عقيدته من حيث لا يدري ولا تليق هذه العقيدة بشان جاهل فضلاً عن فاضل مثل هذا الفاضل.

شعرة: انت بما عندك ونحن بما عند * مدنا راض والرأى مختلف

و ان كان لا يعتقد جواز ذلك فكيف يتمسك في المواقع العامة.
وسادساً انه ما يفعل بقوله عليه الصلوة والسلام (كسر عظام الميت ككسرها حياً) قال الطيبي^(١) اشارة الى انه لا يهان الميت قال ابن الملك: و الى انه يتألم الميت. قال ابن حجر: و من لوازمه انه يتلذذ.

وسابعاً الميت اهل الادراك كما في حديث عائشة رضی الله تعالى عنها حياء من عمر رضى الله تعالى عنه قال الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه، فيه دليل واضح على ادراك الميت و اذا كان اهل الادراك كيف يجوز وطؤه بالخيّل.

وثامناً ورد (ولا تؤذ صاحب هذا القبر) قال عليه الصلوة والسلام عند اتكاء احد الى القبر (ولاشك ان ابداء وطئ الخيّل اكثر من الاتكاء الى القبر) فعلم ان فعل عمرو بن العاص كان لاجل الضرورة ولا يصير تمسكاً عاماً كما يتمسك به الزائفون.

فعلم ان ما يدل على نفى الافهام والايلام والاسماع فالمراد منه ما يكون متعارفاً لا مطلقاً لينطبق الدلائل فان الاصل في الدلائل الاعمال دون الالغاء والاهمال.

و ما ذكر من حديث عبد الرحمن بن كعب من اهداء ام بشر السلام لاحد حين كان كعب محتضراً حيث ذكر فيه ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر و ذكر معه

الشيخ الضميمة كما هو دأبه ان هذا الحديث يدل على ان ارواحهم في حواصل طيور معلقة بشجر فكيف يسمع.

قلنا في اهداء السلام لاحد بذريعة المحتضر دليل لنا ان الموتى يلاقون تلاقيا روحانياً كما ذكر العلامة السيوطى في (شرح الصدور) و ذكر سابقا وتعلقه بشجر الجنة ليس دائما بل ذكر القارى ان ارواح المؤمنين تسير في ملكوت السموات والارض. كيف ورد اتيان الشهداء لجناتة عمر بن عبد العزيز كما ذكره العلامة السيوطى في (شرح الصدور) من اراد الاطلاع فليطالع ثمة.

وايضا ذكر اشرف على التهانوى في كتابه (بزم جمشيد) ان جده استشهد في غزوة و كان يأتى جدته بعد الوفاة ويعطيها شيئا للصبيان ويقول لها لا تخبرى احدا فلم انهم يجيئون الى الارض والدار فكيف يتم استدلال الشيخ المنكر.

وايضا قد ذكر العلامة السيوطى باب معرفة الميت من يغسله ويجهزه و سماعه ما يقول فيه وما يقال له والجناتة مارة.

وايضا ذكر الامام البخارى رحمه الله عليه ان الميت ان كان من اهل السعادة فيقول (قديمونى قدمونى) وان كان غير ذلك يقول (يا ويلها اين تذهبون بى) يسمعه كل شئ الا الثقلين. فلم ان الروح ما انقطع تعلقها بالكلية حتى يتم استدلاله. وما ذكر في (ص: ١٨) ان الجسم يفنى وياكله التراب.

فنقول لانسلم هذا على طريق العموم فان اجساد الانبياء عليهم الصلوة والسلام محرمة على الارض ان تاكلها كما في الحديث و كذلك اجساد الشهداء كما نقل سابقا عن (المظهرى) فكيف يصح هذا على سبيل الاستغراق.

وايضا ذكر الحافظ ابن قيم في (كتاب الروح ص: ٥) وقد شرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على اهل القبور سلام من يخاطبونهم فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين). وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به فان الحافظ ادعى التواتر والاجماع في ذلك فكيف سبيل الانكار وكذا قول الامام الغزالى رحمه الله عليه تسلب منه اعضائه اه.

وما ذكر من التمسك بقول الخازن في (ص: ١٩): فغريب غاية الغرابة لأن الخازن صوفى وهم يقولون في شأن الصوفية ما يقولون حيث يقولون هم اكذب عباد الله. على انه ما وقع بضربه على قول الخازن في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْحُجَرَاتِ: ٣) قال انس رضى الله تعالى عنه فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة رضى الله تعالى عنه ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت و عليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلاناً رجلاً من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو في ناحية من المعسكر عند فرس يستن في طبله وقد وضع على درعى برمته فأبّ خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأبّ ابا بكر رضى الله تعالى عنه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان على ديناً حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالداً فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر رضى الله تعالى عنه بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر رضى الله تعالى عنه وصيته. قال مالك بن انس رضى الله تعالى عنه لا اعلم وصية اجيزت بعد موته الا هذه. (خازن ج: ٤، ص: ١٦٥). فان هذه كرامة بعد الممات فلم لا يسلم الكرامة بعد الممات.

ومثل ذلك ذكر الحافظ ابن قيم في (كتاب الروح) وأقعات كثيرة وقد ذكرت نبيذ منه سابقاً من اراد التفصيل فليراجع الى (كتاب الروح).

وما ذكر من الاقوال المختلفة في الروح في (ص: ٢٠ و ص: ٢١).

فنقول على كل تقدير للروح في البرزخ تعلق بالجسد كما ذكر مراراً وصرح به الحافظ ابن قيم وعلى القارى ولذا يقرأ ويصلى كما في الاحاديث الصحيحة. واما قوله في (ص: ٢٢) فهل ينزلون الى الدنيا وخساستها والى السجن الذى تفارقت منها اهل.

فنقول اذا ثبت من الروايات رجوع الروح الى الدنيا فإى استبعاد فيه وقد نقلنا سابقاً عن الحافظ ابن قيم ان للروح حركة سريعة ترجع فى لحظة واحدة. وقد ذكر الحافظ

في (ص: ١٠). فهذا علم باتكائه وبصلاته وهكذا آثار كثيرة وهذا ليس اثباتاً بالرؤيا فقط بالحجج وقد ثبت في الصحيح ان الميت يستأنس بالمشييعين لجنازته بعد دفنه كما ورد في حديث مسلم طويل حتى استأنس بكم ولذا ورد القراءة في القبور (ص: ١٢-١٣).

وما ذكر من الرد على ما استدل به على سماع الموتى حيث قال ان المستدلين لسماع الموتى ينسبون الى كتب الاحاديث التي لم يشترطوا الصحة والثبوت فيما يرون و قال ان مجرد روايتهم الحديث ليس تصحيحاً له لا توثيقاً اهـ.

فينقول ان مجرد الرواية وان لم يكن توثيقاً الا انه لما كان الراوى من الأئمة المتقين كما قال صاحب (المشكاة) في خطبته كما رواه الأئمة المتقنون والثقات الراسخون وعد بعضهم فكيف لا يكون ذلك توثيقاً فان نقل الثقة كالاسناد كما قال صاحب (المشكاة) في خطبته وان كان نقله وانه من الثقات كالاسناد وقد قال الحافظ ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ما من مسلم يمر على قبر اخيه وكان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام). (كتاب الروح ص: ٤) فانظر الى كلام الحافظ عبد البر انه قال ثبت وهذا ليس الانسديداً وتوثيقاً.

وما قال في (ص: ٢٥) ان حديث (قريب بدر) غير ثابت من حيث المعنى حيث روته عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى (أَنْتَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى * الآية. النمل: ٨٠) و (...وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ * فاطر: ٢٢).

فنقول اولاً الحديث المذكور في الصحاح و رواه عمر رضي الله عنه و رد عائشة رضي الله تعالى عنها انما كان لاجل انه مخالف للقرآن وقد علم انه لا مخالفة فان الإسماع غير السماع وان كان مجرد المخالفة بحسب الظاهر موجبا لعدم الثبوت من حيث المعنى فهذا افتتاح باب عظيم. الا ترى ان حديث (لا صلوة الا بفاتحة الكتاب) مخالف ظاهراً لعموم قوله تعالى (...فَأَقْرَأُوا مَا تَسْرِمْنَ الْقُرْآنَ * الآية. المزمل: ٢٠) وامثال هذا كثيرة.

واما ثانياً فقد ذكرنا سابقاً عن (المواهب اللدنية) ان عائشة رضي الله تعالى عنها زوت حديث عمر رضي الله تعالى عنه باسناد جيد فعلم رجوعها فاين ردها فان الاعتبار للقول الاخير فكيف عدم ثبوت الرواية من حيث المعنى كما قاله المنكر.

و اما ما قال انه قال على سبيل الموعظة للاحياء لا لافهام الموتى.
فنقول كيف يصح هذا التاويل مع سؤال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله
أتكلم اجساداً بلا ارواح؟ فقال عليه الصلوة والسلام في جوابه (والذى نفسى بيده ما انتم
باسمع من هؤلاء ولكن لا يسمعون) فهذا نص في ان الخطاب كان للافهام والآل قال عليه
الصلوة والسلام قلت موعظة للاحياء مع ان الخطاب للاموات بطريق الموعظة للاحياء
لا استبعاد فيه فكيف استبعاد عمر رضى الله تعالى عنه فهذا ليس الا اخراجاً للحديث عن
مفاده بل هو تحريف معنى.

و اما القياس على قول على رضى الله تعالى عنه للاموات دياركم سكنت اهـ.
فنقول النزاع في المقيس كالنزاع في المقيس عليه فان الخطاب انما هو للافهام على
ما مر من الحافظ ابن قيم ولذا ورد في طريق (فاخبرونا، ايها الصامتون). وايضاً في لفظ
(هذا خبركم عندنا فما خبرنا عندكم) في قول على رضى الله تعالى عنه و لفظ (ما انتم باسمع
من هؤلاء ولكن لا يسمعون) في قول النبی صلی الله تعالى عليه وسلم فارق بين قياسي
احدهما على الآخر قياس مع الفارق والا فنقول بطريق القلب، الخطاب في قوله عليه الصلوة
والسلام للإفهام فيكون في قول على رضى الله تعالى عنه ايضاً للافهام.
و اما ما قال بانه مخصوص،

فقد رده الشيخ الدهلوى رحمه الله عليه بانه لا دليل على التخصيص و اى باعث
على التخصيص.

و ما قال أنه تعالى احياهم.

فنقول هذا ايضاً يخالف لجوابه عليه الصلوة والسلام والآل قال عليه الصلوة و
السلام لعمر رضى الله تعالى عنه ما هذه اجسام بلا ارواح بل ردت الارواح وايضا مع رد
الروح لا استبعاد ولذا قال بهامش (فتح القدير) بعد ما قال و كان هذا على سبيل الوعظ
للأحياء لا على سبيل الخطاب للموتى والجمادات وفيه بحث لانه يرده تنمة القصة
لوصحت فعلم ان ما ذكره مبحوث فيه انتهى. (حاشية فتح القدير ج: ٤، ص: ٦٢).

وما ذكر في (ص: ٢٦) انه كانت وقت المسئلة ووقتها اعادة الروح وحديث

عائشة رضى الله تعالى عنها محمول على غير وقت المسئلة فبهذا يتفق الخبران.

فنقول اعادة الروح الى الجسد وقت السؤال ليست بمتفق عليها بل فيها قولان: احدهما انه باعادة الروح واثانيهما لا، على انه على تقدير اعادة الروح يلزم المناقاة مع قوله تعالى (...وَبَنَّا آمَنَّا اُنْتَيْنِ وَاَخْبَيْتُنَا اُنْتَيْنِ * الآية. المؤمن: ١١) كما يعترض الشيخ في مقام ولعله ذهل عن ذلك.

وما قال في (ص: ٢٧) ان في الفاظ الحديث (انهم الآن يسمعون ما اقول لهم) وايد بقول السيد الشريف الجرجاني ان ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص.

فنقول تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على النفي عما عداه في النصوص، نعم، يدل في الروايات. الا ترى ان ذلك ذكر في الوجوه الفاسدة، نعم يفهم من الحديث انهم يسمعون الآن وغير الآن مسكوت عنه لا تعرض له لا نفيا ولا ثبوتا ولذا نقول بالغسل بالإكسال مع ورود قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الماء من الماء) فانظر كيف اغمض عن قواعد الاحتاف.

ثم لا ادري ما معنى قوله (يسمعون ما اقول لهم) قضية مهملة في قوة الجزئية فان الجمع ظاهر في العموم وما ايضا من الفاظ العموم فلا ادري بمعنى المهملة في قوة الجزئية ههنا على انه ورد (ما انتم باسمع من هؤلاء) فانها جملة اسمية، تدل على الدوام والثبات كما تقرر في موضعه والمضارع ايضا يدل على الاستمرار التجددى كما في قول الشاعر:

بيت:

او كما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

وما قال في (ص: ٢٨) ان النص قطعى الدلالة على نفي السماع والحديث ظنى الدلالة فكيف يخص النص.

فنقول ان الآية دالة على نفي الإسماع لا على نفي السماع ومن الحديث يعلم نفس السماع فلا دلالة للآية على نفي السماع فضلا عن ان يكون قطعى الدلالة والجواب عن المطاوعة قد مر.

وما قال ان النفع فرع للسماع لا لعدم السماع فالظاهر انه سهو واصل العبارة هكذا وعدم النفع فرع لعدم سماع الموتى وهذا ايضا فاسد فانه لا لزوم لعدم النفع مع عدم

السمع، الا ترى ان الكفار يسمعون ولا ينتفعون نالن اللزوم والفرعية؟
وما قال ان الضمير فى (لا ينتفعون بمسموعهم) فى عبارة المدارك راجع الى الكفار
والمستدلون يرجعون الى الموتى فهذا ارجاع الى غير مرجعه.

فنقول الظاهر ان الضمير راجع الى الموتى لان ارجاع الضمير الى القريب اولى من
البعيد ولا شك ان الموتى قريب لان عبارته هكذا: شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون
بمسموعهم فان الموتى اقرب من الكفار الى المرجع ولئن سلم ان ضمير لا ينتفعون راجع الى
الكفار فيكون المعنى ان الكفار يسمعون ولكن لا ينتفعون. فيكون الموتى كذلك اى يسمعون
ولكن لا ينتفعون بمسموعهم.

وما قال فى (التنقيذ) على حديث (ما من رجل يمر على قبر اخيه) انتهى ان فيه ابن
سمعان وهو كذاب.

فنقول انه قد مر ان الحافظ ابن قيم ذكر فى (كتاب الروح) ان الحافظ ابن عبد
البر قال ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يمر على قبر اخيه) فلو كان مدار
الحديث على ابن سماعيل فقط لما قال الحافظ بن عبد البر رحمة الله عليه ثبت عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم مع كون ابن سماعيل كذابا فعلم ان للحديث طرفاً.
وما قال من المنام (ص: ٢٩).

فنقول كيف ثبت كذب الراوى بالنوم فان النوم لا يثبت عنده شيئاً سيما كذب
الراوى فهذا مخالف عن اصله.

وما قال فى (ص: ٣٢) ان حديث (خفق النعال) مختص باول الوضع.

فنقول التخصيص قد رده الشيخ الدهلوى رحمه الله القوى وقال اى داع الى
التخصيص و اى مانع من التعميم ولئن سلم التخصيص مرة باول الوضع فنقول ان الميت
اول الوضع ايضاً ميت فعلم تخصيصه من (انك لا تسمع الموتى) وقد ثبت فى الاصول ان
العام اذا خص مرة فيخص ثانياً بدليل ظنى لصيرورته ظنياً.

اقول علم منه جواب قوله ان المسئلة من الاعتقادات لا يكفى فيه الدليل الظنى
لان سماع الموتى كما انه من الاعتقادات يقتضى دليلاً كذلك عدم سماع الموتى ايضاً من

الاعتقاديات لا يثبت بدليل ظني و العام المخصوص البعض ظني فتأمل و تبصره لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وما قال ان (سمع خفق النعال) كناية عن سرعة آتيان الملك.

فنقول سلمنا انه كناية الا انه لا مانع في الكناية عن ارادة المعنى الحقيقي بخلاف المجاز وهذا هو الفرق بين الكناية و المجاز فان المجاز فيه قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي بخلاف الكناية كما في (رأيت اسدا يرمى) فانه مجاز و (زيد طويل النجاد) فانه كناية و لذا قالوا الكناية كالمركب و المجاز كالمفرد فان قلت كما لا مانع من ارادة المعنى الحقيقي كذلك لا باعث فكيف يثبت سماع الموتى قلنا الباعث هو النظر الى الدلائل الاخرى كما عرفت.

وما قال في (ص: ٣٣) ان حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حياء من عمر رضى الله تعالى عنه رواه الحاكم وهو رجل شيعى و مجرد رواية الحاكم لا ينهض للاستدلال.

فنقول ان الحديث ما رواه الحاكم فقط بل رواه احمد رحمة الله عليه ايضاً كما في (المشكاة) فاذا رواه من هو جبل في الحديث كيف لا ينهض حجة.

وايضاً على تقدير كون الحاكم شيعياً كيف يرد روايته فانه ذكر في اصول الحديث ثم البدعة اما ان تكون بمكفر او بمفسق فالاول لا يقبل صاحبها الجمهور و قيل يقبل مطلقاً و قيل ان كان لا يعتد حل الكذب لنصرة مقالته قبل و التحقيق انه لا يرد كل مكفر ببسدة لان كل فرقة تدعى ان مخالفيها مبتدعة و قد تبالغ فتكفر مخالفيها فلو اخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم ذلك تكفير جميع الطوائف فالمعتمد ان الذى ترد روايته من انكر امراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة و كذا من اعتقد عكسه فاما من لم يكن بهذه الصفة وانضم الى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه و تقواه فلا مانع من قبوله. (نزهة النظر ص: ٧١-٧٢) فانظر الى احتياط المحدثين كيف حكموا بعدم رد رواية صاحب بدعة مالم يكن فيه انكاراً من ضروريات الدين و اى انكار من ضروريات الدين لو ثبت علم الميت او سماعه كما لا يخفى.

وما قال ثانياً في (ص: ٣٤) ان هذا الحديث خلاف ما روى عن عائشة رضى الله

تعالى عنها فانها انكرت سماع الموتى كما روى (البخارى فى كتاب المغازى).
فنقول هذا دليل رجوع عائشة رضى الله تعالى عنها عن الانكار كما ان رواية
حديث عمر رضى الله تعالى عنه دليل الرجوع بل حديث انكار عائشة رضى الله تعالى عنها
عن سماع الموتى مخالف عن هذا الحديث لما ان فى هذا الحديث علم الميت والحديث
للامام احمد رضى الله تعالى عنه الذى هو جيل فى الحديث ومن شيوخ البخارى.
وما قال ان السترم اقارب عمر رضى الله تعالى عنه لو كانوا هناك للزيارة لان
لهم حق ان يأتوا حينئذ لا ان عمر رضى الله تعالى عنه يرى من تحت الارض ويسد نظره
بثوب رقيق.

فلا يخفى ما فيه من الحزاة فان سياق الحديث ياباه حيث قالت كنت ادخل
بيتى الذى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانى واضع ثوبى و اقول انما هو
زوجى و ابى فلما دفن عمر رضى الله تعالى عنه فوالله ما دخلت الا و انا مشدودة على
ثيابى حياء من عمر رضى الله تعالى عنه فانه نص على ان المراد منه الحياء من نفس عمر رضى
الله تعالى عنه لا من اقاربه كيف والحياء من اقارب عمر رضى الله تعالى عنه لا تخصيص
له بهذا المقام بل عام على ان لا اقارب عمر رضى الله تعالى عنه حق الدخول فى الروضة
المباركة بعد دفن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لان زيارته عليه الفلوة والسلام
افضل القربات لكل مؤمن فيه حق و لذا ورد الوعيد فى حق تارك الزيارة مطلقاً.
و اما قوله ان عمر رضى الله تعالى عنه يراها من تحت تراب و لا يراها من تحت
ثياب رقيقة.

فنقول: هذا ناش من الوهم لان فيه انكارا عن الكشف و الكرامات، الا ترى ان
سارية رضى الله تعالى عنه رآه عمر رضى الله تعالى عنه فى جبل نهاوند بمسافة طويلة اما
كانت البنيان و الجبال مانعة له فان قلت ان ذلك كان حين الحياة و كلامنا بعد الممات
قلنا هذا راجع الى الانكار عن الكرامة بعد الممات وقد ذكرنا فى (النكات) و عن قريب
ايضا بحواله الخازن والستر لازم بقدر الامكان. ألا ترى ان الصفوف المتأخرة يراها النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من المقدم كما قال (انى اراكم من خلفى) فلزم ان لا يسترها

انفسهم بالثياب. فانظر الى هذه التوهّمات المستبشعة و التكلّفات البائدة الركيكة لمثل هذا الشيخ..

وما قال في (ص: ٣٥) ان الستّر كانت كما يستّر الجنّازة للمرأة ان الميت لا يجب عليه الستّر وانما يجب الستّر على الاحياء فالاحياء يسترون جثة المرأة المتوفاة فكذلك عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تعامل مثل ذلك مع عمر رضى الله تعالى عنه لا ان عمر رضى الله تعالى عنه كان يراها.

ولا يخفى ما فيه من التكلّف و القياس مع الفارق فان الستّر انما يجب في صورة الجنّازة لئلا يراها احدٌ فما معنى الستّر وما معنى الحياء من عمر رضى الله تعالى عنه فعلم ان الستّر انما كان لاجل انه يراها عمر رضى الله تعالى عنه.

وما قال ان ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها كانت تستر من الاعمى. فنقول انما كانت تستر من الاعمى لانها كانت تراه وان كان هو لا يراها كما يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام (أفعميا وان انتمأ...) واذ كان عمر رضى الله تعالى عنه لا يراها كما هو مزعوم المنكر و عائشة رضى الله تعالى عنها ايضاً لا تراه لكونه في القبر فما معنى الستّر و الحياء.

وما قال ان المراد من الستّر انها كانت تعامل مع عمر رضى الله تعالى عنه مثل معاملة الاحياء فيما بينهم احتراماً و حياء.

فلا يخفى ان الاحترام و الحياء لا يكون مع الجمادات و الا لكانت تستر من الجمادات على زعم المنكر و التالى باطل فالمقدم مثله.

وما ذكر ان هذا كان مثل عدم الدخول من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر عمر رضى الله تعالى عنه لاجل غيرة عمر رضى الله تعالى عنه.

فلا يخفى ان الغيرة له دخل في دخول حريم احد سواء كان هو في حريمه او لا بخلاف الحياء فانه لا بد فيه من الحضور لمن يستحيى و لمن يُستحيى منه فكيف هذا القياس.

وما ذكر ان هذا مثل ما يكره الاستقبال في البول و الغائط نحو القبلة لا ان القبلة يرى ذلك.

فالمعجب كل المعجب من هذا القياس لان الاستقبال بالبول و الغائط ينافى احترام القبلة الواجب لان فيه اساءة الادب بخلاف استقبال عائشة رضى الله عنها لعمر رضى الله عنه فانه لا يكون فيه اساءة الادب بل لولم يكن المانع للردية لكان هذا عين الادب. و ايضا القبلة لا احتمال فيه ان ترى احداً، على انه لم يرد في عدم الاستقبال الى القبلة و عدم الاستدبار اليها حياء من القبلة بل ورد (لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها و لكن شرقوا او غربوا) فانظر الى هذا القياس الموحش و لواهب عمرى ان القياس مع الفارق مركزوز في عقل الشيخ المسخر للوهم كما ان قياس الغائب على الشاهد مركزوز في عقول المعتزلة.

وما قال ان المراد حياء من عمر رضى الله عنه لو كان هناك. فحاله ظاهر من توجيه اقارب عمر رضى الله عنه لو كانوا هناك لو لم يذكره لكان اولى اذ لا فائدة فيه الا التطويل و تسويد القرطاس و اتعاب الكاتب كما لا يخفى.

تنبيه

قد نقلت عبارات الشيخ للرد كما هي إن غلطاً فغلط و ان صحيحاً فصحيح ليكون النقل مطابقاً للاصل و الا فبعض المواضع غير صحيحة من حيث العربية كما في قوله (المرأة المتوفاة) وقوله (لا ان القبلة يرى) وامثالهما ولعله يصدق عليه المثل السائر ان من لا يعرف الفقه قد صنف فيه كتابا ويدل ذلك اما على قلة التفات الشيخ الى قواعد العربية او عدم ممارسته اياها.

وما قال ان المراد من الحياة في قوله تعالى (... بَلْ أَخْيَاءَ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ البقرة : ١٥٤) النضرة و السرور لا الحياة الدنيوية كما في قوله تعالى (... وَيُخَيِّى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١٩﴾ الروم : ١٩) و (... لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْيِي ﴿٧٤﴾ طه : ٧٤) فكذلك الشهداء يتنعمون عند ربهم.

فنقول ان التنعم و السرور ان كان بدون الحياة فذلك باطل قطعاً اذ الجماد لا يتنعم و ان كان مع الحياة فذلك مرادنا. و الحياة الدنيوية للسمع ليست بضرورية على ان الانبياء عليهم الصلوة و السلام لهم حياة جسدانية مثل حياة الدنيا كما صرح به مولانا

خليل احمد رحمة الله عليه في (عقائد علماء الديوبند) على ان قوله تعالى (وَلَا تَخْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فَرَحِمَنَ بِمَا أَنبَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَغْزَوْنَ) آل عمران: ١٦٩-١٧٠) فهذه الآية تدل على الحياة اذ الرزق والاستبشار لا يكون بدون الحياة.

وايضاً بهذا التوجيه مخالف عما ذكره المفسرون في شأن نزولها، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لما اصاب اخوانكم يوم احد جعل الله ارواحهم في حواصل طيور خضر ترد انهار الجنة) الى ان (قالوا يا ليت قومنا رأوا ما نحن فيه من النعمة وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا يتكلموا عنه فقال الله تعالى انا مخبر عنكم مبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك و استبشروا) فانزل الله هذه الآية الكريمة. (التفسير المظهرى ج: ٢، ص: ٤٧٨).

فانظر في شأن نزول الآية ونظم الآية كيف يصح ان تكون النضرة بدون الحياة. والكلام في حديث (ما من مسلم يمربقبر اخيه) قد مر.

وما قال ان الخطاب لم يوضع في الاصل ليوجه الى من يسمع دون من لا يسمع او الى الحاضر دون الغائب او الى الحى دون من مات.

فنقول قد مر عن قريب عن الحافظ ابن قيم ان الخطاب مع المردوم والجماد لا يعقل فكيف يصح ان الخطاب لم يوضع في الاصل الخ.

وما ذكر ان الخطاب وجد في الاشعار والنثر مع الجمادات كالمنازل والاطلال وغيرها.

فنقول ان ذلك بناء على تخيل شعري واما في (... يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِمِي) الآية. هود: ٤٤) فالله تعالى قادر على الإفهام اليها.

وما قال في (ص: ٣٨) ان هذا كما يقول المصل في التشهد (السلام عليكم ايها النبى ورحمة الله وبركاته) وقد قيل ويقال ذلك في حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في كل مكان وبعده في كل مكان وحين وليس من ذلك انه عليه الصلوة والسلام

بسم الله

اقول لفظ (عليكم) لعله سهو بل (عليك) وكذا يعلم انه ترك لفظ (يلزم) بعد قوله و

ليس) وهذه مناقشات لفظية وبعد ذلك نقول ان الفقهاء صرحوا بانه يقصد الانشاء بقوله (السَّلام عليك ايها النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لا الاخبار عما في ليلة المعراج. وقد ورد في الحديث ان الصلوة ان كانت قريبة يسميها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانت بعيدة تبلغ اليه كما في حديث باب فضل الصَّلوة.

وما قال ان سلام الاحياء على الاموات لا يقتضى رداً. فنقول وان كان لا يقتضى رداً لكن لا ينافي الرد سيما وقد ورد انه يرد السلام الآتياً كما نقل سابقاً من (المظهرى).

وما قال ان سلام الاموات دعاء لا خطاب. لا يخفى ركافته فان الدعاء لا ينافي الخطاب. وما قال ان ابراهيم عليه السلام خاطب الاصنام حيث قال ألا تأكلون. فنقول ان المقصود منه التعريض لاتمام الحجة لا للخطاب فان معنى الخطاب القاء الكلام الى المخاطب ولذا قال (... فَسَلُّوْهُمْ اِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَ * الانبياء: ٦٣) وكذا قول عمر رضى الله تعالى عنه للحجر الاسود (انك حجر لا تضر ولا تنفع) فالمقصود منه ايضاً اتمام الحجة لئلا يتوهم من امر الجاهلية من عبادة الاحجار.

وايضاً سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة لا يخلو اما ان يكون من القريب او من البعيد فان كان الاول فلا ينكر عنه مصدق الكلام النبوى صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان الثانى فلا يخلو اما بلا واسطة او بواسطة فان كان الاول فلا ندعيه وان كان الثانى فلا ينكر عنه فانه ذكر الشيخ [١] فى (شرح المشكاة ص: ٣٦٢) انه يسمع سلام الزائرين بنفسه ومن البعيد بواسطة الملك وهذا التفصيل بعينه ورد فى رواية ابي هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً (من صلى عند قبرى سمعته ومن صلى على نائياً ابلغته) وما قال ان النداء وجد الى المنازل والاشجار والطييات وانها لا تفهم فعلم ان الميت لا يفهم.

ففيه ما اقول بتوفيق الله تعالى وتوقيفه ان النداء يجيى لمعان كثيرة كالتحسر و

التوجه و طلب الفعل من المنادى والتخصيص وغيرها وفي امثال التوجه والتعسر كما في قول الخنساء.

بيت:

ايا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تجزع على ابن طريف

على ان ذلك قياس مع الفارق فان الاشجار والاحجار لا علم لها والميت له علم والا فيلزم ان يكون الاموات كالأحجار والجمادات وهذا شنيع فإنه مسلک الاعتزال وهذا لا يليق بنا بل يليق بأمثال هذا الشيخ على ان النداء هو الأشياء تنزلي أي تنزيلها منزلة من له صلاحية النداء لا تحقيقى كما لا يخفى على من له أدنى ممارسة بكتب النحو فعلم ان امثال هذا الشيخ ذاهلون عن العلوم الآلية والا لما قالوا ما قالوا.

وما قال في (ص: ٣٩) ان السلام على الميت لو كان للتحية لوجب الرد ولورد الميت السلام لاستحق الاجر وقد انقطع عمله.

فنقول هذا حديث بديع اذا انضم معه الكبرى بان يقال الميت لا يرد السلام لانه لا يستحق الاجر وكل من لا يستحق الاجر فهو لا يرد السلام فالميت لا يرد السلام. او يكون على طريق القياس الاستثنائي لورد الميت السلام لاستحق الاجر والتالى باطل فالمقدم مثله. فان هذا منقوض اجمالا بالقراءة والصلاة بان يقال الميت لا يقرأ ولا يصلى لانه لا يستحق الاجر وكل من شأنه كذا فهو لا يقرأ ولا يصلى فالميت لا يقرأ ولا يصلى مع انه ثبت قراءة (سورة الملك) كما في رواية الترمذى وصلاة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام كما في حديث صحيح. وكذا صلاة ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام كما في حديث المعراج رواه مسلم. (المشكاة ص: ٥٢٢).

وان قيل اذا مات ابن آدم انقطع عمله فكيف الصلاة والقراءة فنقول ما اشد غفلة المعترض فان على القارى بان صرح بان معناه انقطع وجوب العمل والا فموسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ابن آدم عليه الصلوة والسلام وكذا الشهداء ابناء آدم صرح بذلك القيد الشراح كصاحب (اشعة اللمعات) بهامش (المشكاة ص: ٥٢٢).

وكذا منقوض تفصيلا بان يقال لا نسلم كلية الكبرى فان الملائكة يردون السلام

ومع ذلك لا يستحقون الاجر وكذا يصلون ويسبحون من غير تكليف على الملائكة حتى يستحق الاجر بل كل هذه تلذذ. واذا لم يكن عليهم واجباً ما معنى الاجر، على انه ما معنى وجوب رد السلام على الميت فان التكليف رفع عن الميت وورد في الحديث انه يرد السلام الاَوْفَى بل نقول بطريق المعارضة اذا ثبتت اهلية بعض الموتى للقراءة والصلوة فما المانع من رد السلام سيما اذا ورد انه يرد السلام فلا يرد ان جواز الشيء وعدم المانع لا يستلزم الوجود فان الممكنة اعم من المطلقة والاعم لا يستلزم الاختصاص والا لكان بحضرتنا جبال شاهقة لا نراها وانها سفسطة. وجه عدم الورد ان عدم المانع عند وجود دليل داع مستلزم للوجود كما ان عذاب القبر وغيره من احوال البرزخ امور ممكنة اخبر بها الشارع عليه الصلوة والسلام كما ذكره تقريب هذا في كتب الكلام هكذا.

وما ذكر ان حديث ابي زرير ذكر من غير اسناد.

فنقول: غاية ما في الباب انه مرسل ولا يخفى ان الاحتجاج بالمراسيل مسلكنا.

وما ذكر ان في حديث ابي هريرة رضى الله عنه راو ضعيف.

فنقول جرحه ليس بمتفق عليه فان بعضهم قال ليس بشيء وقال بعضهم متروك الحديث وبعضهم قال لا ارى به بأساً. وبعضهم قال انه مدلس ولا يخفى ان رواية المدلس فيها تفصيل يطلب من رواية الحديث حيث قال الشيخ الدهلوى في (مقدمة المشكاة) وقد اختلف العلماء في قبول رواية المدلس فذهب فريق من اهل الحديث والفقه الى ان التدليس جرح وان من عرف به لا يقبل حديثه مطلقاً وقيل يقبل وذهب الجمهور الى قبول تدليس من عرف انه لا يدلس الا عن ثقة كابن عيينة [١] والى رد من كان يدلس عن الضعفاء اهـ. (مقدمة المشكاة ص: ٢) فعلم ان التدليس مطلقاً ليس جرحاً قادحاً.

وما قال في (ص: ٣٩) نقلاً عن (الشامى) وغيره ان الميت ليس اهلاً للسلام.

فنقول ان كان المراد انه ليس اهلاً للسلام مطلقاً فهو باطل كيف وقد ورد السلام على الميت في الروايات وان كان المراد انه ليس اهلاً للسلام الذى هو لقطع الصلاة فذلك مسلم لا يضرنا لانه ينوى في التسليمة الاولى من عن يمينه وفي الثانية من عن

شماله كما نقله من (سراج الوهاج) ولا شك ان الاموات ليست من عنده.
وما قال في (ص: ٤٠) نقلا عن (شرح المقاصد) قد اتفقوا على ان الله تعالى لم
يخلق في الميت القدرة والافعال الاختيارية.

قلنا لم نقل بالافعال الاختيارية فانه في الحديث (ما انتم باسمع من هؤلاء ولكن
لا يجيبون) على ان عدم القدرة ليس كلياً والا فقد يجيبون ويقولون.

بيت

مرا زنده پندار چون خویشتن * من آیم بجان ار تو آئی بتن
كما في واقعة الشاه عبد الرحيم رحمه الله على ما ذكر اشرف على التهانوي الديوبندي في
كتابه (بزم جمشيد).

و كاتيان الشهيد واعطاء شيء حلوا و اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز
رحمة الله عليه.

و كما في اعطاء الشرعيتين المباركتين من الجناب النبوي لوالد الشاه ولي الله رحمة
الله عليه وبقائهما كذلك في اليقظة.

و كما في ذبح سائب الشيعين الى غير ذلك من الوقعات.

وما قال في (ص: ٤١) ان القراءة لكونه للاستئناس لا ان الميت يستأنس.

فنقول هذا عجيب ايضاً فان القراءة لما كانت للاستئناس علم ان الاستئناس
يحصل به كما ان الضرب يكون للتأديب فان التأديب يحصل به وايضا ورد في رواية
مسلم (كي استأنس بكم)

وما ذكر من قول الشاه [١] عبد العزيز رحمة الله عليه آنچه تعلق به أمور غيب
دارد ادراك دران زياده است و آنچه تعلق بدنيا وارد كم.

فنقول قد صرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه ان اصل الادراك مساوٍ الا ان الفرق
بقلة التوجه وكثرة التوجه.

وما قال في (ص: ٤٣) ولذا يسألون عن احوال اقاربهم لانه ليس لهم علم

بحالهم.

فنقول هذا دليلنا اذ علم ان معهم فكر اقاربهم و العلم يكون الاقارب اقارب الاموات ايضاً نوع من العلم فقد اقربشوت العلم من حيث لا يدري و العلم باحوال الاقارب كلياً لاندعيه و جزئياً مما لا ينكر.

قوله في (ص: ٤٥) و كل ما ينسبون الى العلماء من المشائخ الخفية اما كذب. فنقول كيف يكون كذباً و الحال ان الشيخ الدهلوى رحمة الله عليه و صاحب (المظهرى) من الاحناف.

و ما قال ان التلقين الى الاموات لا فائدة فيه لانه ان مات كافراً لا يفيد و ان مات مؤمناً لا حاجة اليه.

قلنا ان هذا جارٍ في تلقين المحتضر ايضاً.

و ما قال من بمسئلة اليمين بان يحلف لا أكلم زيدا فكلمه بعد الوفاة لا يحنث. قلنا: على القارى صرح بان هذا لاجل ان مبنى الايمان على العرف والا فما معنى حياء عائشة رضى الله تعالى عنها من عمر رضى الله تعالى عنه. و ما قال ان هذا الحديث رواه الحاكم وهو رجل شيعى.

قلنا اولاً حديث عائشة رضى الله تعالى عنها رواه احمد كما في (المشكاة) و ثانياً انه ما ثبت القدح في هذا الحديث بعينه ومع ذلك الامام قال بان الحاكم ابو عبد الله الحافظ امام صدوق ولكنه يصحح في مستدركه احاديث ساقطة و ان كان هذا قدحاً في مطلق احاديثه لكان فيه فتح باب عظيم لان المحدثين يروون احاديث الحاكم في كتبهم. فاذا ذكرها الثقات يكون ذلك توثيقاً لها و ان كانت في ريب مما ذكرنا فارجع الى (ديباجة المشكاة) فلو ثبت قدح في هذا الحديث بعينه لصح ما ذكر و دونه خرط القتاد. و ما ذكر ان للحاكم احاديث موضوعة.

قلنا قد ذكرها المحدثون بخصوصها انها موضوعة و لا يلزم منه ان يكون جميع ما رواه الحاكم موضوعة كيف و مثل ذلك يجرى في سائر كتب الاحاديث كـ (ابن ماجه) فان بعض الاحاديث فيه على ما قال المحدثون موضوع كما يقولون في حديث. سرت ورد في قصة سلمان الفارسي بل تكون جميع اسفار الكتب من الاحاديث و التفاسير كذلك بسبب رواية واحدة مخدوشة و قلما يخلو عن ذلك كتاب. و هذا التقييد يحتاج الى تفصيل كثير الا

وما قال ان في رواية مخاطبة عائشة رضى الله تعالى عنها مع اخيها عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه ابن جريج وله احاديث موضوعة.

قلنا انما هو في الاحاديث المرسلة لا مطلقاً الا ترى الى قول الامام احمد رحمه الله عليه الاحاديث التى يرسلها ابن جريج احاديث موضوعة.

وما قال ان الاستدلال بقول عائشة رضى الله تعالى عنها علام تنصون موتاكم ليس بتام لانه ليس في ذلك سماع الموتى.

قلنا وان لم يدل على سماع الموتى الا انه يدل على ايداء الميت وهذا ايضا منكر عندك.

وما قال ان احوال البرزخ لا تعلق لها بهذا العالم.

قلنا لانسلم ان احوال البرزخ لا تعلق لها بهذا العالم كيف وقد ظهر اماراته في هذا العالم. الا ترى الى ما ذكره الشاه ولي الله الدهلوى رحمه الله عليه في (الدر الثمين في مبشرات النبى الامين ص: ٥٩). الثالث عشر لم اتعش ليلة من الليالى قالهم بعض اصحابنا ان يهدى الى اثناء من اللبن فشربته ثم نمت على الوضوء فرأيت روح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأومأت الى انا الذى ارسلت اللبن والقيت الخاطر في قلب الرجل.

وكذا ذكر في هذا الكتاب (ص: ٥١) الخامس عشر اخبرنى والدى انه كان مريضاً فرأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقال كيف حالك يا بنى ثم بشره بالشفاء واعطاه شعرتين من شعور لحيته المباركة فتعافى من المرض في الحال وبقيت الشعرتان عنده في اليقظة فاعطاني احدهما فهى عندى.

وكما سمع صحابى رضى الله تعالى عنهم تلاوة (سورة الملك) من القبر.

وكما في سماع الشاه عبد الرحيم رحمه الله عليه من قبر خواجه قطب الدين بختيار كاكى رحمه الله عليه

بيت:

مرا زنده پندار چون خويشتن ۵ من آيم بجان ارتوائى بتن

كما ذكره اشرف على التهانوى ايضا في كتابه المسمى بـ (بزم جمشيد) بتفصيل فان في

هذه الوقائع كان الصحابي رضى الله تعالى عنه ووالد الشاه ولى الله، والشاه ولى الله رحمهما الله كلهم فى هذه الدار دار الدنيا.

وكذا ذكر العلامة السيوطى واقعات كثيرة فى (شرح الصدور) من اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وغيرها.

وان قلت هذه اكاذيب كلها، فهذه جسارة عظيمة تليق بك، وكيف يليق ان العلامة السيوطى رحمة الله عليه جمع اكاذيب كثيرة ودوّن بصورة الكتاب وسماه باسم للاشاعة لان هذا الذى ذكر لا ينبغي ظنه بادنّى صالح فضلا عن مثل هذا الشيخ.

و ايضا ذكر العلامة فى كتابه [١] عن العلامة السيوطى رحمة الله عليه قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة فى اليقظة بضعا وسبعين مرة. وآلف كتابا سماه (تنوير الحلك بامكان رؤية النبى و الملك).

و ايضا ذكر بعض بابا بعنوان (باب من تكلم بعد الموت و سمعه من كان فى هذا العالم).

وقد ذكرنا من (كتاب الروح) ذبح سائب الشيخين فى النوم وبقاءه كذلك فى اليقظة فإى معنى للتعلق بهذا العالم، على انه ذكر فى كتب اصول الفقه كالمولوى على الحسامى يؤذى الميت ما يؤذى فى اهله وهذا تعلق بهذا العالم. ألا ترى ان من الكرامة بعد الممات ما ذكر فى تفصيل قوله تعالى (... وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا الآية). الكهف (٨٢): وقد بنى خضر على نبينا وعليه الصلوة والسلام الجدار لليتيمين و كان بينهما سبعة آباء فما معنى التعلق بهذا العالم.

و العجب انهم اذا ذكر لهم واقعة النوم فى التأييد، فيقولون النوم لا يثبت الاحكام ويذكرون لا ثبات كذب الراوى واقعة المنام حيث قال عليه الصلوة والسلام لوليد بن مسلم (قل لابن سمعان اتق الله ولا تكذب على). والعجب اذا نقلناه لا يكون مؤيدا. وأذا ذكره لا ثبات امر قطعى يكون سنداً وهذا ابعد عن الانصاف. وهكذا حال الكل فانهم يستدلون باقوال الشاه ولى الله والشاه عبد العزيز وغيرهما المرحومين واذا ذكرنا اقوالهم فلا يسلمونهما.

(١) اليواقيت والجواهر (ص: ١٦٤).

(٢) على حسام الرازى الفقيه الحنفى توفى سنة ٥٩٨ هـ. [١٢٠١ م].

وقد وقع ذلك عند مذاكرتي مع بعض اخواني من الفضلاء حيث جئت لزيارة استاذنا المرحوم في طواف الاستثناس فلما ذكرت له قول الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله عليه قال من اية بلدة هو فتحيرت و تعجبت فقلت هو الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله عليه فخر المحدثين و سند المفسرين .

و ايضاً قوله نم كنومة العروس اه ، دليل واضح على ان الميت ليس كالجماذ .

و ما قال ان من تعنتهم ارجاع الضمير لا الى مرجعه كما يقولون ان الملا على القارزى قال النفي منتصب على نفع السماع لا على مطلق السماع و هذا عين ما نقول ان النفع فرع سماع الموتى .

قلنا لانسلم ذلك فان الكفار يسمعون ولا ينتفعون .

و ما قال من انعكاس الضمير في (المدارك) .

فنقول المشبه الكفار و المشبه به الموتى و وجه الشبه عدم الانتفاع بسموعهم ولا يخفى ان وجه الشبه مشترك بين الطرفين فان التشبيه مشاركة امر لا مرفى وصف خاص بادوات التشبيه و اذا لم يكن وجه الشبه مشتركاً بين الطرفين لا يكون التشبيه تاماً و هكذا حال عبارة (روح البيان) فانه ذكر فيه كما انه لا يسمع الموتى ولا يعيرون كذلك الكفار لا يسمعون ولا يقبلون الحق فانه لا يخفى انه اذا كان المراد ان الموتى لا يسمعون اصلاً كما ان الكفار لا يسمعون اصلاً فهذا باطل فان سماع الموتى و ان كان متنازعا فيه بيننا و بينكم الا ان سماع الكفار الاحياء امر لا ينكره عاقل بل مجنون . فعلم ان المراد ان الكفار لا يسمعون بقيد الاجابة و النفي في الكلام اذا توجه الى المقيد بقيد يفيد نفي القيد كما نص الشيخ عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) و نقله علماء البلاغة كما يقال ما صليت في المسجد فانه يفيد نفي الصلوة في المسجد لا مطلقاً و الا لكان ذكر القيد لغواً . و يدل على ما ذكرنا ما ذكر في (حاشية الجلالين في سورة النمل ص: ٣٢٤) في تفصيل هذه الاية (اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى * الْآيَةُ . النمل : ٨٠) هذه الآية واردة في حق الكفار و قطع طمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هدايتهم فانهم كالموتى فكونهم كالموتى موجب لقطع الطمع و انما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم من الايات الى ان

قال ولا دلالة في هذه الآية على عدم سماع الأموات. كلام الاحياء كما استدل به بعض الجهلة و الاحاديث الصحيحة واردة في باب سماع الموتى ولا نذكرها خوفاً للاطناب.

و ايضاً ذكر في (حاشية الجلالين) في (سورة الروم) ذيل قوله تعالى (فَأَنْتَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى * الآية. الروم: ٥٢) تطبيق ابن همام بين الآية والحديث بان ذلك مخصوص باول الوضع و ذكر انكار عائشة رضى الله تعالى عنها و ذكر انكار التلقين بعد الدفن. قال هذا العبد و قد كثرت الاحاديث في سماع الموتى و معرفتهم زوارهم و قد اغنانا عن ايرادها جدنا الشيخ الاجل الدهلوى رحمه الله القوى في (شرح المشكاة) و غيره. و معنى الآية كما عليه جماعة من المفسرين انه مجاز و ان المراد من الموتى و من في القبور الكفار شبهوا بالموتى و هم احياء من حيث انهم لا ينتفعون بمسموعهم كما لا تنفع الاموات بعد موتهم و صيرورتهم الى القبور و هم كفار بالهداية والدعوة. و يحتمل ان يكون المعنى لا تسمعهم سماعاً يترتب عليه اثره وهو التكلم كما لى (حاشية الجلالين سورة الروم ص: ٣٤٥). و ظهر منه حال كلامه السابق في انعكاس الضمير و قد ذكرت نبذاً من الجواب هناك و هذه زيادة.

وايضاً ذكر في (سورة فاطر) في تفسير آية (... إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ * الآية. فاطر: ٢٢) اى هدايته فيجيبه بالايمان (... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * فاطر: ٢٢) اى الكفار شبههم بالموتى فلا يجيبون. (الجلالين ص: ٣٦٦). قال في (الحاشية) شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم. و هذا ايضاً ظاهر في السماع الذى يترتب عليه الاثار و الاجابة. فانظر الى محلات الشيخ المعلوم نظيره.

وايضاً قال الشيخ الدهلوى رحمه الله القوى ان الكفار موتى القلوب و ان القبور اجسادهم. فانظر كيف ثبت في الآية احتمالات ناشئة عن دليل و لاهل المناظرة اصل موضوع اذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

وايضاً قال في (الخازن ج: ٣، ص: ٩٩) في تفسير قوله تعالى (... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * الآية. فاطر: ٢٢) يعنى الكفار شبههم بالموتى في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا.

وقال في (المدارك) شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم ان كان الضمير راجعاً الى الموتى فاستدلنا بظاهر و الا فوجه الشبه مشترك فيه.

وايضاً قال في (المدارك ج: ٣، ص: ٣٧) في تفسير قوله تعالى (فَأِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَسْمُوتِينَ • الآية. الروم: ٥٢) اي موتى القلوب اي هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك فهذا التشبيه مع تفسير المفسرين لا يثبت مطلوب المنكر ولا شك ان الايات الدالة على عدم سماع الموتى ذكرت في القرآن في ثلاثة مواضع في (سورة النمل) (أَنْتَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى • الآية. النمل: ٨٠) وفي (سورة الروم) (فَأِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى • الآية. الروم: ٥٢) وفي (سورة الفاطر) (... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ • الآية. فاطر: ٢٢) وقد ذكرت اقوال المفسرين فيها في الجملة وفيها كفاية فان العاقل تكفيه الاشارة. والكلام و ان افضى الى التطويل لكنه لا يخلو عن التحصيل.

وما قال ان الآية في نفى سماع الموتى قطعى الدلالة والثبوت والحديث ظنى الثبوت فكيف يخص النص.

قلنا لاشك ان الآية بعمومها شاملة للانبياء والشهداء فان زعمت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لا يسمع فذلك يليق بك لانه قد ثبت فيما مر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع الصلوة ولا تخصيص فيه باول الوضع. وان قلت انه عليه الصلوة والسلام يسمع فقد صار مخصوصاً من البعض والعام المخصوص منه البعض ظنى وقد ثبت في الاصول ان العام اذا خص مرة فيجوز ان يخص ثانياً بدليل ظنى.

وما ذكر من الحوالة على الطحطاوى^(١).

فنقول ذكر في (نور الايضاح) في زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الحج والشيخين السلام عليكما يا ضجيجى رسول الله ووزيريه ومشيريه والمعاونين له في امر الدين نتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والطحطاوى ما انكر عليه ولا رده.

وما قال ان في رواية البخارى فانهم الان يسمعون واحال على الفاضل الجلبى ان ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة.

قلنا، نعم، ان ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة لان الكلام كلما زاد قيوداً زاد غرابة وكلما زاد غرابة زاد افادة الا انه لا يعلم منه انهم لا يسمعون بعد الان لان تخصيص

(١) أحمد الطحطاوى الحنفى توفي سنة ١٢٣١ هـ. [١٨١٥ م.] في القاهرة

الشيء بالذكر لا يدل على النفي عما عداه وكذا التقييد بالشرط والوصف كما في قوله نَعَايَ (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ۖ الْآبَةُ. النساء: ٢٥) اهـ . وهذا مصرح في اصول الحنفية فان زيادة الفائدة لا كلام فيه الا انه لا ينفي الحكم عما عداه.

والحاصل ان سماع الموتى في ذلك الوقت ثبت في ذلك الحديث وفي وقت آخر من الاحاديث الاخرى نعم، تخصيص الشيء بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه عند الشوافع فعليك باعمال قواعد الاحناف رحمة الله عليهم على ان في الرواية المشهورة (ما انتم باسمع من هؤلاء) يعنى هم اسمع وهى جملة اسمية لا تدل على زمان معين. وما قال ان المهمة في قوة الجزئية.

فغير مسلم مطلقا فان مهملات العلوم ليست في حكم الجزئيات بل في حكم الكلّيات كما لا يخفى على من له ادنى مهارة بالعلوم الآلية فيا لضيعة العلوم الالئية. وما ذكر ان الامام البخارى رحمة الله عليه ألف كتابه من ستمائة حديث.

فليس معناه ان ما وراءه ليس بصحيح لانه قال الامام البخارى ما وضعت في البخارى الا حديثا صحيحا ولقد تركت كثيرا من الصحاح فالحاصل ان الحزم من جانب البخارى رحمة الله عليه في الصحيح لا من جانب الصحيح في البخارى كما لا يخفى على من له دراية بدراية الحديث وروايته.

وما ذكر من الاقوال في الارواح.

فليس معناه انهم محبوسون في تلك المواضع فان الحبس في موضع ينافى الحبس في موضع آخر وايضا ينافى الاكرام بل ثبت ان ارواح المؤمنين تسير في ملكوت السموات والارض حيث شاءت كما نقل سابقاً عن (المرقاة).

واما التمسك باقوال ابن حزم^(١).

فلا يخفى ان الاختلاف في الفروع عنده ضلال كما قال المفسر البغدادي الآلوسى في تفسيره في بيان اقسام الاختلاف والثالث في الفروع وهل هو ضلال فكلام ابن حزم يدل على انه ضلال لانه يمنع التقليد واما نحن فنَجَوِّزُ التقليد للجاهل انتهى. فكيف يكون حجة لنا وعلينا فالعجب ممن يدعى التقليد ويتمسك باقواله والا فعل

قاعدة ابن حزم المنكر ايضا في الضلال ان كان مقلدا.

وما قال عن الشيخ العثماني رحمة الله عليه في (فتح الملهم شرح صحيح مسلم من كلام قاسم العلوم) ينبغي ان يفهم ان سماع الموتى كلام الاحياء ليس ذلك داخلا في دائرة الاسباب العادية الطبيعية وليس لنا قدرة على اسماعهم ولكن الله تعالى قادر على ان يخرق العادة او يشيئ اسباباً خفية مجهولة فيسمعهم بعض اصواتنا فيسمعون سماع الاحياء بل ازيد منهم ولعل لهذه الدقيقة نفى القرآن الاسماع من العباد.

فلا يخفى انه قول بسماع الموتى كالا حياء او ازيد.

وما قال ان قدرة الله تعالى غير معلوم لنا.

قلنا فلا نسلم عدم العلم بالقدرة بل نحن مصدقون بان الله تعالى على كل شيء قدير. فمن كان شاكاً في قدرة الله تعالى او منكراً منها فليكن. وعلم ان سماع الموتى لا جزم فيه بكوته ما فوق الاسباب بل صرح الشيخ بانه يجوز ان تكون هناك اسباب خفية.

وما قال ان الميت بعد السؤال بلا روح.

قلنا ان كان المراد انه بلا تعلق روح اصلاً فذلك ممنوع كيف وتعلق الروح على ما ذكر على القاري في (شرح الفقه الاكبر) والحافظ ابن قيم في (كتاب الروح) خمسة انواع منها في حال البرزخ.

وما قال ان المراد اما بجسد فقط بلا روح او الموضوع له الميت فيمكن عند الميث

سماع الجبل اهـ.

قلنا لا يلزم منه سماع الجبل لان الجبل لا شعوره ولا معه تعلق الروح بخلاف الميت اذ معه تعلق الروح والظاهر ان لفظ الجبل او الجبل سهو من الكاتب بقى الظاهر الجسد. والجواب ان المراد من الجسد ان كان بلا تعلق روح فلا ندعيه وان كان مع التعلق فلا استبعاد فيه.

وما قال ان الله تعالى يسمع الاحجار والاشجار كما في قوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا

الْأَمَانَةَ عَلَى الْجِبَالِ) الآية. الاحزاب: ٧٢)

قلنا لا يخفى ان عرض الامانة انما كان بخلق الفهم وقابلية الخطاب ولا شك ان بعد خلق الفهم في الجبال هي اهل الفهم كما في قوله تعالى (لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

جَبَلٍ * الآية. الحشر: ٢١) هـ . ولا شك ان الميت اهل الفهم والادراك.

وما قال ان اسماع الله تعالى غير معلوم لنا.

قلنا ان كان بطريق السلب الكلى فقد اثبتنا الايجاب الجزئى بروايات ذكرت و هو يناقض السلب الكلى و ان كان بطريق السلب الجزئى فلا يضرنا لاننا لا ندعى السماع فى كل مكان فى كل زمان لكل مسموع.

وما قال ان هذه مصرحة و وجه الشبه فيه اقوى. قلنا عدم الاجابة فى الاموات اقوى.

وما قال متمسكا باقوال المفسرين و المتكلمين.

فنقول اجمالا ان الآيات و اقوال المفسرين فى بيان حال الاموات عموما اكثريا بالنظر الى المتعارف لانه ان كانت محمولة على الاموات بعمومها كلية و قاطبة لتعارضت مع الروايات الدالة على ايذاء الميت و ادراكه و استئناسه و صلاته و تلاوته و ندائه من القبر. فعلم ان المراد الحكم الاكثرى بالنظر الى المتعارف.

و قول الامام الرازى ظاهرى فى ذلك حيث قال و الموتى سامعون من الله تعالى و الاسماع الى الصخرة الصماء انما يكون بطريق خلق قابلية الفهم و الخطاب كما فى الجبال حين عرض الامانة و كما فى علم الذر عند اخذ الميثاق و لا شك ان الاسماع الى الموتى لا يكون بدون الفهم.

وما قال ان الميت لا يدرك شيئا.

معارض بما فى (المراقبة) وكذا بغيره من الروايات ان للروح بالجسد تعلقا كليا بحيث تقرأ و تهلى و تسير فى ملكوت السموات و الارض فلا يشكل شئ منها بالآيات. و ما ذكر ان المشبتين لسماع الموتى يستدلون باقوال ضعيفة و الكشف و المنام و يذكرون ذلك من الكتب التى لم يلتزم اصحابها الصحة ك(كتاب ابن ابي الدنيا) و (المعجم) للطبرانى و (كتاب العاقبة) لبعدها الحق رحمة الله عليه و (تاريخ دمشق) لابن عساكر و هذه الكتب ذكرها السيوطى فى (شرح الصدور) ثم انهم يتركون النسبة الى (شرح الصدور) يذكرون تلك الكتب من غير ان رأوها فهذه خيانة عظيمة و قد جرح العلامة السيوطى على بعض رواياته.

فلا يخفى ان العلامة لما نقل تلك الروايات عن الكتب التى تلك الروايات فيها جاز لنا ان نسندھا الى تلك الكتب وان لم نرھا. الا ترى ان صاحب (المشكاة) لما ذكر الروايات. عن الكتب التى فيها تلك الروايات جاز لنا ان نسندھا الى تلك الكتب و جاز لنا الاعتماد على الثقة و ان لم نر الكتب المنقولة عنها و مثل هذه كثيرة فى كتب الفقه فانه كثيرا ما ينقل اصحاب الفتاوى من (الجامعين) و (السيرين) و (المبسوط) و (الزيادات) مع انا لم نرھا فكيف، يقال انها خيانة؟ نعم، من كان سبى الظن باكابر الدين فهذه خيانة عظيمة عنده و سوء الظن باكابر الدين جسارة عظيمة.

واما جرح العلامة السيوطى لما كان سنداً عنده كان تعديله و سكوته اولى ان يكون سنداً ومع هذا فقد تمسك بحديث الطبرانى فى نفى التوسل بقوله انه لا يستغاث بى. و ما ذكر من الكذب على السلف الصالحين.

فلا يخفى ان اشاعة الكذب من سيماء شيعته ووصاهم به كما نرى من المشاهدات اليومية و لنعم ما قيل فى المثل: (يرى احدكم خزعا فى عين اخيه ولا يرى جذعا فى عينه)

و ما ذكر فى الرد على قول العلامة الشامى [١] فى قصة السيد احمد بن علوان بان يقول ان لم ترد على ضالتي نزعتك عن ديوان الاولياء ان هذا افتراء اليهود.

فنقول الحكم بكونه افتراء لا يخلو اما لاجل النداء الى غير الله تعالى أو لاجل نسبة الرد اليه أو لاجل نزع من ديوان الاولياء أو لاجل تلاوة الآيات و اهداء الثواب الى السيد احمد بن علوان و كل هذه لا يصلح ان يكون سبباً لكونه افتراء.

اما الاول فلان النداء الى الغير وقع كثيرا كما فى يا سارية الجبل و كما فى كلام

المشاق

شعر:

يا اكرم الخلق ما لى من الؤذ به

أو كما فى قول امام الائمة

(١) يعنى محمد امين بن عمر الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ . [١٨٣٦ م.]

(٢) - ائمة بن علوان الصوفي اليمسي توفي سنة ٦٦٥ هـ . [١٢٦٦ م.]

شعر:

یا اکرم الخلق یا کنز الوری

و کما فی کلام الصوفیة کما فی قول معین الدین الاجیری [۱] رحمه الله علیه.

بیت:

یا رسول الله شفاعت از تو میدارم امید • با وجود صد هزاران جرم در روز جزا

و الحسن السجری رحمه الله علیه

بیت:

✓ کعبه دل قبله جان یا رسول الله توئی * سجده مسکین حسن هر لحظه بادا خلف تو

و کما فی واعمره قول الجنیدی و قول عمر رضی الله تعالی عنه فی جوابه و

لیکاه. علی ان النداء یجیء لتبقة معان کما فی کتب البلاغة.

و اما الثانی فلان نسبة الرد الیه مجاز کما فی (انبت الربیع البقل)

بیت:

اشاب الصغیر و افنی الکبیر * کرا الغداة و مرا العشی

و کما فی قول ابراهیم علی نبینا و علیه الصلوة و السلام (رَبِّ اِنَّهُمْ اَضَلُّنَا

کَثِیْرًا مِنْ النَّاسِ • الآیة. ابراهیم: ۳۶) و کما فی قوله تعالی (... لِأَهَبَ لَکَ غُلَامًا زَكِيًّا •

مریم: ۱۹) و قوله تعالی (... وَأُتِرِی الْأُنْثَى وَالْأُنْثَى وَالْأُنْثَى بِأُذُنِ اللَّهِ • الآیة.

آل عمران: ۴۹) و کما فی قوله علیه الصلوة و السلام (انا الماحی الذی یمحو الله بی الکفر

فان المبریء والمحبی والماحی فی الحقیقة هو الله تعالی).

و من ههنا علم ان ما قال الشیخ فی بعض تقریراته ان فی درود التاج الفاظاً

شرکیة من قوله دافع البلاء من سوء التأمل فانه لا بلاء اعظم من الکفر فمعنی ماحی

الکفر و دافع البلاء واحد و الاذن بمرادف اذن بمرادف آخر و ایضا لا مرض اعظم من

الشرك فمعنی دافع الوباء و ماحی الکفر واحد و قد قال امام الائمة امامنا الاعظم رحمه

الله فی قصیدته المنقولة عنه المطبوعة حین حضوره الروضة المباركة.

شعر:

وشفيت ذا العاهات

وايضاً شفى الطبيب المريض شائع وهذا معنى دافع الالم.

والحاصل ان نسبة الفعل الى الآلة و الذريعة شائعة في محاورات القرآن والحديث

و كلام . الخفاء و كلام الائمة بل في كلام العوام و اى شرك فيه مع وجود معنى صحيح شائع ذائع والعجب منهم حيث عميت ابصارهم وبصائرهم.

واما الثالث فلأن النزع من ديوان الاولياء معناه كانك عندى لست بـ' و لست في ديوان الاولياء وان كنت من الاولياء في نفس الامر كما يقال ان لم تجبني في المسئلة الفلانية نزعتك من ديوان العلماء، كانك عندى لست بعالم وان كنت عالماً في نفس الأمر.

واما الرابع وهو اهداء الثواب فهو امر شائع في الشرع وههنا امر خامس لعله يكون شركاً عندهم وهو انه يعتقد قائل هذه الكلمات ان احمد بن علوان يعلم بذلك فنقول هذا ايضاً ليس بشرك باعلام الله تعالى بحيث لا يعتقد حاضراً ناظراً لانه لاشك انه يحصل ثواب التلاوة ويحصل علماً للمهدي اليه باعلام الله تعالى في البرزخ فإى فساد فيه ليكون من اقوال اليهود.

وما قال في نسخة اخرى لم توجد هذه العبارة.

فنقول لعل هذا من تصرفات اخوانه النجديين فما هو جوابك فهو جوابنا.

واما افتراء الاحاديث فان نقاد الاحاديث قد نقدوها.

وما قال ان حذف الاسناد من سيماء الروافض.

فنقول كيف يكون ذلك سيماء الروافض فان صاحب (المشكاة) اكتفى بذكر

الراوى والمخرج. الا ترى الى الروايات المرسلة في الكتب بل المسالط طريق الاسناد و الانتساب في زمن السلف قليلة كما في واقعة عبد الله بن مسعود رضى عنه.

وما قال من المخالفة لظاهر القرآن والحديث.

فنقول ان العمل بالظاهر شأن الظاهرية ولذا نسب ابن تيمية الى المجسمة كما

قال المحقق في (شرح العقائد الجلالية) ^{البعد} ذكر مذاهب المجسمة واكثرهم المحدثون
الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث ولا بن تيمية ابي العباس ميل عظيم الى اثبات الجهة
والجسمية حيث قال لا فرق عندى في ان يقول احد طلبت الله في جميع الامكنة فلم اجده و
بين قوله هو معدوم. الا ترى الى قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * طه: ٥) و (...يَدُ
اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ * الآية. الفتح: ١٠) و (خلق الله آدم على صورته) وابن الله قال في السماء
الى غير ذلك.

وقد ذكر في (بذل المجهود شرح ابي داود) في ذيل (لا يبولن احدكم في الماء الدائم)
قالت الظاهرية في الحديث لفظ البول فيجوز الغائط وهذا جود ظاهر. وقد نقل في العمل
بظواهر النصوص فيما سبق ما نقل بل لا بد من النظر في العلة وهي النجاسة. وهذا مثل
ان يستدل احد بجواز ضرب الوالدين ويقول ان الله تعالى قال (...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ * الآية.
الاسراء: ٢٣) ولم يقل ولا تضرب بهما ولا تشتمهما ولا تخرجهما من البيوت فيجوز
ضربهما وما يماثله. فالعجب هؤلاء يضربون والداتهم ويخرجونها من البيوت ويزجرونها
ويفتخرون بذلك في المجامع ويقولون نحن متبعون للسنة وعاملون بالقرآن ولا يستحيون
من الله ولا من الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اذا فأتك الحياء فافعل ما شئت)
وقال الله تعالى (...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *
الصف: ٣٠٢)

واما ذكر الرؤيا.

ان لم تكن فيها مخالفة عن ضروريات الدين فليس فيها حرج لحديث لم يبق
من النبوة الا المبشرات والا فلم ذكر التمسك لكذب ابن سمرعان بالنوم وقد صنف الشاه
ولي الله الدهلوى رحمة الله عليه كتابا مستقى بـ (الدير الثمين في مبشرات النبي الامين).
وما قأان المسئلة من ضروريات الدين. لا بد فيها من دليل قطعى.
وما ذكر اخبار آحاد.

فنقول افراد هذه الروايات وان كانت آحاداً الا ان القدر المشترك ما لا يخفى
حكمه على ان التمسك بمثل تلك الروايات ثبت ممن هو اعل كعباً منه ولا يبلغ المنكر الى
ساقهم بل كعبهم كالشيخ الدهلوى رحمة الله عليه والعلامة السيوطى رحمة الله عليه وابن

قيم ومن يخذو حذوهم وكثيرا ما هم. فهل تمسكوا بالاستدلالات الباطنة او الضعيفة و هذا مما لا يظنه احد بمثل هذه الائمة القدوة في الدين على ان الامة تلقتها بالقبول. الا يرى المنكر المعاند، كيف يتمسك المتكلمون في الكتب الكلامية على العقائد الاسلامية باخبار الآحاد التي تلقتها الامة بالقبول. فعلينا بالانقياد والقبول والافلم أول العلماء الآيات المشعة بالجسمية والجهة بالتأويلات لا بمثل هذا للشيخ المقتدى بمن يعمل بظاهر النصوص فمليك بالتأمل الفائق ولا تكن من المسرعين في الرد والقبول. وما ذكرنا كلام اجمالى. فلنرجع الى ما نحن بصده من الرد تفصيلا.

فنقول ما ذكر في (ص: ٤٧) أَنَّ الملا على القارى وابن عابدين ذكرا في آداب الزيارة انه ياتى الزائر من قبل رجل المتوفى لامن رأسه لانه اتعب البصر بخلاف الاول لانه يكون مقابل بصره. اقول من هذا يثبت سماع الجسد ورؤيته ولم يقل به احد. قلنا ان كان المراد من سماع الجسد بلا تعلق الروح فلا نقول به وان كان بتعلق الروح فذلك مما لا ينكر فكيف لم يقل به احد. وقد ذكرنا ناقلا عن (المراقبة) ان للروح بالجسد تعلقا بحيث يقرأ ويصلى اه. فتذكر. وما قال ان هذه الروايات مدسوسة.

فنقول هذا فتح باب عظيم لان كل ما يخالف مسلكه يقول هذا مدسوس بل كل ما يخالف مسلك الآخر يقول هذا مدسوس على ان ذلك لا يصادم شيئا من اصول الدين فكيف تكون مدسوسة.

وما قال ان هذه الطريقة لم ينقل من النبى عليه الصلوة والسلام ولا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولا من الائمة رحمة الله عليهم. اقول كيف لم تنقل والحال ان دليل السماع الخطاب ووجد في الروايات على ما ذكرت من الحافظ ابن قيم وغيره. و ايضا واقعة الامام الشافعى رحمة الله عليه في زيارة ابى حنيفة رحمة الله عليه دليل ظاهر ان هذه الطريقة منقولة عن الائمة لان قول الامام الشافعى رحمة الله عليه تأدبا دليل ظاهر على ان الادراك للجسد بتعلق الروح والا فارواح الصديقين في عليين لافى القبر فقط. وما قال ان المزور قبره لا الميت.

فنقول ان كان المزور قبره من حيث هو قبره بلا لحاظ المقبور فذلك باطل ظاهرا

لان زيارة القبر فقط ممنوعة شرعاً لورود (من زار قبراً بلا مقبور فكأنما عبد الصنم). وإن كان بلحاظ ان المقبور فيه فعلم ان للمقبور دخلاً في الزيارة على انه ورد في الحديث (من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) فهذا يدل على ان المزور هو لا قبره.

وما ذكر من زيارة القبور فيحتمل ان المراد زيارة اهل القبور.

وما قال ان سائر الفقهاء قالوا ان الزيارة للقبور لا للميت. فنقول قد ذكرنا من الحافظ ان الزيارة انما تكون اذا علم المزور وجعل هذا دليلاً لعلم الميت فعلم ان المزور الميت على مسلكه.

وما قال مجيباً عن الاستدلال بقول الشاه ولي الله رحمة الله عليه حيث قال انهم اذا انتقلوا الى البرزخ كانت تلك الاوضاع و العادات و المعلوم معهم و كذا عن الاستدلال بقول الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه في (ص: ٤٣) ان هذه الادراك لعالم البرزخ لا لاهل الدنيا.

اقول العبارة الصحيحة ان هذا الادراك لعالم البرزخ و بعد المناقشة اللفظية نقول كلا منهما صريح في بقاء العلم. و صرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه ان ادراك البرزخ اجلى و اوضح. و القلة انما تكون لقلة التوجه و ايضاً الادراك لعالم البرزخ لاينا في الادراك لعالم الدنيا سيما اذا دل الدليل.

وما قال في (ص: ٤٤) نقلاً عن (مجمع الانهر) ان الايلام لا يتحقق في الميت اهـ.

فنقول ان كان المراد نفى مطلق الايلام فذلك باطل و ان حديث (كسر عظام الميت ككسرها حياً) دليل ظاهر على ادراك الميت و الله خصوصاً مع تفصيل (الطبيي) و (ابن ملك) و (ابن حجر) على ما مر.

وما قال نقلاً عن ابن كثير ان هذه الآية تدل على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك ان يتصل في الاجساد.

فنقول ان هذا معارض بما ذكره علماء الكلام في عذاب القبر انه تعذب الروح متصلاً بالجسد و الجسد متصلاً بالروح فعلم ان العذاب لهما، و لذا يبين للروح و الجسد حين منازعتهما في المحشر مثال الاعمى و الزمن البصير دخلاً بستان واحد و اكلاً الثمار.

فان الاعمال انما تكون بواسطة كليهما.

وما قال في (ص: ٤٥) ان ارواحهم تأوى الى قناديل معلقة في العرش.
فنقول قد ذكرنا من (المرقاة) ان روح المؤمن تسير في ملكوت السموات والارض.
اهـ. فعلم انها لا تكون تحت العرش دائما بل تسير في الارض فتسمع كلام الزوار.
وما قال ان كل ما ينسبون الى المشائخ الحنفية اما كذب ليس في كتبهم.
فنقول قد ذكرنا من كتب الأحناف كصاحب (المرقاة) و (المظهرى) وغيرهما.
وما قال ان المذكورين ليسوا من مشائخنا الحنفية حتى ينهض اقوالهم حجة
علينا.

فنقول ان ابن تيمية وابن حزم ايضا ليسا من الأحناف فكيف ينهض قولهما
حجة علينا. وابن تيمية من الخبالة وابن حزم الاختلاف في الفروع عنده ضلال على ما
نقل سابقاً بـ (حوالة روح المعاني).

وما قال ان السلام الدعاء والرحمة قال تعالى (سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ
الصافات: ١٢٠)

فنقول كونه دعاء لا ينافي كونه خطاباً سيما وقد ورد رد السلام.
وما قال ان ابن قيم في ذلك اكثر من الاقوال فكلها مستند الى الكشف
والمنامات.

فنقول قد صرح الحافظ بان هذا ليس تمسكاً بالمنامات حيث قال في (ص: ١٢)
على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها وقد ثبت في الصحيح
ان الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه. (كتاب الروح) والعجب ان المنكر ان نظر
الى المنامات فلم ينظر الى الحجج وذكر المنامات للتأييد لا ينافيه. والا فالمنكر ايضا يذكر
المنامات.

وما ذكر من تقسيم التلقين في (ص: ٤٦) حيث قال نقلا عن الطحطاوى ان
التلقين على ثلاثة اوجه: ففى المحتضر لا خلاف في حسنه وما بعد انقضاء الدفن لا
خلاف في عدم حسنه والثالث اختلفوا فيه وهو ما اذا لم يتم الدفن اهـ.
فنقول قال الحافظ في (كتاب الروح ص: ١٧) ويدل على هذا ايضا ما جرى عليه

عمل الناس قديماً، والى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا انه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثاً وقد سئل عنه الامام احمد رحمه الله عليه فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في (معجمه) من حديث ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا مات احدكم فسيوئتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمكم الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا من شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله و انك رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن اماماً فان منكراً و نكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ولقن حجته ويكون الله و رسوله حجيجه دونهما) فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف امه قال (ينسبه الى امه حواء) فهذا الحديث وان لم يثبت باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار ومن غير انكار يكفى في العمل به وما جرى الله العادة قط بان امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهى اكمل الامم عقولا و اوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل. و تستحسن ذلك لا ينكر منها منكر بل سنة الاول للآخر و يقتدى فيه الاول بالآخر فلولا ان المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم وهذا وان استحسنه واحد فالعلماء قاطبة اتفقوا عليه لا يصح استقباحه واستهجانته الى آخر ما قال. فعلم من هذا الكلام ان التلقين بعد الدفن وتسوية التراب عمل الناس قديماً و حديثاً و سنة الاوائل والاواخر سيما وفيه حديث ضعيف الجبر ضعفه بعمل الناس قاطبة. سيما اذا استحسنه من هو جليل في الحديث وقد جعله الحافظ دليلاً على سماع الموتى.

وما قال في (ص: ٥٠) انه ليس لاحد قول في سماع الموتى.

قلنا كيف وقد ذكر الاحاديث واقوال العلماء الخفية رضى الله عنهم.

وما قال انهم قائلون بمراضع مخصوصة وذلك قليل منهم.

قلنا اولاً لا نسلم انه قليل ولئن سلم فالقليل ايضاً انما هو في صورة الموتى فرد

مطلوبكم من السلب الكلى.

وما قلنا في (ص: ٥١) وان الاستشفاع الذى يثبت المتدعون لذلك لم يقل بها

احد من ائمة الاسلام بل من الامور المحدثه.

فنقول قد ذكرنا في مقصد التوسل ما فيه كفاية. وان هذا طريق العلماء سلفاً و
خلفاً خلافا لابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب النجدى وذرياتهما. الا ترى الى ما قال تاج
الدين السبكي مشنعا على مرشد المنكر و يحسن الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه
وسلم الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك و
عدل عن الصراط المستقيم وابتدع مالم عالم يقل و صار بين الانام مثله كما ذكره المنكر
في كتابه المقصود بالرد ههنا في (ص: ٩٣) فعلم من كلام السبكي ان التوسل معمول السلف
والخلف والحال ان العمل العام حجة كما مر آنفا من قول امام احمد رحمة الله عليه و لفظ
السلف والخلف شامل للكل فكان بمنزلة الانجم فالمنكر لا ينكر الا الاجماع.

وعلم ايضا من قول السبكي ان المنكر من التوسل مبتدع لان المقر مبتدع بل هو
متبع لامر ثابت من السلف والخلف. وانعكس انتساب الابتداع الى قائله. ولنعلم ما قيل
(من حفر بئرا لآخيه وقع فيه) على ان قول الامام الشافعي رحمه الله انى لا تبرك بابى حنيفية
رحمه الله واجئ الى قبره. وقصيدة الامام الاعظم عند الروضة المباركة و شق سقف
الروضة بامر عائشة رضى الله تعالى عنها بعد المطالبة دليل ظاهر على انه كان امرا متوارثا
فكيف ينكر وينسب الابتداع الى قائله وهل هذا الا تعصب ظاهر.
و عدم اشتهار التوسل في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم مر وجهه من كلام
(روح المعاني) على ما ذكر سابقاً مفصلاً.

واما الاستدلال بتوسل عمر رضى الله عنه. فقد مر جوابه مفصلاً.
وما قال من الاستدلال بقوله تعالى (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ النحل: ٢١).

فنقول لم يقل احد بان الموتى يشعرون ايان يبعثون حتى يتم استدلال المنكر بل
نقول ان الاحياء لا يشعرون ايان يبعثون لان علم الساعة من مفاتيح الغيب فلو كان عدم
الشعور بالبعث في وقت معين دليلاً على عدم السماع لزم منه عدم سماع الاحياء لان ذلك
العلم ليس عند الاحياء والمراد من قوله يدعون يعبدون كما صرح به السيوطي غير مرة في
كتابه وان قال البعض بخلافه.

وقوله تعالى (إِنَّ السَّابِقِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْآيَةُ الْاَعْرَافُ: ١٩٤) بيان الاصنام فان الحياة البرزخية يوجد فيها السمع والبصر وغير ذلك فافهم. وهذا اوان الفراغ من المقصد الثالث ولنشرع في المقصد الرابع لتكميل المقاصد وتربيعها فنقول:

المقصد الرابع في التنقيد على ما ذكر في بحث الانكار عن التوسل بالانبياء عليهم السلام والاولياء الكرام المدفونين في المقابر

اعلم ان التوسل قد ذكرنا دلائله والرد على المنكر اجمالا فلنشرع فيه تفصيلا فنقول.

وما قال في (ص: ٥٢) من تشبيه المتوسلين الى الله بالانبياء والاولياء بعباد الاصنام.

فتعسف ظاهر لان عباد الاصنام يعبدون الاصنام كما حكى الله عنهم (...). كما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ۝ الْآيَةُ. الزمر: ٣) والموحدون المتوسلون بالانبياء عليهم السَّلَوة وَالسَّلَام والاولياء الكرام المدفونين ما يعبدونهم. وفعل العوام لا يكون سندا بل لا بد من التعليم بالتبى هي احسن. فسبحان الله من الغلو. فاين التوسل من العبادة فانه يستوى فيه الحى والميت.

وما قال ان بعض العلماء يدرسون الحديث في المشاهد ويرون المنكرات وهم عنها ساكتون، صامتون الى آخر ما قال.

فنقول اى عالم لم ينكر على المنكرات بالتقرير او التحرير على ما هو وسعهم، نعم،

للتبليغ مراتب كما اشير اليها في الحديث (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان).

واما شد الرحال لقبور الانبياء عليهم الصلوة والسلام والاولياء الكرام خالياً عن المنكرات كيف ينكر منه كما نقل من الاحياء للغزالي رحمة الله عليه. ومجيب الدعوات وكاشف الضر ليس الا الله وهم وسائل في البين.

وما قال في (ص: ٥٥) نقلاً عن ابن تيمية ان الشرك في بنى آدم من تعظيم قبور الصالحين اهـ.

فنقول لا يخفى ان تعظيم القبر ليس الا لاجل المقبور وقد نهى الجلوس على القبر والاتكاء اليه كما ورد انه ايداء له كما في (لاتوذ صاحب القبر) نعم ان كان التعظيم على وجه العبادة فهو يكون اصل الشرك واذ ليس فليس. الا ترى انه يراعى في الزيارة أدب المزور وهذا هو التعظيم فانه يجب تعظيم الصالح حين كونه حياً فكذلك حين كونه ميتاً. الا ترى ما قال ابن الملك في قوله عليه الصلوة والسلام (كسر عظام الميت ككسرها حياً) فيه اشارة الى انه لا يهان الميت. وهل يكون مطلق التعظيم شركاً مع ان العلماء رحمة الله عليهم سرحوا بجواز تقبيل يد العالم كما نقل عن الامام المسلم انه قبل يد الامام البخارى رحمة الله عليه وايضا ابا بكر رضى الله تعالى عنه قبل جبهة النبی صلی الله تعالی علیه وسلم حين الوفاة. وهل يقول احد ان هذا التعظيم من اصول الشرك (...سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * النور: ١٦).

وما قال في (ص: ٥٦) ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين الخ.

فنقول ان كفر قوم نوح على نبينا وعليه الصلوة والسلام ما كان لاجل تعظيم الصالحاء بل لاجل عبادتهم اياهم كما قال المفسرون في تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا * الآية. نوح: ٢٣) قال الحازن يعنى القادة للإتباع لا تشركن عبادتها (ج: ٤، ص: ٣١٣). فعلم ان وصية القادة للإتباع انما كان بالعبادة لا بنفس التعظيم.

وما قال من انكار الفيضان من روح المقبور (ص: ٥٨).

فنقول قد نقلنا عن عقائد علماء ديوبند ان الاستفادة من ارواح المشائخ رحمة الله

عليهم ثابتة. وكذا صرح الشاه عبد العزيز رحمه الله عليه كما نقل سابقاً من تفسيره فكيف يكون شركاً. والآلوسى البغدادى ايضا قال بالمدد الروحانى.

وما قال فى (ص: ٥٨) وهكذا المشركون فى زماننا الذين يدعون غير الله كالشيوخ الغائبين والموتى تتصور لهم الشياطين فى صور الشيوخ اهـ.

فنقول ان التوسل اذا كان بطريق شرعى وحصل له التصور بصورة الشيخ فإى دليل على ان هذا شيطان. كيف وقد قال الآلوسى البغدادى انه قد يرى المرء شيخه فيرشده لما يهيمه كما سبق ذكره مفصلاً. والتعجب من جسارتهم انهم يحكمون مطلقاً ان الشيطان تصور بصورة.

وما قال فى (ص: ٥٩) ان الشيطان كثيراً يتصور بصورة الانس فى اليقظة و المنام وقد يأتى لمن لا يعرف فيقول انا الشيخ فلان والعالم فلان وربما قال انا ابوبكر رضى الله تعالى عنه وعمر رضى الله تعالى عنه وربما قال انا المسيح عيسى عليه السلام، انا موسى عليه السلام وانا محمد عليه الصلوة والسلام اهـ.

فنقول كيف يتصور فى شأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه عليه الصلوة والسلام قال (من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يستطيع ان يتمثل بى). او كما قال.

وايضاً الشاه ولى الله رحمة الله عليه ذكر واقعات كثيرة فى بعضها استفادة روحانية وفى بعضها ارسال اللبى وفى بعضها ارشاد طريق الصوفية كما ذكر فى (الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين).

الحديث الرابع عشر اخبرنى والدى رحمه الله عليه انه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فبايعه ولقنه النفى والاثبات على طريقة الصوفية فبايعنى كما بايعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولقننى كما لقنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ص: ٥٩).

ومثل هذا كثير كما ذكر فى الحديث السابع عشر اخبرنى السيد الوالد قال اخبرنى شيخى السيد عبدالله القارى رحمه الله عليه قال حفظت القرآن على قارئ زاهد كان يسكن فى البرية فبينما نحن نتدارس القرآن اذ جاء قوم من العرب يقدمهم سيدهم فاستمع قراءة القارئ وقال بارك الله اديت حق القرآن ثم رجع وجاء رجل آخر بذلك الزمى فاخبر ان

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهم البارحة انه سيذهب الى البرية الفلانية لاستماع قراءة القارئ هناك فعلمنا السيد الذي كان يقدمهم هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد رأيته بعينى هاتين.

الحديث الثامن عشر اخبرنى السيد الوالد انه اراد في ابتداء طلبه ان يلتزم دوام الصيام ثم تردد في ذلك لاختلاف العلماء فتوجه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه في النوم كأنه اعطاني رغيفا فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه الهدايا مشتركة فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عمر رضى الله تعالى عنه الهدايا مشتركة فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عثمان الهدايا مشتركة فقلت ان قسمتكم الرغيف بينكم فای شيء يبقى لهذا الفقير فامسك (ص: ٦٠).

الحديث التاسع عشر اخبرنى والدى انه ركب في رمضان إلى مكان فاصابه الحر والتعب فنعمس في تلك الحالة فرأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاه طعاما لذيذا متخذاً من الارز والحلاوة والزعفران والسمن فأكل حتى شبع واعطاه ماء باردا فشرب حتى روى ثم استيقظ ولا جوع ولا عطش وفي يده ريع الزعفران (ص: ٦٠).

الحديث الخامس والعشرون اخبرنى سيدى الوالد قال رأيت في المنام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا مراقبا في مسجد من ياقوت شفافاً فارى ظاهره من باطنه و الصحابة والاولياء جالسون متعلقون عنده فلما وصلت الباب قام سيدى عبد القادر الجليلي رحمه الله والشيخ بهاء الدين النقشبدي رحمه الله عليه فخرجا إلى وتذكر ا فقال سيدى عبد القادر الجليلي رحمه الله انا اولى به لانه تربى بروحانية جده ابي امه و كان اخذ بطريقتي. ثم اصطلحا على ان يتولاني اولاً الشيخ بهاء الدين رحمه الله عليه و يفيد لي بعد ذلك سيدى عبد القادر رحمه الله بما شاء ثم ادخلني الشيخ بهاء الدين رحمه الله عليه المسجد واجلسني بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فتح بصره كنت اول من وقع بصره عليه (ص: ٦٢).

الحديث الحادى والثلاثون اخبرنى الشيخ ابو الطاهر عن القشاشي^(١) انه كتب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا في بعض حاجاته صورته: يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك انت اقرب إلى منى ام هذا فبحق قربك منى وان بعدت الا ما شفعت

فى وفى قضاء حاجتى كلها الدنيوية والاخروية لى ومن احب امين فلما كان بعد هذا بستة اشهر رأى السيد محمد بن علوى^١ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له سلم على احمد القشاشى وبشره بالشفاعة ثم رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الليلة الآتية و قال سلم على احمد القشاشى وقل له انه جليسى فى الفردوس (ص: ٦٣)

و اذا عرفت هذا فلا أدرى ما يقول المنكرون فى هذه الاستفادة الروحانية و كتاب (الدر الثمين) مملؤ من واقعات مثل هذه. من شاء المزيد يطالعه وفيما ذكرنا كفاية للبيب المنصف. فان الشاه الدهلوى لما ذكر هذه الواقعات فى كتابه علم ان ذلك لا يصادم الدين كما يقول هذا المنكر المفرط.

وما قال فى (ص: ٦٠) ان الصحابة قد تنازعوا فهلا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم فاجابهم.

فنقول اختلاف الصحابة وبقاؤه كذلك فيه سر الهى وهى الوسعة للأمة. ولذا قال عليه الصلوة والسلام (اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) لا ان الاستفادة من النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن فان اولياء الله يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فانه ذكر فى (الدر الثمين) الحديث العشرون اخبرنى سيدى الوالد بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (انا املح واخى يوسف اصبح) فتحيرت فى معناه لان الملاحاة توجب قلق العشاق اكثر من الصباحة وقد روى فى قصة سيدنا يوسف عليه الصلوة والسلام ان النساء قطعن ايديهن حين رأينه وان الناس عند رؤيته ولم يرو عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شيء فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن ذلك فقال جمالى مستور عن اعين الناس غير من الله عز وجل ولو ظهر لفعل الناس اكثر مما فعلوا حين رأوا يوسف عليه الصلوة والسلام (ص: ٦٠). فانظر كيف حصل له اشكال وحصل رفعه من الحضرة النبوية. أتقول مثل ما تقول من الخرافات فى هذا ايضا.

وما قال فى بيان الزيارة المبتدعة او يطلب منه ان يطلب من الله تعالى اما ان يقسم على الله به (ص: ٦٢).

فنقول قد ذكرنا عن المحدث الدهلوى رحمة الله عليه ان الطلب منه بان يقول هناك (يا ولى الله ادع لى من الله) جائز فان المسؤول والمعطى هو الله تعالى وهو واسطة فى

(١) محمد بن علوى السقاى توفى سنة ١٠٧١ هـ. [١٦٦٠ م.] فى مكة المكرمة

البين و كذا صرح الآلوسى البغدادى بجواز الإقسام على الله باحد ممن له خطر و شرف
كما نقل سابقاً فى مسألة التوسل فكيف قال ان شرك هؤلاء و كفرهم اعظم من شرك
مشركى العرب.

وما قال فى (ص: ٦٣)، فان المشرك الذى يدعو غير الله ويرجوه و يخافه اما ان
يجعله مالكا او شريكاً او ظهيراً او شفيعاً. فنقول اى شرك فى الشفاعة فان شفاعة الابرار
ثابتة و ان كان هذا شركاً فكيف الشفاعة فتأمل.

وما قال فى (ص: ٦٤) نقلاً عن (مجمع البحار) فان منهم قصد بزيارة قبور
الانبياء و الصالحاء ان يصلى عند قبورهم و يدعو عندها و يسألهم الخوائج و هذا لا يجوز عند
احد من علماء المسلمين فان العبادة و طلب الخوائج و الاستعانة حق الله تعالى وحده.
فنقول زيارة القبور انما يكون للدعاء و التبرك بالانبياء و الصالحاء و التوسل بهم
الى الله تعالى فى قضاء حاجاتهم و هذا جائز كما نقل عن فعل الامام الشافعى رحمة الله
عليه و غير ذلك فالمسؤول المستعان هو الله تعالى.

و الصلاة فى المقبرة منهى مطلقاً لا تخصيص فيه بقبور الانبياء عليهم الصلوة
و السلام و الصلحاء، نعم، لو كان هناك مسجد او موضع معد للصلوة فإى حرج فى الصلوة
اذا لم يقابل المصلى قبراً.

و اما الدعاء عند القبور فلا شك ان الدعاء برقة القلب اقرب الى الاجابة ولا شك
ان زيارة القبور ترقق القلوب كما فى حديث (انى نهيتكم عن زيارة القبور الا فزروها فانها
ترقق القلوب و تذكر الموت) او كما قال ولا شك ان لركة القلب تأثيراً فى اجابة الدعاء.
الا ترى الى بكاء عثمان رضى الله تعالى عنه عند حضوره المقبرة.

وما قال فى (ص: ٦٥) من كلام الامام الرازى رحمة الله عليه فى قول المشركين
الا انا نعبد هذه الاصنام فانها شفعاتنا عند الله اه .

فنقول لا يخفى ان المشركين كانوا يعبدون الاصنام ولا شك ان عبادة الصنم
شرك كما حكى الله تعالى عنهم (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى * الآية. الزمر: ٣)
فالفرق بين التوسل بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء الى الله تعالى فى قضاء
الحاجات و بين عبادة المشركين الاصنام و جعلها وسيلة الى الله تعالى ظاهر فان الاول امر

مندوب و الثانى شرك منهى. و كذا قوله تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْسُقُهُمْ * الآية. يونس: ١٨) دليل ظاهر على هذا الفرق فكيف يصح انتساب الشرك الى المتوسلين فضلا عن ان يكون شرك المشركين اقل من شركهم كما قال.

وما قال فى (ص: ٦٦) واما الانكار عن بشرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم. فقد ذكرنا عن المحقق ان اعتقاد بشرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و كونه عربيا من فروض الايمان، نعم، من كان غيباً لا بد من تعليمه و ان اصر بعد ذلك حكم بكفره كما ذكر سابقاً عن المفسر البغدادى مفضلاً لاملثل هذا المتشدد.

وما قال فى (ص: ٦٨) انه قلما تجدد بلدة الا و لما الهة كثيرة اعتقدوا فيهم انهم متصرفون الخ.

فنقول اذا اعتقد احد ان الله تعالى قاضى الحاجات و منزل البركات و الشافى للمرضى و المغنى للفقراء و النفوس الفاضلة و سائل فيضان البركات و منازل الرحمت فما معنى الشرك فيه؟

و النذر لغير الله حرام و اما التصديق لا يصال ثواب الى ولى و صالح مثلاً فهو امر ثابت كما فى واقعة ام سعد رضى الله عنها حيث حفر بئراً و قال هذه لام سعد رضى الله تعالى عنها كما فى (المشكاة) و كذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يضحى عن الامة ممن لم يضح عن امته و كذا كان على رضى الله تعالى عنه يضحى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته عليه الصلوة و السلام.

وما قال ان ليس المراد من الدعاء العبادة كما قال بعض المفسرين بل هو الاستعانة.

فنقول الدعاء بمعنى العبادة امر ثابت قال الله تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي * آسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * المؤمن: ٦٠) و فى الحديث (الدعاء مع العبادة) فكيف يصح الرد على بعض المفسرين.

وما قال هكذا مشركوا زماننا المرتسمون بسمة المسلمين يدعون فى الحوائج. فنقول لا يخفى ما فيه من التعسف فان انتساب الشرك الى غير اهله، انما يرجع الى قائله كما فى الحديث الطويل.

بسم الله الرحمن الرحيم

واما اخذ التراب. فمشهور من قبر الامام البخارى رحمة الله عليه البارئ.

واما شد الرحال الى المواضع المتبركة.

فقد ذكرنا ان الاستثناء متصل في الحديث اى (لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا الى ثلاثة مساجد) الخ. كما صرح به الامام حجة الاسلام الغزالي رحمة الله عليه.

واما تلاوة اسماء الصالحين.

فله اصل كما في حديث كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستفتح بصالحيك المهاجرين وايضاً قراءة السلاسل امر متداول بين السلف والخلف كما ذكرنا سابقاً بتفصيل اتم.

واما الاعتقاد بآثار الصالحين.

فأمر ثابت. الا ترى الى تقسيم شعره المبارك في حجة الوداع وكذا الاستشفاء بجبته وشعره عليه الصلوة والسلام دليل ظاهر على آثار الصالحين تحفظ للتبرك وقد ذكر مستوفى.

واما ما ذكر في (ص: ٧٠)، ان الكل مقرون بالخالق الواحد اهـ.

فنقول ان الكل وان كانوا مقرون بالخالق الا انهم يشركون في العبادة وهذا ايضا شرك بخلاف المتوسلين والاستدلال بقول الشوكاني غير تام ولا ملزم علينا، نعم، السؤال من الميت باعتقاد انه مالك النفع والضرر امر ممنوع بل شرك وان كان حديث شد الرحال على عمومه فيدخل فيه زيارة النبي صلى الله عليه وسلم.

وما قال ان زيارة النبي عليه السلام مخصوص.

فنقول قد خالف المقتدى امامه فان امامه صرح بان شد الرحال الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قصداً ممنوع. ولذا قال العلامة ابن حجر في (فتح البارئ) وهذا مما يشفع به عليه.

وما قال في (ص: ٧٤) من ان عمر رضى الله تعالى عنه قطع الشجرة.

فتقول على تقدير ثبوت القطع لا يلزم منه سد باب التبركات وآثار الصالحين.

الا ترى تقسيم الشعر المبارك و ابقاء جثته عليه الصلوة و السلام بل المقصود منه قطع الغلو.

وما قال من الاستقبال وقت الدعاء الى القبلة لا الى القبر.

فنقول صرح ايضاً خليل احمد رحمة الله عليه نقلاً عن الملا على القارى بان الاستقبال وقت الزيارة يكون الى القبر وقال على هذا عملنا وعمل مشائخنا وهكذا حكم الدعاء كما نقل عن الامام مالك رحمة الله عليه حين سأل عنه خليفته في هذه المسئلة و صرح به مولانا الجتجوهرى رحمة الله عليه في (زبدة المناسك عقائد علماء ديوبند)

فعلم ان الاولى عند الزيارة والسلام والدعاء ان يستقبل القبر فكيف قال ان الاستقبال الى القبلة وقت الدعاء مما لا نزاع فيه وانما النزاع وقت السلام فانك علمت من النقل المذكور ان الاستقبال الى القبر اولى مطلقاً عند ابي حنيفة رحمة الله عليه وان كان له تردد في الاول لكن الاستقرار في الاخير على ما ذكر.

وما قال في (ص: ٧٥) لا يستقبل القبر حتى لا يكون الدعاء عند القبر فان

الدعاء عبادة.

فنقول قد مر آنفاً تغليب بعض المفسرين حيث فسر الدعاء بالعبادة على ان السلام على اهل القبور ايضاً عنده دعاء حيث قال فيما مضى ان سلام الميت دعاء لاتحية فكيف التوفيق؟

وما قال ان الميت انقطع عمله.

فنقول قد مر ان المراد انقطاع وجوب العمل لا مطلقاً. الا ترى الى صلاة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام في القبر وتلاوة (سورة الملك) من القبر واتيان الشهداء لجنائزهم عزيرين عبد العزيز رحمة الله عليه فان كلا من المذكور عمل صرح بذلك القيد على القارى.

وما قال في (ص: ٧٥) وهذا كله من الدعاء عند القبور فلو كان هذا جائزاً لكان

منقولاً من الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

فنقول الدعاء عند القبور لاهل القبور ولانفسهم امر متوارث منصوص كما في الدعاء المأثور (السلام عليكم يا اهل القبور انتم لنا سلف ونحن لكم تبع ان شاء الله بكم لاحقون نسا الله العافية لنا ولكم يرحم الله علينا وعليكم) وغير ذلك.

وما قال ان الدعاء عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة.
فنقول ان للدعاء مواضع الاجابة: منها عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
ان لم تكن الاجابة في هذا المقام ففى اى موضع كما نقل سابقاً.

وما قال ان الميت لا يملك الضرر والنفع. فنقول لا يعتقد احد انه يملك النفع و
الضرر فانساب مالكية الضرر والنفع للموتى الى المتوسلين افتراء محض وبهتان بحث.

وما قال فى (ص: ٧٨)، ان الصحابة لم يقبلوا قول صحابى واحد. فنقول يلزم
على هذا سد باب قبول اخبار الآحاد مع ان المشهور والمتواتر فى غاية القلة على ان التمسك
بأخبار الآحاد بشروط ثمانية ترى اربعة فى المخبر الراوى و اربعة فى الخبر المروى امر
مستقر عند العلماء رحمهم الله تعالى عليهم.

وما قال من الاستدلال بالرؤيا فى (ص: ٧٩)

فنقول الرؤيا انما تذكر للتأييد لا للاثبات. الا ترى الى ما قال ابن قيم وهذا
ليس اثباتاً للحكم بالرؤيا بل بالحجج القاطعة كما نقل سابقاً من (كتاب الروح)
وما قال فى (ص: ٨٠) من المذمة للقياس فى امور الدين.

فنقول الرأى انما يذم اذا كان فى مقابلة النص والافه من الاعتبار بالمأمور بقوله
تعالى (... فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِ الْأَبْصَارِ * الحشر: ٢) وايضاً كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه
يسأل عن جماعة سماهم اهل الرأى يقول ما قولكم يا اهل الرأى.

وما قال فى (ص: ٨٥) فالوسيلة مثل سائر الطاعات المرضية والعبادات الشرعية
لا بد فيها من اتباع الشارع.

فنقول قد ذكرنا فى مقصد التوسل الدلائل الدالة على مندوبية التوسل الخالى عن
المنكرات مع التوارث عن السلف الى الخلف كما ذكره تاج الدين السبكي رحمة الله عليه
وقد جعل الامام احمد رحمة الله عليه التوارث دليلاً على مشروعية التلقين كما مر.

وما قال ان التوسل المذكور من افعال المشركين.

فنقول شركهم انما كان عبادة الاصنام لا التوسل الى الله تعالى بعبادة الله الصالحين
كما قال الله تعالى حكاية عنهم (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى * الآية

الزمر: ٣) والاستثناء من النفي اثبات اى ما نعبدهم الا نعبدهم ليقرّبونا ولا شك عبادة غير الله شرك فاين التوسل من العبادة حتى يكون شركاً.

وما قال في (ص: ٨٦) من الآيات الدالة على ان الدعاء لا يكون الا من الله تعالى مثل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ * الآية. البقرة: ١٨٦) وامثال ذلك.

لا يرد فان التضرع و الدعاء في صورة التوسل يكون الى الله تعالى الا انه بواسطة الذوات الفاضلة. الا ترى ان الصحابة كانوا يطلبون الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم و كان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوهم فهل هذا ينافي كون الله مجيب الداعين و كاشف الضر من المضطرين و هل انكر عليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين طلب الدعاء منه صلى الله تعالى عليه وسلم بان تدعوا من الله تعالى فانه قريب مجيب الداعين بل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث مفصل (انا رسول الله ان اصابك سنة فدعوت الله) اهـ . و التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة هو الدعاء من الله تعالى و التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مذكور في قوله تعالى (... وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا * الآية. البقرة: ٨٩) و الانكار انما هو على كفرهم لا على التوسل بل ثبت فيما مضى التوسل بذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبشياه و بشعوره بل بنعله عليه الصلوة و السلام فتذكر.

وما قال في (ص: ٨٧) ان حديث فاسئلوا الله بجاهى موضوع.

فنقول على تقدير الوضع قد صرح الآلوسى البغدادي ان التوسل بجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل بجاه غيره ممن له جاه جائز كما مر بتفصيل اتم و هو معتقدهم.

وما قال ان حديث الاعمى فيه توسل بالدعاء منه عليه الصلوة و السلام.

فنقول تعليم ذلك الطريق بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن امير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه دليل ظاهر بل انه توجه الى الله و توسل اليه تعالى بحرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه سياق الحديث (يا محمد انى اتوجه بك الى ربى). و ايضاً قال الآلوسى البغدادي في تفسيره و انا اقول سبحان الله و بحمده استغفر الله تعالى و اتوب اليه و أسأله ان يجعل لى من كل هم فرجاً و من كل ضيق مخرجاً

بحرمة كتابه وسيد احبابه صلى الله تعالى عليه وسلم) (روح المعاني ج: ٣، ص: ٢٥). فعلم ان التوسل المذكور امر شائع بين العلماء الاعلام.

وما قال ان حديث اذا اعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور موضوع. فنقول قد ذكرنا من الآلوسي البغدادى في تفصيل (قَالَ مُذِيرَاتِ) الآية. (النازعات: ٥) ان للاولياء مددا روحانياً فقد ياتى الشيخ مريده فيرشده لما يهيمه ولذا قيل وليس بحديث كما توهم اذا اعيتكم الامور فعلم ان الرد انما هو على كونه حديثاً لا مطلقاً والا لما ذكر في التأييد.

وقد ذكر مولانا عبد الحى^١ رحمه الله عليه في فتاواه لهذا القول معان صحيحة فضلاً عن ان يكون شركاً. وتفصيل هذا القول على ما قال مولانا عبد الحى الكسوى نور الله مرقده في الجلد الاول من فتاواه (ص: ١٤١، ١٤٢) ان القول المذكور اى اذا تحيرتم في الامور اهـ. ليس بحديث بل مقولة. وتوجيهه انه اذا وقعت في شبهة من الحكم بانه حلال ام حرام فاستعينوا من اقوال القدماء الذين هم في القبور ولا تعملوا برأيكم.

او المعنى اذا تحيرتم في الامور الدنيوية فانظروا الى اصحاب القبور حيث تركوا الدنيا واختاروا سفر الآخرة او المعنى اذا عجزتم في تحصيل مقاصدكم فاسئلوا الله بوسيلة اصحاب القبور لتقبل ببركتهم دعاؤكم لا ان تزعموهم حلالين للمشكلات او مشاركين لله تعالى في تدابير العالم لانه شرك ظاهر.

فعلم من كلام هذا الحبر المحقق مشاق الفتيا، ان هذه مقولة وليس بحديث ولما معان صحيحة وباعتبار المعنى الاخير دليل التوسل بالاموات الفاضلة فضلاً عن ان يكون شركاً كما لا يخفى على ذى لب.

وما قال ان حديث الكوة من القبر للمطر والافضاء بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه العارم اختلط في آخر عمره.

قلنا حديث الكوة اخرج الدارمى وذكره صاحب (المشكاة) وقرره صاحب (المرقاة) وذلك مؤيد بالروايات الاخر.

وما قال في (ص: ٨٨) ان الاستفتاح كان فعل اليهود فكيف يكون دليلاً.

قلنا الاستدلال انما هو بتقرير الله تعالى حيث انكر على كفرهم لا على استفتاحهم فكان دليلاً كما مر مفصلاً.

وما قال ان قوله تعالى (... أَن آغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الآية. التوبة: ٧٤) انه تحت الاسباب الظاهرة.

قلنا هذا نجعله دليلاً على المجاز بان الاغناء في الحقيقة فعل الله تعالى ونسب الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكذا لو نسب الفعل الى الوسيلة لا شرك فيه وذلك مثل قوله تعالى حكاية (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ الآية. ابراهيم: ٣٦) والضمير للاصنام ولا شك ان الاصنام سبب الضلال والحاصل ان نسبة الفعل الى الوسيلة شائع فضلاً عن ان يكون شركاً.

وما قال ان توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه دليل لنا لان هذا توسل بدعاء الحى ولا شك فى جوازه.

قلنا هذا توسل بقرابة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل فى دعاء العباس رضى الله تعالى عنه. اللهم ان القوم توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك فاسقهم فكان توسلاً بقرابة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحقيقة فكان دليلاً لنا كما لا يخفى على أولى الالباب والابصار.

وما قال ان مالكا قال لمنصور انه وسيلتك غير ثابت ورواية الشفاء لا تقبل لان فيها احاديث مكذوبة.

قلنا كيف يقبل الجرح المبهم مع هذا التشديد سيما اذا ايدت بالروايات الأخر. وما قال ان توسل الشافعى باهل البيت ليس بثابت ولو صح فالمعنى التقرب بحبهم.

قلنا توسل الامام الشافعى رحمة الله عليه بأبى حنيفة رحمة الله عليه ثابت كما ذكره العلامة الشافعى رحمة الله عليه فالتوسل باهل البيت أولى بالثبوت واية حاجة الى التقدير اذا كان التوسل بالذوات الفاضلة جائزاً.

وما ذكر ان حديث خدر الرجل فيه انتذير للتسكين وذلك من عادات العرب.

قلنا ذلك للاستشفاء والتوسل كما يدل عليه ما ذكر في (حاشية الحصن الحصين ص: ١٧٤) خدرت رجل عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فقال (يا محمد عليه الصلوة والسلام) فكأنما نشط من عقال فعلم ان هذا كان للاستشفاء والتوسل.

وعن مجاهد خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله تعالى عنه فقال اذكر احب الناس اليك فقال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب عنه فهذا ايضا دليل على انه كان للاستشفاء.

وكذا لا حاجة الى التقدير في السؤال بحق الانبياء وبحق السائلين.
وكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجاءنا في الحياة لا ينافي كونه رجاءنا حين الوفاة.

وما قال في (ص: ٩٠) انه لو فتح تأويل المجاز لما يصح الشرك وحكم الكفر على احد.

قلنا اعتقاد الموحد دليل المجاز. الا ترى الى ما قال علماء البلاغة في بيان القرائن وكصدوره عن الموحد مثل.

بيت:

اشاب الصغير وافنى الكبير * كر الغداة ومر العشى.

الا ترى الى حمل على رضى الله تعالى عنه كلام رجل قال في عهد عمر رضى الله تعالى عنه انى اكره الحق واحب الفتنة واشهد على الغيب على عمل صحيح من ان الحق سكرات الموت كما في قوله تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ * الاية. ق: ١٩) والفتنة المال والأولاد (اِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ * الاية. التباين: ١٥) والغيب واقعات البرزخ والقيامة فانظر كيف حمل كلامه على عمل صحيح.

وايضا لما سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن جارية اراد المولى عتقها اين الله؟ قالت في السماء قال من انا؟ قالت انت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة كيف حمل قولها (في السماء) على عمل صحيح والا فظاهره يدل على اعتقاد الجهة والجسمية.

و اما فرعون فكفره منصوص ظاهر يضرب في الأمثال فكيف يأول قوله (...أنا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * النازعات: ٢٤) على المجاز.

وما قال ان عباد القبور لا يدرون المجاز.

قلنا اطلاق عباد القبور على المتوسلين من تعنته وايضا بعض المجازات تعرفها الكافة كما في اقدمنى بلدك حق لى عليك.

وما قال انهم يعتقدون في اهل القبور اهل التصرف والاعطاء.

فنقول القول بالتصرف صدر عن الشيخ الدهلوى رحمه الله عليه وكذا الشاه ولي الله الدهلوى رحمه الله عليه حيث ذكروا واقعة ارسال اللين واعطاء الشرعيتين المباركتين لوالده وكذا الحافظ ابن قيم حيث ذكر واقعات كثيرة في (كتاب الروح) فكيف يكون هذا شركا مع صدور القول المذكور عن العلماء الاعلام كما عرفت.

و اما اطلاق الغوث والقطب فاصطلاحات الصوفية كما ذكره صاحب (المرقاة في باب اليمن والشام) ذيل حديث (ياتى اليه ابدال الشام)

و اما اعتقاد اصابة الضرر لاجل عدم الوفاء بنذور الاولياء. فشان العوام والعوام ليسوا من اهل التمسك بافعالهم.

وما قال في (ص: ٩١) (انما ندعوهم ليقربونا) فنقول كفرهم لاجل العبادة فان الاية (...مَا نَعْبُدُهُمْ * الآية. الزمر: ٣) اهـ .

و اما توسل عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس رضى الله تعالى عنه فلا يدل على التخصيص بل هو احد الجائزين كما مر مفصلا.

و اما مسألة استقبال القبر عند الدعاء والسلام فقد ذكرت سابقا ان الاولى استقبال القبر عند الامام الاعظم رحمه الله عليه.

وما قال في (ص: ٩٢) من منع الإقسام على الله باحد عند ابن تيمية.

فنقول قد ذكرنا مفصلا في مقصد التوسل عن الآلوسى البغدادى ان السؤال بجاه عظيم الجاه وبجاه النبى صلى الله عليه وسلم بل بجاه غير النبى صلى الله عليه وسلم ممن له جاه جائز فلا اثر لمنع ابن تيمية على ان قول السبكى رحمه الله عليه: ويحسن

التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقل عالم وصارين الانام مثله فالظاهر ان التوسل مندوب عن السلف والخلف و الانكار عنه عدول عن الصراط المستقيم وابتداع لا ان القول به كذلك واية حاجة الى تقدير المضاف فيما جاء فيه التوسل بالذوات.

وما قال في (ص: ٩٤) ان تساوى حالتى حياته ومماته عليه الصلوة والسلام محتاج الى نص.

قلنا النصوص الدالة على حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام كثيرة كما ذكرنا نبذا منه.

وما قال ان مذهب الاحناف رحمة الله عليهم الاستقبال الى القبلة. قلنا معارض سابقا بما ذكرنا سابقاً عن عقائد علماء ديوبند ولا نسلم ان منع التوسل بالذوات مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه كيف والقصيدة المنقولة عنه في (الدر المختار) عند حضوره الروضة المباركة يدل على خلاف ذلك حيث قال.

شعر:

انت الذى لما توسل آدم	*	من ذلة بك فاز وهو اباك
وكذلك موسى لم يزل متوسلا	*	بك فى القيامة يحتفى بحماك
يا اكرم الخلق يا كنز الورى	*	جد لى بجودك وارضنى برضاك
انا طامع بالجود منك لم يكن	*	لابى حنيفة فى الانام سواك

واصحاب المذاهب اعرف بمذهب امامهم فان كان التوسل بالذوات ممنوعاً عند الامام الاعظم رحمة الله عليه لما قال به مقلدوه كما قال فى (نور الايضاح) ^(١) تتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما افتى علماء الهند والخرمين والشام ومصر وغيرهم بل علماء المذاهب الاربعة رحمهم الله بجواز التوسل لكونه خلافا عن مذهب امامهم على ذلك التقدير واللازم باطل فالملزوم مثله واعمال الغير تكون ذريعة الى قر به من الله و حرمة عند الله تعالى و الى بركته. وهذا مما يتوسل به والكفار كانوا يعبدون غير الله وهو

(١) مؤلف نور الايضاح وحاشيته حسن انشربلاي الحنفى توفي سنة ١٠٦٩ هـ. [١٦٥٨ م:] فى مصر

شرك وان كانوا يقرون بخالق فان المنكرين عن الخالق انما هم الدهريون.

واما ما ذكر في (ص: ٩٦) من تلبية الجاهلية. ففيه تصريح نسبة الشريك الى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، حيث قيل الا شريكاً تملكه وما ملك ففيه تصريح بنسبة الشريك.

واما ذكر قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلوة والسلام (... وَأُتِرَى الْأَكْمَةُ وَالْأَبْرَصُ وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ * الآية. آل عمران: ٤٩)

فالمقصود منه ايضاً بيان ان النسبة المجازية الى الوسائل شائعة فان المحي للموتى والشافي للمرضى والمبرئ للأكمه والأبرص هو الله تعالى فكيف قال ان هذه الاضافة حقيقة لا مجاز فهل يجوز لاحد ان يقول نسبة الاحياء الى عيسى عليه الصلوة والسلام حقيقة فان الاحياء من الصفات الفعلية لله تعالى كالترزيق والتخليق قال الله تعالى (... قَالَ مَنْ يُغِيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُغِييهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ * الآية. يس: ٧٨- ٧٩) فعلم ان الاحياء صفة خاصة لله تعالى. قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام في غرود (... رَبِّي الَّذِي يُغِيي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِيتُ * الآية. البقرة: ٢٥٨)

وما قال ان معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام حقيقة.

ليس معناه ان يكون محيياً حقيقة والا فذلك شرك بين و اذا ثبت ان نسبة الاحياء الى عيسى عليه الصلوة والسلام ليست حقيقة بل مجازا بان يكون معناه انا ادعو لاحياء احد و اقول قم باذن الله فيحييه الله بسبب دعائي ولا شك ان سماع الجزئيات لا يشترط في المجاز، نعم، يجب سماع انواعها فثبت المصحح للمجاز.

و التوسل بالانبياء عليهم الصلوة والسلام والاولياء جائز حين الحياة وبعد الوفاة والغلو امر آخر فان لكل شيء حد وميزان ولذا قيل.

بيت:

فللامور مواقيت مقدرة * وكل شيء له حد وميزان

واما حديث اصابة القحط في زمن عمر رضى الله تعالى عنه.

وان كان في الرواية مجهولا الا انه ليس فيه مخالفة عن اصول الدين بل الدلائل

دالة على جواز التوسل سيما بالانبياء عليهم الصلوة والسلام خصوصاً بسيد الانبياء عليه الصلوة والسلام فلو ذكر مثل هذه الروايات في درجة التأييد اى حرج فيه فان التوسل بعد الوفاة لو كان توسلاً شركياً كما زعم المنكر لما ذكره العلماء الاعلام في كتبهم. الا ترى الى ما ذكر في (المدارك ج: ١، ص: ٣٦٨) في تفسير قول تعالى (...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً * النساء: ٦٤) قيل جاء اعرابي بعد دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرمى بنفسه على قبره وحثاً من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا و كان فيما انزل اليك (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ * النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفراً لله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك.

فانا اذا نظرنا الى هذه الرواية مع قطع النظر عن كون الاعرابي صحابياً او غيره لو كان التوسل المذكور ممنوعاً فضلاً عن كونه شركاً لما ذكر صاحب (المدارك) هذه في كتابه و لو ذكرها لردّها ولكن لما ذكر وسكت عليها كان تقريراً وتقرير العلماء حجة فهل يظن احد بمثل هذا العالم ان ذكر في تفسيره فعلاً شركياً عن مجهول او معلوم ويسكت عليه هل هذا الابهتان عظيم.

و كيف لم يرو التوسل عن السلف وقد قال تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى ان السلف كانوا قائلين بجواز التوسل حتى جاء ابن تيمية وابتدع والسلف شامل للكل. فعلم ان الانكار عن التوسل غير منقول عن السلف والانكار عنه بدعة فانعكس الامر بل السلف قائلون بان الدفن بقرب الصالحين في مواضع متبركة امر مندوب كما ذكر في (الحاازن ج: ١، ص: ٤٤٧)

واما سؤال موسى عليه الصلوة والسلام الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من الصالحين. وقال بعض العلماء وانما سأل موسى عليه الصلوة والسلام الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهوراً بها فيفتتن به الناس فلما كان الدفن

بقرب الصالحين امرا مندوبا مطلوباً علم منه ان اثر الفيض من الصلحاء له دخل.
ومن ههنا علم ان امر عمر رضى الله تعالى عنه باخفاء قبر دانيال عليه الصلوة و
السلام حين فتح (تستر) واستسقاء الناس بقبره انما كان لاجل خوف الافتتان لا لان
التوسل كان ممنوعاً والا لقال لهم عمر رضى الله تعالى عنه صراحة ان هذا ممنوع او شرك
فانه كان لا يخاف في الله لومة لائم.

وكذا قطع الشجرة لا لاجل ان التبرك بآثار الصالحين امر ممنوع. الا ترى الى
تقسيم شعره صلى الله تعالى عليه وسلم في حجة الوداع.

وايضاً الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا اذا توضأ النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه ولذا قال عروة والله ان رأيت ملكاً يعظمه اصحابه ما
يعظم اصحاب محمد محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما تنخم نخامة الا وقعت في
كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده كما ذكره (الخازن، ج: ٤، ص: ١٥٦) فلو كان
هذا التبرك ممنوعاً لمنعهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما لا يخفى والرسول عليه
الصلوة والسلام كان مبعوثاً لمحق الشرك والكفر والرجوع الى الله لا ينافي ان يدعو احد
عند قبر نبي او صالح كما ان الرجوع الى موضع آخر من مواضع الاجابة لا ينافي ذلك. و
الله تعالى وان لم يرغب الى ذهاب القبر عند القحوط والشدائد الا ان الاستفتاح بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم امر متقرر في القرآن واستسقاء عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس
رضي الله تعالى عنه دليل على ان الرجوع الى الله تعالى لا ينافي ذلك والا لم فعله عمر رضى
الله تعالى عنه لانه تعالى لم يأمر بالتوسل بالاحياء عند القحط بل قال يا قوم استغفروا
ربكم اهـ. على ما قال المنكر فلنا ان نعارض بالمثل وسماع الموتى قد ثبت فيما مضى و
انقطاع العمل قد مر جوابه وهذا تريد ما في (ج: ١، ص: ١٠٢) فكن على بصيرة.

الدعاء للميت تذكر الآخرة.

وان ذكرنا في حكمة مشروعية زيارة القبور والا ان ترقيق القلوب ايضاً من فوائد
زيارة القبور كما في الحديث فانها ترقق القلوب وترقيق القلوب له دخل في اجابة الدعاء

فإن الله تعالى لا يقبل الدعاء عن قلب لاه سيما إذا كان التوسل في آداب الدعاء كما مر.
وأما التوسل بجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في (ص: ١٠٤) فقد نقلنا
من (روح المعاني): أن التوسل بجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل بجاه غير النبي صلى الله
عليه وسلم ممن له جاه ثابت فتذكر ما مر.

وما قال في حديث الأعمى أنه منقول عن طرق مختلفة فنقول مال الكل إلى
التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم.
وما قال أن هذا كان توسلا بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا من التوسل
بالذات.

فنقول لو كان التوسل بمجرد الدعاء لدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والحال أنه عليه الصلوة والسلام أمره بالوضوء وقال له قل (اللهم انى استلثك واتوجه
إليك بنبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد انى اتوجه بك إلى ربى...) وفى بعض
الطرق (أتوسل بك إلى ربى) فعلم أن المقصود تعليم الدعاء مع بعض آدابه وهو التوسل و
إذا ثبت فى الأنبياء عليهم الصلوة والسلام ثبت فيمن يلحق بهم.

وما قال أن شرط ثبوت الحكم فى المقيس عليه المماثلة لا المخالفة.

فنقول أن التوجه والتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما
ثبت من الحديث وما ذلك إلا لاجل قربه من الله تعالى وشرفه وهذه العلة موجودة فيمن
عداه صلى الله تعالى عليه وسلم على تفاوت المراتب والقياس تعدية الحكم من الأصل
المقيس عليه إلى الفرع المقيس بعله مشتركة على أن اثبات المسئلة ليس بنفس القياس كما
عرفت.

وما قال من الكلام على حديث الأعمى.

فنقول حديث الأعمى أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه والبيهقى والحاكم و
له طرق مال الكل إلى التوسل وهؤلاء الاجلة من المحدثين أخرجه وهذا هو التوثيق لهذا
الحديث فإن تقرير الثقات وتوثيقهم يكون سندا كما فى (خطبة المشكاة) وعدم نقل هذه
المعجزة الباهرة بالشهرة لا يكون دليلا لعدم مقبوليته.

و ما قال في اختلاف الفاظه.

فذلك لا يضرنا فان في بعض الطرق ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس وفي بعض الطرق (توضاً) وفي بعض الطرق لا يذكر ذلك والتوفيق ظاهر فان الوضوء لا يحتاج الى زمان طويل حتى يكون ذكر (توضاً) منافياً لعدم طول المجلس وعدم التفرق م ايضاً الاختصار في الروايات باب واسع. الا ترى الى حديث ما عرّضه الله تعالى عنه كيف وجد فيه تعدد الطرق في بعضها الاختصار وفي بعضها التطويل والواقعة واحدة ولم يجعل احد من المحدثين ذلك جرحاً في الحديث وعدم الشهرة لا يكون دليلاً لعدم مقبوليته. الا ترى الى رد العين التي سالت على خد صحابي في الجهاد معجزة باهرة حتى قيل مشيراً الى تلك المعجزة.

شعر:

ابونا الذي سالت على الخد عينه * فردت بكفى المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاحسن من عين * فياحسن ما كف ويا حسن ما خد

وهكذا معجزات كثيرة لا يشترط نقلها بالشهرة وكيف يصح الحكم بكونه خبراً باطلاً و اما التوسل بالجاء فقد مر تفصيله.

وما ذكر في (ص: ١١٦) ولو كان كل اعمى دعا بدعاء ذلك الاعمى وفعل

ما فعل من الوضوء والصلوة بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى زماننا هذا لم يوجد على وجه الارض اعمى.

اقول هذا استدلال عجيب فان الدعاء لاجابتها شروط معروفة فعدم اجابة دعاء

الاعمى اليوم لا يدل على عدم صحة الحديث فانه لو كان الامر كذلك لبطلت روايات

كتاب الدعوات اذ فيها احاديث وعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاء ببعضها و

دفع البلاء ببعضها و اداء الدين ببعضها فلو دعا مريض او مبتلى او مديون ولم تقض

حاجته هل يصير ذلك سبباً لرد تلك الروايات؟ الا ترى الى حديث عثمان بن ابان حيث

ذكر دعاء دفع البلاء وقد اصابه الفالج فلما بين الحديث نظر اليه بعض الحاضرين فقال

عثمان بن ابان اما ان الحديث كذلك لكن نسبت الدعاء لامضاء القدر.

وما قال ان فيه طلب الدعاء من الحاضر.

فنقول قد مرّ ان المقصود منه التوسل ولذا امره بالوضوء وبيّن له طريق التوسل و
الافاية ضرورة في دعائه عليه الصلوة والسلام لوضوء السائل ولما وجد العمل به بعد وفاة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كما ترى ومجرد الرواية وان لم يكن دليلاً لكن
رواية الثقات دليل.

وما قال اننا لا نقول بمعصتهم اى الصحابة وانها لو تصح تصح من اجتهاد
صحابي.

فنقول هذا ليس محض الاجتهاد بل وجد له دليل صحيح.

واما انكار ابي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما خبر الواحد فلم يكن لاجل ان
خبر الواحد ليس بدليل والّا ففيه فتح باب عظيم فان احكام الدين مبنية على الآحاد.
واما حديث الاعرابي، فقد ذكره صاحب (المدارك في ج: ١، ص: ٣٦٨) وقد
مر تفصيله سابقاً.

وما ذكر ان الاعراب ليسوا حججاً في دين الله تعالى فنقول حجتنا تقرير العلماء
فانهم لا يقررون الحرام سيما اذا كان شركاً عند المنكر.

وما قال ان هذه واقعة المنام فنقول في (المدارك) ذكر واقعة اليقظة حيث ذكر فيه
فنودي من القبر ان غفر لك.

وما ذكر من الدعاء، فمعناه العبادة كما مرّ في (لا تدع) اى لا تعبد.

وما ذكر من الآيات ففي عبدة الاصنام الذين لا يسمعون ولا حياة لهم بخلاف
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والشهداء والاولياء فان لهم حياة برزخية. واما انقطاع
الحج والصلوة والصوم فالوجوب عنهم ساقط لخروجهم عن دائرة التكليف لاعن اهلية
الخطاب.

واما عدم سؤال السوط الذى سقط. فانما هو شان بعض الصحابة الذين غلب
عليهم الزهد لا لان سؤال رفع السوط ممنوع. الا ترى ان مسلك ابي ذر الغفاري رضى الله
تعالى عنه ان جمع المال سواء ادت زكاته ام لا كان ممنوعاً ولذا قال للمتمولين من الصحابة
(...) وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

اليسم التوبة : ٣٤) ولذا قال له عثمان رضى الله تعالى عنه في خلافته، اسكن في الربذة فلما توفي عثمان رضى الله تعالى عنه قيل له في الانتقال الى المدينة قال لا اعصيه حياً ميتاً فعلم ان خلاف امر الخليفة بعد الوفاة ايضاً عصبانا. وذلك لان الموت ليس عدا محضاً. الا ترى الى واقعة ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام حين القى في النار وقد له جبريل عليه الصلوة والسلام ا لك حاجة؟ فقال اما اليك فلا فقال اذكره عند ربي فقال علمه بحالى يغنينى عن سؤالى فهل يصير هذا دليلاً على ان لا يسأل مطلقاً.

و ان كان مطلق السؤال عند الشيخ مذموماً فلم يخبر الطلبة على السؤال حين يقول لهم اذ لم تجمعوا الف درهم لاشرع الترجمة وهم يمشون في الاسواق ويستلون الناس فهل علق احد من السلف شروع التدريس على الف درهم وهل اقتدى في ذلك بسير ذلك الصحابي كلا وحاشا واحد من العلماء الاعلام.

واما السؤال عند قبر نبى او ولي، فاية شناعة فيه بل هو موضع الاجابة الا ترى الى ما قال قاضى خان في (فتاواه ص: ١٤٩) واذا اتى المدينة يستعد لزيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها بالسكينة والوقار والهيبة والجلال لانه محل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومهبط الوحي ونزول الملائكة الى ان قال فصلى ركعتين يقص القبر على سكينة ووقار وفراغ قلب من امور الدنيا ويذهب الى موضع من وجهة القبر و ذلك الموضع رخامة بيضاء مركبة من حائط القمر فيكون فوق رأسه قنديل كبير معلق فاذا وقف هناك فقد وقف عند وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقول: (السلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته اشهد انك رسول الله قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في امر الله تعالى حتى قبضك الله حميدا محمودا فجزاك عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء صلى الله تعالى عليك افضل الصلوة وازكاها اللهم اجعل نبينا يوم القيامة اقرب النبيين ...) الى ان قال ويدعو لصاحبيه ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فيقول: (السلام عليكما) ويسأل حاجته وما ذكرنا من الادعية بعضها مروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضها عن الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين. فالتبرك بها يكون اقرب الى القبول.

فعلم ان السؤال عند قبور الصالحاء سيما سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم و

صاحبيه امر ثابت متوارث وهذا ليس سؤالاً من القبر اى من صاحبه. بل سؤال عند القبر الذى هو منزل الرحمة والبركة وكذا الدعاء عند باقى مواضع الاجابة كما قال قاضى خان [١] فى (فتاواه ص: ١٤٧) وكلما يمر فى الطواف بالركن اليمانى يقول: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار). ويقول عند الركن العراقى (رب اغفرلى وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم نجنى من حر جهنم) ويقول تحت الميزاب (اللهم اظنر تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك عرشك لا آله غيرك يا ارحم الراحمين) وعند الركن الشامى (اللهم اجمله حجا مبرورا وذنباً مغفوراً وسعيًا مشكوراً وتجارة لن تبور برحمتك يا عزيز يا غفور) الى آخر ما قال. فانظر الى تخصيص الدعوات فى هذه المواضع لانها مواضع الاجابة ومنازل الرحمة فالقبول هناك ارجى فكذلك قبور الصالحين من الانبياء والاولياء. والعجب من هؤلاء المعاندين ما يقول فى الدعاء فى هذه الاماكن.

وايضاً نقل قاضى خان فى (فتاواه ص: ١٣٩) عن ابى يوسف انه كان يقول (اللهم هذا جمع اسئلك ان ترزقنى جوامع الخير كله فانه لا يعطى ذلك غيرك، اللهم رب المشعر الحرام ورب الشهر الحرام ورب الجلال والحرام ورب الخيرات العظام ان تبلغ روح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منا افضل السلام اللهم انت خير مرغوب وخير مطلوب) وغير ذلك من الادعية المأثورة فى الأمكنة المخصوصة.

وعلم ايضاً من العبارة السابقة الاستقبال الى القبر كما مر منا لا كما ذكر المنكر وعلم ان تبليغ السلام واهداء السلام الى روحه صلى الله تعالى عليه وسلم امر ثابت.

وما قال المنكر فى (ص: ١٣٥) واما قولهم يا رسول الله خطاب وذا لا يكون الا لمن يسمع فهذا خلاف اللغة والعرف فان الخطاب بيا معروف للاحياء والاموات والحيوانات والجبال والبحار.

فانظر الى هذا الزائغ كيف انكر عن حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسوى خطابه لخطاب الجمادات والحيوانات وهل هذا الا تفريط فان النداء للاحجار والاشجار انما يكون للتعريض او التحسر وغير ذلك كما فى

ايا شجر الخابور مالك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف

بخلاف النداء الى النبی صلی الله تعالى عليه وسلم فانه للخطاب والفهم فان نبی الله صلی الله تعالى عليه وسلم حی یرزق ولیت شعری ما یقولون فی القعدة الصّلاتية هل یقولون (السّلام علیک ایها النبی ورحمة الله وبرکاته) فان لم یقولوا فهم بذلك وان قالوا ذ (ایها النبی) منادی بتقدیر حرف النداء ای یا ایها النبی فما الفرق بین یا رسول و یا ایها النبی وان قالوا انها حکایة عما فی لیلۃ المعراج قلنا قد ذکرنا عن (الدر المختار) انه انشاء علی ان العلامة الشامی رحمة الله علیه صرح ایضا به حیث قال ذیل قول الماتن و الشارح ویقصد بالفاظ التشهد معاینها مرادة علی وجه الانشاء کأنه یحیی الله تعالى ویسلم علی نبیه و علی نفسه و اولیائه لا الاخبار عن ذلك. هذه عبارة المتن و الشرح ثم قال العلامة الشامی رحمة الله علیه ای لا یقصد الاخبار و الحکایة عما وقع فی المعراج منه صلی الله تعالى علیه وسلم و من ربه و من المثلثة. (الشامی ج: ١، ص: ٣٥٨).

و ایضاً قال العلامة (الشامی فی ج: ١، ص: ٢٧٩)، تلمّة: یتحب ان یقال عند سماع الاول من الشهادة (صلی الله تعالى علیک یا رسول الله) و عند الثانية (جعلت قرۃ عینی بک یا رسول الله) فانظر الى هذا النداء.

و ما قال فی حدیث الکوة ای حکمة فی فتح الفرجة و ای اصل من اصول

الدين؟

قلنا هذا اعتراض علی ام المؤمنین عائشة رضی الله تعالى عنها حیث امرت بفتح الکوة علی ان الحکمة فیہ بین العلماء کصاحب (اللمعات)^(١) و (المرقاة) کما ذکرنا حیث قال وقد قیل فی سبب کشف قبر النبی صلی الله تعالى علیه وسلم ان السماء لما رأت قبره بکت و سال الوادی من بکائها قال تعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ • الآية. الدخان: ٢٩) حکایة عن حال الکفار فیكون امرها علی خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار و قیل انه علیه الصلوة و السلام کان یتشفع به عند الجذب فتمطر السماء فامرّت عائشة رضی الله تعالى عنها بکشف قبره صلی الله تعالى علیه وسلم مبالغة فی الاستشفاع فلا یبقى بینہ و بین

(١) مؤلف اشعة اللمعات عبد الحق الدهلوی توفي سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] فی دلهی

السماء حجاب قال الشيخ رحمة الله عليه وهذا في الحقيقة استشفاع بالذات الشريف و كشف القبر مبالغة في ذلك. فالحكمة ما ذكر و كان رمزا الى اصل من اصول الدين فما بكت عليهم السماء اهـ .

وما قال ان كشف القبر لو كان سببا للرحمة لترك الصحابة قبره وقبر ضجيعيه مكشوفين.

قلنا عدم الكشف لا يكون دليلا لعدم سببية الرحمة بل وجود الكشف دليل على انه سبب الرحمة.

وما قال ان القحط نزل في اوان كثيرة في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم و من بعدهم فلم لم يكشفوا قبره صلى الله تعالى عليه وسلم.

قلنا قد ذكر ان تعين طريق في التوسل ليس بلازم فالتوسل في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان تارة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتارة بالعباس رضى الله تعالى عنه وتارة بقبره صلى الله تعالى عليه وسلم فهل لاحد ان يقول لم لم يتوسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بالعباس رضى الله تعالى عنه بعد توسل عمر رضى الله تعالى عنه.

وما قال لو ثبت هذا فيكون سنة الصحابة ان يبرزوا باجسامهم واشخاصهم الى السماء.

قلنا دوام المباشرة في سبب معين ليس بلازم وايضا الاشتشفاع بكشف قبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا مطلقاً.

وما قال انه لو ثبت هذا يكون خلافا لما ذهب اليه المبتدعون من بناء القباب.

قلنا بناء القبة لا ينافي كشف الكوة كما في قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و ايضاً ذكر العلامة الشامي^(١) في المجلد الخامس في كتاب اللقطة ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع كبناء القباب على قبور الاولياء تعظيماً لهم في اعين الزائرين.

وما قال هل يثبت به دعاء الاموات والاستغاثة بهم.

قلنا قد ذكرنا آنفاً ان هذا توسل بالذات الشريف.

وما قال من الكلام على قوله ويستفتحون على الذين كفروا.

(١) العلامة الشامي محمد أمين ابن عابدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] في الشام

فنقول هذا وان كان فعل اليهود لكننا نستدل بتقرير الشرع وايضاً معنى الاستفتاح كما ذكرنا قد ذكر الآلوسى البغدادى فى تفسيره وليس فيه ذكر الحق الا ان معناه ههنا بحرمة وبركته وفى بعض الطرق. اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان. وما قال الفقهاء من منع الدعاء حق احد.

فانما يقولون بكراهته لا بكونه شركا كما يقوله اهل الزينغ والدلائل المثبتة للتوسل كثيرة كما ذكر فى السابق لا انها بهذا الدليل فقط.

وما قال من نسبة الشرك الى التوسل ونسبة الضلال.

فانما يرجع الى قائل ذلك القول اذا لم يكن القول له اهلا لذلك ولا شك ان مسألة التوسل مما قال العلماء بها قاطبة سوى المتكررين الزائغين وعن الحق ناكبين.

وما قال من حديث الطبرانى قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقد مر تحقيقه على معنى ان الانكار كان على توسل بالله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ان ذلك لو كان محمولا على نفى التوسل لكان التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم ممنوعاً حين الحياة والمنكر لا ينكر ذلك كما اعترف به.

وما قال من قول بايزيد البسطامى رحمه الله استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المجنون بالمجنون.

والظاهر ان العبارة الصحيحة كاستغاثه المسجون بالمسجون فقد مر الجواب اجمالاً بانه لو كان هذا الكلام محمولا على الظاهر لكان التوسل بالاحياء ايضاً ممنوعاً اذ المخلوق يدخل فيه الميت والحي والنبي والولى على ان الاستغاثه فى القيامة ايضاً استغاثه وتوسل كما فى حديث طويل للشفاعه حيث (يقول اهل المحشر ربنا ارحمنا ولوالى النار ثم يجيئون الى آدم) عليه الصلوة والسلام الى اخر الحديث على ان لكلام الصوفية محامل كما فى قول ابى الحسن الشاذلى رحمه الله عليه.

بيت:

فلو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى يوماً حكمت بردتى

ولنعم ما قيل:

بيت:

عقل در اسباب میدارد نظر * عشق میگوید مسبب را نگر

و قد ذكرنا واقعة ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام حين القى في النار حيث منع السؤال وقد سال في موضع آخر (رَبَّنَا إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ * الآية. ابراهيم: ٣٧) الى آخر ما قال.

و كذا دعا بعد الفراغ من بناء البيت و المرتبة الاخيرة اولى من المرتبة الاولى كما صرح به العلماء فان الاولى في اصطلاح الصوفية مرتبة الفناء و الثانية مرتبة البقاء و الفرق بينهما مالا يخفى على اولى النهى.

و ما ذكر في (ص: ١٤٩) ان احاديث الشفاعة فيها دعاء من الحاضرين.

فنقول و ان كان من الحاضرين الا ان هذا ايضا استغاثة المخلوق بالمخلوق. و العجب كل العجب اذا ذكرنا قول الصوفية للتأييد يقولون هم اكذب عباد الله و لاسند لهذا القول و لا الاسناد و لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء و اذا ذكروا لاثبات دعواهم فهم اصدق عباد الله و يذكرون اقوالهم بلاسند و لا تكون حينئذ للسند ضرورة و هذا تعسف ظاهر و تعصب باهر فعليك بالانصاف و التجنب عن الاعتساف.

و التوسل لاينافي (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * الفاتحة: ٥) فان المسئول و المستعان هو الله تعالى و الانبياء و الاولياء و سائل بين السائل و المسئول و المستعين و المستعان و هذا بعينه معنى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

و الحاصل انه فرق بين الاستعانة من الشيء و بين الاستعانة بالشيء و لو كان التوسل منافياً ل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) كما قال المنكر لما كان الفرق بين الحى و الميت و الحال ان التوسل بالاحياء مما لاينكرونه.

و ما قال ان هذا تحت الاسباب و ذلك فوق الاسباب.

فنقول قد ذكرنا سابقا ان الانكار مطلقاً سواء كان التوسل بالاحياء او بالاموات انكار عن الاسباب و لاينكره الا جحود او ظلم فان الذوات الفاضلة منازل الرحمة و قبول الدعاء في منازل الرحمة ارجى كما في سائر مواضع الاجابة. فان الذوات الفاضلة يصدر

منهم افعال لها اثر في دار الاسباب كما ذكره الشاه ولي الله رحمة الله عليه في (حجة الله البالغة ج ١: ص ١٤٧)، فاذا مات انقطعت العلاقات ورجع الى مزاجه فلهحق بالملكوت وصار منهم والمهم كالهامهم وسعى فيما يسعون فيه.

وفي الحديث (رايت جعفر ابن ابي طالب لما كان بطبر في الجنة مع الملائكة بجناحين) وربما اشتغل هؤلاء باعلاء كلمة الله ونصر حزب الله وربما كان لهم لمة خير بابن آدم وربما فتح بابا من المثل واختلطت قوة منه بالنسمة الهوائية وصار كالجسد النوراني. وربما اشتاق بعضهم الى مطعموم عنده فامد فيما انتهى قضاء لشهوته واليه الاشارة في قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا أَنَا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ * الآية. آل عمران ١٦٩-١٧٠) الى ان قال الامام ولي الله رحمه الله فلا يكون الموت انفكاكاً لنفوسهم بالكلية بل تنفك تدبيراً ولا تنفك وهما فتعلم علما من كذا بحيث لا يخطر عندها امكان شغالة انها عين الجسد حتى لو قطع الجسد او وطئ لا يثبت انه فعل ذلك بها وعلامتهم انهم يقولون من جذر قلوبهم ارواحهم عين اجسادهم.

وقال في (نعمة الله السابعة) وذلك انه حين وقع جهاد الترك مع الروس فرآى كثيرا من اولياء الله في المسجد وقت التهجد ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه يرمون السهام نصرا لاهل الاسلام فغلب عسكر الاسلام في ذلك الصبح اهـ. فانظر الى هذه الواقعة حيث ظهر النصر مع اهل الاسلام في دار الدنيا حتى غلب عسكر المسلمين ورأى تلك الواقعة اهل الكشف. فثبت منها الكشف وان ذلك لا ينافي عالم الاسباب.

وايضاً ذكر العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسن القمي النيسابوري^(١) في تفسير (غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج: ٤، ص: ١٤١)، قد ذكرنا ان النفس له نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوصة بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية و كانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيف الرياضات ومطارف الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرب هموم مغالطات النفس و

مكابدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة الى ان قال ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى فعلم انه لا مانع من اتيانهم الى الارض باذن الله تعالى كما استاذنوا لجنازة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله عليه كما في (شرح الصدور) ولا تخصيص فيها بالشهداء.

وما قال في (ص: ١٤٩) فما لهؤلاء المبتدعين يطرحون انفسهم الى كل جدث وميت ويدعون كل ضريع حتى لا يحصر المهتم.

اقول فما لهؤلاء الزائغين يسيئون الادب بالذوات الفاضلة ولا يتركون حياً وميتاً عن بهتانه حتى لا تحصر اساءة ادبهم فسبحان من نهى الفحشاء والبهتان.
وما قال في (ص: ١٥٠) ان الجنة والنار خلقتا عدلا من الله تعالى.

قلنا لا منافاة بين خلقه عدلا وبين خلقه لاجل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فان العدل لا يخلو اما ان يكون علة حقيقية او غرضاً وهو باطل فان افعال الله تعالى غير معللة بالاغراض وان كان من قبيل المصلحة والحكمة فيكون لشيء واحد مصالح شتى.
وما قال ان الجنة والنار اذا خلقتا لاجل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلماذا خلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

قلنا خلق ليكون رحمة للناس قال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * الانبياء: ١٠٧) وللهداية (... وَأِنَّكَ لَنَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * الشورى: ٥٢) وللتبليغ أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ * الآية. المائدة: ٦٧) وللبشارة والانذار قال تعالى (... إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَذَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً * الاحزاب: ٤٥-٤٦) فالمعجب كيف خفى على الشيخ وذلك كما في الحديث انه يأتي الشيطان فيقول من خلق هذا من خلق هذا حتى يقول فمن خلق الله ؟

وما قال ان الله سبحانه جعله رحمة للعالمين فتعذيب الكفار من فرعون وابى جهل يكون لاجله وهذا خلاف الرحمة فيصير الحديث بهذا المعنى من شر الاقاويل.

ولا يخفى ان هذا اعتراض وجراء على آيات الله تعالى فان الله تعالى قال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * الانبياء: ١٠٧) على انه لا منافاة بين تعذيب ابى جهل وكونه عليه الصلوة والسلام رحمة للعالمين فانه عليه الصلوة والسلام رحمة مهداة لوروعى قدره و

رفع اليه احد راسه واما ابو جهل واضرا به فلم يراعوا حقه ولم يرفعوا رؤوسهم وهذا لا يضر كونه رحمة.

وايضا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة في حق الكفار ايضا ظاهر لعدم الخسف والمسح العام. وهذا كما ان القرآن هدى للناس وشفاء للناس مع انه لا يزيد الظالمين الا خسارا فهل هذا يضر كونه شفاء وهدى وكما ان الشمس ضياء للناس فمن بقى في البيت المظلم ولم يخرج الى ضياء الشمس او كان اعمى هل يضر ذلك كونه ضياء ولنعم ما قيل:

بيت:

الخبيّة كل الخبيّة لمن بقى في الظلمة والبدر ظاهر
والخبيّة كل الخبيّة لمن بقى في العطش والبحر زاخر

وايضاً

بيت:

اشمس شمس وان لم يرها الضريـر * والعسل عسل وان لم يجد طعمه فاه المرير
فانظر الى هذه التكلفات الركيكة والجوابات الواهية الضعيفة التي يغتر بها من ليس له مهارة في الرواية ولا في الدراية ويغتر من لا بصيرة له بقوله اما ثانيا واما ثالثا و
هكذا ولا يدري انه ما ذكر في الاول والثاني والثالث وهذا لا يليق بشان ادنى عاقل
فضلا عن مثل هذا المدعى الفاضل.

وما قال ان الصديق كان اقل سؤالا وكذا كبار الصحابة لكن الاعراب
يسالونه.

فلا ادري ما معنى السؤال منه صلى الله تعالى عليه وسلم ا سؤال الاحكام
او سؤال الاموال فان كان الاول فهذا منصب الصحابة كلهم ولذا قال تعالى (... فَسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * الانبياء : ٧) وقال عليه الصلوة والسلام (انما شفاء العي
السؤال وان كان سؤال الاموال) فلا يخفى ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسالونه صلى
الله تعالى عليه وسلم حقوقهم وهو يعطيهم ولنا قال (انما انا قاسم والله يعطى). وان كان

سؤال الدعاء فالصحابه يأتون الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يدعو لهم بل كانوا يأتون بصبيانهم للتبرك والتحنيك. الا ترى الى ما ذكر في (المشكاة) عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما انها حملت بعبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما بمكة فولدت بقاء ثم اتت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوضعت في حجره عليه الصلوة والسلام ثم دعا بنمرة فمضنها ثم تفل في فيه ثم حنكه ثودعا له وبرك عليه وكان اول مولود في الاسلام (متفق عليه) (المشكاة ص: ٣٥٤) وقال عمر رضى الله عنه لا خير فيكم بالما تسالوا بل الذهاب لحاجته الى سيد القوم واميرهم طريقة جارية. الا ترى الى ما ذكر في (المشكاة ص: ٣١٦) عن عمر بن مرة رضى الله تعالى عنه انه قال لمعاوية رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (من ولاه شيئا من امر للمسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره) فجعل معاوية رضى الله تعالى عنه رجلا على حوائج الناس رواه ابو داود والترمذى فلا ادرى ما معنى السؤال نعم السؤال مما لا ينبغى لايلىق. قال عليه الصلوة والسلام (من حُسنِ امرئ تركه ما لا يعنيه) وقال تعالى (... لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ * الْآيَةُ. المائدة: ١٠١) وايضا قال عمر رضى الله تعالى عنه لعماله لا تركبوا برذونا ولا تأكلون نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا ابوابكم دون حوائجهم فان فعلت شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم رواه البيهقى في شعب الايمان (المشكاة ص: ٣١٢) فلذا ندب صلى الله تعالى عليه وسلم في الاستشفاع.

وما قال في (ص: ١٥١) انهم يقولون الشهداء احياء عند ربهم فدعوههم لان الله تعالى قال في حقهم (... بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * آل عمران: ١٦٩) فالجواب ان الآية رد عليهم لان الله تعالى قال (عند ربهم) لا عندهم اهـ.

فنقول كونهم احياء عند ربهم لا ينافى كونهم احياء عندنا لان الله تعالى نهانا ان نقول لهم امواتا حيث قال (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ * الْآيَةُ. البقرة: ١٥٤) فعلمنا اننا لا نقول لهم امواتا بل نعتقدهم احياء يرزقون فرحين ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم. ولا ادرى ما معنى كونهم احياء عند الله لا عندنا. الا ترى الى ما في الحديث (خلوف فم الصائم اطيب عند الله من المسك) فهل يجوز لاحد ان يقول انه اطيب عند الله و

١
بَابُ الْعَمَلِ
بَابُ تَقَبُّلِ

اخبرت عندنا و هل هذه الا سَفْسَطَةٌ ظاهرة.

وما قال من نكاح ازواجهم.

فنقول حياتهم برزخية لها مراتب متفاوتة ولهذا حرم نكاح ازواج النبی صلی الله تعالى عليه وسلم على آحاد الامة كما ذكرنا سابقا نقلا عن (التفسير المظهری) على ان مجيئهم الى الدنيا بارواحهم دليل بين على حياتهم كما ذكرنا من (كتاب الروح) للحافظ ابن قيم و من عقائد علماء ديوبند وغيرهم و كفاك بهم قدوة لانك تدعى الانتساب الى الديوبند.

وما قال انه تعالى قال (...يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا* الآية. الروم: ١٩) فهل الارض تبصر او تسمع.

فنقول هذا مما لا يقضى منه العجب فان حياة الارض وموتها وحياة الانسان وموته لا يخفى من الفرق بينهما على انه تعالى ما قال في شان الارض ما قال في شان الشهداء من الفرغ والاستبشار و الرزق ولم يرد شيء من ذلك في الارض.

وما قال ان الصحابة رضی الله تعالى عنهم ما زالوا يخاطبون حين كان بينهم ولم يثبت انهم خاطبوه بعد الوفاة.

فنقول هذا اعجب العجائب فان الصحابة رضی الله تعالى عنهم و التابعين و تبعهم الى يومنا يخاطبونه صلی الله تعالى عليه وسلم و يخاطبون ابا بكر و عمر رضی الله تعالى عنهما و غيرهم حيث يقولون (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم)

و لعل المنكر ما قرأ في صلاته (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) فانه متوارث من لدن رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم الى يومنا.

و قال في (الدر المختار، ص: ٦٥). و يقصد بالفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الانشاء كانه يحيتي الله تعالى و يسلم على نبيه صلی الله تعالى عليه وسلم و على نفسه و اوليائه لا الاخبار عن ذلك ذكره في (المجتبي)

و لا شك ان (ايها النبي) منادى بتقدير حرف النداء فلعلمهم لا يقرؤون ذلك في

صلواتهم و كيف كذب ذلك المنكر انه لم يثبت انهم خاطبوه بعد الوفاة، الا يرى الى خطاب ابي بكر رضى الله تعالى عنه في اول الوفاة بعد تقبيله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في كتب الحديث وما زال التخابط معه صلى الله تعالى عليه وسلم في النشر والنظم:

يا اكرم الخلق مالى من الود به * سواك عند حلول الحادث العمم

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومن ذلك ما ذكر العلامة الشامي (ج: ١، ص: ٢٧٩) ويستحب ان يقول عند سماع الاول من الشهادة (صلى الله تعالى عليك يا رسول الله) وعند الثانية (قرة عيني بك يا رسول الله) كما مر عن قريب الى غير ذلك من الخطابات. وكما ذكر في قول فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها، يا ابتاه الى جبرائيل ننعاه، يا ابتاه الى جنت الفردوس ماواه. وما ذكر من امر مالك المنصور^(١) ان يتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه هو وسيلتك و ابيك آدم الى الله يوم القيامة وفي بعض الطرق استقبله واستشفع به. فنقول اختلاف الطرق لا يضرنا فان مآل الكل الى التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم.

وما قال ان ظن السبكي رحمه الله تعالى لا يعتمد عليه.

فنقول ظن ابن تيمية كيف يعتمد عليه وسيجيء تفصيله في التذنيب في بيان احوال ابن تيمية.

وما قال ان هذا كذب على مالك لان مالكاً لا يقول باستقبال القبر وقت الدعاء. فنقول اولاً ان الخلاف في الاستقبال الى القبر او القبلة اختلاف في الاولوية لا في الوجوب والحرمة حتى يعتمد عليه الكذب على ان الظاهر انه استقبال القبر عند التوسل به عليه الصلوة والسلام لا نفس الدعاء.

وما ذكر من الاستقبال الى القبلة عن ابي حنيفة رحمه الله عليه.

(١) ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين توفي سنة ١٥٨ هـ. [٧٧٥ م.] في مكة المكرمة

مقد ذكرنا سابقا ولا حقا عن على القارى و(الفتاوى) لقاضى خان ما يرشدك الى افتراء الشيخ على الاحناف.

وما قال فى (ص: ٥٦) من ركابة اللفظ حيث قال المناسب استشفع به فيشفعه الله لا ان يقال استشفع به فيشفعك الله فان المستشفع بالرسول ليس شافعاً والذي يشفع له هو الشافع لا المشفوع له يقيناً.

فنقول كيف يبنى هذا الامر العظيم وهو الكذب على الامام مالك رحمه الله بهذا اللفظ الذى يصح بادنى توجيه فان معناه: اطلب الشفاعة برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبل الله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجلك والذي يشفع له وان كان هو الشافع لا المشفوع الا انه لما كان طالباً للشفاعة به صلى الله تعالى عليه وسلم فقبول الشفاعة للشافع كانه قبول لطالب الشفاعة كما لا يخفى على اولى النهى.

وما قال ان (قوله وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه الصلوة والسلام يوم القيامة) يدل على ما هو المرغوب عندنا هو الشفاعة الكبرى لا التوسل فى الدنيا.

فنقول امر مالك رحمه الله عليه له استشفع به ظاهر فى التوسل فى الدنيا اذ لا فائدة للامر فى الدنيا لطلب الشفاعة يوم القيامة والاستشفاع منقول عن السلف والخلف كما لوحناك.

وما قال فى (ص: ١٦٠) انه لم ينقل لفظ الزيارة عنهم بل كره مالك ان يقول زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم.

فتقول قال الحافظ بن حجر رحمه الله عليه فى (شرح البخارى فى ج: ٣، ص: ٤٣) والحاصل انهم الزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحال الى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكرنا صورة ذلك وفى شرح ذلك من الطرفين طول وهى من اشبع المسائل المنقولة عن ابن تيمية.

ومن جملة ما استدلل به على دفع ما ادعاه غيره من الاجماع على مشروعية زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ما نقل عن مالك رحمه الله عليه انه كره ان يقول زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقد اجاب عنه المحققون من اصحابه انه كره اللفظ ادباً لا اصل

الزيارة فانها من افضل الاعمال واجل القربات الموصلة الى الله ذى الجلال و ان مشروعيتهما محل الاجماع بلا نزاع والله الهادى الى الصواب فعلم ان كراهة اللفظ ادبا على انه ورد (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها) الحديث فانه ظاهر في هذا الاطلاق. و قال بعد ذلك بسطور قال بعض المحققين قوله (الا الى ثلاثة مساجد) المستثنى منه محذوف فاما ان يقدر عاماً فيصير (لا تشد الرحال) الى مكان في اى امركان الا الى الثلاثة او اخص من ذلك لا سبيل الى الاول لافضائه الى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم و اطلب العلم وغيرها فتعين الثانى والاولى ما هو اكثر مناسبة و هو لا تشد الرحال الى مسجد الصلاة فيه الا الى الثلاثة فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال الى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله اعلم.

وقال السبكي رحمه الله ليست في الارض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة ومرادى بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكماً شرعياً و اما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة او جهاد او علم او نحو ذلك من المندوبات او المباحات. قال وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم ان شد الرحال الى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لان الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه.

فمعنى الحديث لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد او الى مكان من الامكنة لاجل ذلك المكان الا الى الثلاثة المذكورة و شد الرحال الى زيارة او طلب علم ليس الى المكان بل الى من في ذلك المكان انتهى. (فتح البارى ج: ٢، ص: ٤٣) وعلم منه تفصيل مشكلة شد الرحال.

وما قال ان مالكا نزهه الله تعالى عن البدعة ونهى المؤذن عن التنحيج عند الاذان ونهى من قال له احرم عند القبر وقال له لا تفعل فاني اخشى عليك الفتنة.

فنقول ان نراه مالكا رحمه الله عليه عن البدعة لا يدل على عدم جواز التوسل حتى يدل على كذب الواقعة بلوازم بعيدة بقياس موصول بان يقال الإمام مالك رحمه الله تعالى منزه عن البدعة فكل من هو منزّه عن البدعة فهو لا يقول بالتوسل فمالك لا يقول بالتوسل

ونجعل هذه صفري لقياس آخر ومالك رحمه الله لا يقول بالتوسل وكل من لا يقول بالتوسل لا يأمر الغير بالتوسل فمالك رحمه الله تعالى لا يأمر الغير بالتوسل. ونجعل هذه صفري ونقول مالك رحمه الله عليه لا يأمر الغير بالتوسل وكل من لا يأمر الغير بالتوسل فنسبة الامر اليه كذب. فنسبة الامر بالتوسل الى مالك للمنصور كذب وذلك دعوى الشيخ فقيده المثال. فانظر الى اثبات الدعوى بهذه الطريقة البعيدة فان التوسل لما لم تكن بدعة بل معمول السلف والخلف كيف لا يصح انتسابه الى مالك رحمه الله عليه. الا ترى الى ملازمة الامام المدينة المنورة حتى لم يخرج الا لفريضة الحج فما ذلك الا للتبرك بالمدينة وحبّه جوار النبي صلى الله عليه وسلم. وايضا السلف كانوا يحبون الدفن بقرب الصالحين. الا ترى الى استئذان عمر رضي الله عنه عند قرب الشهادة من عائشة رضي الله تعالى عنها ان يدفن في الروضة وقالت اني اريده لنفسى فلا أثره اليوم على نفسى.

قال ابن حجر رحمه الله عليه في (فتح الباري شرح البخاري ج: ٣، ص: ١٦٦) في ذيل هذا الحديث وفيه الحرص على مجاورة الصالحين في القبور طمعا في اصابة الرحمة اذا نزلت عليهم وفي دعاء من يزورهم من اهل الخير فعلم من هذا اهتمام عائشة رضي الله عنها وعمر رضي الله تعالى عنه حيث قالت كنت اريده لنفسى فلا أثره على نفسى و الايثار انما يكون في امر مطلوب مرغوب ويدل على حرص عمر رضي الله تعالى عنه. على هذا الامر ما ذكر في ذلك الكتاب بعيد هذا. وفيه ان من بعث رسولا في حاجة مهمة ان له ان يسأل الرسول قبل وصوله اليه ولا يعد ذلك من قلة الصبر بل من الحرص على الخير انتهى. ولا يخفى ان هذا ايضا راجع الى التوسل وان قبور الصالحين منازل الرحمة (... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون المطففين: ٢٦)

وايضاً قال الكرمانى [١] وانما كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يصل في تلك المواضع على وجه التبرك بها ولم يزل الناس يتبركون بمواضع الصلحاء. وما روى ان عمر رضي الله تعالى عنه كره ذلك فلانه خشى ان يلتزم الصلاة في تلك المواضع وكذا ينبغي للعالم اذا رأى الناس يلتزمون بالتواضع التزاما شديدا ان يرخص فيها في بعض المرات.

(حاشية البخارى ص: ٧١).

وايضا ذكر مولانا عبد الحى رحمة الله عليه وفي (فتاواه، ج: ٣، ص: ١٧٨) نقلا عن (اللمعات) وهذا الحديث اصل في البركة بآثار الصالحين ولباسهم والمراد من الحديث هو قول ام عطية رضى الله تعالى عنها انها قالت فالتقى حقوة فقالت اسعرنها اياه. وايضا ذكر القاضى عياض رحمة الله عليه [١] في (الشفاء) ومن اعظامه اعظام جميع اسبابه و اكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعابده ومالمسه وذكر واقعة قلنسوة خالد بن وليد رضى الله تعالى عنه فيها شعرات من شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

فعلم من هذا التفصيل مشكلة التبركات وان هذا من قبيل المحبة والمحبة مع اهل الله محبة مع الله. الا ترى الى ما قال الشيخ عبد القادر الجيلانى نور الله مرقده وافاض علينا من بركاته في (فتوح الغيب، في المقالة الثانية والثلاثين):

اعلم ان محبة غير الله شرك يعنى ينبغى ان تكون المحبة الحقيقية مع الله تعالى فاذا كان لغير الله فيها نفوذ فهو اذراء بتوحيد الله تعالى وتحقيره. ثم قال في المقالة الثالثة والثلاثين: انى اخبرتكم ان محبة غير الله شرك ومحبة الله اساس التوحيد فالآن لو صحت ان محبة الله تعالى لا يحصل الا بمحبة اهل الله وصحبته فان ولى الله الموحد المخلص خليفة الله تعالى في الارض ثم قال بعد تعريف ولى الله، لهذا اقول لك بالتأكيد ان الزم صحبة ولى الله ومحبته واستفرض من فيوضاته الباطنة والبركات لان ذلك الشخص يطهر قلبك و دماغك عن الكدورات وينورهما بنور التوحيد والعشق الالهى اهـ.

فعلم من كلام سيد الاولياء ان محبة اولياء الله محبة مع الله والاستغاضة بهم غنيمه. وقد ذكرنا ان الاستغاضة لا تختص بالحقى ولهذا قال السالك.

شعر:

زمن گوصوفيان با صفارا * غلام همت آن حق پرستم
خدا جويان معنى آشنا را * كه با نور خدا بيند خدارا

و الحاصل انه لا بد مع العلم من اصلاح الباطن و الروحانية و لهذا قال ابو بكر الوراق الترمذى: [١] من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد تزندق و من اكتفى بالفقه دون الورع تفسق (كشف المحجوب، ص: ٤٧) [٢].

و قال شيخ المشائخ يحيى بن معاذ الرازى [٣] اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس العلماء الغافلين و الفقراء الكاهلين و المتصوفة الجاهلين. و مثل ذلك منقول عن الامام مالك رحمه الله تعالى من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق و من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق. و من جمع بينهما فقد تحقق.

وما قال ان آدم عليه السلام مخلوق لاجل العبادة لا لاجل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. فقد مر الكلام فيه.

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تخيرونى على بنى اسرائيل) عليه السلام عمول على التواضع او قبل ان اعطاه الله العلم بافضليته او معناه تخيرا يلزم منه تنقيص نبي آخر و الا فهو عليه الصلوة و السلام افضل الرسل و سيدهم و خاتم النبيين و سيد ولد آدم عليه الصلوة و السلام كما فى الاحاديث.

وما قال (ص: ١٦١) ان غفران آدم عليه السلام بكلمات لا يتوسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

فنقول تلك الكلمات كانت توبة و لا منافاة بين التوبة بكلمات و التوسل بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

و اما الدعاء بحق احد و ان صرح الفقهاء بكراهتها لكن لم يقولوا بكونها شركا على ان فى حديث معاذ رضى الله تعالى عنه (ما حق الله على العبد و ما حق العبد على الله) صريح فى ان للعبد حقاً و ان كان حقاً تفضيلاً سيما اذا كان الحق بمعنى الحرمة.

(١) محمد بن عمر الوراق الترمذى المتوفى بترمذ سنة ٢٨٠ هـ . [٨٩٣ م.]

(٢) صاحب هذا الكتاب على بن عثمان الجلابى الحجويزى الشهير بـ (داتا گنج بخش) المتوفى بلاهور سنة

٤٦٥ هـ . [١٠٧٢ م.]

(٣) ابو زكريا يحيى بن معاذ الرازى المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ . [٨٧٢ م.]

وما ذكر من نفى الحق. فهو الحق الاستحقاقى لا التفضيل والافينافيه حديث
معاذ رضى الله تعالى عنه.

وما ذكر فى (ص: ١٦٤) فالذين يزعمون ان التوسل بالذات يدنى من الله تعالى
كاذبون على الله سبحانه وليس لهم دليل لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الصحابة و
لا من السلف الصالحين.

فنقول قد ثبت سابقاً ولاحقاً مندوبية التوسل من الكتاب والسنة والسلف
الصالحين والخلف، نعم، لم يثبت عن ابن تيمية وذرياته.

وما قال فى نفى التوسل نقلاً عن (روح المعاني) فنقول قد ذكرنا سابقاً فى مقصد
التوسل كلام الآلوسى البغدادى بتمامها وفيها تصريح بجواز التوسل بجاه النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بل بجاه غيره ممن له جاه وكذا بجواز الإقسام على الله تعالى باحد وقد
صرح بالمدد الروحاني بعد الوفاة وكذا بالبركة والعجب انه لم ينقل عبارة المحقق بتمامها
وهذه من المنكر خيانة عظيمة وهذه شنيئة الشيخ فى غير موضع فسيحان من الشيخ
الفاخر.

واما الدعاء بان يقول ادع الله ان يرزقنى. اه. فقد صرح الشيخ الدهلوى رحمه
الله تعالى عليه بجوازه كما نقلناه سابقاً. وايضا ذكر الآلوسى البغدادى فى الاخير وجه
عدم تعارف التوسل فى زمن الصحابة وصرح الآلوسى مراراً بالتوسل بالقرآن والنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم كما نقلناه عنه فى سورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ) الآية. نصر: ١)

وما ذكر من تلخيص الاجوبة. قد ذكر الكلام عليها فيما سبق فلا حاجة الى
التكرار، نعم، بعض المواضع نشير اليها فانه قد ذكر ان لا مخالفة بين الآية (وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الزاريات: ٥٦) والحديث (خلق آدم لاجل محمد) صلى الله
تعالى عليه وسلم وخلق شئ لاجل شئ لا يقتضى الملاقة بين الشينين فما قال ان آدم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقاتل معه و
لم يدفع عنه فما معنى قوله (خلق لاجل محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو استدلال
عجيب وجواب غريب.

وايضا لامنافاة بين (... رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ الْآيَةَ. الاعراف: ٢٣) وبين توسل آدم عليه

بجواز التوسل

السلام بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وما ذكر ان التوبة بكلمات ثابت من انس قطعى وما فى الحديث (رفعت رأسى فرأيت مكتوبا...) اخذها آدم تلقاء نفسه.

و اما اخذها آدم من تلقاء نفسه.

فمكابرة ظاهرة اذ ثبت ان لامنافاة بين الآية والحديث على ان آدم عليه الصلوة والسلام اذا وجده مكتوبا على العرش فما معنى الاخذ من تلقاء نفسه؟ هل الاخذ من مكتوب العرش او اللوح او الكتاب اخذ من نفسه؟ وهذا تعصب بين.

وحديث خدر الرجل قد ذكرنا سابقا.

و التوسل فى (يا عباد الله اعينونى) قد مر سابقا.

وما قال ان الصحابة اولى بذلك . فنقول قد ذكرنا التوسل بصعاليك المهاجرين . والتوسل بضجيعيه و الخطاب معهما و النداء لهما كما نقل من كتب الفقه (السلام عليكما يا ضجيعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومشيريه ووزيريه والمعاونين فى أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم! نتوسل بكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم).

و كذا خطاب الصحابة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معروف. الا ترى الى ما ذكر البخارى باب الدخول على الميت بعد الموت اذا ادرج فى اكفاته. ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت اقبل ابو بكر رضى الله تعالى عنه على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل على المسجد فلم يتكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم اى قصد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مسحى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله ثم بكى فقال بابى انت و امى يا نبى الله! لا يجمع الله عليك موتتين اما الموته التى كتبت عليك فقدمتها. قال ابن حجر رحمه الله تعالى عليه فى كتابه المعروف (ص: ٧٤)، و فى هذه الاحاديث جواز تقبيل الميت تعظيما وتبركا وجواز التفدية بالاباء والامهات وقد قيل هى لفظة اعتادها العرب بان تقول ولا تقصد معناها الحقيقية اذ حقيقة التفدية بعد الموت لا يتصور و جواز البكاء على الميت وسيأتى مبسوطا. انتهى.

فعلم من هذا الحديث مخاطبة الخليفة الاول مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد الوفاة وتعظيمه عليه الصلوة والسلام بالتقبيل والتفدية وجواز البكاء على الميت.

والمعجب من شیوخ هذا الزمان حيث يضربون امهاتهم ويخرجونها من بيتهم بسبب البكاء بفوت صبی ثم يتفاخرون بذلك فی التقریرات فی الجامعات. فهل هذا اتباع السنة والحال انه تعالى قال فی كتابه المجید (... فَلَا تَقُلْ لَهُمَا اَیُّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (الاسراء: ۲۳-۲۴) و (... وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (الآیه. لقمان: ۱۵)

وفی السنة (هما جنتك وفارك) الى غير ذلك من النصوص. فیا اسفی علی جرائعهم فان توحیدهم اساءة الادب باكابر الدین واتباع سنتهم اخراج الامهات من البيوت بسبب البكاء علی الصبی فهل يوجد له نظیر فی ممر الدهور وهذا كان فقید المثال.

وكان درسه درس خاھ عديم النظر وما سمعت بمدرسة ولا درس اسمها هكذا هذا اول بدعة ابتداعها.

و توسل عمر رضی الله تعالى عنه بالعباس رضی الله تعالى عنه لا يدل علی الانحصار كما مر مفصلاً.

واما اذهاب الدواب الى المقابر لاجل ان تسمع صياح بعض الاموات فتسكن. فلا حرج فيه فانه ورد فی المتفق علیه (فيصبح صبيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) وفي رواية احمد وابی داود (يسمعها ما بين المشرق والمغرب).

وما قال فی (ص: ۱۸۴)، ان الشياطين يقضون حاجاتهم ويطيرونهم فی الهواء ويذهبون به من مكة الى المدينة وربما ينشق القبر ويخرج منه الميت فيعانقه ويصافحه و يكلمه الى آخر ما قال.

فنقول قد اثبت للشيطان تأثيراً قوياً وقدرة كاملة حتى ان العلماء المتقين ذوي الفراسة ابتلوا بذلك. الا ترى الى ما ذكر اشرف علی التهانوی فی كتابه (بزم جمشید. ص: ۱۷):

حضرت قطب صاحب کایک اقر حضرت شاه ولی الله صاحب کے والد شاہ عبدالرحیم صاحب کیساتھ لکھا ہے کہ وہ قطب صاحب کے مزار پر فاتحہ پڑھنے جایا کرتے تھے ایک متبریدہ و سوسہ ہوا کہ نہ معلوم ان کو میرے آنے کی خبر بھی ہوتی ہے یا نہیں؟

نوراً ہے آواز آئی کہ مرزا بندہ چوں غیثِ متن بد بجان آمد مگر تو آئی بنی۔ اس کے بعد ایک مرتبہ شاہ صاحب فرما رہے تھے اُن پر قطب صاحب کی روحانیت کا بحث ہوا اس وقت شاہ صاحب نے عرض کیا کہ کلام کی نسبت آپ کی کیا تحقیق ہے؟ فرمایا کہ شعر کے متعلق تمہارا کیا خیال ہے؟ شاہ صاحب نے عرض کیا کہ الشعر کلام معزود حسن و قبیحہ قبیحہ اور فرمایا کہ صورت حسن کے متعلق کیا کہتے ہو عرض کیا کہ غیث فی الخلق ما یشاء بعض علماء نے اس آیت کی تفسیر میں یہی کہا ہے کہ اس سے مراد صو حسن ہے فرمایا کہ اگر دونوں جمع ہو جاوے اس وقت کیا کہو گے؟ عرض کیا کہ نور علی نور محمد اللہ نور من بشارتِ فرما اس بہا ہمارے ہی تھا۔ اس کے بعد انہوں نے دیکھا کہ آسمان کی طرف سے ایک تخت نازل ہوا جس پر ایک بزرگ رفیقِ افروز تھے حضرت قطب صاحب اُن کی تعظیم کے لئے کھڑے ہو گئے تھوڑی دیر کے بعد وہ تخت پھر آسمان پر اُٹھ گیا۔ تو شاہ صاحب نے حضرت صاحب سے عرض کیا کہ یہ بزرگ کون تھے؟ فرمایا یہ خواجہ بہا الدین نقشبند تھے۔ شاہ صاحب کے عرض کیا کہ یہ تو سماع کے نہ کر تھے آپ اس کے سامنے اپنی تحقیق کو کیوں نہیں کیا۔ فرمایا ادب کے فلا تھا۔ یہ حضرت عالم برزخ میں بھی ایک دوسرے کا ادب کرتے تھے۔

(۱) شاہ ولی اللہ صاحب رحمۃ اللہ تعالیٰ علیہ از والد بزرگوار خود حکایت میکند کہ ایشان میفرمودند کہ زیارت مرقد منور خواجہ قطب الدین قدس سرہ رفتہ بودم نزدیک مزار ایشان چسوترہ است آنجا بدید قصور و ملاحظہ آنکہ این وجود ملوث را بدان مقام پاک نباید برد۔ بایستادم دران محل روح ایشان ظاہر شد فرمودند بیشتر بیا دو سہ قدم بیشتر رفتم دران وقت دیدم کہ چار فرشتہ تختی از آسمان نزدیک قبر ایشان فرود آوردند معلوم شد کہ بران تخت خواجہ نقشبند رحمۃ اللہ علیہ بودند ہر دو شیخ باہم رازہا در میان آوردند کہ مسموع نہ گشت بعد ازان تخت را فرشتگان برداشتہ بردند خواجہ قطب الدین بمن متوجہ شدند کہ بیشتر بیا دو سہ قدم دیگر پیش رفتم و همچنین میگفتند و قدری میرفتم تا آنکہ نہایت قرب متحقق شد۔ آنگاہ فرمودند چہ میگوئید در حق شعر گفتم کلام حسنہ حسن و قبیحہ قبیح فرمودند باریک اللہ چہ میگوئید در حق صوت حسن گفتم (... ذَلِکَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِیْہِ مَن یَّشَاءُ ۝ الْآیَۃُ الْحَدِیْدُ: ۲۱) گفتند باریک اللہ چون ہر دو جمع شوند دران چہ میگوئید گفتم (... نُورٌ عَلٰی نُورٍ یَّہْدِی اللّٰهُ لِیُؤْتِیْہِ مَن یَّشَاءُ ۝ الْآیَۃُ النَّوْزِ: ۳۵) گفتند باریک اللہ آنچہ ما میکردیم بیش ازین نبودہ است شما ہم گاہ گامی یک دو

(۱) در وقت کتابت بار دویم این کتاب انفاص العارفین حضرت شاہ ولی اللہ رح زیر مطالعہ بود این حکایت آنجا دیدم برای زیادت: ایضاً: باجارت مصنف مد ظلہ درینجا اضافہ نمود ۱۲ محمد گل رحیم اسماری.

بیتی شنیدہ باشید گفتم در حضور خواجہ نقشبند حضرت این را چرآنہ فرمودہ اند یکی ازین دو لفظ فرمودند ادب نبود یا مصلحت نبود میفرمودند این واقعہ را مدتی برآمدہ تعین لفظ از خاطر رفتہ (انفاس العارفين، ص: ۴۳).

فانظر الى هذه الواقعة كيف تثبت منها الكرامة بعد الممات وكيف يثبت منها علم الاولياء وكيف تثبت منها الافادة والاستفادة. ا هذه الافادة كانت من الشيطان؟ سبحانه هذا بهتان عظيم. فهل يظن ذو عقل ان هذه الواقعة كانت كما قال مسيء الادب ويقولون ما لا يتفوه به عاقل وتجهها الاذان وتثرأ منها اللسن وتكرها القلوب وتقشعر منها جلود السامعين فهل يحبون ما يظنون في حقهم مما لا اتفوه به ولا افتى بجوازه في الايات القرآنية ومثل هذه الوقائع كثيرة في كتابه المسمى بـ (الدر الثمين في مبشرات النبي الامين) على ما نقلنا سابقا نبذا فهل هذا ايضا مما دسه اليهود؟

(و كذا قال في ذلك الكتاب ص: ۴۱): فرما اگر میرے پردادا صاحب کا نام فرید زبانون پر مشہور تھا بعض پہلے کافرات میں غلام فرید دیکھا گیا۔ ایک رات کیا تم کیرانہ جا رہے تھے راستہ میں ڈاکوؤں نے گھیر لیا پردادا صاحب اچھے تیر انداز تھے بہلی میں بیٹھے بیٹھے تیر پلا رہے تھے کسی نے اُن کو دیکھ لیا۔ اور شہید کیا۔ رات کو میری پردادی صاحبہ جس وقت وہ جاگ ہی تھی تشریف لائے اور باتیں کی۔ اور جاتے وقت کچھ ٹھکانی اور پھل دیجئے کہ بچوں کو دیدیں بھوکہ میں اور فرمایا اس کو سیکو اٹھانے نہ کریں چونکہ اس زمانہ کے لحاظ سے ایک یہ وہ کے پاس ٹھکانی کا آنا عرفاً بر تھا۔ اس لئے پردادی صاحبہ نے اس کو انبار کیا۔ اس کے بعد وہ کبھی تشریف نہ لائے۔

فانظر الى هذه الواقعة كيف علم منها اتیان الشهيد واعطاء شيء وفكر جوع العميال وقد ذكرها اشرف على التهانوی في مقام التبليغ فعلم هذا مما لا يصادم اصول الدين ولا ينكرون عن امثال هؤلاء العلماء الديوبنديون.

وهذا مثل ما ذكر العلامة السيوطي رحمة الله تعالى عليه في كتابه اتیان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز والعجب انهم يثبتون للشياطين قدرة وتأثيرا عظيماً. وذلك قريب الى واقعة عمرو بن عبيد المعتزلي حيث قال ما الزمنى احد مثل ما الزمنى مجوسى كان معي في السفينة فقلت له لم لا تسلم؟ فقال لان الله لم يرد اسلامي فاذا اراد اسلامي اسلمت فقلت ان الله تعالى اراد اسلامك لكن الشيطان لا يتركك فقال فاذا اكون مع

الشريك الاغلب فسكت و ذكر البعض ان ذلك صار سببا لرجوعه عن مذهب الاعتزال فان المعتزلة يقولون ان الله تعالى لا يريد القبائح واهل الحق يقولون بان الله تعالى يريد الخير و الشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال.

وما نقل من الحافظ ابن قيم من التمسك بروحانية الكواكب.

فنقول التوسل بروحانية الذوات الفاضلة و بروحانية الكواكب بينهما فرق ظاهر فكيف يقاس أحدهما على الآخر حتى يلزم من كون أحدهما شركاً كون الآخر كذلك.

وما قال في (ص: ١٨٦) ان الاستعانة بأى نهج كان شركاً.

اقول: الاستعانة بالشئ كيف يكون شركاً والا فهذا سند الوسائل وان المسائل

بالوسائل.

وما قال ان من قال للعوام ان الفيض يحصل من قبور الاولياء فقد فتح لهم بابا من

الشرك.

فنقول القول بالاستفاضة من قبور اهل الله صرح به في (عقائد علماء ذيوبند)

فكيف يكون شركاً.

وما قال كره الزيارة للمواضع المتبركة وقبور الاولياء.

فنقول قد نقلنا آنفا ان ذلك لا يدخل في شد الرجال المنهى و اذا كانت الزيارة

خالية عن المنكرات فلا معنى للمنع سيما والمعروف لا يترك لاجل منكر و صرح بذلك

الامام الغزالي رحمه الله تعالى عليه و ابن حجر رحمه الله تعالى عليه كما ذكرنا و قال العلامة

الشامى في (ج: ٢، ص: ٦٣٠) و بزيارة القبور اى لا بأس بها بل تندب كما في (البحر)^(١) ان

قال الا ان الافضل يوم الجمعة و السبت والاثنين و الخميس فقد قال محمد بن واسع رحمه

الله تعالى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده فتحصل ان يوم

الجمعة افضل الى ان قال قلت: استفيد منه ندب الزيارة و إن بُعد محلها و هل تندب الرحلة

لها كما اعتيد من الزيارة الى خليل الرحمن و اهله و اولاده و زيارة السيد البدوى [٢]

(١) مؤلف بحر الرائق شرح كنز الدقائق ابن نجيم زين العابدين الحنفى المصرى توفي سنة ٩٧٠ هـ. [١٥٦٢ م.]

(٢) محمد بن واسع توفي سنة ١١٢ هـ. [٧٣٠ م.]

(٣) احمد بن على البدوى المصرى المتوفى بمصر سنة ٦٧٥ هـ. [١٢٧٦ م.]

وغيره من الاكابر الكرام رحمهم الله لم آر من صرح به من ائمتنا ومنع منه بعض ائمة الشافعية رحمة الله تعالى عليه الا لزيارته عليه الصلوة والسلام قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة وَرَدُّهُ الغزالي رحمة الله تعالى عليه لوضوح الفرق فان ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة اليها. واما الاولياء فانهم متفاوتون في القرب الى الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم واسرارهم.

قال: ابن حجر رحمة الله تعالى عليه في (فتاواه) ولا تترك لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك لان القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها ان امكن. قلت ويؤيده ما مر من عدم ترك اتباع الجنائز وان كان معها نساء ناثحات ثم ذكر العلامة آداب الزيارة فقال ثم من آداب الزيارة ما قالوا من انه ياتي الزائر من قبل رجل المتوفى لا من راسه لانه اتعب لبصره بخلاف الاول.

وما قال من الاستفتاء في المسائل.

فقد ذكرنا الاستفادة في بحث السماع انفا من واقعة الشاه عبد الرحيم المرحوم وواقعات الشاه ولي الله رحمة الله عليه سابقا على ان كتب الشريعة موجودة على انه ذكر في (الميزان ص: ٤٧ مطبوع مصر) فسمعت سيدي على الخواص رحمة الله عليه يقول: ايد ائمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة اعلاما لأتباعهم بانهم كانوا علماء بالطريقين و كان يقول لا يصح خروج قول من اقوال المجتهدين عن الشريعة ابدا عند اهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد اقوالهم من الكتاب والسنة واقوال الصحابة ومع الكشف الصحيح واجتماعهم بروح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسؤالهم عن كل شيء توقفوا فيه من الادلة هل من قولك يا رسول الله ام لا يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين اهل الكشف وكذلك كانوا يستلونه عليه الصلوة والسلام عن كل شيء فهموه عن الكتاب والسنة قبل ان يدونوه في الكتاب ويدينوا لله تعالى به ويقولون يا رسول الله! قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا فهل تترفضيه ام لا؟ ويعملون بمقتضى قوله صلى الله عليه.

وسلم و اشارته ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الائمة المجتهدين ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث الارواح. قلنا له: هذا من جملة كرامات الاولياء بيقين وان لم تكن ائمة المجتهدين اولياء فما على وجه الارض ولي ابدأ وقد اشتهر عن كثير من الاولياء الذين هم دون الائمة المجتهدين بمقام بيقين انهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ويصدقهم اهل عصرهم على ذلك الى آخر ما قال. فانظر ايها المنصف أليس هذا صريحاً في الاستعانة ولا يخالف هذا عن اصول الدين كما لا يخفى.

وما قال: هل ينعقدون النكاح و هل يؤمون للصلاة في الجماعات فلو يفعلون ذلك ينبغي ان يؤم بهم في جنازتهم حين كانوا على السرير وجاء القبلة. فلا يخفى ان الاضاحيك المذكورة لا تليق بحال عاقل فضلا عن الفاضل فقيد المثال فان هذه احكام نكلفية وقد انقطع التكليف. نعم على طريق خرق العادة يثبت كما في صلاة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام في قبره و كما ذكر بعض الواقعات العلامة السيوطي رحمة الله تعالى عليه في كتابه (شرح الصدور) و كما في تلاوة (سورة الملك) من رواية الترمذي.

وما قال ان الامام الرباني رحمة الله تعالى عليه قال: كرامات الاولياء بمعنى خرق العادة تسلب بعد مماتهم هذا بهتان عظيم بل قال الامام الرباني رحمة الله تعالى عليه: و يحمل روحانية بعض الاكابر و سائل طريقه و دليله في قطع منازل السلوك فان توسط روحانيات المشايخ في قطع طريق السلوك لازم بطريق جرى عادة الله سبحانه (ج: ١ مكتوب ٢٨٦) وقال ايضا الأويسى شخص يكون للروحانيين مدخل في تربيته ألا ترى ان الخواجه احرار قدس سره لما وجد الامداد من روحانية الخواجه النقشبند قدس سره قيل له مع وجود شيخه الظاهر أويسيا وكذلك الخواجه النقشبند لما نال الامداد من روحانية الخواجه عبد الخالق الفجدواني قدس سرهما كان مع وجود شيخه الظاهر أويسيا (ج: ٣ مكتوب ١٢١) و قال ايضا و كذا ارباب الحاجات يستمدون من الأعزة الاحياء و الاموات في المخاوف و المهالك و يرون أن صور هؤلاء الأعزة قد حضرت و دفعت عنهم البلية (ج: ٢ مكتوب ٥٨). و قول المجدد رحمة الله تعالى عليه لا نعتمد على نقل الشيخ فان

التحريف من دينه و مما دسه ذووا العقيدة الزائغة و الا فمعين الدين الاجميرى رحمة الله تعالى عليه صرح بالاستفاضة من الولى المعروف داتا المرحوم كما نقل من خواجه معين الدين الاجميرى رحمة الله تعالى عليه بعد ختم الرياضة عند مزار (داتا) المرحوم و حصول المكاشفات ذكر ذلك فى كتاب (كشف المحجوب).

و يجوز التوسل الى الله تعالى و الاستغاثة بالانبياء و الصالحين بعد موتهم لان المعجزة و الكرامة لا تنقطع بموتهم و عن امام الحرمين و لا ينكر الكرامة و لو بعد الموت الا رافضى. و عن الاجهورى [١] الولى فى الدنيا كالسيف فى غمده فاذا مات تجرد عنه فيكون اقوى فى التصرف كذا نقل عن (نور الهداية) لآبى على السنجى (البريقة المحمودية فى شرح الطريقة المحمدية لآبى سعيد محمد بن مصطفى المفتى الخادمى القونوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٣ م.] ج: ١، ص: ٢٧٠).

و المقصود من جعل مرض العبد مرض نفسه و جعل جوعه جوع نفسه كما فى الحديث بيان اعزاز العبد و الكرامة و لم يقل احد من العقلاء ان هذه الافعال قائمة بالله تعالى.

و اما البناء على القبر فقا اسعد الامام البخارى رحمة الله تعالى عليه (باب بناء المسجد على القبر) قال ابن حجر رحمة الله تعالى عليه فى (فتح البارى ج: ٣، ص: ١٣٥) اورد فيه حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى لعن من بنى على القبر مسجدا و قد تقدم الكلام عليه قبل ثمانية ابواب قال الزين ابن المنير: كانه قصد بالترجمة الاولى اتخاذ المساجد فى المقبرة لاجل القبور بحيث لو لا يجد القبر ما اتخذ المسجد ويؤيده بناء المسجد فى المقبرة على حدة لثلا يحتاج الى الصلاة فيوجد مكان يصلى فيه سوى القبر فلذلك نحاه منحنى الجواز انتهى. و قد تقدم ان المنع من ذلك انما هو حال خشية ان يصنع بالقبر كما صنع اولئك الذين لعنوا و اما اذا أمن ذلك فلا امتناع و قد يقول بالمنع مطلقا من سد الذريعة و هو ههنا.

و قد ذكر المحدث الدهلوى رحمة الله تعالى عليه فى بناء امرأة الحسن بن الحسن بن

على قبة على قبر زوجته واقامتھا سنة. ان الظاهر ان ذلك كان للذكر والتلاوة ولا يحسن حمل فعل اهل البيت على العبث.

وما ذكر انه لا يجوز بقاء مواضع الشرك والطواغيت.

فنقول مزارات الاولياء مواضع نزول الرحمة والبركة. الا ترى الى ما ذكر من استحباب الدفن في قرب الصالحين والارض المباركة.

قال العلامة الطحطاوى في (شرح المرقى، ص: ٣٤٠) ويقصدون بزيارتها وجه الله واصلاح القلب ونفع الميت بما يتلى عنده من القرآن ولا يمس القبر ولا يقبله فانه من عادة اهل الكتاب ولم يعهد الاستسلام الا للحجر الاسود والركن اليماني خاصة وتامه في (الحلبى) قوله قيل تحرم للنساء وسئل القاضى عن جواز خروج النساء الى المقابر. فقال: لا تسأل عن الجواز والفساد في هذا. انما تسأل عن مقدار ما يلحقها من اللعن فيه واعلم بانها كلما قصدت الخروج كانت في لعنة الله تعالى وملئكته واذا خرجت تحفها الشياطين من كل جانب واذا اتت القبور تلعنها روح الميت واذا رجعت كانت في لعنة الله. كذا في الشرح عن (الشتارخانية) قال البدر العيني^(١) في (شرح البخارى) وحاصل الكلام انها تكره للنساء بل تحرم في هذا الزمان لا سيما نساء مصر لان خروجهن على وجه فيه فساد وفتنة اهـ.

وفي (السراج) واما النساء اذا اردن زيارة القبور ان كان ذلك لتجديد الحزن والبكاء والندب كما جرت به عادتهن فلا تجوز لمن الزيارة وعليه يحمل الحديث الصحيح (لعن الله زائرات القبور) وان كان للاعتبار والترحم والتبرك بزيارة الصالحين من غير ما يخالف الشرع فلا بأس به اذا كن عجائز وكره ذلك للشابات كحضورهن في المساجد للجماعات: اهـ.

وحاصله ان محل الرخصة لمن اذا كانت الزيارة على وجه ليس فيه فتنة و الاصح ان الرخصة ثابتة للرجال والنساء لان سيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كل جمعة وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها تزور قبر

أخيها عبد الرحمن بمكة. كذا ذكره بدر الدين العيني رحمه الله تعالى في (شرح البخارى) و السنة زيارتها قائماً قال في (شرح المشكاة) ينبغي ان يدنو من القبر قائماً او قاعدا بحسب ما كان يصنع لزواره في حياته و كذا ذكره غيره. وفي (القهستاني) ويقوم بحذاء وجهه قريباً وبعداً مثل ما في الحياة.

قال في (الاحياء) والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسسه فان ذلك من عادة النصارى. كذا في (شرح الشريعة).

قال في (شرح المشكاة) بعد كلام و حديث ما نصه: فيه دلالة على ان المستحب في حال السلام على الميت ان يكون لوجهه وان يستمر كذلك في الدعاء ايضاً و عليه عمل عامة المسلمين خلافاً لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى عليه.

واخرج ابن عبد البر في (الاستذكار) و (التمهيد) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام) انتهى.

فعلم ان الواجب في زيارة القبور الاجتناب عن المنكرات و ان يستقبل الميت لا كما قال المنكر وان الزيارة تكون للتبرك ايضاً لا كما زعم المنكر و ان الميت يعرف المسلم ويرد عليه.

واما المنكرات فيجب انكارها فان المنكر منكرو المعروف معروف و المعروف لا يترك لاجل منكر كما ذكرنا من الضابطة. الا ترى الى ان زيارة القبور مستحبة في نفسها من غير نظر الى العوارض للنساء ايضاً.

قال العلامة الشامي في قول الشارح و بزيارة القبور ولو للنساء و قيل تحرم عليهن و الاصح ان الرخصة ثابتة لهن (البحر) و جزم في (شرح المنية) بالكراهة لما مر في اتباعهن الجنائز. و قال الخيز الرملي^١ ان كان ذلك لتجديد الحزن و البكاء و التذب على ما جرت به عادتهن فلا تجوز و عليه حمل حديث (لعن الله زائرات القبور) و ان كان للاعتبار و الترحم

(١) خير الدين الرملي الحنفي توفي سنة ١٠٨١ هـ. [١٦٧٠ م.] في رملة

من غير بكاء و التبرك بزيارة قبور الصالحين فلا بأس اذا كن عجائز ويكره اذا كن شواب كحضورهن الجماعة في المساجد وهو توفيق حسن (الشامي، ج: ١، ص: ٦٣١).

فعلم ان الزيارة للتبرك بزيارة الصالحين امر مندوب ومرغوب ولو للنساء لو كن عجائز وقال العلامة الشامي رحمه الله تعالى في (ص: ٦٣٠) قلت: استفيد منه ندب الزيارة وان بعد محلها و اى بدعة في ذلك ان كان التوسل به بدعة فذلك امر ثابت في الدين وان كان لاجل سماع الموتى فنقول قد ثبت من الادلة سماع الموتى. وقال الامام البخارى رحمه الله عليه في باب قول الميت وهو على السرير: قدموني. قال ابن حجر رحمه الله عليه و ظاهره ان قائل ذلك هو الجسد المحمول على الاعناق.

قال ابن بطلال^(١) رحمه الله عليه انما يقول ذلك الروح و رد ابن المنير بانه لا مانع من ان يرد الله الروح الى الجسد في تلك الحال ليكون ذلك زيادة في بشرى المؤمن و يؤس الكافرو كذا قال غيره و زاد و يكون ذلك مجازاً باعتبار ما يؤول اليه الحال بعد ادخال القبر و سؤال الملكين. قلت و هو بعيد و لا حاجة الى دعوى اعادة الروح الى الجسد قبل الدفن لانه يحتاج الى دليل فمن الجائز ان يحدث الله النطق في الميت اذا شاء و كلام ابن بطلال فيما يظهر لي اصوب. و قال ابن بزيرة قوله في آخر الحديث يسمع صوتها كل شيء دال على انه بلسان القال لابلسان الحال (فتح الباري: ج: ٣، ص: ١٢٠) ولذا قال تعالى (...إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنِ بَشَاءَ ۖ الْآيَةُ. فاطر: ٢٢)

و ذكر على القارى ان المشهور من نسبة عدم سماع الموتى الى الاحناف ليس له اصل من الاثمة بل اخذ من مسألة في باب الايمان انه اذا حلف لا يتكلم مع فلان فمات الرجل فتكلم معه على قبره ميتا لا يحث.

اقول ان وجه عدم الحث ان مبنى الايمان على العرف و اهل العرف لا يسمونه كلاما ولا يعلمون ان الموتى تسمع و المحقق ان ابا حنيفة رحمه الله عليه لا ينكر سماع الموتى وان خالف ابن الهمام و قال الموتى لا تسمع لان ذخيرة الحديث تدل على سماع الموتى فلو قلنا بسماع الموتى فلا اشكال لانه ثبت بقدر مشترك تواتر في الحديث ولا تتعرض الى التخصيصات المتكلفة و سيما اذا لم يرد الانكار عن اثمتنا الثلاثة و اما الايات

(١) ابو الحسن ابن بطلال القرطبي توفي سنة ٤٤٤ هـ. [١٠٥٢ م.]

المشيئة الى عدم السماع فلها محامل حسنة (عرف الشذى: ص: ٣٨٦)، فعلم من كلام الشيخ انور شاه المرحوم صدر المدرسين بدار العلوم الديوبند: ان نسبة عدم سماع الموتى الى الاختلاف ليست بصحيحة وان كانت مشهورة.

وكذا صرح بسماع الموتى مولانا عبد الحى رحمة الله عليه فى (عمدة الرعاية ج: ٢، ص: ٢٢٤) فى مسألة النضرب والكسوة والكلام حيث قال وبالجمللة لم يدل دليل قوى على نفى سماع الموتى وادراكه وفهمه وتامله لا من الكتاب ولا من السنة بل السنن الصحيحة الصريحة دالة على ثبوتها له والحق فى هذا المقام ان هذا كله من تقارير المشايخ وتوجيهاتهم وتكليفاتهم ولا عبرة بها حين مخالفتها للاحاديث الصحيحة واثار الصحابة الصريحة واما ائمتنا فهم بريئون عن انكار هذه الامور ثم ذكر جواباً عن مسألة اليمين بان مبنى الأيمان على العرف.

وايضاً ذكر العلامة ابن حجر رحمة الله عليه فى كتابه: قوله يقول حين تبوءوا مقاعد من النار القائل يقول هو عروة يريد ان يبين مراد عائشة رضى الله تعالى عنها فاشار الى ان اطلاق النفى فى قوله تعالى (فَأَنْتَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى * الآية. الروم: ٥٢) مقيد باستقرارهم فى النار وعلى هذا فلا معارضة بين انكار عائشة رضى الله تعالى عنها واثبات ابن عمر رضى الله عنهما كما تقدم توضيحه فى الجنازى لكن الرواية التى بعد هذه تدل على ان عائشة رضى الله تعالى عنها تنكر ذلك مطلقاً لقولها ان الحديث انما هو بلفظ (انهم ليعلمون) وان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وهم فى قوله (ليسمعون) قال البيهقى العلم لا يمنع من السماع والجواب عن الآية الكريمة انه لا يسمعون وهم موتى ولكن الله احياهم حتى سمعوا كما قال قتادة رضى الله تعالى عنه ولم ينفرد عمر رضى الله تعالى عنه ولا انه بحكاية ذلك بل وافقهما ابو طلحة رضى الله تعالى عنه كما تقدم وللطبرانى رحمة الله عليه من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مثله باسناد صحيح ومن حديث عبد الله بن سيدان مثله وفيه قالوا يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يسمعون؟ قال (يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون) وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (ولكنهم اليوم لا يجيبون).

(١) عبد الله بن عمر توفى سنة ٧٣ هـ. [٦٩٢ م.] فى مكة المكرمة
(٢) ابو قتاده توفى سنة ٤٥ هـ. [٦٦٥ م.] فى المدينة المنورة
(٣) عبد الله ابن مسعود توفى سنة ٣٢ هـ. [٦٥٢ م.] فى المدينة المنورة

ومن الغريب ان في (المغازي) لابن اسحاق رواية يونس بن بكير رحمه الله عليه باسناد جيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها مثل حديث ابى طلحة رضي الله تعالى عنه وفيه (ما انتم باسمع لما اقول منهم) وخرجه احمد رحمه الله عليه باسناد حسن فان كان محفوظاً فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة. قال الاسماعيلي كان عند عائشة رضي الله تعالى عنها من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا يزيد عليه لكن لا سبيل الى رد دراية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تحميصه او استحالة فكيف والجمع بين الذي انكرته عائشة رضي الله تعالى عنها واثبتته غيرها ممكن لان قوله تعالى (فَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى) الآية. الروم: ٥٢) لا ينافي قوله عليه الصلوة والسلام (انهم الآن يسمعون) لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فانه تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلاغهم صوت نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك واما جوابها^{٢٣} بانه انما قال (انهم ليعلمون) فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية (يسمعون) بل يؤيده.

قال السهيلي^(٢٣) ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين فاجابهم قال واذا جاز ان يكونوا عالمين في هذه الحالة جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم على قول الاكثر او باذان قلوبهم. ثم قال بعد سطور: اختلف اهل التأويل في المراد بـ (الموتى) في قوله تعالى (أَنْتَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى) النمل: ٨٠) وكذلك المراد بـ (من في القبور) فحملته عائشة رضي الله تعالى عنها على الحقيقة وجعلته اصلاً احتاجت معه الى تأويل قوله (ما انتم باسمع لما اقول منهم) وهذا قول الاكثر وقيل هو مجاز والمراد بـ (الموتى) وبـ (من في القبور) الكفار شبهوا بالموتى وهم احياء والمعنى منهم في حال الموتى او في حال من سكن القبر وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفتته عائشة رضي الله تعالى عنها والله اعلم. (فتح الباري ج: ٧، ص: ٢١٥).

والحاصل انه وجدت احتمالات كثيرة في الاستدلال بالنص واذا جاء الاحتمال بطل استدلال المنكرين سيما اذا جعل مدار الشك فانه لا بد فيه من دليل

(١) محمد بن اسحاق توفي سنة ١٥١ هـ. [٧٦٨ م.] في بغداد

(٢) عبد الرحمن السهيلي توفي سنة ٥٨١ هـ. [١١٨٥ م.]

قطعى الثبوت وقطعى الدلالة ولا يثبت الكفر بالكلام المحتمل على زعمهم.

و ايضاً علم ان السماع بالاذن ايضاً قول بعض العلماء وهذا يكفى للرد على المنكر الزائف.

وايضاً قال المحدث الكشميرى رحمه الله عليه فى (فيض البارى: ج: ٢، ص: ٤٦):
ان المحقق عندى ان لا تعطل فى القبور بل فيها قراءة القرآن والصلاة والاذان وغيرها من العبادات وليراجع الى (شرح الصدور) للسيوطى رحمه الله عليه والافعال الاخر ايضاً ثابتة عند اهل الكشف وهم ادرى به فلا ننكره مالم يرد الشرع بانكاره صراحة والوجه عندى ان الاحوال فى القبور مختلفة حسب اختلافهم فى الدنيا فكما ان عمل واحد لا يوازى عمل آخر فى الحياة فعلم من قول المحدث الكشميرى ثبوت الاذان والصلاة والقراءة فى القبر و علم ان قول العلامة السيوطى رحمه الله عليه فى (شرح الصدور) يصح ان يتمسك فهل يتمسك عالم محدث محقق محتاط بالأكاذيب.

و علم ان قول اهل الكشف بحجة اذا لم يرد الشرع بانكاره، بل قال المحدث الكشميرى رحمه الله عليه فى (فيض البارى: ص: ٤٦٧-٤٦٨) والاحاديث فى سماع الموتى قد بلغت مبلغ التواتر، وفى حديث صححه ابو عمرو ان احدا اذا سلم على الميت فانه يرد عليه ويعرفه ان كان يعرفه فى الدنيا. و اخرج ابن الكثير ايضاً فالانكار فى غير محله سيما اذا لم ينقل عن احد من ائمتنا رحمهم الله تعالى فلا بد بالتزام السماع فى الجملة و اما الشيخ ابن الهمام رحمه الله عليه فقد جعل النفى هو الاصل وفى كل موضع ثبت فيه السماع جعله مستثنى ومقتصراً على المورد، قلت اذا ما الفائدة فى عنوان النفى وما الفرق بين نفى السماع ثم اثباته والاثبات فى مواضع كثيرة و ادعاء التخصيص وبين اثبات السماع فى الجملة مع الاقرار باننا لاندرى ضوابط سماعهم فان الاحياء اذا لم يسمعوا فى بعض المواضع فمن ادعى الطرد فى الاموات ولذا قلت بالسماع فى الجملة.

قال على القارى فى رسالة غير مطبوعة ان احدا من ائمتنا لم يذهب الى انكارها و انما استتبطوها من مسألة باب الايمان وهى حلف رجل ان لا يكلم فلانا فكلمه بعد موته و دفنه لا يبحث. قال على القارى ولا دليل فيه على ما قالوا فان مبنى الايمان على العرف وهم

لا يسمونه كلاماً واجاب عن الايات التى تدل على النفى بظاهرها مطلقاً جلال الدين السيوطى رحمه الله عليه.

شعر:

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * قد صح فيها لنا الاثار والكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يسمعون ولا يصغون للادب

فعلم من هذا التفصيل ان انتساب انكار سماع الموتى الى الاحناف ليس بصحيح وهذا المقصد وان كان للرد على انكار التوسل الا انه ذكر فيه هذا تبعاً وطرذاً.

وايضاً توسل العلامة الشامى فى (خطبته: ص: ٣) متوسلاً اليه بنبيه المكرم صلى الله تعالى عليه وسلم وباهل طاعته من كل مقام على معظم وبقوتنا الامام الاعظم ان يسهل ذلك على من انعمه ويعيننى على اكماله واتمامه الخ.

وقال العلامة التفتازانى فى (خطبة المطول) لازالت ملجأ لطوائف الانام، و ملاذا لهم من حوادث الايام، وحصنا حصينا للاسلام، بالنبي وآله عليه وعليهم السلام.

فعلم ان التوسل بالذوات الفاضلة كان شائعاً ذائعاً بين العلماء الاعلام فى خطباتهم فكيف يصح طرح كل ذلك بكلام صدر من ابن تيمية؟

وليكن هذا اخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف فى المقصد الرابع والآن نشرع فى الخاتمة ليكون الكتاب خيماً باعتبار المقاصد وبها يستريح القلم، اللهم سهلها على بالنبي المكرم، وآله المعظم، وبقوتنا الامام الاعظم، فنقول:

اما الخاتمة ففي بعض اللواحق والمناسبات.

وفيها مباحث:

البحث الاول: في تعريف البدعة واقسامها. فاعلم ان البدعة ما ليس له دليل من الكتاب والسنة لاصراحة ولا استنباطاً كما صرح به الشيخ الدهلوي رحمه الله عليه في (شرح المشكاة، ص: ١١٧) في تفصيل قوله عليه الصلوة والسلام (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) قال يعني احدث كرد چیزی که نیست در کتاب و سنت نه صریحاً و نه مستنبط، از وی و نه حکم كرد بصحت وی کتاب پس شامل شد اجماع و قیاس را و مراد چیزیست که مخالف و مغایر آن باشد.

فعلّم من هذا الكلام ان البدعة مالا اصل له في الدين لاصراحة ولا اشارة و الكتابة تشمل جميع الاقسام من العام والخاص والدلالة والعبارة والاقتضاء والاشارة و كذا غيرها من الاقسام. والسنة تشمل المتواتر والمشهور والواحد وكذا القول والفعل و التقريری فان الكل حجة.

والبدعة على اقسام:

منها واجب كتعليم الصرف وتعلمه وكذا النحو وحفظ غرائب الكتاب و السنة وغير ذلك مما يتوقف عليه امر الدين.

ومنها مستحب مثل بناء الرباطات والمدارس الاسلامية لتعليم الدين.

ومنها مكروه كنقش المساجد والمصاحف عند البعض اذا كان من مال الوقف.

ومنها مباح مثل الاتساع في المآكل اللذيذة والملابس الفاخرة.

ومنها حرام مثل مذاهب اهل البدع و اهل الاهواء بخلاف الكتاب والسنة.

فعلّم ان البدعة انواع والى هذا اشار الشيخ الدهلوي رحمه الله عليه في شرحه في ذيل قوله عليه الصلوة والسلام (كل بدعة ضلالة) وكذا صرح العلامة الشامي بتقسيم البدعة الى الاقسام الخمسة حيث قال في (ج: ١، ص: ٣٩٣) بعد قول الشارح رحمه الله

عليه و مبتدع اى صاحب بدعة و هى اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا بمعاودة بل بنوع شبهة.

قوله اى صاحب بدعة اى محرمه و الا فقد تكون واجبة كنصب الادلة للرد على اهل الفرق الضالة وتعلم النحو المفهم الكتاب و السنة و مندوبة كاحداث نحو مدرسة و رباط و كل احسان لم يكن فى الصدر الاول و مكروه كزخرفة المساجد و مباحة كالتوسع فى لذيذ المآكل و المشارب و الثياب كما فى (شرح الجامع الصغير) للمناوى عن (تهذيب النووى) ومثله فى (الطريقة المحمدية) للبرگوى قوله (هى اعتقاده) اهـ. عزا هذا التعريف فى (هامش الخزان) الى الحافظ ابن حجر فى (شرح النخبة) ولا يخفى ان الاعتقاد يشمل ما كان معه عمل او لا فان من تدين بعمل لا بد ان يعتقد كمنح الشيعية على الرجلين و انكارهم المسح على الخفين. اهـ.

فعلّم من هذا التفصيل ان البدعة مطلقا ليست بحرام ولا ضلالة و المراد من حديث (كل بدعة ضلالة) اى بدعة سيئة كما صرح به الشراح. الا ترى الى قوله عليه الصلوة و السلام (من سن سنة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها الى يوم القيمة) و كذا قول عمر رضى الله تعالى عنه لما جمع الناس على امام واحد، نعمت البدعة.

البحث الثانى: فى ان بعض الامور كانت بدعة فى القرون الاولى لكن للتوانى فى الامور او لمصلحة اخرى يجوز فعلها، منها التثويب فانه روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دخل مسجدا فتوب فيه فقال لتلميذه اخرج بنا من مسجد هذا المبتدع و مع ذلك اجاز العلماء التثويب بناء على التوانى فى الامور الدينية كما ذكر فى (الهداية) فى بحث الاذان و التثويب فى الفجر (حتى على الصلوة، حتى على الفلاح) مرتين بين الاذان و الاقامة حسن لانه وقت نوم و غفلة و كره فى سائر الصلوات و معناه العود الى الاعلام و هو على حسب ما تعارفوه و هذا تثويب احده علماء الكوفة بعد عهد الصحابة رضى الله تعالى عنهم لتغير احوال الناس و خصوا الفجر به لما ذكرناه. قال صاحب (النهاية) فى تشريع قوله (و استحسنوا) لكن لم يشترطوا عين ذلك اللفظ الذى هو (حتى على الصلوة، حتى على

الفلاح) والمتأخرون استحسنوه في الصلوات كلها لظهور التواني في الامور الدينية. قال ابو يوسف رحمه الله عليه: لا ارى بأساً ان يقول المؤذن للامير في الصلوات كلها (السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته، حتى على الصلوة حتى على الفلاح يرحمك الله) واستبعده محمد رحمه الله تعالى لان الناس سواسية في امر الجماعة و ابو يوسف خصهم بذلك لزيادة اشتغالهم بامور المسلمين كيلا يفوتهم الجماعة وعلى هذا المفتى والقاضى. (الهداية ص: ٧٢) قال في (النهاية) قلت: على هذا التقرير كان استحسان المتأخرين احداثاً بعد احداث لان التثويب الاصلى كان (الصلوة خير من النوم) لا غير في اذان الفجر خاصة و احدث علماء الكوفة (حتى على الصلوة، حتى على الفلاح) في صلاة الفجر مع ابقاء الاول و احدث المتأخرون التثويب بين الاذان والاقامة على ما تعارفوه في جميع الصلوات مع ابقاء الاول.

فعلم من كلام (الهداية) و (النهاية) ان التثويب كانت بدعة ومع ذلك مستحسن ومزيد تفصيل التثويب في الرسالة المسماة بـ (العجيب في مسألة التثويب) لمولانا عبد الحى نور الله مرقده.

ومن ذلك الشروع في الصلاة بـ (الله اعظم) و (الله اجل) و امثال ذلك مما يدل على التعظيم ولا يشوب بالدعاء مع ان في الحديث (تكبيرها التحريم وتحليلها التسليم) و التكبير معناه الله اكبر لا الله اجل و امثاله. قال في (الهداية): وان قال بدل التكبير (الله اجل واعظم) (الرحمن اكبر) (لا اله الا الله) او غيره اجزأه (ج: ١، ص: ٨٤) وفي الروايات كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الصلاة كبر.

فانظر ايها النصف فان (الله اجل) و امثاله لم يرد في حديث قولى ولا فعلى.

ومن ذلك التلفظ بالنية في الصلاة فانه مستحسن ومع ذلك ما نقل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولا التابعين كما صرح به في (الدر المختار ص: ٥٢) و التلفظ عند الارادة بها مستحب وهو المختار ويكون بلفظ الماضى ولو فارسيالانه الاغلب في الانشاءات و تصح بالحال (فهستانى) و قيل سنة يعنى احبه السلف و سنة علمائنا اذ لم ينقل عن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين بل قيل بدعة فعلم من الكلام المذكور ان التلفظ ما

كان في القرون المشهود لها بالخير ومع ذلك سمي سنة.

كلام المجدد اصبح. قال المجدد للآلف الثاني في المكتوب السادس والثمانين و
المائة في المجلد الاول: قال عليه الصلوة والسلام: (كل بدعة ضلالة) يقول هذا الفقير في نية
الصلاة: النطق باللسان مع ارادة قلبه بدعة سيئة رافعة للفرض فضلا عن السنة.

ومنها رفع الرأس وخفضه في الذكر بان يرفع راسه عند النفي ويخفضه عند
الاثبات فانه ذكر في الطريقة المحمدية ان هذه ليست ببدعة بل له سند وهي رفع المسبحة
عند النفي ووضعا عند الاثبات حيث قال واما تحريك الراس فقط (من دون تحريك
البذن) يمينه ويسرة تحقيقا لمعنى النفي والاثبات في (لا اله الا الله) فالنظر الغالب جوازه
بل استحبابه اذا كان مع النية الصالحة لوجه الله من غير قصد رياء فيخرج عن حد اللعب
والعبث فيكون فعلا دالا على التوحيد مقارنا للقول الدال عليه فتكون كلمتين واصله رفع
المسبحة في الصلاة في التشهد عند (اشهد ان لا اله الا الله) وقد ورد في الصحاح عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان الصلاة موضع سكون ووقار (ج: ٢، ص: ٢٦٨)

فانظر الى العلماء المحتاطين، كيف بينوا لتحريك الرأس عند الذكر مأخذا وسندا
وما حكم بابتداعه بل قال باستحبابه وامثال ذلك كثيرة في الكتب كما لا يخفى على من
له ممارسة بالعلوم الدينية.

البحث الثالث في الدعاء. وهذا بحث اهم لانه قد كثر الشعب فيه وجرت
مناظرة ووقعت على الفئة المنكرة فضيحة و لم يأتوا هنالك بدليل شاف من كتب
الاحناف وذلك في بلدة هوسع من مضافات (المردان) بدعوة مولانا واولانا المحب في الله و
المبغض في الله ميان گل المخلص في خدمة الدين والعبد الضعيف ايضاً حضر في تلك
الواقعة وكانت عليهم داهية دهياء ورأى العبد الضعيف فضيحتهم فلا بد ان اذكر من
لهذا البحث نبذا بعبارة وجيزة وان حرر العلماء فيه رسائل:

منها رسالة مولانا المعروف كالشمس في نصف النهار مولانا الحاج شائسته گل

المتوى المسماة بالحجة المنقولة في احكام الادعية المعمونة وقد انطبعت.

ومنها رسالة اخى ومشفقى مولانا محب الله التنبولكى المدرس فى المردان وهى
لم تطبع الآن الا انى رأيتها ففيتها تحقيق انيق، يشفى العليل ويروى الغليل الا ان ما لا
يدرك كله لا يترك كله.

فاعلم ان الدعاء طلب الادنى من الاعلى بالخضوع وهذا هو المراد بقولهم الدعاء
حاجت خواستن ولذا قال الفقهاء ان (اللهم انت السلام) كما هو وارد فى الاحاديث
ليس بدعاء بل ذكر كما قال العلامة الطحطاوى فى (شرح المراقى: ص: ١٧١) قوله
و الدعاء هذا لا ينافى الاتيان بـ (اللهم انت السلام) اهـ. لانه ليس بدعاء بل ثناء الا ان يراد
بالدعاء ما يعم الذكر او هو بالنظر الى قوله (فعيننا) اهـ. دعاء على ما فيه فعلم من هذا الكلام
ان (انت السلام) كما هو الماثور فى الروايات ليس بدعاء. وما ذكر فى بعض حواشى
كتب الحديث على ما ارانى بعض الفضلاء والكهلاء بان (اللهم) دعاء فجوابه ان المراد
بالدعاء النداء ولا شك ان (اللهم) منادى بحذف حرف النداء، معناه يا الله لان الدعاء
بمعنى حاجت خواستن كما ورد فى القرآن (... لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً * الآية. البقرة:
(١٧١)

وما ذكر من كون (اللهم انت السلام) ذكرا لدعاء كثير فى كتب الفقه كما
لا يخفى على من مارسها اذا عرفت هذا فاعلم ان الدعاء مخ العبادة ولذا قال تعالى (وَقَالَ
رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ *
المؤمن: ٦٠) وهذا هو السند على كون الدعاء عبادة وهذا النص مطلق من ان يكون بعد
الصلاة اولا وان يكون بالانفراد او الاجتماع فان المطلق يجرى على اطلاقه فى الصفات و
يراد منه الفرق الكامل فى الذوات فحصل التوفيق بين الاصلين.

وقال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * البقرة: ١٨٦) وهذا ايضا مطلق يجرى على
اطلاقه. وقال تعالى (قُلْ مَا تَغْتَوُّا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ * الآية. الفرقان: ٧٧) الى غير ذلك
من النصوص وعلم من هذا مشروعية نفس الدعاء

و اما الدعاء بعد الفراغ من العمل الصالح فهي قاعدة متقررة في الشرع ولذا ذكر العلماء ان الدعاء بعد الفراغ من العبادة قاعدة شرعية. الا ترى الى ابراهيم واسماعيل على نبينا وعليهما الصلوة والسلام لما فرغا من بناء الكعبة دعا حيث قالوا (... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * البقرة: ١٢٧) كما هو المذكور في القرآن العظيم.

و كذا ورد في الروايات: الدعاء بعد تمام الصوم (اللهم انى لك صمت وبك آمنت وعلى رزقك افطرت فاغفرل).

و كذا بعد الفراغ من الحج واركانه ادعية ماثورة بعد الفراغ من كل ركن مثل (اللهم اجعل حجا مبرورا وسعيًا مشكورا وذنبًا مغفورا) وغير ذلك من الادعية الماثورة في كتاب المناسك على ما ذكره المحدثون والفقهاء باتم تفصيل وعلم من الادلة المذكورة ان الدعاء بعد العبادات قاعدة متقررة في الشرع ونجعلها كبرى ونضم معها الصغرى سهلة الحصول: الصلوة عبادة، و كل عبادة فالدعاء بعدها مستحب، ينتج بعد اسقاط الاوسط: الصلوة فالدعاء بعدها مستحب. اما الصغرى فظاهرة لان الصلوة اهم العبادات واربع انبضاعات واما الكبرى فلانها من الاصول الموضوعة المسلمة عند الفقهاء المستنبطة من النصوص على انه ورد الامر بالدعاء بعد الصلاة على طريق الخصوص. قال الله تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * الانشراح: ٧) قال الآلوسى البغدادى (ج: ٣٠، ص: ١٧٢) وغيره من المفسرين اى اذا فرغت من الصلاة فاتعب في الدعاء. روى هذا التفسير عن قتادة وضحاك وغيرهما و كذا ذكر الامام البخارى رحمه الله عليه (باب الدعاء بعد الصلوة). (ج: ٢، ص: ٩٣٧)

فعلم من قوله تعالى وقول الامام البخارى رحمه الله عليه المستند الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان بعد الصلاة دعاء والظاهر ان الدعاء ليس بين السنة والفرض لان الفصل بين السنة والفرض بما زاد على (اللهم انت السلام) مكروهه قال العلامة الشامى في (ج: ١، ص: ٤٧٧) وكذا لو فصل بقراءة الاوراد لان السنة، الفصل بمقدار (اللهم انت السلام) حتى لو زاد تقع السنة لا في محلها المسنون.

قال في (المراقى ص: ١٧٠) كل صلاة بعدها سنة يكره القعود بعدها والدعاء بل

يستثنى بالسنة كيلاً يفصل بين السنة والمكتوبة.

فعلم من هذا ان الدعاء بين الفرض والسنة مكروه فاذا لم يدع الصلّى بينهما فلا بد ان يدعوا بعد الفراغ من السنة ليرد الامر به في القرآن ولا تتخاذ الامام البخارى باباً عنه انه: (باب الدعاء بعد الصلوة). وقد ذكر انطحاوى ان هذا لا ينافى الا تيان بـ (اللهم انت السلام) لانه ليس بدعاء بل ثناء كما ذكر سابقاً فثبت المدعى باحسن ترتيب وهو الدعاء بعد السنن وان قلت انه لا يثبت منه الدعاء بالهيئة الاجتماعية والبحث فيها، قلت قد علمت ان الدعاء عبادة والعبادة بالهيئة الاجتماعية افضل فالدعاء بالهيئة الاجتماعية افضل مما لم يمنع مانع فلا يرد النفل بالتداعى اما الصغرى فظاهرة من قوله تعالى (وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي * الآية. المؤمن: ٦٠) ومن قوله عليه الصلوة والسلام (الدعاء مع العبادة) واما الكبرى فان الصلاة بالجماعة افضل كما في الحديث، انه خمس وعشرون درجة وايضاً ذكر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) (ج: ٢، ص: ٤٥) النووى وفي الدعاء ذكر الله تعالى.

وايضاً روى انه كان للحسن البصرى^(١) رحمه الله عليه جار يحتطب على ظهره فكان اذا سلم الامام خرج سريماً فقال له الحسن يوما يا هذا! لم لم تجلس ساعة؟ ان لم تكن لك حاجة في الآخرة، افلا حاجة لك في الدنيا؟ فقف بعد الصلوة وادع الله واسأله حمولة لا تحمل على ظهره (شرح شرعة الاسلام ص: ١١٢).^(٢)

وايضاً قال القاضى البيضاوى في تفسير قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * الفاتحة: ٥) ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم، لعلها تجاب ببركتها فعلم ان للاجتماع دخلاً في الاجابة فمن كان محتاجاً الى الاجابة فليدع ربه بالاجتماع ومن لا، فلا يدع مطلقاً لا بالاجتماع ولا بالانفراد.

وايضاً ذكر في (نور الايضاح) وشرحه (مراقى الفلاح ص: ١٧٦) ويستحب ان يشتغل بعده اى بعد التطوع وعقب الفرض ان لم يكن بعدد نافلة يستقبل الناس ان شاء ان لم يكن في مقابلة مصل الى ان قال ويستغفرون الله العظيم. فعلم من هذا مشروعيته بالهيئة المعمولة ثم الدعاء لها آداب: رفع الايدي عند الدعاء ولذا ذكر الامام البخارى

(١) حسن البصرى توفى سنة ١١٠ هـ. [٧٢٧ م.]

(٢) مؤلف، شريعة الاسلام الامام زاده محمد توفى سنة ٥٧٣ هـ. [١١٧٨ م.] في بخارى

وإيضاً ذكر في (نور الايضاح) ثم يدعون لانفسهم والمسلمين رافعي ايديهم و ذكر الشارح في تلك الصفحة في اثباته قوله عليه الصلوة والسلام (اذا دعوت الله فادع بباطن كفيك ولا تدع بظهورهما فاذا فرغت فامسح بهما وجهك) اهـ. (ص: ١٧٣)

و منها تقديم الحمد و الصلوة على الدعاء قال في (الحصن الحصين) في بيان آداب الدعاء (ص: ٢٢) و تقديم عمل صالح قال في (الحرز الثمين) اي قبل الدعاء ليكون سبباً لقبوله كما في حديث ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في صلوة التوبة- والصلوة و الثناء على الله اولا و آخرها و الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك. قال في (الحرز الثمين) قال فضالة بن عبيد سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله و لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره (اذا صلى اخذكم فليبدأ بتحميد ربه و الثناء ثم يصل على النبي و سلم ثم يدعوه بما شاء).

و منها التوسل الى الله تعالى بعباد الله الصالحين و قد ذكرنا بالاستيفاء.

و من آداب الدعاء تكرار الدعاء لان الامام البخارى ذكر باب تكرار الدعاء (ج: ٢، ص: ١٤٥) و في (الحصن الحصين) و ان يكرر الدعاء و اقله الثلاث.

قال في (كنز العباد) و ينبغ في الدعاء لقوله عليه الصلوة و السلام (ان الله يحب المتحسين في الدعاء) و ادنى الاحياج ان يكرره ثلاثاً و الاوسط خمساً و الاكمل سبعاً (ص: ٢٤) و فيه ان دعاء القائم في القبور افضل.

و ذكر الامام مسلم (ج: ١، ص: ٣١٣) في واقعة بقع الغرقد انه عليه الصلوة و السلام رفع يديه ثلاثاً. قال الامام النووي رحمة الله عليه: فيه استحباب اطالة الدعاء و تكرار رفع اليدين.

و ايضاً ذكر الامام حجة الاسلام الغزالي في كتابه المعروف: قال مجاهد ان الصلاة

جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خاف الصلاة (احياء العلوم: ج: ١، ص: ٢١٠)

و ايضاً ذكر واقعة حبيب المعجمي حيث كان حبيب المعجمي^(١) يدعو ما يزيد على قرله اللهم! اجعلنا جيدين، اللهم! لا تفضحننا يوم القيامة، اللهم! وفقنا للخير والناس يدعون في كل ناحية وراهه كان يتعرف بركة دعائه. (احياء العلوم: ج: ١، ص: ٢١١)

قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم من الله ان يدعو ما بينهما (ج: ٢، ص: ٢١٢) فعلم من هذه العبادات نفس الدعاء وبعد الصلاة والتكرار وتقديم الحمد والصلوة والحتم بها والدعاء بالاجتماع وهذا تحليل الدعاء المتعارفة.

وايضاً قال (صاحب البحر) لكن السنة عندنا مقدمة على الدعاء الذي هو عقب الفراغ (ج: ١، ص: ٣٠٤)

وفي (شرح شرعة الاسلام) ويغتنم الدعاء بعد الفريضة وقبل السنة على ما روى عن البقال وبعد السنن والاوراد على ما روى عن غيره وهو المعمول المشهور في زماننا فعلم من لفظ (عندنا) ان هذا مذهب الاحناف وصاحب (البحر) اعرف بمذهب امامه وذلك في (ص: ١١٥) ويدعو الامام للقوم بالخير بعد الصلاة اي يدعو بعد قراءة الاوراد والاذكار الماثورة على ما هو المتعارف بين الائمة رحمهم الله تعالى الى ان قال وفي (قنية الفتاوى)^(٢) واذا كانت صلاة ليس بعدها سنة يستقبل القوم بوجهه هذا هو السنة اذا لم يكن بحذائه رجل مسبوق يصلي واما اذا كان فلا يستقبل.

وايضاً ذكر في (شرح شرعة الاسلام ص: ١١٦) وذكر الامام ابو الليث في (شرح المقدمة) نقلاً عن ابي حنيفة رحمة الله عليه من انه اذا دعا الامام بعد الصلاة حول وجهه الى الجماعة اه. وهذا ايضاً ظاهر في الدعاء المتعارفة كما لا يخفى على ذي لب.

وايضاً روى عن ابي مالك الاشجعي عن ابيه كان رجل اذا سلم علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة ثم امره ان يدعو بهذه الكلمات (اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني) رواه مسلم (المشكاة ص: ٢١٠).

وروى عن مسلم بن ابي بكرة قال كان ابي يقول في دبر الصلاة (اللهم اني

(١) حبيب المعجمي تلميذ حسن البصري توفي سنة ١٢٠ هـ. [٧٣٩ م.]

(٢) مؤلف قنية الفتاوى المختار الزاهدي الحنفي توفي سنة ٦٥٨ هـ. [١٢٥٩ م.]

اعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر) فكنت أقولهن فقال: اى بنى! عمن اخذته قلت: عنك فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولهن فى دبر الصلاة رواه الترمذى (المشكاة ص: ٢١٠)

فانظر الى اهتمام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بعد الصلاة حيث يعلم المشرف بالاسلام الصلاة ثم الدعاء وكان فعله عليه الصلوة والسلام ايضا كذا وهو معنى قوله تعالى (فَإِذَا قَرَعْتَ، فَانْقَصِبْ * الانشراح: ٧) وذكر مسألة الدعاء فى (شرح شرعة الاسلام) فى موضع آخر ورجع الاجتماع.

و ذكر فى (الهداية ج: ١، ص: ١٥٦) والسنة فى الادعية تاخيرها عن الصلوة و البداية بالثناء ثم بالصلاة سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ١٦٠) وذكر فى موضع آخر لان الثناء و الصلوة يقدمان على الدعاء كما فى غيره من الادعية تقريبا الى الاجابة و الرفع سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ٢٢٤) وذكر فى موضع آخر و الجمع ارجى فى الاجابة (الهداية ج: ١، ص: ١٢٤)

و ذكر فى (الهداية) ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ماذا يديه كما استظم المسكين (ج: ١، ص: ٢٢٤) فعلم من هذه العبارات ايضا تقديم الحمد و الصلوة و رفع اليدين و فضيلة الاجتماع و رجاء الاجابة فضلا عن ان تكون بدعة قبيحة.

و ايضا ذكر العلامة محمد انور شاه الكشميرى نور الله مرقده فى (فيض البارى شرح البخارى) الدعاء بالهيئة الكذائية ليست ببدعة بمعنى انه لا اصل له فى الدين. فمن كان محتاجا فليدع بالاجتماع و من لا فلا.

و ايضا ذكر العلامة الشامى ويكره تاخير السنة الا بقدر (اللهم انت السلام) و اما ما ورد من الاحاديث فى الاذكار عقب الصلوة فلا دلالة فيه على الاتيان بها قبل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعدها لان السنة من لواحق الفرض و توابعه و مكملاته فلم تكن اجنبية (شامى ج: ١، ص: ٤٩٤) فعلم من كلامه ان السنن من المكملات و الفصل بين المكمل - بصيغة اسم المفعول - و المكمل - بصيغة اسم الفاعل - غير مشروع.

وايضاً ذكر في (المشكاة) كان عليه الصلوة والسلام يقول: (في دبر صلاة الفجر دعاء) (ص: ٢١٢)

وايضاً روى عن الحارث بن مسلم التميمي عن ابيه انه عليه الصلوة والسلام امر اليه فقال: (اذا انصرف من صلاة المغرب فقل قبل ان تكلم احدا اللهم اجرني من النار سبع مرات واذا صليت الصبح فقل كذلك).

وايضاً روى عن امام المسلمين ابي حنيفة رحمة الله عليه وانه قال اذا دعا الامام بعد الفراغ من الصلاة حول وجهه الى الجماعة. (فتاوى الفقيه ابي الليث ص: ١٣).

واما عدم ثبوت الدعاء بعد السنن من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالهيئة المتعارفة مع القوم فلان اكثر عاداتهم المباركة كانت اداء السنن في البيت كما في حديث (افضل صلاة المراءى بيته الا المكتوبة)

والعبد الضعيف بعد ما كتب شيئاً في مسألة الدعاء بحسب توفيقه وحمل الى كتاب (كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب النجدى) وضم الشيخ معه مسألة الدعاء بعد السنن فلا بد ان اذكر لك شيئاً ضمهما على ذلك الكتاب لمناسبة بحث الدعاء. فنقول ذكرنا سابقاً تعريف البدعة بانها ما لا دليل عليها اصلاً لا قولاً ولا فعلاً ولا تقريراً لا من الكتاب بانواعه ولا من الحديث باقسامه ولا دليل آخر. بل ذكر في (الدر المختار ص: ٣٣٧) و (رد المختار) و (شرح النخبة) (ص: ٥٢) هي اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا بمعاندة بل بنوع شبهة. فاطلاق البدعة على الدعاء ممنوع سيما البدعة القبيحة والذكر بالاجتماع ايست ببدعة كما في الحديث القدسي (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه).

وذكر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر) وما ذكرت من انكار عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فنقول قد ذكرنا انه انكر على التثويب ايضاً ومع ذلك امتحنه المتأخرون كما نقلنا عن (الهداية).

واما الانكار على الاجتماع لصلوة الضحى لان صلاة الضحى نافلة والتفعل على

سبيل التداعى مكروه كما صرح به الفقهاء فكيف يقاس عليها الدعاء والحال ان الاجتماع في الدعاء ارجى في الاجابة كما في (الهداية)

وايضاً ذكر في (عين العلم: ص: ٦٨) ومنها الدعاء والدعاء مع العبادة وحقه ان يترصد شرائف الاوقات الى ان قال والكون في جماعة تبلغ مائة والوقوف بعرفات وملتزم وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام.

فعلم من كلام (الهداية) ان الجمع ارجى في الاجابة وكذا من كلام (عين العلم): ان الجماعة اذا كانت مائة فالدعاء فيها في شرائف الاوقات لا ان تكون بدعة قبيحة.

وما قال ان التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بما شرع على الوصف الذي شرع.

فالجواب عنه من قبيل القول بالموجب بان الدعاء مشروع بنفسه وبوصف الجماعة بل الدعاء بالجماعة ارجى في القبول كما علم من (الهداية) و (عين العلم) وكون الدعاء بعد الصلاة ايضاً وصف مشروع الدعاء على ما هو مقتضى الدلائل.

وما قال نقلاً عن ابن رجب [١]: قد يكون اصل العمل مشروع فيدخل فيه ما يفسده.

فتقول العبارة الصحيحة مشروعاً لان خبر كان من المنصوبات على ان نفس الدعاء لما كانت مشروعة كما هو المسلم عند المتكرين وكونه بعد الصلاة بهيئة الاجتماع ليس وصفاً مفسداً للدعاء بل مكمل فلا تقوم حجة علينا كما لا يخفى.

وما قال ان الغلو الابتداء.

نقول لما لم يكن نفس الدعاء بدعة وكونه بعد الصلوة وبهيئة الاجتماع مكمل له فكيف تكون بدعة داخلية في الغلو؟

وما قال فالدعاء عبادة مثل العبادات الاخر لكن بشرط ان تكون على الطريقة المنقولة من الشارع عليه السلام.

فنقول الطريقة المحمودة من الشارع لا تختص بالحديث الفعلي فان الحديث القولي ايضاً حجة وقد ذكرنا في الدعاء احاديث قولية منها ما روى (ان صلاتكم جعلت في خير ساعاتكم فاذا صليتم فادعوا خلف صلاتكم) وهذا الخطاب انما هو للجمع والله در العلامة الكشميرى رحمة الله عليه حيث قال في (فيض البارى): ان الدعاء ليس ببدعة بمعنى انه لا اصل له في الدين. فعلم ان له بالهيئة الكذائية اصلاً في الدين فلا تكون بدعة و القياس على الاذان لصلوة العيدين قياس مع الفارق لان الاذان من خصوصيات الفرائض الخمسة بخلاف استحباب الدعاء فانه لا يختص بالفرائض ولا بالنوافل ولا بالاجتماع ولا بالانفراد فالقياس فاسد والدليل كاسد، سيما اذا دلت الدلائل على استحباب الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع وكون هيئة الاجتماع ارجى في الاجابة:

والحاصل ان الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع المعمولة لنا مشروع بوجوه:
اما اولاً فلان الدعاء بعد الصلاة بهيئة الاجتماع ليست زيادة حتى ترفع الاصل فان الدلائل دالة عليها.

واما ثانياً فلان الهيئة الكذائية في الدعاء ليست زيادة حتى تبطل الاصل والقياس على الركعة الخامسة ظاهر الفساد. والزيادة على التثليث في الوضوء ورد فيها وعيد. قال عليه الصلوة والسلام (فمن زاد او نقص فقد تعدى وظلم) ولا وعيد في الدعاء بعد الصلاة فظهر الفرق.

واما ثالثاً فلان هذه الهيئة ليست ببدعة بمعنى ما لا اصل له في الدين فلا تدخل في الابتداع والاختراع وحكم العلامة الشامى على الاختراع عند عدم الدليل لامطلقاً.
واما رابعاً فلان الدليل لا ينحصر في الفعلى والا لتعطل كثير من الاحكام الشرعية.

واما خامساً فلان مشروعية الدعاء بالهيئة الكذائية لما كانت ثابتة بالدلائل القولية كان تشريعاً من الشارع فلا تدخل فيما لم ياذن به الله تعالى.
واما سادساً فلانه لا حرج في الدوام على الامر المندوب المستحسن. الا ترى الى

مداومة المحقق البغدادي على تلاوة (سورة الملك) كل ليلة حيث حمد الله بذلك مع ان تلاوة (سورة الملك) من المستحسنات لا من الواجبات وكذا اهتمام بلال رضي الله تعالى عنه بتحذية وضوء واهتمام الصلحاء القيام للتهجد وغير ذلك من المستحبات وقد ورد في الحديث (خير العمل ما ديم عليه) نعم فرق المراتب ضروري بان نرى الفرض فرضاً و الواجب واجباً والمستحب مستحباً وهكذا وهذا معنى قول القائل .

مصرع:

گر فرق مراتب نکنی زندیقی

واما سابغاً فلان هذه الطريقة لما كانت موافقة للدلائل كان التعبد من الشارع والملازم على من انكر الاستحباب والانكار عن استحباب الامر المستحب سبب الملام كما لا يخفى على اصحاب الدراية.

واما ثامناً فلان اعتقاد الاستحباب بدلائل شرعية من النصوص المطلقة التي تجري على اطلاقها والمقيدة فلا يكون مكروهاً ونفس المداومة على المندوب مما لا حرج فيه فان خير العمل ما ديم عليه. والحديث فيه (نعم العبد فلان الا انه ترك القيام الى التهجد) او كما قال.

واما تاسعاً فلان رد الصحابة كثيراً من العبادات انما كان لاجل عدم الدليل الشرعي عليها وههنا وجدت الدلائل فالقياس قياس مع الفارق.

واما عاشراً فلان عدم النقل فعلاً انما يدل على الكراهة اذا لم يوجد دليل آخر على جواز الفعل والافيعد من الوجوه المناسبة اذ عدم دليل لا يدل على عدم الحكم اذ الحكم لا يثبت في المسكوت كما تقرر في كتب الاصول في بحث الوجوه الفاسدة والقياس على التنفل بعد الفجر وصلاة العصر ممنوع لانه وجد الدليل على الدعاء ولم يوجد الدليل على جواز التنفل بعد الفجر وصلاة العصر وترك فعلاً دليل عدم اذا لم يوجد دليل شرعي آخر على الفعل وههنا وجد فكيف يصح القياس. فتلك العشرة بتلك العشرة.

وما قال ان المراد من التطوع في قول المراقى الاوراد.

فاعجب العجب فان عبارة (نور الايضاح) بشرحه هذه: ويستحب ان يستقبل
بعده اى بعد التطوع وعقب الفرض ان لم يكن بعده نافلة يستقبل الناس ويستغفرون الله
ثلاثاً ويقرؤون آية الكرسي ويقرؤون المعوذات ويستحبون الله ثلاثاً وثلاثين ويمدونه
كذلك ويكبرونه كذلك ثم يقولون (لا اله الا الله) ثم يدعون لانفسهم وللمسلمين رافعي
ايديهم اهـ. فان لفظ النافلة صريح في ان المراد منه صلاة النافلة لا الورد فعلم ان المراد من
التطوع ايضاً الصلوة وايضاً الورد ذكرهنا صريحاً من قراءة التسيب والتحميد والمعوذات
وآية الكرسي والتكبير ومع ذلك ذكر ثم يدعون لانفسهم وللمسلمين رافعي ايديهم
بصيغ الجمع وهذا ظاهر في الدعاء بعد السنن وبعد الاوراد بالهيئة الاجتماعية المعمولة في
ديارنا.

فانظر ايها اللبيب الى هذه المغالطات لاثبات مطلوبه فعليك بالتفطن اللائق و
التذكر الفائق فان هذه المواضع من مزال الاقدام ولنعم ما قال الشاعر:

بيت:

تسمع بالمعدي خير من ان تراه * وستعرف قدره ان انفتح فاه

وقد افتى في مسئلة الدعاء مولانا واولانا المحدث الفرغشتوى دامت بركانه
وفيوضاته بالاستحباب بان الدعاء بالهيئة الاجتماعية المعمولة مستحب ومعنى (بعد
الفرض) بعد السنن لان السنن مكملات وقد اشعنا فتوى المحدث المحقق في الجرائد
(الاخبارات) لكن التعصب امر مهلك يخالف المرء بسبب التعصب عن فتوى استاذ
استاذ العلماء اجارنا الله من التعصب واعاذنا الله من التعت وتبهاث والايذاء
والتفريق بين المسلمين بجاه الرسول الامين. وهذا نبذ من مسئلة الدعاء والتفصيل
يقتضى بسطاً وفيما ذكرنا كفاية للمنصف لا للتعصب المتعنت.

فان قيل لا ذاء طرفة هذا على ان لا يتقبل فيكون يستغفر بمحرق النور الاعرابي
لانه مقتضاه ان يحرق النور هلنا بعد احال محرق المعبد المقدرة
اى وهم يستغفرون ادم الى خدا يرد كما يرد -
من اعادات مولانا سيد فكر ليسر ومولانا محمد الله جان

البحث الرابع في حيلة الاسقاط

فانه كشر فيها الشغب من المنكرين المماندين وقد صنف الشيخ فيها رسالة سماها بـ (النشاط من حيلة الاسقاط) ولا ينشط من سماعها آذان العاقلين ولا ينشط لها ذو عقل صائب عن حيلة الاسقاط، اذ امتلأت تلك الرسالة من السب والطعن على العلماء فهي من قبيل قولهم برعكس نهند نام زنجى را كما فور و لذا ذكر قدرا ضروريا في هذا الباب لتكون بصيرة لاولى الابصار والالباب فتشرع اولا في تشريع الاسم ثم نثبت المسمى.

فاعلم ان حيلة الاسقاط مركب اضافى من اضافة الحيلة الى الاسقاط وتشريع المركب موقوف على تشريع اجزائه لتوقف معرفة المركب على معرفة الاجزاء فنقول الحيلة وهى ما يتوصل به الى مقصود بطريق خفى مباح كما ذكر الامام البخارى في (ج: ٢، ص: ١٠٢٨) (كتاب الحيل). قال الشارح: جمع حيلة وهى ما يتوصل اهـ. والاسقاط مصدر من باب الإفعال، مجردة سقط بسقط معناه اسقاط الصلاة والصوم ونحوهما عن ذمة من عليه فمعنى المركب الاضافى حيلة في اسقاط هذه الأمور او لاسقاط هذه الامور.

اذا عرفت هذا فاعلم - وفقك الله - ان نفس الحيلة مما لا ينكر عنه عاقل فضلا عن فاضل لذكرها في القرآن كما ذكر في (سورة يوسف) على نبينا وعليه الصلوة والسلام لابقاء اخيه (بنيامين) عنده بخيا صاع الملك في رحله ثم النداء بقونه (... اَبْتَهَا الْعَبِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * يوسف: ٧٠) وقال الله تعالى بعد ذلك (... كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ * الآية. يوسف: ٧٦) فعلم ان الله تعالى ما انكر عليه تلك الحيلة بل ذكرها في مقام الامتان.

وكذا ذكر الله واقعة ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام حين طلب الكفار ان يذهب معهم الى عيدهم (فَتَنظَرُ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * الصافات: ٨٨ - ٨٩) فنطلب الحيلة والمخرج لعدم ذهابه معهم والله تعالى ذكرها وما انكر عليه.

وايضا علم الله ايوب على نبينا وعليه الصلوة والسلام حين حلف ليضربن

امراته مائة جلدة (وَتُخَذُ بِبَيْدِكَ هَيْفًا فَأُضْرِبُ بِهِ وَلَا تُخَنَّثُ * الآية. ص: ٤٤).

فعلم ان الانكار عن نفس الحيلة سواء عبر عنها بعنوان المخارج او بعنوان الحيل انكار عن القرآن وايضا ذكر الامام البخارى (كتاب الحيل) كما مر وايضا ذكر في كتب الفقه حيل كثيرة في (كتاب الشفعة) وكذا في (باب الطلاق) فكيف الانكار عن مطلق الحيلة.

وايضا ذكر (المعارض) كما ذكر في الرواية (اذا احدث احدكم في الصلوة فليأخذ بانفه حتى يظن الناس انه رعف) و (المعارض) ايضاً من قبيل الحيل.

وبالجملة الانكار عن مطلق الحيل مخالف عن الكتاب والسنة واقوال الفقهاء سواء عبر عن ذلك بـ (الحيل) او بـ (المعارض) او بـ (المخارج) فان الاعتبار للمعاني.

بيت: عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير
وهذا بيان نفس الحيلة.

واما الحيلة للاسقاط اى الحيلة المقيدة المتنازع فيها.

فنقول تلك الحيلة انما تكون لتكثير المال فان المال اذا كان قليلا والغدايا كثيرة لا بد من تلك الحيلة لان نفس الفدية لا ينكر عنها من له ادنى دراية سواء كانت فدية الصلاة والصوم واما فدية الصوم فثبتت بقوله تعالى (...وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فِدْيَةَ طَعَامٍ مِسْكِينٍ * الآية. البقرة: ١٨٤).

وفدية الصلاة ثبتت بدلالة النص لان الصلاة اهم من الصوم كما صرح به في (الشامى) وغيره من كتب الاصول فان الدلالة ان يكون غير المنطوق فوق المنطوق كما في قوله تعالى (...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تُنْهَرُهُمَا * الآية. الاسراء: ٢٣).

علم ان حرمة الضرب بالدلالة وفدية كل صلاة كفدية صوم والوتر صلاة على حدة فالصلوات في يوم وليلة ست فاذا ضرب الست في ايام السنة حصل الفان ومائة وتسعون والفدية الواحدة مقدار الفطرة ومقدارها صاع من تمرة او شعير ونصف صاع من الحنطة و مقدار الصاع على ما حققه محققو هذا الزمان كمولانا محمد شفيع الديوبندى في رسالة سماها بـ (ارجح الاقاويل في اصح الموازين والمكائيل) الصاع مائتان وثمانون تولجة

فنصف الصاع مائة و اربعون تولة فالصاع بوزننا اذا كان السيرثمانين تولة ثلاثة اسارو نصف و نصف الصاع نصف ذلك فاذا ضربنا مقدار نصف الصاع في السنة تحصل فذلك الحساب على تقدير كون الفدية حنطة اذا لم تخطأ اربعاً وعشرين اسارو ثلاثاً و تسعين مثلاً و اذا كانت قيمة المن عشرين درهما، يحصل مجموع القيمة الف و ثلاثمائة و اثنان و سبعون درهما و لذا بين العلماء حيلة الدورة. (١).

قال في (نور الايضاح): وان لم يف ما اوصى به عما عليه يدفع ذلك للفقير فيسقط عن الميت بقدره ثم يهبه الفقير للولى و يقبضه ثم يدفعه للفقير فيسقط بقدره ثم يهبه الفقير للولى و يقبضه ثم يدفعه الولى للفقير وهكذا حتى يسقط ما كان على الميت من صيام و صلاة و يجوز اعطاء فدية صلوات لواحد جملة بخلاف كفارة اليمين والله سبحانه و تعالى اعلم (ص: ١٠١).

قال في شرحه (مراقى الفلاح) قوله و ان لم يف ما اوصى به بالميت عما وجب عليه من الفدية او لم يكف ثلث ماله او لم يوص بشئ و اراد احد التبرع بقليل لا يكفى فحيلته لبراء ذمة الميت عن جميع ما عليه ان يدفع ذلك المقدار اليسير بعد تقريره بشئ من صيام او صلاة او نحوهما و يعطيه للفقير بقصد اسقاط ما يرد عن الميت فيسقط عن الميت بقدره ثم بعد قبضه يهبه الفقير للولى او للاجنبى يقبضه لتتم الهبة و تملك ثم يدفعه الموهوب له للفقير بجهة الاسقاط متبرعاً به عن الميت. اهـ .

فعلّم من هذين الكلامين جواز دفع الولى للفقير و هبة الفقير للولى او اعطاء الولى للفقير و الفقير للاجنبى فكلا الطريقين جائزان.

و في (جامع الرموز: ج: ١، ص: ١٦١) و فدية كل صلاة مكتوبة او واجبة كالوتر دون السنة فانها في سعة من الترك كصوم يوم اى كفديته و قيل فدية صلاة يوم كصومه ان كان معسرا و الظاهر خلافه كما في (الخرائفة) قال محمد بن مقاتل بلا قيد الاعسار و عامة

(١) قال العلامة الشامي في حاشية الدر المختار (اعلم ان الحنفية يقولون ان الصاع اثناء يسع ثمانية ارطال من العدس و الرطل نصف من والمن = مائتان وستون درهما شرعيا و الصاع الف و اربعون درهما و الدرهم الشرعي اربعة عشر قيراطا و القيراط خمس شعيرات) و القيراط اربعة و عشرون سانتي غراما و الدرهم الشرعي عند الحنفية ثلاثة غرامات و ستة و ثلاثون سانتي غراما نصف صاع ١٧٥٠ غراما

المشايع مالوا الى الاول وعليه الفتوى كما في (الكرمانى) والقياس ان لا يجوز الفداء عن الصلاة واليه ذهب البلخى كما في (قاضى خان) والاستحسان ان يجوز الفداء عنهما. اما في الصوم فلورود النص واما في الصلاة فلمعصوم الفصل ولذا قال محمد: يجوزنها ان شاء الله تعالى و في الكلام رمز الى انه لو فرط في اداها باطاعة النفس او خداع الشيطان ثم ندم في آخر عمره و اوصى بالفداء لم يجوز لكن في دياجة (المستصفي) دلالة على الاجزاء وعلى انه لو لم يوص وتبرع عنه الوارث جاز وقال محمد يجوز ان شاء الله تعالى.

و في (الزاهدى) قيل انه لم يجوز الصوم و في التحقيق لم يجوز الصلاة ولا خلاف في انه امر مستحسن يصل ثوابه اليه وينبغي ان يفدى قبل الدفن وان جاز بعده و كيفيته ان يسقط من عمره اثنا عشر سنة ومن عمرها تسعة تم يدفع للباقى من العمر الى مسكين من ملكه دفعة واحدة ان كان الثلث وافياً بالفدية والا فيدفع اليه ما يملكه فيقبضه ثم يهبه من الدافع فيقبضه ثم يدفعه الى المسكين ثم و ثم الى ان ينتهى عمره وان لم يملك شيئاً استفرض وارثه شيئاً وينبغي ان يقول الدافع الى المسكين في كل مرة انى ادفعك مال كذا لفدية صوم كذا من فلان ابن فلان ابن فلان المتوفى ويقول المسكين قبلته و اطلاق كلامه يدل على انه لو دفع الى فقير جملة ولم يشترط العدد ولا المقدار ولكن نودفع اليه اقل من نصف صاع لم يعتد به وبه يفتى كما في آيمان الصغرى. فعلم من هذه العبارة بيان جواز الحيلة سواء اوصى الميت اولا و علم انه ان لم يجوز عن الفدية فلا يهدر ثوابه بل امر مستحسن يصل ثوابه الى الميت.

و علم ايضا جواز الاستقراض بل استحسانه ان لم يكن شئ لهذه الحيلة.

و علم ان الفدية قبل الدفن اولى على رغم انف المنكرين حيث قالوا ان فيه تأخير الدفن فان تأخير الدفن لاجل اسقاط حق واجب ثابت. الا ترى الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تأخر عن جنازة من عليه دين حتى تكفل عنه احد ثم صلى عليه و هل هذا الا تأخير الدفن فان الصلاة اذا اخرت، المدفن ايضا يؤخر.

و علم ان الاعطاء جملة لفقير ثابت جائز و ان اعطى اقل من الفدية لا يجوز.

وما قال الشيخ طاهر الروهابي في الطعن والسب والبهتان ان ذلك طريق احداثه المبتدعة للتأكل فيما بينهم اخذوها عن براهمة الهند الى آخر ما قال وافتري.

فنقول لما كانت نفس الحيلة جائزة ثابتة في النصوص والروايات وكلام الفقهاء وايضا حيلة الاسقاط ثابتة عن العلماء والفقهاء كما علمت فكيف ينسب اليها الابتداع والاختراع وقد علمت تعريف البدعة مما مر.

وايضا التأكل اموال الناس بل اموال المحارم واذاؤهم من دينهم فانه يأخذ الفدايا ناطمه ويدخله في بيت المال ويقول الشيخ: اصرفه على الطلبة والمعطون الجاهلون لا يعلمون انه كيف تجوز هذه الفدايا لانه لم يوجد فيه التملك والتملك من المسكين فان الناظم والشيخ كلاهما غنيان وليس في بيت المال رجل آخر مسكين يقبضه وان قالوا انه يقبضه طالب العلم فنقول صار ذلك القابض مالكا فيصدق عليهم المثل السوء، لانه يأكل منه على تقدير صدق كلامه من لم يات بعد قبل شروع الترجمة.

وان قالوا ان هذه حيلة لنفع الطلاب، فنقول: قد قلتم بالحيلة وقد انكروا عنها وضيعتم فدايا الناس وهذه خيانة عظيمة.

وان قال في ذلك نفع الطلبة.

فنقول في هذه الحيلة نفع المسلمين الاموات وفيما قلت على تقدير صحة كلامك نفع الأحياء والأموات احوج الى النفع من الأحياء. الا ترى الى تكفل الصحابي رضي الله تعالى عنه عن دين الميت بسبب منعه عليه الصلوة والسلام عن صلاة الجنائزة عليه.

بيت:

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

واما الكفالة عن الميت فحكمها مذكور في كتب الفقه بانها لا تصح وما ذكر كان وعدا لاداء دينه الا انه علم منه اهتمام اداء الحقوق حيث منع عليه الصلوة والسلام

عن اداء الجنائز عليه. ولا يظن احد أن فيه انكارا على الطريقة المعمولة لاهل المدارس الدينية لان الكلام الزامى على الشيخ المنكر عن الحيلة. ونحن قائلون بالحيلة لنفع الأحياء والاموات فتأمل ولا تكن من المسرعين فى الرد والقبول.

و ايضاً تدخل زكاة بلده ممن يعتقدونه فى بيت المال فهو احق ان يستمى بيت ضياع الفدايا والاموال ولنعم ما قيل (يرى احدكم خزعا فى عين اخيه ولا يرى جذعا فى عينه) فعليك بالتجنب عن التعصب والاعتساف.

وكيف اخذ العلماء طريقة للتأكل؟ فانا كثيرا ما رأينا اذا كان فى الورثة صغارو لم يوص الميت يفعلوا الدورة ويعيدون الى الورثة و كثيرا يستقرض المال للدورة.

وايضا اذا اوصى الميت فإى حرج فيه وان كان فى الورثة صغار على ان الفقهاء الكرام القائلين بالحيلة المذكورة ممن اخذوها أ اخذوها من براهمة الهند؟ بنس ما قلت!

على انه اذا كان فى الورثة صغارو ياخذ البالغ الغرامة المالية على نفسه فإى حرج و اى ظلم فى ذلك بل الظلم فى ان ياخذ المال من اخيه المحرم بعد الوفا خديعة فهذا الطريق ممن اخذه الشيخ ومن له قدوة فى ذلك. نعم، له قدوة فى ذلك وهو محمد بن عبد الوهاب النجدى [١] كان من الخوارج والخوارج يجوزون اخذ مال من خالف عن عقيدتهم الزائغة كما ذكر فى عقائد علماء ديوبند نقلا عن العلامة الشامى على ما مر مفصلا.

وما ذكر من قياس حيلة الاسقاط المنقولة عن الفقهاء لنفع الميت على حلة اصحاب السبب للاصطياد المحرم عليهم، تعسف ظاهر وتعت باهر.

وما ذكر من التمسك بقوله عليه الصلوة والسلام (العائد فى هبته كالكلب العائد فى قبضته) ولذا يسمون ذلك بقى الكلب فهذا يدل على جهله عن كتب الحديث والفقه بوجه:

اما أولا فلأنه لامطابقة من الواهب فيما ذكرنا بل يهبه الموهوب له برضائه و

رغبته نفعاً للميت من غير مطالبته. على ان في صورة الدورة المتعارفة المعمولة في ديارنا ليس هبة الموهوب له للواهب بل يهب الموهوب له للآخر وهكذا نعم، يعود في الاخير الى الواهب الاول لكن لا مطالبة منه في ذلك.

واما ثانياً فلأن الرجوع في الهبة صحيح كما صرح به الفقهاء اذا لم يوجد مانع من رجوع الهبة على طريق السلب الكلى كما ذكر الفقهاء موانع الرجوع في الهبة «خروف دمع خزقة» ولا شك انه لم يوجد المانع فيما نحن فيه كما لا يخفى.

واما ثالثاً فلأنه ورد في الحديث (الواهب احق بهبته مالم ينسب) فعلم من هذا الحديث ان الواهب مالم يأخذ العوض عن هبته احق بهبته.

واما رابعاً فلأن فعل الكلب لا يوصف بالحرمة لعدم كونه مكلفاً. نعم، فيه كراهة طبيعة فكيف تثبت منه الحرمة؟

واما خامساً فلان الهبة الاولى قد تمت بالايجاب والقبول والقبض والموجود ثانياً وثالثاً مثلاً هبة أخرى بايجاب وقبول وقبض جديد. نعم، اكل لحم الخنزير مال الاخ المسلم بخديعة. ولذا ذكر ههنا لطيفة لنشاط آذان السامعين وهى: ان رجلاً زنى وحدث حمل من ذلك الزنا وظهر الامر ووقع الرجل في الفضيحة فقال له احد من احبابه ترحماً عليه هلا عزلت لتلا تحصل الفضيحة فقال مجيباً ان العزل مكروه عند الامام الاعظم ابى حنيفة رحمة الله عليه فانظر الى هذا الاحق يرتكب الفاحشة البينة الحرمة حرمة قطعية و يجتنب عن العزل ويقول انه مكروه وهل هذا الا جهل عظيم و جرم جسيم.

وما ذكر من التضعيف على الفقهاء كالفهستاني [١] صاحب جامع الرموز مثلاً.

فنقول هذه المسئلة ذكرها كثير من الفقهاء من كتبهم وليس فيها مغالفة عن اصول الدين.

وما قال ان من اتى للجنائز، انما يأتى للفليسات الحقيرة ولهذا تجدهم لا يأتون
للفقراء كاتيانهم للاغنياء.

فنعول هذا ظن سيء بالمسلمين (...إِنَّ بَغْضَ الظَّنِّ إِيَّكُمْ الآية. الحجرات: ١٢) و
كيف علم ان الاتيان بنية الفليسات ألهُ بذلك دليل ام يقوله رجما بالغيب ام يقيس الغير
على نفسه فان في بلادنا يخلص الناس في خدمة الاموات الفقراء اكثر من الاغنياء و لعل
طريق بلاد الشيخ ما ذكره.

مصرع:

و للناس فيما يعشقون مذاهب

و الحكم لا يبتنى على خصوصيات الافراد فان خصوصيات الافراد ملغاة على ان
الحكم المذكور على طريق الظن بل الوهم يوجب ان يحكم في كل الطاعات مثلا الجهاد
يقول فيه يذهبون فيه للغميمة لا لاعلاء كلمة الله فلا يكون الجهاد جهادا. و كذا ابناء
المدارس و نحن لانسيء الظن بالمسلمين و في الحديث (هلاشقت قلبه) فنكتفى بالظاهر و
نكل السرائر الى الله القادر القاهر. و حيلة اليهود كانت لتحليل الحرام:

وما قال لو جازت الحيل لفسدت الشرائع و اختل النظام و يصير الحلال حراما و
الحرام حلالا. اهـ.

فنعول يعلم منه سد باب مطلق الحيلة و التالى باطل فالقدم مثله. الا ترى الى ما
قال صاحب (الدر المختار) فحيلة من علق الثلث بدخول الدار ان يطلقها واحدة ثم بعد
العدة تدخل فتدخل اليمين فينكحها (ص: ١٣٠) و قال (قاضي خان) قال رجل لامرأته
فلو وطئتك مادمت معي فانت طالق ثلاثا ثم اراد الحيلة. قال محمد يطلقها تطليقة بائنة ثم
يتزوجها من ساعته و يطأها فلا يحث (ج: ٢، ص: ٢٢٣)

و مثل ذلك ذكر الحيل الكثيرة في هذه الصفحات من كتاب الطلاق و بالجملة
الاعتبار في هذه الأمور للنيات و الظاهر بالمسلمين حسن الظن. الا ترى الى ما قال في
(الدر) فاعلم ان النذر الذى يقع للأموات من اكثر العوام و ما يؤخذ من الدرهم و الشمع

والزيت ونحوها الى ضرائح الاولياء الكرام تقربا اليهم فهو بالاجماع باطل وحرام لم يقصدوا صرفها للفقراء الانام وقد ابتلى الناس بتلك (ص: ١٥٣) فانظر الى قيد الشارح كيف قيد وقال ما لم يقصدوا صرفها للفقراء الانام فعلم انهم ان قصدوا صرفها للفقراء لم يكن حراما فان الاعمال بالنيات.

وما قال في العنوان اقوال الائمة في قباحة الحيلة للاسقاط ثم ذكر اقوال علماء الديوبند رحمة الله عليهم لا يخفى من المخالفة بين العنوان والمعنون، على انه لم يذكر السؤال بانه من اية حيلة لان حيلة الاسقاط موجودة في (رد المختار) و (نور الايضاح) وهما معمولان عند علماء الديوبند رحمة الله عليهم فكيف حكموا بعدم جوازها.

والشارع وان لم يأمر بها لكن لم ينه عنها ايضا فكيف تثبت الحرمة؟ كيف والحكم الشرعي لا يثبت الا بدليل شرعي قال الله تعالى (...وَمَا أَنبِئُكُمْ الرَّسُولُ فَاخَذُوهُ وَ مَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ۗ الآية. الحشر: ٧)

وما قال ان فيها الزام مالا يلزم وهي بدعة.

فنقول اذا ثبت استحبابه واستحسانه فاي ضرر في الدوام؟ فان الآلوسي البغدادي قال في (سورة الملك) ما تركت الى الآن (سورة الملك) ليلة قط مع ان تلاوة سورة الملك من المستحبات على ان الالتزام عد الشيء لازماً. وتعلقه بالاعتقاد فان خير العمل ما ديم عليه كما في الحديث وكما في حديث بلال رأيت لله على اذا توضأت ان اصلي ركعتين او كما قال فهذه كلها مستحبات كيف الاهتمام فيها؟.

وما قال من النهي عن المقايسة في الدين.

فنقول لو كان المراد النهي عن مطلق القياس والراي، فذلك باطل فان فيه سد الاعتبار بالمأمور به في قوله تعالى (...فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۗ الحشر: ٢) وقول ابي بكر رضي الله تعالى عنه: ما قولكم يا اهل الراي؟ وان كان المراد القياس في مقابلة النص فهو ليس بوجود فمن ادعى فعلية البيان.

وما قال من بدعية الدعاء بعد السنن.

فنقول، قد ذكرنا بحث الدعاء فيما سبق بتفصيل اتم. و هلا اتى بدليل عليهم من كتب الأحناف في واقعة بلدة هوسى من مضافات المردان وداهيتهما عليهم بل كان ديدنه هناك الانكار عن الكتب بان لانسلم (نور الايضاح)، لانسلم الكتاب الفلانى، على ان استاذ واستاذ الأساتذة شيخ الحديث مولانا نصير الدين الفرغشتوى - مد الله ظلاله علينا - افتى [١] بان الدعاء بالهيئة المعمولة مستحب عندى وعند مشائخى رحمة الله عليهم. و معنى ما ورد بعد الفرض بعد السنن لان السنن مكملات للفرض. فالعجب انه انكر عن فتوى استاذ استاذ العلماء. نعوذ بالله من اسائة الادب و كذا غيره من اساتذته فالتلون باستحباب الدعاء مثل مولانا الشاه منصورى فانى سمعت منه الانكار على الشيخ فى هذه المسئلة انكارا شديدا والعجب انه اذا قيل له ذلك ينكر عن تلمذه فالعجب،العجب كيف ينكر واقرانه موجودون و على تلمذه يشهدون فكيف الانكار بل اذكاره عليه مردود على ان فى انكار التلمذ يسعى فى نقض ما تم من جهته و كل من سعى فى نقض ماتم من جهته فسعيه مردود عليه كما صرح به الفقهاء. الا ترى الى رجل اقر عند القاضى شريع ثم انكر فقال له القاضى شريع^[٢]: قد شهد عليك ابن اخت خالتك.

وما قال من الحوالة على كتاب الامام الشاطبى^[٣] (كتاب الاعتصام)

فهو ليس كتاب مذهبنا فلا تكون حجة علينا كما ثبت فى كتب الاصول و العجب، انه يتمسك فى باب سماع الموتى على زعمه بمذهب الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه مع ورود الاحاديث المتكاثرة فى سماع الموتى فانظر الى تصلبه فى تقليد الامام الأعظم و ههنا يتمسك باقوال المذاهب الاخر وكتبهم ك(الاعتصام) للامام الشاطبى و (المدخل) مثلا ولا ينظر الى كتب مذهب بل يقول لانسلم الكتاب الفلانى فهل لقول مثل هذا القائل اعتبار بل هذا قريب من التلفيق الذى هو حرام باجماع الفقهاء.

وما قال: انهم افتروا على بانواع من الزور.
فنقول: اى شئ افترينا عليك فان ما ذكرنا كل ذلك ثابت اما بلسانك و اما

(١) فتوى مولانا نصير الدين رحمة الله عليه توجد من المكتبة الرحيمية الفشارية بآئين ١٢ اسمارى

(٢) القاضى شريع توفى سنة ٧٩ هـ. [٦٩٨ م.]

(٣) عبد العزيز الشاطبى الاندلسى توفى سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.]

بينانك مثلاً اخراج الوالدة وضربها صرحت به في قرية (شيخ جانا) من مضافات المردان عند بيان اتباع السنة واما اخذ اموال المحارم فأمر ظاهر لا ينكر، واما اضاءة القديا فظاهر لاهل بلدك. واما انكار الكرامة والوسيلة فواضح من كتاب (البصائر) واما رد الفقه. فقد صرحت مرارا بانى اقول لهم الحديث وهم يوردون الى اقوال الائمة. فهذه كلها ثابتة اما بتقريرك او تحريك فكيف الافتراء بل انتساب الافتراء فقولك عليك لا لك.

و لله در المؤلف حيث قطع انف البلغاء والفصحاء فان في رسالة (النشاط) اغلاط من حيث العربية، اما من الشيخ المؤلف واما من الكاتب الرشيد او منهما والظاهر هو الاول، الا انى ما تعرضت لتحقيق العبارة لان الكلام يطول ويخرج عن طور ما اقول.

و اما ما ذكر من تقريظ بعض الناس حيث قال فهذه تحقيق انيق اهـ.

فانظر الى عبارته، فانه لا يدري ان الضمير واسم الاشارة اذا داربين المرجع و المشار اليه والخبر فرعاية الخبر اولى. فالاولى ان يقول فهذا تحقيق انيق بتذكير اسم الاشارة فالعجب منهم لا يقدر على ان يكتبوا جملة صحيحة من حيث العربية ولا علم لهم بقواعد الكافية ويتفوهون بأقوال في شأن العلماء ويتفاخرون بعلمهم.

بيت:

قد قلت لما جائنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

ويقولون: نرد الكتاب الفلانى و يحلفون و لنذكر لك واقعة عجيبة في شان ذلك المقرظ و هى انه كان عند العبد الضعيف في العام الماضى طالب علم يقرأ على كتب الفنون فذهب الى بلدة چارسده. فقال لى بعد الرجوع الى بلدتنا انى قعدت في درس ذلك المقرظ فقال في ترجمة قوله تعالى (...وَلَا يَزِدُّهُ حِفْظُهُمْ) الآية. البقرة: ٢٥٥) لا يفوض الله حفظ السماء الى الارض الى احد. فقلت يا مولانا ان (حفظهما) فاعل و انتم ذكرتم معنى المفعول فقال من بين علمت انه فاعل ولا مفعول فقلت لانه مرفوع اسند اليه الفعل الى جهة قيامه به فكل ما هذا شأنه فهو فاعل فهذا فاعل. فقال: الفاعل انما يكون مرفوعا اذا لم يكن مضافا فهاسى

مثلاً يكون الفاعل فيه مضافاً مرفوعاً فذكرت له مثلاً من القرآن على نحو ما طلب. احدها: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ الْآيَةَ. الجن: ۱۹) ثم قال لي: ما تقول في معناه؟ فقلت اقول كما يقوله المفسرون ولا يثقله حفظهما ثم وقع الانتشار في الطلبة بصيروتهم فريقين: فريق في تأييدي وفريق في تأييد المقرظ.

فالعجب كل العجب والاسف كل الاسف على بعض مشائخ هذا الزمان يعطون اسند لكل احد ولا ينظرون الى شرائط السند في (ديباجة مسلم) هل يقتضى الأهلية ام لا بل يعطى لمن لا يعرف المرفوع والنصوب والمجرور والفاعل والمفعول ولا الفاعل من السمين ولا الشمال من اليمين ومثل هذه الوقعات كثيرة في هذا الزمان.

وما ذكر من الاستفتاء والفتوى في (ص: ۴۰):

سوال بعد مرنے کے جو طریق اسقاط عوام کرتے ہیں کہ فیض اور واجبات تجویز کر کے اس کے فدیہ میں جو کاندہ وغیرہ مقرر ہوئے ان کے عوض ایک کلام اللہ دیکر سب بری الذمہ ہو جاتے ہیں یہ طریقہ موجب ثابت اور جائز ہے یا نہیں ! از عبد الغزیز ارقابادی

جواب حیلہ اسقاط مفلس کیواسطے علمائے نے وضع کیا تھا۔ اب یہ حیلہ چند فلوں کی تحصیل کے لئے ملاؤں کا مقرر ہوا حق تعالیٰ نیت سے واقف ہے۔ وہاں حیلہ کارگر نہیں مفلس کیواسطے بشرط صحت نیت ورثہ کے گیا عجب ہے کہ مفید ہو۔ در لغو تحصیل دنیا و دنیہ فقط و لا غیر۔ رشید احمد عفی عنہ

فنقول بتوفیق الله وتوقيفه ان السؤال ذكر فيه ان الفرائض والواجبات تكون في تجویزهم ويعینون لها حنطة مثلاً ويعطون في عوضه كلام الله تعالى ويصير برئ الذمة فانظر بنظر الانصاف وتجنب عن الاعتساف ان حيلة الاسقاط المعمولة في بلادنا طريقها كما ذكرها السائل كلا و حاشا بل يكون هناك مال بحسب ما تيسرته تدبرون المال لتكثير الفدايا نفعا للميت والفقهاء، صرحوا بها كما علمت سابقاً فكيف يعلم من بطلان حيلة مراد آباد بطلان حيلتنا فهل هذا الاقياس فاسد كاسد و رشيد احمد الجنجوهي الديوبندي اجاب مطابقاً للسؤال فان المفتي يحيب على حسب ما استفتى المستفتي،

بیت: بین تفاوت رہ از کجا ست تا یکجا

على ان المفتى صرح في جوابه بجواز الحيلة. وبان العلماء وضعوها للمفلس ولا بعد ان يقبلها الله عند صحة النية. والحكم بجواز حيلة المفلس انما يكون لقلة المال وكثرة الفدايا. وهذا بعينه ما عانا. فاذا كان واضعها العلماء وفيها رجاء القبول من الله تعالى وذكرنا من الفقهاء جوازها وذكرنا سابقاً عن (جامع الرموز) انه وان لم يجز عن الفدايا لكنه لا خلاف في انه أمر مستحسن يصل ثوابه اليه ولا شك في جوازها.

واما ذكر الميلاد بان فيه تقليد الغاندي^(١) (گاندى)

فمن اعجب العجائب لان ذكر اوصاف النبی صلی الله عليه وسلم له شرف عظیم اذا كان بروایات صحيحة او بیان احوال النبی صلی الله عليه وسلم ومعجزاته ورياضاته ومعاملاته كلها سبب المحبة مع رسول الله صلی الله عليه وسلم وذلك سبب الاتباع وقال الله تعالى (قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِیْ یُحْبِبْکُمْ اللهُ ۖ اَلَا یَعْلَمُ اَلَّذِیْنَ کَفَرُوْا) (٣١) والسلف كانوا يذكرون احوال النبی صلی الله عليه وسلم فيما بينهم حتى ان الصحابة رضی الله تعالى عنهم كانوا يذكرون احوال النبی صلی الله عليه وسلم فيما بينهم واما تخصيص الوقت كتخصيص الشهر للترجمة فذلك لا خرج فيه فانه ورد في رواية ان النساء جُمِعْنَ له عليه الصلوة والسلام في يوم في مكان بعد ما قال عليه الصلوة والسلام (اجتمعن في يوم كذا في دار) وبلغهن عليه الصلوة والسلام.

واما المنكرات فقد ذكرنا ان المعروف لا يترك لاجل منكر كاتباع الجنائز لاجل النياحة و ايضا ذكر خليل احمد السهارنفورى في (عقائد علماء الديوبند) حيث ذكر مسألة الميلاد في (ص: ٣١) بعنوان (عقيدہ در بارہ ميلاد شريف) وذكر بعد ذلك ان ذكر بول حمار النبی صلی الله عليه وسلم وذكر بوله صلی الله عليه وسلم و برازه عندنا مستحب بالدرجة العليا وذكر في المسئلة تفصيلا. نعم، انكر على منكرات الغوام.

و ايضا ذكر مولانا عبدالحی اللکنوی (مسئلة الميلاد) في (فتاواه) وحكم بجوازه ونقل عن الشيخ الدهلوی ومما جرب من خواصه انه امان ذلك العام وبشرى عاجل بنيل البغية والمرام اى من خواص الميلاد.

(١) غاندي فيلسوف البرهمني الهندي مات سنة ١٩٦٨ هـ. [١٩٤٨ م.] قتل

و ايضا ذكر (مسئلة القيام) بانه ان كان شخص ذو وجد صادق قام بلا تصنع ولا رياء فهو معذور ومن آداب الصحبة ان يقوم الحاضرون و ذكر في الاخير ان علماء الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا يقومون

قال الامام البرزنجي في (رسالة الميلاد) وقد استحسّن القيام عند ذكر مولده الشريف ائمة ذو واية. فطوبى لمن كان تعظيمه عليه الصلوة والسلام غاية مراعاة و مرماه (مجموع فتاوى ج: ٢، ص: ٢٩٧)

و ذكر مولانا المذكور في (ج: ٢، ص: ١٥٠) نقلا عن رسالة ابن حجر [١] المكي رحمة الله عليه (النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم عليه الصلوة والسلام) بان الميلاد ان يذكر آيه او حديثاً و يذكر في شرحه فضائل النبي صلى الله عليه وسلم و معجزاته و نسبه و ذكر الخوارق التي ظهرت وقت الولادة.

و ايضا ذكر في (ج: ٢، ص: ١٥١) ان الميلاد فرد من افراد نشر العلم و كل فرد من افراد نشر العلم مندوب فالميلاد مندوب

و ايضا قال في (ج: ٢، ص: ١٥٣) ان العلماء المتبحرين و اهل الفتاوى المستنبطين مثل ابو شامة^[٢] و ابن حجر و السيوطي و الشافعي رحمة الله عليهم قالوا بمندوبية الميلاد و ذكر في الاخير ان شردمة قليلة، فدوتهم في ذلك تاج الدين الفاكهاني^[٣] المالكي انكروا الميلاد الا انه لا طاقة لهم في مقابلتهم و انضمام الامور المنكرة امر آخر لا يقصر اصل المقصود.

فعلم ان في ذلك تقليد السلف الصالحين و العلماء المحققين لا تقلد الغاډى (گانډى)

فانظر ايها المنصف الى افراط هذه الفئة المتشدة. اللهم اكشف غشاوة التعصب عن بصائرهم لتنتطبع دقائق التعقل في ضمائرهم و كيلا يسيئون الادب بالاكار فان

(١) شهاب الدين احمد بن محمد الشهير بابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. (١٥٦٦ م.).

(٢) ابو شامة عبد الرحمن توفى سنة ٦٦٥ هـ. [١٢٦٦ م.]

(٣) عمر الفاكهاني المالكي توفى سنة ٧٣٤ هـ. [١٣٣٣ م.]

اساءة الادب فوق كل معصية لان سيىء الادب محروم عن فيضان الرب.

مصرع: از خدا خواهيم توفيق و ادب * بى ادب محروم بود از فضل رب

و ايداء للمؤمنين و البهتان عليهم جرم عظيم (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا كُنِبَانُهُمُ الْاِحْزَاب: ٥٨) و لذا يسعون فى منع الميلاد فى ببلدتهم كما سمعوا فى زمن قريب الا انهم خابوا و خسروا و هذا القدر يكفى العاقل المنصف فى مسئلة الحيلة نعم بقى بعد خبايا فى زوايا الكلام منها وضع المصحف حين الدورة.

فذنول بتوفيق الله تعالى و توقيفه ان المقصود من وضع المصحف التوسل بالمصحف و النجدة ينكرون عن التوسل بغير الاعمال الصالحة و قد ثبت التوسل بالقرآن العظيم قال عليه الصلوة و السلام (اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم) فلها تقبل بوسيلة القرآن.

و ايضاً ذكر فى (الفتاوى السمرقندية) دوران اجزاء القرآن و كذا الواقيدى فى (فتوح الشام) فقال اخبره ابو عاصم^[٢] عن ابن جريج عن ابن شهاب عن ابى سلمة عن ابى موسى قال فعل عمر رضى الله تعالى عنه اى دوران اجزاء القرآن.

و ما ذكر فى (ص: ٩) ان صاحب (مفتاح السعادة) لم يذكر الفتاوى للفقهاء ابى

الليث؛

فنقول عدم ذكر صاحب (مفتاح السعادة) الفتاوى للفقهاء ابى الليث السمرقندى لا يدل على ان لافتاوى له او ان رواية دوران اجزاء القرآن غير صحيح لان عدم الذكر لا يدل على عدم الوجود بل الذكر يدل على الوجود كما هو الظاهر من بحث الوجوه الفاسدة فى كتب الاصول نعم لو صرح فى كتاب معتمد ان لافتاوى للفقهاء ابى الليث السمرقندى او انتساب الفتاوى اليه غير صحيح لكان له وجه و دونه خطر القتاد و الحال انه ذكر فى الفتاوى المعتمدة ان للفقهاء ابى الليث السمرقندى رحمة الله عليه فتاوى كما فى (الفتاوى الهندية).

(١) صاحب الفتاوى السمرقندية محمد بن وليد توفى سنة ٤٥٠ هـ. [١٠٥٨ م.]

(٢) محمد ابو عاصم المبادي الشافعي توفى سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.]

وما ذكر من الانتقاد على الحديث فنقول ان الامام ابو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ . كما في الجواهر المضيئة^[١] (ص: ١٩٧) و (الفوائد البهية^[٢] في تراجم الحنفية ص: ٢٣) و (مفتاح السعادة ج: ٢، ص: ١٣٩) على ما سلمت.

ولا شك ان ذلك الزمان زمان الاجتهاد والمجتهد اذا تمسك برواية ثم بين النقاد فيه القدح بعد التمسك لا يضر التمسك. الا ترى ان اكثر محشي الاحاديث و كتب الفقه يعترضون على مستدللات الاحناف بان يقول في البعض ضعيف او غريب او لم اجده في كتب الاحاديث او ما يماثله من الاعتراضات.

فنجيب اليهم ان هذا الكلام بعد تمسك الامام فلا يضر الاستدلال. و الدليل على ما ذكرنا قول العلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله عليه في (الميزان الكبرى) المطبوعة في مصر (ص: ٧٦) حيث قال فان قلت اذا قلت بان ادلة مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله عليه ليس فيها شيء من ضعيف لسلامة الرواية بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة والتابعين من الجرح فما جوابكم عن قول بعض الحفاظ على شيء من ادلة الامام ابي حنيفة رحمه الله عليه فانه ضعيف.

فالجواب يجب علينا حمل ذلك جزما على الرواة الناقلين عن الامام في السند بعد موته رحمه الله عليه او ردوا ذلك الحديث من غير طريق الامام اذ كل حديث وجدناه في مسانيد الامام الثلاثة فهو صحيح لانه لولا صرح عنده لما استدل به ولا يقدح فيه وجود كذاب او منتهم بالكذب مثلا في سنده النازل عن الامام رحمه الله عليه وكفانا حجية الحديث استدلال مجتهد به ثم يجب العمل علينا به و لو لم يروه غيره.

فتأمل هذه الدقيقة التي نهيتك عليها فلعلك لاتجدها في كلام احد من المحدثين و اياك ان تبادر الى تضعيف شيء من ادلة مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله عليه بعد ان تطالع مسانيد الثلاثة و لم تجد ذلك الحديث فيها انتهى. والله در العلامة الشعراني حيث بين دقيقة مستحقة لان تكتب بماء الذهب حيث رد بذلك اقوال كثير من الوهابيين حيث قالوا تمسك الامام الاعظم رحمه الله عليه بضعاف وهذا يدل على جهلهم عن قواعد الدين و

(١) مؤلف الجواهر المضيئة عبد القادر توني سنة ٧٧٥ هـ. [١٣٧٣ م.]

(٢) مؤلف الفوائد البهية محمد عبد الحي اللكنوي توني سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

مفاسد الجهل مما يضيق عنها نطاق البيان.

وهكذا ذكر دوران اجزاء القرآن في الكتب الغير المشهورة وهذا يكفى للتأييد و صاحب (القنية) [١] ما تفرد بهذه المسئلة حتى لا تقبل.

وما قال ان مجرد نقل قول (القنية) بغير دليل من الادلة الاربعة غير مقبول.

فنقول كتب المذاهب موضوعة لنقل المذهب ونقل الفقهاء يكفيننا. والحيلة المذكورة ذكرها (صاحب جامع الرموز)، و (العلامة الشامي)، و (نور الايضاح)، و (مراقى الفلاح)، و (المهنية)، و (العمادية)، و (البحر)، و (الطحطاوى). ونفس الحيلة ثابتة و في الحيلة المذكورة نفع الميت لان فيها تكثير الفدايا. فان استيفاء الفدايا لسنة واحدة يقتضى مالا كثيرا لا يتيسر لكل احد.

وكذا ذكرت الحيلة المذكورة في (الدر المنتقى) كما نقله (الطحطاوى على المراقى: ص: ٢٣٩) و (الدر المنتقى)^[٢]: انهم اذا ارادوا الاخراج عنه يحسب عمره بحسب غلبة الظن ويخرج منه مدة الصبا وهى اثنا عشر فى الغلام وتسعة فى الجارية ويخرج عنه بقدرها ان كان عندهم ما يكفى والا ندفع مرارا اه. وذلك لاحتمال نقصان صلاته بترك ركن او شرط فان كثيرا من الناس لا يحسبها.

فعلم من هذا الكلام ايضاً جواز الحيلة المذكورة وعلم ان ارتكابها عند احتمال النقصان فى الصلاة بترك ركن او شرط ايضاً ثابت فاذا صرح به الفقهاء فى كتبهم الموضوعية لنقل المذهب ونفس الحيلة ثابتة والحاجة ماسة ولا مخالفة فيها من اصول الدين بل لها مؤيدات وفيها نفع الميت فإى مانع من الجواز ولا تخرج عن التصديق على كل تقدير. والتصدق مستحسن فان النهى انما هو عن الضيافة. قال (الطحطاوى: ص: ٣٣٩) بعد قول الشارح وتكره الضيافة من اهل الميت. قال فى (البرازية) يكره اتخاذ الطعام فى الاول و الثالث وبعده الاسبوع ونقل الطعام الى المتبرة فى الواسم واتخاذ الدعوة بقراءة القرآن و

(١) مختار بن عمود الحنفى المتوفى سنة ٦٥٨ هـ. (١٢٥٩ م.) وفى كتابه القنية روايات ضعيفة عند العلماء المحققين

(٢) مؤلف الدر المنتقى علاء الدين الحسكفى توفى سنة ١٠٨٨ هـ. [١٦٧٧ م.]

جمع الصلحاء و القراء للختم او لقراءة (سورة الأنعام) او الاخلاص. قال البرهان الحلبي ولا يخلو عن نظر لانه لا دليل على الكراهة الاحديث جرير المتقدم، كنا نعد الاجتماع الى الميت و صنعهم الطعام من النياحة اه . يعنى وهو فعل الجاهلية انما يدل على كراهة ذلك عند الموت فقط على انه عارضه مارواه (الامام احمد) بسند صحيح (خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة فلما رجع استقبله داعى امرأته فجاء و جئ بالطعام) الحديث وهذا يدل على اباحة صنع اهل الميت الطعام والدعوة اليه بل ذكر فى (البزازية) ايضاً من كتاب الاستحسان. و ان اتخذ طعاماً للفقراء كان حسناً و فى (استحسان الخانية): و ان اتخذ ولى الميت طعاماً للفقراء كان حسناً الا ان يكون فى الورثة . مغار فلا يتخذ ذلك من التركة.

و منها انه يجلس فى الدورة من لاعلم له بالايجاب و القبول و القبض فعل اولياء الميت او العالم المتولى لذلك ان يميز بين من يكون اهلاً و بين من لا يكون اهلاً لتصير الدورة سبباً لنفع الميت و الناس يتساهلون فيه و قد شاهدنا ذلك مراراً. الا ترى الى ان نسعى فيما يكون فيه نفعا لنا فلا بد لنا ان نسعى سعياً بليغاً فيما فيه نفع الميت الاحوج الى النفع سيما و قد شرعت لنفع الاموات فان كل شئ اذا استعمل بطريقه كان انفع و بعض الناس عنه غافل حتى لا يميز بين الجيد من المال و الردى منه فالواجب فيه التثبت و الاحتياط و طلب منهج الرشاد لفعل الرشاد.

و منها جواز التصديق بعد الدفن كما فى حديث رواه الامام احمد بسند صحيح و ابو داود عن عاصم بن كليب عن ابيه عن رجل من الانصار. قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على القبر يوصى الخافر يقول (اوسع من قبل رجله، اوسع من قبل رأسه) فلما رجع استقبله داعى امرأته فجاء و جئ بالطعام فوضع يده و وضع القوم فأكلوا و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلوك لقمة فى فيه ثم قال (انى اجد لحم شاة اخذت بغير اذن اهلها) فسئلت المرأة تقول يا رسول الله انى ارسلت الى البقيع اشترى شاة فلم اجد فارسلت الى جارى قد اشترى شاة ان يرسل الى فلم يجد فارسلت الى امرأته فارسلت بها الى فقال عليه الصلوة و السلام (اطعميه الاسارى) فهذا يدل على اباحة صنع الميت طعاماً و الدعوة اليه. (الكبرى ص: ٥٦٣)

فعلم من هذا الحديث جواز التصدق والا لما شاركهم فيه ابتداء والمنع كان لوجه آخر. وما ورد من المنع فهو محمول على الضيافة حيث قيل كنا نعد الضيافة من النياحة ولا شك ان بين الضيافة والتصدق فرق فلا يقاس احدهما على الآخر منبأً وجوازاً. ولذا يستحب لجيران الميت تهيئة الطعام لهم لقوله عليه الصلوة والسلام (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم) حسنه الترمذی وصحح الحاكم ولأنه برٌّ معروف يستحب ان يلح عليهم في الاكل لان الحزن ينمهم من الاكل فيضعفوا. (كبيرى ص: ۵۶۳).

و ايضاً حصر صحابی بئرا وقال بهذا لام سعد كما لا يخفى على من مارسه. كتب الحديث ولذا ذكر في كتب العقائد ان في دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم نفع للأموات خلافاً للمعتزلة.

و ايضاً قال المحدث الدهلوی رحمه الله عليه في (اشعة اللمعات ج: ۱، ص: ۶۲۴) والمستحب ان يتصدق عن الميت بعد ذهابه من الدنيا الى سبعة ايام والتصدق الى سبعة ايام ينفع بلا خلاف بين اهل العلم وورد في ذلك الاحاديث الصحيحة سيما بناءً. وقال بعض العلماء لا تصل الى الميت الا الصدقة والدعاء.

و ورد في بعض الروايات ان روح الميت تجيء الى بيتها ليلة الجمعة فننظر هل يتصدقون عنها ام لا فهذا صريح في نفع التصدق ومجيء روح الميت وكونها منتظرة لتصدق الاحياء عنها.

و ايضاً ذكر العلامة الشامي (ج: ۱، ص: ۶۰۳) وفيها من كتاب الاستحسان و ان اتخذ طعاماً للفقراء كان حسناً نعم ان كان للسمعة والرياء لا ينفعلوا او كان في الورثة صغاراً او غائب لا يفعل وذكر ان حديث دعوة امرأة كما مر حكاية حال لا عموم لها كما ذكر في تلك الصفحة.

و ذكر في (البرهنة) ومستحب است تصدق بروتا هفت روزا اگر نماز يا روزه يا اعتاق يا عبادتي ديگر کند تا ثواب او بميت رسد روا است و ميرسد و در مظالمه گفت سنت است که قبل از مُضي شب اول تصدق کند و اگر نتواند دو رکعت نماز گزارد و

بعد از فاتحه آیت الکرسی یک بار و تکاثر ده بار خواند و بعد از فراغ گوید: الهی نماز گزاردم و میدانی نیت مرا الهی ثواب این بگور فلان میت برسان (ج: ١، ص: ٣٦٣).

و ذکر فی (شرح شرعة الاسلام) و السنة ان يتصدق ولي للميت قبل مضي الليلة الاولى بشيء مما تيسر له فان لم يجد شيئا فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و آية الكرسي مرة و سورة التكاثر عشر مرات (ص: ٥٦٨) فعلم من هذه العبارات ان اتخاذ الطعام للفقراء بنية التصديق لا للسمعة و الرياء و المباهاة امر مندوب اليه كما لا يخفى على اولي النهي.

و منها الجلوس للتعزية ثلاثة ايام كما ذكر في (الكبيرى ص: ٥٦٢) و يجوز الجلوس للمصيبة ثلاثة ايام وهو خلاف الاولى و يكره في المسجد و يستحب للرجال و النساء اللاتي لا تفتن لقوله عليه الصلوة و السلام (من عزا اخاه بمصيبة اعطاه الله مثل اجره و كساه الله من حلل الكرامة يوم القيمة) رواه ابن ماجة و التعزية ان يقول: (اعظم الله اجرک و احسن عزائک و غفر لمتک) ان كان الميت بالغاً والا فلا يقول غفر لمتک.

و منها ان اهداء تلاوة القرآن للميت جائز لانه عمل خير حتى ان قراءة القرآن عند القبر ايضا جائز و ما نقل عن الامام احمد انها بدعة فقد رجع عنه كما قال الامام الغزالي رحمة الله عليه في (الاحياء) و لا بأس بقراءة القرآن على القبور.

روى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل رحمة الله عليه في جنازة و محمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد و يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد رحمة الله عليه يا ابا عبد الله ما تقول في مبشرين اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا؟ قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة و خاتمتها و قال سمعت ابن عمر رضی الله تعالى عنه یوصی بذلك فقال له احمد ارجع الى الرجل فقل يقرأ.

و قال محمد بن المروزی سمعت احمد بن حنبل رحمة الله عليه يقول اذا دخلتم

المقابر فاقرأوا بـ (فاتحة الكتاب) و (المعوذتين) و (قل هو الله احد) واجعلوا ثوابها لاهل المقابر فانه يصل اليهم (الاحياء: ص: ٢٣١) فعلم من هذا ان الامام احمد رجع عن الانكار و هذا شان العلماء المحققين حيث راجع في الفور عند سماع الدليل فليعتبر العاقل من ذلك. و اما الختم بالأجرة لشواب الميت فغير جائز لان القارئ بالأجرة محروم عن الثواب فإى شئ يهب للميت؟ قال العلامة الشامي في (ج: ٥، ص: ٤٦-٤٨) قوله لا لاجل الطاعات. الاصل ان كل طاعة لا يختص بها المسلم، لا يجوز الاستيجار عليها عندنا لقوله عليه الصلوة و السلام (اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به) و في آخر ما عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى عثمان بن العاص رضى الله عنه و (ان اخذت مؤذنا فلا تأخذ على الاذان اجرا) ولان القربة متى حصلت وقعت عن العامل و لهذا تتعين اهليته فلا يجوز له اخذ الاجرة من غيره كما في الصلاة و الصوم. و يفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن.

قال في (الهداية) و بعض مشائخنا استحسنا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التواني في الامور الدينية ففى الامتناع تضييع حفظ القرآن و عليه الفتوى و قد اقتصر على استثناء تعليم القرآن ايضاً في متن (الكنز) و متن (مواهب الرحمن)^(١) و كثير من الكتب و زاد في (المختصر) و متن (الاصلاح)^(٢) تعليم الفقه. و زاد في متن (المجمع) الامامة و مثله في متن (الملقى) و (درر البحار) و زاد بعضهم الاذان و الاقامة و الوعظ و ذكر المصنف معظمها و لكن الذى في اكثر الكتب الاقتصار على ما في (الهداية). فهذا مجموع ما افتى به المتأخرون من مشائخنا و هم البلخيون على خلاف في بعضه مخالفين ما ذهب اليه الامام و صاحبه و قد اتفقت كلمتهم جميعاً في الشروح و الفتاوى على التعليل بالضرورة و هى خشية ضياع القرآن كما في (الهداية) و قد نقلت لك ما في مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى فلاحاجة الى ما في الشروح و الفتاوى و قد اتفقت كلمتهم جميعاً على التصريح باصل المذهب من عدم الجواز ثم استثنوا بعده ما علمته فهذا دليل قاطع و برهان ساطع على ان المفتى به ليس هو جواز الاستيجار على كل طاعة بل على ما ذكره فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن اصل المذهب من طرد المنع فان مفاهيم الكتب حجة و لو مفهوم لقب على ما صرح به الاصوليون بل هو منطوق فان الاستثناء من ادوات العموم كما

(١) مؤلف مواهب الرحمن ابراهيم الطرابلسي توفي سنة ٩٢٢ هـ. [١٠١٦ م.]

(٢) مؤلف الاصلاح الوقاية احمد بن كمال باشا توفي سنة ٩٤٠ هـ. [١٠٣٣ م.]

سرحوا به ايضا واجمعوا على ان الحج عن الغير بطريق النيابة لا الاستيجار وهذا لو فضل مع النائب شيء من النفقة يجب عليه رده للاصيل او ورثته ولو كان اجرة لما وجب رده فظهر لك عدم صحة ما في (الجوهرة) من قوله واختلفوا في الاستيجار على قراءة القرآن مدة معلومة. قال بعضهم لا يجوز وقال بعضهم يجوز وهو المختار اهـ .

و الصواب ان يقال على تعليم القرآن فان الخلاف فيه كما علمت لا في القراءة المجردة فانه لا ضرورة فيها فان كان ما في (الجوهرة) سبق قلم فلا كلام وان كان عن عمد فهو مخالف لكلامهم قاطبة فلا يقبل وقد اظن في رده صاحب (تبيين المحارم) [٢] مستنداً الى القول الصريحة فمن جملة كلامه:

ما قال تاج الشريعة في شرح (الهداية) ان القرآن بالاجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ.

وقال العيني في شرح (الهداية) ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطى آثمان.

فالحاصل ان ما شاع في زماننا من قراءة الاجزاء بالاجرة لا يجوز لان فيه الامر بالقراءة واعطاء الثواب للامر والقراءة لاجل المال فاذا لم يكن للقارئ ثواب لعدم النية الصحيحة فاین يصل ثوابه الى المستأجر ولولا الاجرة لما قرأ احد لأحد في هذا الزمان بل جعلوا القرآن مكسبا و وسيلة الى جمع الدنيا (انا لله وانا اليه راجعون) وقد اغتربا في (الجوهرة) صاحب (البحر) في كتاب الوقف وتبعه الشارح في كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستيجار على كل الطاعات منها القراءة وقد رده الشيخ خير الدين الرملي في (حاشية البحر) في كتاب الوقف حيث قال: اقول المفتى به جواز الأخذ استحسانا على تعليم القرآن لاعلى القراءة المجردة كما صرح به في (التاتارخانية) حيث قال لامعنى لهذه الوصية ولصلة القارئ بقراءته لان هذا بمنزلة الاجرة والاجارة في ذلك باطلة الى ان قال:

ومن صرح بذلك ايضا الامام البرگوى قدس سره في آخر (الطريقة المحمدية)

(١) مؤلف الجوهرة التوحيد ابراهيم ابن اللقاني المالكي توفي سنة ١٠٧٨ هـ. [١٦٦٧ م.]

(٢) سنن الدين يوسف الامسى الحلواني المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ. [١٥٩٢ م.] ويوجد كتابه المذكور باستانبول في

مكتبة سليمانية بقسم اسعد افندي تحت رقم: ٥٩٦.

فقال الفصل الثالث في امور مبتدعة باطلة اكتب الناس عليها على ظن انها قرب مقصود الى ان قال: ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته او بعده وباعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه او يسبح ويهلل وكلها بدع منكرات باطلة واماخذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة والذكر لاجل الدنيا. انتهى ملخصاً.

وذكر ان له فيها اربع رسائل. فاذا علمت ذلك ظهر لك حقية ما قلناه وان خلافه خارج عن المذهب و عما افتي به البلخيون وما اطبق عليه ائمتنا متونا وشروحاً و فتاوى ولا ينكر ذلك الا غمر مكابر او جاهل لا يفهم كلام الاكابر.

وما استدل به بعض المحشين على الجواز بحديث (البخارى) في اللديغ فهو خطأ لان المتقدمين المانعين لاستيجار مطلقاً جوزوا الرقية بالاجرة ولو بالقرآن كما ذكره (الطحاوى) لانها ليست بعبادة محضة بل من التداوى.

فعلم من هذه العبارات ان تلاوة القرآن بالاجرة لاهداء الثواب الى الميت لا يصح لأن نفس التلاوة لاهداء ثواب الميت ممنوعة فانه لاشك في جوازها كما ذكر سابقاً. ولما ذكر العلامة الشامى في (ج: ٢، ص: ٢٣١)، قوله ويقرأ (يس) لما ورد (من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفف الله تعالى عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات) (البحر) وفي (شرح اللباب) ويقرأ من القرآن ما تيسر له من (الفاتحة) واول سورة (البقرة) الى (المفلحون) و (آية الكرسي) و (آمن الرسول) و (سورة يس)، و (تبارك الملك) و (سورة التكاثر) و (الاخلاص) اثني عشر مرة او احدى عشر، او سبعا، او ثلاثاً ثم يقول (اللهم اوصل ثواب ما قرأناه الى فلان او اليهم).

تنبيه

صرح علماؤنا في باب الحج عن الغيران للانسان ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة او صوما او صدقة او غيرها كذا في (الهداية) بل في زكاة (التاتارخانية) عن (المحيط):^[١] الافضل لمن يتصدق بفلان ان ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لانها تصل اليهم ولا ينقص من اجره شئ وهو مذهب اهل السنة والجماعة لكن استثنى مالك والشافعى العبادات

(١) مؤلف المحيط البرهاني محمود الخنفي البخاري توفي سنة ٦١٦ هـ. [١٢١٩ م.]

البدينية المحضة كالصلاة و التلاوة فلا يصل ثوابها الميت عندهما بخلاف غيرهما كالصدقة والحج. وخالف المعتزلة في الكل الى ان قال (تتمة) ذكر ابن حجر في (الفتاوى الفقهية) ان الحافظ ابن تيمية زعم منع اهداء القراءة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه الا بما اذن فيه وهو الصلوة عليه و سؤال الوسيلة له قال: وبالعكس السبكي وغيره في الرد عليه ان مثل ذلك لا يحتاج الى اذن خاص. الا ترى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنه كان يعتمر عنه عليه الصلوة والسلام عمرا بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وصية. وحج ابن الموفق^(١) وهو في طبقة الجنيد عنه سبعين حجة. و ختم ابن السراج عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من عشرة آلاف ختمه وضحى عنه مثل ذلك. اهـ.

فعلعلم ان الانكار في اخذ الاجرة لا في نفس الختم، على انه ان قرأ احد لوجه الله تعالى بنية خالصة واعطاه احد صدقة لا اجرة لاحرج فيه و ذلك موقوف على النية.

و الدليل على ما ذكرنا ما في (الحديقة شرح الطريقة المحمدية: ص: ٣٥٦) قوله لروح الواقف. و اصل المسئلة صحيح في من قرأ القرآن او سبح او هلّل او صلى كذا ركعة و اهدى ثواب ذلك لفلان الحي او الميت فان الانسان له ان يجعل ثواب عمله مطلقا عند اهل السنة و الجماعة لغيره ميتا كان او حيا نوى به عند الفعل للغير او يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره و اما قوله عليه الصلوة والسلام (لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد) فهو في حق الخروج عن العهدة لا في حق الثواب ولم ار حكما من اخذ شيئا من الدنيا فيجعل شيئا من عبادته للمعطى وينبغي ان لا يصلح ذلك وما قال الوالد فيه نظربل اطلاق ما سبق يقتضى الصحة انتهى و وجهه ان اخذ الدرهم صدقة من المعطى و اخذ الصدقة لا يمنع الثواب فدفعه بان ثواب العبادة لا يدخل تحت عقد البيع لان ذلك مخصوص بالاعراض الدنيوية و بهذا السبب يبطل الوقف المشروط فيه ذلك لان حل اخذ المعلوم من الوقف في مقابلة فعل الشرط الذى شرط الواقف فهو كالبيع للثواب و ان اعتبرنا وجه كونه صدقة على من يقرأ للواقف او يصلى له لا ان ذلك المعلوم عوض عن تلك القرية و ثمن

(١) ابن الموفق على البغدادي توفي سنة ٢٦٥ هـ. [٨٧٩ م.]

(٢) يعنى به والد النابلسي اسماعيل بن عبد الغنى التوفى سنة ١٠٦٢ هـ. [١٢٥٢ م.]

لشوايها ولكنه بمنزلة ما اذا كان الوقف على امام الجامع او الخطيب او نحو ذلك فانها شروط على من اتصف بذلك فهي صدقة من الوافق على صاحب هذا الوصف المذكور لا ان الواقف يفعل الموقوف عليه ذلك في مقابلة اخذه للمعلوم المعين.

قوله لاجل الدنيا والمفهوم منه ان الذى ياخذ ذلك لو تلا القرآن وذكر الله وصلى كذا ركعة او هلك او كبر ونحو ذلك من انواع القربات لا لاجل ما ياخذ من المعلوم المعين له في الوقف لمن فعل ذلك بل لوجه الله تعالى واخذ المعلوم صدقة عليه من الواقف جاز. وصح الوقف حينئذ وهو ما ذهبنا اليه فيما تقدم في حق جميع الوظائف في الاوقاف كلها وليس الامر مخصوصاً بهذا النوع منها فقط. انتهى.

والحاصل ان عند اخلاص النية لا يمنع الصدقة اهداء الثواب الى الميت فـ (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها) الى آخر الحديث على ان بين الصلة والاجرة فرق كما صرح به العلامة الشامي وشارح (شرعة الاسلام) (ص: ١٢٦).

فعلم من التفصيل المذكور ان لاختلاف بين الاحناف في نفس اهداء ثواب التلاوة وكذا قال في (الكبيرى: ص: ٥٦١) واختلف في اجلاس القارئ ليقروا عند القبر والمختار عدم الكراهة وكذا ذكر العلامة الشامي (ج: ١، ص: ٦٣٣) في تشريح قول الماتس ولا اجلاس القارئ عند القبر وهو المختار. عبارة (نور الايضاح) وشرحه ولا يكره الجلوس للمصراة على القبر في المختار لتادية القراءة على الوجه المطلوب بالسكينة والتدبر والانتظام.

و ايضا قال العلامة الشامي في (ج: ٥، ص: ١٠٨) قال العلامة عبد البر: والمسئلة مبنية على وصول ثواب اعمال الاحياء للاموات وقد الف فيها قاضى القضاة السروجى وغيره وآخر من صنف فيها شيخنا قاضى القضاة سعد الدين الديرى كتابا سماه (الكواكب النيرات).

محط هذه التاليفات ان الصحيح من مذهب جمهور العلماء الوصول والله تعالى

اعلم.

و ایضا ذکر المحدث الدهلوی فی (اشعة اللمعات، ج: ۱، ص: ۱۱۱) و خواندن اول سورۃ بقره تا (مفلحون) و آخر آن از (آمن الرسول) نیز آمده است و اگر ختم قرآن کند اولی و افضل است و از بعض علماء شنیده است که اگر مسئله از مسائل فقه ذکر کند نیز فضیلت دارد و باعث نزول رحمت است و مناسب حال ذکر مسئله فرائض است و مختار آن است که خواندن قرآن بر سر قبر مکروه نیست خلافاً لبعضهم کذا قال الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى علیه.

و العجب ان بعض الطلبة ممن ليس له حظ من علم الحديث، يقولون الموعظة عند القبر بدعة.

تنبيه

ذكر العبد الضعيف مولانا الكدوى نور الله مرقده و افاض عليه شايب الغفران و الاحسان ان طالبا قال لي عند وعظ احد عند القبر: أليست هذه بدعة؟ فقلت له ايها الغمر الجاهل ان الامام البخارى رحمه الله عليه ذكر بابا بعنوان (باب موعظة المحدث عند القبر) فكيف تكون بدعة.

ما قال مولانا المرحوم صحيح بلاريب فانه ذكر الامام البخارى في (ج: ۱، ص: ۱۸۲) باب موعظة المحدث عند القبر و قعود اصحابه حوله ثم ذكر الحديث الطويل. فانظر الى هذه الجهال لا يعرفون السنة من البدعة و يحكمون على آرائهم الكاسدة الفاسدة و ليست السنة و البدعة منوطتان على آرائهم. جُلُّ بضاعتهم الانحراف عن منهج الرشاد و كل صناعتهم اللدد و العناد.

و ايضا روى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (اذا مات احدكم فلا تحبسوه و اسرعوا به الى قبره و ليقر عند رأسه فاتحة الكتاب و عند رجله بخاتمة البقرة) قال الشيخ الدهلوى في ذيل هذا الحديث و در آثار قراءة (فاتحة الكتاب) و (معوذتين) و (قل هو الله احد) و گردانیدن ثواب آن برائى اهل مقابر آمده است و اختلاف کرده اند در گردانیدن ثواب برای میت

و وصول ثواب آن بدو و صحیح وصول او است شیخ عبد الله یافعی در روض الریاحین آورده که شیخ عزالدین بن عبد السلام را در خواب دیدند گفت که ما در دنیا حکم کرده بودیم که ثواب قرآن به میت نمیرسد درین عالم بخلاف آن ظاهر شد و دریافتیم میرسد و مکروه نیست قراة قرآن بر قبر هو الصحیح ذکره الشیخ ابن الممام (اشعة اللمعات: ج: ۱، ص: ۶۱۷)

فعلم من هذه التصريحات ان قراة القرآن لثواب الميت على القبر او في موضع آخر جائز.

و اما الاستشفاء بالقرآن فهو ايضا ثابت كما ذكر الامام البخاری رحمه الله عليه، حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابو عوانة عن ابی بشر عن ابی المتوکل عن ابی سعید ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحى من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فموا له بكل شىء لا ينفعه شىء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله ان يكون عند بعضهم شىء فاتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ فسمعنا له بكل شىء لا ينفعه شىء هل عند احد منكم شىء فقال بعضهم نعم والله انى لراق ولكن والله لقد استصفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنا نشط من عقال فانطلق يمشى ما به قلبه قال فاوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم اقساموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكروا له فقال وما يدريك انها رقية اصبتم اقساموا و اضربوا لي معكم بسهم قال النووي هو من باب المروات والتبرعات ومواسات الاصحاب والبرقاق والا فجميع الشياه ملك الراقى قال صلى الله عليه وسلم تطيبا لقلوبهم ومبالغة في تعريفهم انه حلال لاشبهة فيه.

و في الحديث دليل على جواز الرقية بالقرآن ويذكر الله تعالى واخذ الاجرة عليها لان القراءة والنفث من الافعال المباحة وبه تمسك من رخص بيع المصايف وشرائها و

اخذ الاجرة على كتابتها وبه قال الحسن والشعبي وعكرمة رحمة الله عليهم واليه ذهب سعيد ومالك والشافعي واصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليهم كذا ذكره الطيبي نقلا عن شرح السنة بخارى (ج: ٢، ص: ٧٤٩)

فعلم من هذا ان الاستشفاء بالقرآن جائز. وكذا اخذ الاجرة اذا كانت القراءة للاستشفاء وهذا هو الحديث الذى اشار اليه العلامة الشامي من ان التمسك بحديث اللديغ فهو خطأ على ان الاستشفاء بالقرآن وردت فيه روايات.

منها ما ذكر فى المدارك بهامش (الخازن ص: ١٧٨) فى تفسير قوله تعالى (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * الْآيَةُ. الاسراء: ٨٢) وفى الحديث (من لم ينشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى)

ومنها ما ذكر فى الخازن واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى (فاتحة الكتاب) وما يدريك انما رقية.

ومنها ما ذكر فى (المدارك ص: ١٨٣) فى تفسير قوله تعالى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ * الْآيَةُ. الاسراء: ١٠٥) قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا الى اين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله! تستعينون على ولى الله بعد والله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ * الْآيَةُ. الاسراء: ١٠٥) ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الحضر عليه الصلوة والسلام.

ومنها ما ذكر الامام البخارى باب الرقية بالقرآن والمعوذات. حدثنا ابراهيم بن موسى قال اخبرنا هشام عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات

فلما ثقل كنت انفت عليه بهن و امسح بيد نفسه لبركتها فسالت الزهرى كيف ينفت
قال كان ينفت على يديه. ثم يمسح بهما وجهه. ثم ذكر باب الرقية بـ (فاتحة الكتاب)
ثم ذكر باب الشرط فى الرقية بقطع الغنم. (البخارى: ج: ٢، ص: ٨٥٤).

و مثل هذه الروايات كثيرة فى كتاب الرقية وايضا النفث والتفل فى الرقية
ثابت لما ذكر فى (حاشية البخارى ج: ٢، ص: ٨٥٥) وفيه انه قرأ بفاتحة الكتاب وتفل و
التفل ان يكون معه شئ من الريق.

و ايضا مسح الراقى بيده اليمنى ثابت كما قال الامام البخارى فى (ج: ٢،
ص: ٨٥٢) (باب مسح الراقى فى الوجع بيده اليمنى) و اما ذكرت ذلك لان بعض
الناس ينكرون ذلك.

و ان قلت: انه جاء فى الحديث ولا يسترقون وهذا يدل على منع الرقية.

قلنا: الاحاديث فى القسمين كثيرة والجمع بينهما ان ما كان بغير اللسان العربى
وبغير كلام الله تعالى واسماؤه وصفاته فى الكتب المنزلة او ان يعتقد ان الرقية نافعة قطعاً
فيتكل عليها فمكروه وهو المراد بقوله ما توكل من استرقى وما كان بخلاف ذلك فكره.

قال الكرماني^{١١} فان قلت: كرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سعد بن معاذ
رضى الله تعالى عنه وغيره وهو اول من يدخل الجنة. قلت: غرضه انهم يعتقدون ان الشفاء
من الكى على ما كان اعتقاد الكفار والتوكل هو تفويض الامر الى الله تعالى فى ترتيب
المسببات على الاسباب وقيل هو ترك السعى فيما لا يسهه قدرة البشر فالشخص يأتى
بالسبب ولا يدري ان المسبب منه بل يعتقد ان ترتيب المسبب عليه بحلق الله تعالى و ايجاده
ولذا قال عليه الصلوة والسلام (اعلقها وتوكل) و لبس يوم احد در عين مع كونه من
التوكل بمحل لم يبلغه احد من خلق الله تعالى.

قال فى (المجمع) و اما حديث (لا يسترقون ولا يكتون) فهو صفة الاولياء المعرضين
عن الاسباب لا يلتفتون الى شئ من العلائق وتلك درجة الخواص والعوام رخص لهم
التداوى والمعالجات ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله تعالى بالدعاء كان من

(١) محمد بن يوسف الحر ماني شارح البخاري توفي سنة ٧٨٦ هـ. [١٣٨٤ م.]

(٢) مؤلف مجمع البحرين احمد ابن الساعاني البغدادي توفي سنة ٦٩٤ هـ. [١٢٩٤ م.]

جملة الخواص ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء. الا ترى انه قبل من الصديق رضى الله عنه جميع ماله وانكر على من اتى مثل بيضة الحمام ذهباً واما فعله عليه الصلوة والسلام فهو لبيان الجواز (حاشية البخارى: ج: ٢، ص: ٨٥٦).

اقول وبهذا علم معنى قوله عليه الصلوة والسلام (التمائم من الشرك) فان نفس التيممة اذا كانت بكلمات جائزة جائزة والمنع عند اعتقاد التأثير بالذات كاعتقاد اهل الجاهلية كما لا يخفى على اولى النهى والافكتابة الايات القرآنية وشرب مائها والتعويد منها ثابت كما ذكره المحدث الدهلوى فى (اشعة اللمعات: ص: ٥٦٧) بتفصيل اتم حيث قال وزوى عن مجاهد لا باس ان يكتب القرآن ويغسل ويشرب ماءها على المريض الى ان قال وكتابتها فى الظروف الصينية وغسلها بالماء وشرب مائها على المريض.

وبايضا نقل عن تاج الدين السبكي رحمة الله عليه وايضا المحدث الدهلوى ذكر فى (ج: ٣، ص: ٥٧٢) ان فى عقد التعويد فى العنق والعضد للعلماء كلام الا ان له سند من حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه دعاء لدفع السهم فكان ابن عمر يعلم الدعاء من اولاده الكبار ويكتب للصغار ويعلق فى اعناقهم. فعلم من هذه الروايات ان استعمال التعويد وكذا الاسترقاء برقية صحيحة ثابتة وللهى محل آخر. نعم، بعض الرقية مما لا يعلم معناه فلا يجوز. صرح المحدث الدهلوى رحمة الله عليه والصحابة ايضاً كانوا يعرضون رقاهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيز البعض ويمنع البعض وما كان ذلك الا لاجل المعنى كما لا يخفى على من مارس كتب الحديث.

وانما ذكرت مشكلة الرقى والتعويدات طبعاً وطرده لان بعض الناس ينكر عنها مطلقاً والبعض يجاوز فى ذلك عن الحد حتى يكتب القرآن منكوساً او يكتب بعض التعويدات بالدم فهل هذا الا استخفافاً بالقرآن اعاذنا الله منه فان الافراط والتفريط مذمومان والاقتصاد محمود

تَذْنِيبٌ

في بيان احوال ابن تيمية اليمنى الحرانى الذى هو متمسك الفنة المنكرة وبه يستريح القلم ويشفى العليل من الالم وقد ذكرنا حاله سابقا في الجملة والان نذكر حاله تفصيلا ثم استفت قلبك ولو افثاك المفتون. فنقول ذكر في (حاشية النبراس^(١)): انعقد مجلس في قلعة جبل وحضر العلماء الاعلام والفقهاء اعظام ورئيسهم كان قاضى القضاة زين الدين ابن مخلوف المالكى وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضى القضاة بحبسه وكان ذلك سنة: ٧٠٥ هـ. ثم نودى بدمشق وغيره بان من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه. كذا في (مرآة الجنان) ثم تاب وتخلص من السجن سنة: ٧٠٧ وقال: انى اشعري ثم نكبث عهده و اظهر مكنونه ومرموزه وحبس حسا شديدا مرة ثانية ثم تاب وتخلص من السجن اهـ . واقام في الشام وله هناك واقعات كتبت في كتب التاريخ وردت اقاويله وبين حاله الشيخ ابن حجر رحمته الله عليه في المجلد الاول من (الدرر الكامنة) والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين (حاشية النبراس: ص: ١١٦):

وايضا ذكر في (جواهر الايقان في حفظ الايمان) انه ظهر ابن تيمية في سنة: ٧٠٥ هـ . وكان يقول بكون الله تعالى بمجسما. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ويقول بحرمة السفر بقصد الزيارة النبوية. وكان طريقه تحقير بعض الخلفاء الراشدين وتوهين الائمة المجتهدين رحمته الله عليهم والدليل على ذلك كتابه المسمى بـ (صراط مستقيم) وعلماء عصره كالشيخ ابى داود السمان والشيخ كمال الدين وتقى الدين السبكي رحمته الله عليهم ردوا عقيدته الباطلة واخذوه وذهبوا به الى المدرسة الكاملية في مصر وانهقد المجلس وحضر القضاة والمفتون كلهم وجعلوه قائلا وجرى الحكم السلطاني في البلاد كلها ان عقيدة ابن تيمية خلاف الاجماع ومن اعتقد بعقيدته استحق الوبال. وبعد ذلك وقع له في تحقير الاولياء وتوسل نبى الرحمة صلى الله تعالى عليه وسلم مقال وبالاخر صار محبوسا في تلك المقدمة لان اهانة الاولياء والمشايع والعلماء كفر . والتوسل بنبى الرحمة صلى الله

(١) النبراس حاشية شرح العقائد مؤلفه محمد عبد العزيز الفراهزوي الهندي ، توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٣ م.]

تعالى عليه وسلم عقيدة متفق عليها للامة والمنكر عن ذلك ضال.
ثم تاب ابن تيمية في زمن الدولة الناصرية وخلص من السجن و جاء الى الشام
وصار بمثل تلك العقيدة محبوساً في سجن دمشق وجرى الحكم العام من السلطان بان من
كان على عقيدة ابن تيمية فماله ودمه حلال وابن تيمية مع قطع النظر عن كونه ظاهرياً
كان من الخوارج وكان يسيئ الادب في حق على كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء رضى
الله تعالى عنها والفرض ان في حكومة امام المسلمين كل من قال قولاً خلاف الدين صار
مجزياً. (جواهر الايقان في حفظ الايمان ص: ٨) وصدقه وصححه العلامة الفاضل
المحقق ابو محمد عبد الحق مؤلف (التفسير الحقايق ص: ١٤١).

وذكر الشيخ ابن حجر المصقلاني رحمه الله عليه في كتابه المسمى بـ (الدرر
الكامنة في اهل المائة الثامنة) في حاله انا لانتقد عصمته بل انا نخالفه في مسائل اصلية و
فرعية.

وقال الذهبي^(١) رحمه الله عليه في تاريخه فهو بشر له ذنوب وخطايا. وقال اليافعي^(٢)
زيادة عليه في كتاب (عبرة اليقظان) فلا نعتد على قوله بل له مع الامام تعصب كتاب
(عشرة مبشرة)، مصنفه المولى حبيب الله الفشاوري (ص: ٢٤).

وقال آخوند شيخ: وابن تيمية من المجسمة ومن قال بانه تعالى جسم فهو في غاية
السفاهة والجهالة فلم يعتد بقول امثاله (ج: ١، ص: ٩٢).

يقول العبد الضعيف ومن اتباعه محمد بن عبد الوهاب النجدى الذى ينسب اليه
الوهابيون فانها نسبة الى عبد الوهاب النجدى لا الى الوهاب كما يفرحون ويقولون نحن
منسوبون الى الوهاب وهو كان من الخوارج كما ذكر العلامة الشامي في (ج: ٣، ص: ٣٣٧)
باب البغاة فيكفى فيهم اعتقاد كفر من خرجوا عليه كما وقع في زماننا في اتباع عبد
الوهاب النجدى خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة،
لكنهم اعتقدوا انهم هم المسلمون ومن خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل
اهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرّب بلادهم وظفر بهم عساكر

(١) عمد الذهبي توفي سنة ٧٤٨ هـ. [١٣٤٧ م.]

(٢) عبد الله اليافعي الشافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ. [١٣٦٧ م.] في مكة المكرمة

المسلمين عام ثلاث و ثلاثين ومائتين وال الف سنة ١٢٣٣ هـ .

اقول: وهذا ديدن موحدى هذا الزمان حيث يسيئون الادب بأكابر الدين و ينسبون الشرك الى من خالف عقيدتهم الزائفة لا يتركون من اساءة الادب لاعمالا ولا زاهدا ولا مرشدا ولا مسترشدا لاجياً ولا ميتا فاللازم على امراء الاسلام ان يعزروهم و يمنعوهم من اشاعة عقيدتهم الباطلة وانتساب الشرك الى المسلمين فقد غلب على الطوائع اللدد والعناد وفشا الجهل والفساد ولذا يقولون لمحمد بن عبد الوهاب النجدى شيخ الاسلام و مجدد الدين و سمعت انه طبع الشيخ له رسالة ولا استبعاد فى ذلك لان كل فرقة لها شيخ من زمريهم و مجدد لدينهم و الا فالعلماء صرحوا بكونه من الخوارج وهم يقولون له شيخ الاسلام و مجدد الدين .

مصرع:

بين تفاوت ره از كجا است تا بكجا

و الدليل على كون محمد بن عبد الوهاب النجدى من اتباع ابن تيمية ما قال فى آخر كتابه المسمى بـ (كتاب التوحيد): وكفانا فى ذلك قدوتنا و امامنا ابن تيمية وهذا صريح فى ان ابن تيمية امام و محمد بن عبد الوهاب النجدى مأموم و انما يكون الامام و المأموم على مشرب واحد .

وقال محمد بن عبد الوهاب النجدى: ان قول القائل (يا رسول الله) لا يجوز بل يكفر قائله و قال فى رده مفتى الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية و من اباطيل الاقوال ما تفوه بعض المبتدعين الجهال ان قول القائل (يا رسول الله) لا يجوز بل يكفر قائله، كلا، بل قول القائل (يا رسول الله) و (يا محمد) بطريق الاستعانة جائز كما فى (المواهب اللدنية) حرره مفتى الحنفية بمكة المكرمة عبد الرحمن بن عبد الله و مفتى المالكية بمكة المكرمة ابوبكر، و مفتى الشافعية بمكة المحمية محمد سعيد بن بالصييل و مفتى الحنابلة بمكة المشرفة خلف ابن ابراهيم (فتوى الحرمين لمفتى محمد ايوب الفشاورى: ص: ٢٦) سنة ١٣٠٤ هـ .

فانظر الى عقيدتهم كيف وجدتها مخالفة لاجماع المذاهب الاربعة فكيف الاعتماد على عقيدة مخالفة لاجماع السلف و الخلف كما عرفت سابقا من كلام تاج الدين

السبكي رحمه الله عليه (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّ مَا تَوَلَّى وَتُضْلِمْ جَهَنَّمَ وَمَاءٌ مَصِيرًا النساء: ١١٥)

و ذكر الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني [١] بعد ترجيح ابن حجر على ابن تيمية: قلما يخلو كتاب منها من شذوذه في مسائل يخالف بها مذاهب المسلمين ويشنع على علماء الإسلام ولا يباح الأولياء العارفين كالشيخ الأكبر سيدي محي الدين فقد كفره و أخرجه من الدين مع أن جمهور الأمة اتفقوا على أنه من أكابر الأولياء و سموه سلطان الأولياء. و اظن بل اتيقن أن السبب الوحيد بعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية و علمه مع جلالة قدره شذوذه في تلك المسائل و اعتراضه على هؤلاء الأكابر و ما شبهت إلا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ولكنها مرصودة من بدعه و مخالفته بحيات قاتلات فهي تمنع الناس من الاقبال عليها و الانتفاع بها. (المواهب اللدنية: الفصل الثاني من المقصد العاشر) أقول قد عرفت أنه ينسب الكفر إلى سيد الأولياء المسلم ولايته عند الأمة و هذا طريق اتباعه في زماننا فإنه قال لي طالب علم هو تلميذي و سكن عنده أن الشيخ يقرر ليلتين على محي الدين ابن العربي رحمه الله عليه و يقول له كافرا و ملحدا و زنديقا اعاذنا الله من اساءة الادب بأولياء الله و أكابر الدين نجاه الرسول النبي الأمين.

بيت:

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى اضم إليها ألف آمينا

و ايضا ذكر على البقاري في (شرح الشفاء) و قد افطر ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما افطر غيره حيث قال كون الزيارة قرينة معلوم من الدين بالضرورة و جاحده محكوم عليه بالكفر و لعل الثاني اقرب الى الصواب لان تحريم ما اجمع عليه العلماء فيه بالاستحباب يكون كافرا لانه فوق تحريم الباح المتفق عليه في هذا الباب.

و قال العلامة شهاب الدين الخنجاوي الحنفي في (شرح الشفاء) بعد قوله عليه

الصلوة والسلام (لعن الله قوما اغذوا قبور انبيائهم مساجد) واعلم ان هذا الحديث دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى المقالة الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفًا مستقلا وهي ممنوعة من زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وشد الرحال اليه وهو كما قيل:

بيت:

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهى الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل.

وقال العلامة الزرقانى رحمه الله عليه في (شرح المواهب اللدنية) ولكن هذا الرجل يعنى ابن تيمية ابتدع له مذهبا وهو عدم تعظيم القبور وانما تزار للترحم والاعتبار بشرط ان لا يشد اليها رحل فصار كل ما خالفه عنده كالحائل بما يدفعه فاذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل الى دعوى انه كذب على من نسب اليه مجازفة وعدم نصفة وقد انصف من قال فيه (علمه اكبر من عقله).

يقول العبد الضعيف فانظر الى هؤلاء العلماء الاعلام كيف شنعوا على ابن تيمية في اقواله الشاذة المخالفة عن اجماع العلماء قاطبة سلفاً وخلفاً فهل يتمسك عاقل في تلك المسائل على اقواله؟ فليعتبر العاقل وليكشف غشاوة التعصب عن بصره وبصيرته كى تنطبع دقائق التعقل في ضميره. فهيئات التنبيه للزمرة الدقيقة الحفية المكان واللمحة الرفيعة الشأن (... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * المطففين: ٢٦) (وَلْيُمْلِلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * الصافات: ٦١) (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * يس: ١٧)

وايضا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله عليه في تفصيل حديث (شد الرحال) ان ابن تيمية ذكر في الاستدلال على تحريم شد الرحال الى زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقولة الامام مالك رحمه الله عليه: انه كره ان يقول زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اجاب عنه المحققون بانه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من

افضل الاعمال و اجل القربات الموصلة الى ذى الجلال و ان مشروعيتهما محل اجماع بلانزاع والله الهادى الى الصواب فانظر الى تحريفه قول الامام مالك رحمة الله عليه من حيث المعنى و فى اى كتاب ان الامام مالك رحمة الله عليه نص على كراهيته فانه نص فى رواية ابن وهب عنه وهو اجل اصحابه انه يقف للدعاء و اقل مراتب الطلب الاستحباب و جزم به الحافظ ابو الحسن القايسى و ابو بكر بن عبد الرحمن و غيرهما من ائمة مذهب مالك رحمة الله عليه و جزم به العلامة خليل^(١) ابن اسحاق فى منسكه. افما يستحى هذا الرجل فى تكذيبه بما لم يحط به علمه انه صار كل ما خالفه ما ابتدعه بفساد عقله عنده كالمصائل لايبالى بما يدفعه فاذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل الى دعوى انه كذب على ما نسب اليه مجازفة و عدم نصفه و قد انصف من قال فيه (عمله اكبر من عقله) (شرح المواهب اللدنية) و (الرسالة العجالة).

و ايضا ذكر العلامة الزرقانى رحمة الله عليه فى (شرح المواهب اللدنية) عن الائمة الاربعة استحباب الاستقبال الى القبر الشريف عند الدعاء و من نسب الى الامام ابى حنيفة خلاف ذلك فنقله غير صحيح، اذ لم ينقله عن الامام احد من اهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل باهل القبور و نقل المخالف غير معتبر فايك ان تغتر بذلك.

اقول فانظر بنظر الانصاف و تجنب عن التعصب و الاعتساف كيف يصح انتساب انكار التوسل الى ابى حنيفة رحمة الله عليه كما فعل ابن تيمية و نقلنا سابقاً بحواله (روح المعانى) فان اصحاب امام ابى حنيفة اعرف بمذهب امامهم.

وروى القاضى عياض رحمة الله عليه بسنده الى ابى حميد احد رواة مالك رحمة الله عليه. قال: ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك رحمة الله عليه: يا امير المؤمنين! لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى اذب قوماً فقال (... لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ * الْآيَةِ. الحجرات: ٢) ومدح قوماً فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ * الْآيَةِ. الحجرات: ٣) وذم قوماً (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ * الْآيَةِ. الحجرات: ٤) و انما حرمة حياً كحرمة ميتاً فاستكان لها ابو جعفر و قال يا ابا عبد الله أ استقبل القبلة و ادعوا استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال و لم تصرف وجهك عنه

وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم على نبينا و عليه الصلوة والسلام الى يوم القيمة بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله تعالى.

قال العلامة الشهاب الخفاجى الحنفى فى (شرح الشفاء) وفى هذا رد على ما قال ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة امر منكرو لم يقل به احد ولم يرو الا فى حكاية مفتراة على الامام يعنى هذه القصة التى اوردها القاضى عياض ههنا. والله درّ المصنّف حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها من عدة من ثقة مشائخه فقول ابن تيمية انه امر منكرو، كذب محض و مجازفة من ترهاته وقوله (ولم يقل ولم يرو) باطل فان مذهب مالك رحمة الله عليه واحمد رحمة الله عليه والشافعى رحمة الله عليه استحباب الاستقبال الى القبر الشريف فى الدعاء والسلام وهو مسطور فى كتبهم. انتهى.

وقد ذكر سابقاً ان مذهب الامام الاعظم ايضاً كذلك فعلم ان هذا القول قول سنكر باطل خرق لاجماع السلف. والعجب كل العجب من المتسمين بسمه الشيخوخة انهم يعتقدون به فى مثل هذه الاقوال ايضاً ويقولون باللسان اذا كانت مسئلة من المتقدمين فنحن نعمل بقول المتقدمين ونترك قول المتأخرين وههنا يتركون الاجماع بقول ابن تيمية (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ الصّف: ٣).

و العبد الضعيف كان يسمع هذه المقالة منهم فلما عرفت مسلكهم علمت ان مقصودهم رفع الاعتماد عن الكتب فانهم يقولون اليوم اذا كانت المسئلة موجودة فى كتب محمد رحمة الله عليه فاية حاجة الى (الهداية) و (شرح الوقاية) و (الكنز)؟ فاذا تيقنوا ان كلامهم فى الجهلاء من الطلبة الاغمار كما يظهر من عاداتهم فانهم يقولون نعتد على قول ابي حنيفة رحمة الله عليه لا على قول ابي يوسف و محمد وغيرهما فانا مقلدون له لاهم. فاذا رفع الاعتماد عن كتب محمد، يقولون: نعتد على الحديث فانا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا رفع الاعتماد من ابي حنيفة، يقولون: نحن نعمل بالقرآن و كيف نعمل بالحديث فى مقابلة القرآن كما هى عادة منكرو الحديث فى هذا الزمان وهذه هى الطريقة الى الاحاد فى الدين وهذا ليس بتخمين بل سمعت بعض ذلك مشافهة من تلامذته الاغمار. وقلت لهم مثل هذا القول الا ان غشاوة التعصب قد احاط على بصائرهم فالى الله

المشتكى من اكثر طلبه هذا الزمان، لا يعرفون الغث من السمين ولا الشمال من اليمين ولا لهم علم بالعلوم الآلية ولا لهم مهارة في العقائد فيجدهم امثال هذا الشيخ خالى الاذهان فيتمكن في قلوبهم ما قالوا لا يغسله البحار ولنعم ما قيل .

بيت:

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبنا فارغا فتمكنا

وقال صاحب (التفسير الوجيز) فابن تيمية اتى بشيء منكر لا يغسله البحار وليس هذا عجيبا منه فانه تفوه بان لله يدا ورجلا وصار من المجسمة حتى ان بعضا من العلماء قد كفروه (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ * الآية. البقرة: ١٥٤)

اقول ومثل هذا لا يغسله البحار من قلوب هذه الاغمار الذين لا بصيرة لهم ولا شك ان اعتقاد جسميته تعالى كفر. قال على القارى في (شرح الفقه الاكبر: ص، ٢٠١) وكذا من قال بانه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان، كافر، لم يثبت له حقيقة الايمان.

وقال شارح (العقائد الجلالية) كان ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز الحدود وحاول اثبات ما يناقى لعظمة الحق تعالى فاثبت له تعالى الجسم فخرج منه . (حاشية النبراس: ص، ١١٦)

وقال صاحب (النبراس): البحث الثانى: ذكر المتكلمون ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجمعوا على القول بحدوث العالم وان القول بقدمه كفر ويحكى عن الامام ابن تيمية امام اهل الحديث وفقهاء الحنابلة بقدم العرش وهو قول شاذ لا يعبأ به (نبراس: ص، ١١٦)

قال السبكي، هو رجل (علمه اكبر من عقله) حتى قيل ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام فهو كافر اهـ. (مستحسن على النبراس: ص: ١١٦) وذكر في (قمر الاقمار): لا عبرة لكلام ابن حزم لكونه من اهل الظاهر لا من اهل السنة والجماعة بدليل انه انكر القياس في كتابه (المحلى) وصرح النووى في (فصول مقدمة شرح مسلم) انه ظاهرى وفي

(تعليقات البخارى) ولم يصب ابو محمد بن حزم الظاهرى. (قمر الاقمار: بحث الاجماع).

اقول: علم منه عدم قبول قول اهل الظاهر وعدم كونه حجة سواء كان ابن حزم او غيره و ذكر في (تذكرة الراشد) في حق ابن تيمية و عبد الوهاب النجدى: لا شك ان اكثر العلماء عدلوهما و وثقوهما و اكثر العلماء عدوهما من الاغمار الناقصين في العقل و نسبوا اليهما الضلال و بينوا ذمهما و قباحتهما و اخرجوهما من طائفة اهل السنة و الجماعة و ادخلوهما في زمرة اهل البدعة و الضلالة و قد صرح في اصول الحديث: ان الجرح المفسر مقدم على التعديل فلا اعتبار لتعديلهم في مقابلة الجرح المفسر.

و ذكر في (فتاوى الحديثية) خذل الله ابن تيمية و اعماه و اصمه و اذله و صرح بذلك الائمة الذين بينوا فساد احواله و كذب اقواله و من اراد تفصيل ذلك و تصديق ذلك فعليه بكتب الامام ابى الحسن السبكى و ولده تاج الدين السبكى و الشيخ الامام العزيز جماعة و غير ذلك من معاصريهم و غيرهم من الشافعية و المالكية و الحنفية.

و بعض من عقائد ابن تيمية ان طلاق الحائض لا يقع.

و كل صلاة تركت عمدا ففضاؤها ليس بلازم.

و الطلقات الثلاث ترد الى الواحد.

و يجوز للجنب ان يصلى النافلة في الليل.

ولا يجوز التوسل بالنسب صلى الله تعالى عليه وسلم و السفر الى الزيارة النبوية

معصية.

و اثبت الله تعالى جسمية و جهة و الانتقال من جهة الى جهة و مكان الى مكان.

و يقول ان الرب تعالى على مقدار العرش لا اصغر ولا اكبر. تعالى الله عن ذلك

علوا كبيرا. (رسالة وجوب التقليد بامر الحميد: ص: ١١-٢٠)

اقول: قد ظهر لك من هذه الاحوال كظهور الشمس في رابعة النهار احوال

اصحاب الظواهر فعليك بالتجنب عن مطالعة كتبهم و اتباع عقائدهم.

و علم ایضا ان تعدیل من عدل ابن تیمیۃ لا اعتبار له بناء على اصول الحديث.

و لنذكر لك الفتوى في واقعة بلدة الشاه منصور من مضافات المردان من تاج العلماء المحقق المدقق مولانا قطب الدين الغرغشتوی نور الله مرقده وبرد مضجعه ليعلم ان كلام هؤلاء مردود سلفا و خلفا واولا و آخرًا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (... وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * البقرة: ۱۰۵) (... وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * آل عمران: ۲۶) (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ * الانشراح: ۵۴) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ * العنكبوت: ۶۹):

فقیر قطب الدین غرغشتوی بخیرت اہل اسلام عموماً و اہل سنت و الجماعہ خصوصاً عرض پر داز ہے کہ اگرچہ سنی سلف رحمہم اللہ تعالیٰ کافی ہے لیکن تذکرہ عزیزان جوان اسلام کے لئے اتفاقاً ضرورت پڑی تاکہ عوام جلیل قتال سے محفوظ رہیں۔ اتباع محمد بن عبدالوہاب نجدی اور ابن تیمیہ اور ابن قیم کے جن کے عقاید یہ ہیں کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کی قبر شریف کو صنم اکبر (بڑا بت) کہتے ہیں۔ اور اپنے آپ کو مومنین کہتے ہیں۔ اور اپنے مخالف کو مشرک بتلاتے ہیں۔ اور یا رسول اللہ کہنا مشرک ہے۔ زیارت قبور بعیدہ ناجائز ہے۔ اور اولیاء اللہ کے ارواح پر ایصالِ ثواب حرام ہے۔ اور کرامت بعد الموت نہیں۔ اور توسل حرام ہے وغیرہ وغیرہ اہل سنت و الجماعت سے خارج ہیں۔ اگر کسی کو مزید تحقیق کا شوق ہو تو فقیر کیساتھ کر سکتا ہے اور لا اکواہ فی الدین کی وجہ سے تعرض نہیں کرتے لیکن ترک موالات میں ہلکا فتیاری ہے

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يونس: ۲۵) مولوی قطب الدین غرغشتوی بقلم خود

جناب حضرت مولانا سراج علماء قطب الدین صاحب دامت برکاتہم علیہما کے مکتوب بزرگات کیساتھ ہم خادمان اہل علم کا سرا و ملائیت اتفاق ہے یہاں ملے بلان وغیرہ ضلع مردان میں بھی ہیں نجدیوں وغیرہ کے ہم عقیدہ لوگ ہماری نظروں میں موجود پائے جاتے ہیں جو کہ خارج از مرز اہل سنت و الجماعت ہیں

۱۔ صاحب حق عبدالخالق گڑھی کیو و بقلم خود

۲۔ مولوی شامستہ گل ساکن مٹہ بقلم خود

۳۔ مولوی سید عبداللہ طودی بقلم خود

۴۔ مولوی زین الدین ساکن ترلانہ دی بقلم خود

۵۔ مولوی غلام رحمانی ساکن لونڈنخو و بقلم خود

ادفتوی نور و میر میں ایک تہ و اترتالیس علماء کرام کے دستخط موجود ہیں۔

يقول العبد الضعيف: نقل الفتوى مطابق لاصل الفتوى ولذا لم اذكرها بالعربية
وعلم من الفتوى المذكور ان علماء اهل السنة والجماعة كلهم مخالفون عن هذه الشذمة
القليلة المتسمين بسمة التوحيد المسيئين للادب. فعليكم ايها الاخوان المسلمون التجنب
عنهم وعن مطالعة كتبهم لان الخارج عن المذاهب الاربعة في ذلك الزمان خارج عن اهل
السنة والجماعة كما ذكر في (عمدة الاصول في حديث الرسول ص: ٩٧)

والامر الثامن: ان من آداب الحديث في الشيخ ان يكون خالصاً نيته، طاهراً قلبه،
حسناً خلقه، طليقاً وجهه، جالساً على صدر المكان بالوقار غير غل غير مغفل، متمكناً متوجهاً
بحل المشكلات وشرح الغرائب على نهج الشروح واللغة بالتطبيق والترجيح على قواعد
المذهب و اصول اهل السنة، معتمداً في التضعيف والتصحيح على الشروط المعتمدة عند
اهل الحديث، المقررة في اصول الفقه، غير خارج عن المذاهب الاربعة، غير محدث قائماً ولا
عاجلاً ولا في الطريق راثياً حال الطالب: هل هو اهل لذلك الفن والا فكان امره بالفقه
فان حصوله ايسر مع وصول اصل المقصود لان الفقه ثرة الحديث وثواب الفقيه ليس دون
المحدث بالاحاديث وذكر في حاشية قوله (غير خارج عن المذاهب الاربعة) اي في ذلك
الزمان فانه ممنوع بالاجماع.

قال: (الطحطاوى شرح الدر المختار في كتاب الذبائح) قال بعض المفسرين:
فعليكم يا معشر المؤمنين! اتباع الفرقة الناجية المسماة باهل السنة والجماعة فان نصرة الله
تعالى وحفظه وتوفيجه في موافقتهم، وخذلانه وسخطه ومقتته في مخالفتهم وهذه الطائفة قد
اجتمعت اليوم في المذاهب الاربعة وهم المالكيون والحنفيون والشافعيون والحنبلليون.
(فمن كان خارجاً في ذلك الزمان عن هذه المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة والنار)
انتهى.

قال القاضي ثناء الله پانى پوتى رحمه الله تعالى في (التفسير المظهرى): فان اهل
السنة قد افرق بعد القرون الثلاثة او الاربعة على اربعة مذاهب وام يبق مذهب في فروع
المسائل سوى هذه المذاهب فقد انعقد الاجماع المركب على بطلان قول يخالف كلهم. وقد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تجتمع امتي على الضلالة) انتهى.

فعلم (ان من كان خارجاً عن المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة و الضلال) و العجب من موحدي هذا الزمان حيث يقولون في حق ابن عبد الوهاب شيخ الاسلام و مجدد الدين و الحال ان العلماء صرحوا بانه و اتباعه من الخوارج و الويل للمنتسبين الى الديوبند، كيف يقولون له شيخ الاسلام و مجدد الدين؟ و ان علماء ديوبند صرحوا بكون محمد بن عبد الوهاب النجدي من الخوارج كما ذكرنا نقلاً عن (عقائد علماء الديوبند) و في ذلك الكتاب مواهير العلماء من العرب و العجم و المذاهب الاربعة قاطبة و هم بعض ذرياته و هل هذا الا اتباع سبيل غير سبيل المؤمنين (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا) النساء (١١٥) قال الامام الشافعي رحمه الله عليه طالمت القرآن ثلاثمائة مرة فلم أرَ دليلاً قوياً على حجة الاجماع اقوى من هذه الاية.

و الحاصل ان اكابر الديوبند بل العلماء الماضين يقولون ان محمد بن عبد الوهاب من الخوارج و بعض من استقبل الى الديوبند ولا ادرى ابات فيه ليلة او ليلتين ام لا. أقعد في درسه ام لا، انه يفترى على علماء الديوبند و يزيد الظن سوء عن العوام على الديوبنديين و مقصود العبد الضعيف، الذب عنهم فان مشكلة التوسل بالذوات الفاضلة من اهل القبور و مشكلة سماع الموتى و الكرامة بعد الممات و كون السفر لاجل زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من افضل القربات و كون الميلاد قرابة و غير ذلك مما هو من المسلمات عند الديوبنديين و هؤلاء المسيئون في شان اهل القبور، المنكرون للتوسل بل ينسبون الى المتوسلين الشرك و المنكرون عن الكرامة بعد الممات القائلون ان في الميلاد تقليد الغاندي (غاندى) و غير ذلك من الخرافات التى تمجها الاذان و مع ذلك يتسمون بسمه الديوبندية، سبحانهك، هذا بهتان عظيم.

و قد اشاعوا في الزمان القريب رسالة سماها بـ (كشف الشبهات) لمحمد بن عبد الوهاب النجدي الخارجى باتفاق اكثر العلماء و هى تقول له شيخ الاسلام و مجدد الدين فيا معشر المسلمين! احذروا من هذه الفتنة العمياء فانها داهية دهياء.

و العبد الضعيف طالع تلك الرسالة فاردت ان اذكر لك نبذاً من ذلك و ان كان

التذنيب مسوقاً لبيان احوال ابن تيمية الا انه ايضاً من تصنيف ذريته ومأمومه.
فنقول: قد عرفت حال محمد بن عبد الوهاب النجدى: انه كان من الخوارج و
خرج من النجد وتغلب على الحرمين الشريفين وكان يدعى الحنبلية وكانت عقيدته ان
ينسب الشرك الى من كان مخالفاً عن عقيدته ويبيح قتل علماء اهل السنة والجماعة و
يبيح اكل اموال المسلمين وسفك دمائهم الى ان كسر الله شوكتهم.

ذكر في (عقائد علماء الديوبند) ان عقيدتنا في حقه: ما قال صاحب (الدر
المختار) ومثل هذا ذكر العلامة الشامي (باب البغاة: ج: ٣، ص: ٣٣٧) ومثل ذلك ذكر
في (التنقيح الحامدية: ج: ١، ص: ١٠٣، ج: ١، باب الردة).

وذكر العلامة العيني^(١) في (ج: ١١، ص: ٢٤٠) باب قتال الخوارج والملحدين) وكان
ابن عمر رضى الله تعالى عنه يراهم اى الخوارج شرار خلق الله تعالى وقال انهم انطلقوا الى
آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين ووصله الطبرى^(٢) في (تهذيب الآثار) من طريق
بكير بن عبد الله بن الاشج انه سأل نافعاً: كيف كان رأى ابن عمر رضى الله تعالى عنه في
الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله تعالى، انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها
على المؤمنين انتهى. قلت الحرورية هم الخوارج وانما سموا حرورية لانهم نزلوا في موضع سمى
حرورا وهو موضع قريب من الكوفة (ج: ٢، ص: ٢٤١).

وقد ذكر في شان الخوارج احاديث كثيرة فان في رواية عمر رضى الله تعالى عنه
(فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يرقون من الدين كما
يرق السهم من الرمية) (البخارى والعيني: ج: ١١، ص: ٢٢٤)

قال النووي فيه دلالة على فقه الصحابة رضى الله تعالى عنهم وتحرير الالفاظ وفيه
اشارة من ابي سعيد الى تكفير الخوارج او انهم غير هذه الامة (عيني البخارى: ج: ١١،
ص: ٢٤٢) قال العيني هؤلاء القوم خرجوا من نجد موضع التميمين (العيني: ج: ١١،
ص: ٢٤٥)

ثم ظهور الخوارج في ارض نجد والعراق وما وراءها من المشرق (العيني: ج:

(١) شارح البخارى عمود العيني توفي سنة ٨٥٥ هـ. [١٤٥١ م.] في القاهرة

(٢) محمد بن جرير الطبرى الشافعي توفي سنة ٣١٠ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

١١، ص: ٢٥٣) و اشار بقوله عليه الصلوة والسلام (هناك يطلع قرن الشيطان) الى نجد ونجد من المشرق.

وما قال الامام احمد: ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم؟ قال القاضي عياض رحمه الله عليه انما اراد الامام احمد اهل السنة والجماعة. قال النووي: يحتمل ان تكون هذه الطائفة مفرقة من انواع المؤمنين. فمنهم مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد الى غير ذلك (عيني البخارى: ج: ١١، ص: ٤٣٨)

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه: قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا يا رسول الله! (وفى نجدنا) قال (اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا يا رسول الله! (وفى نجدنا) فاطنه قال في الثالثة (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) رواه البخارى قال المحدث الدهلوى رحمه الله عليه يعنى حزب أو و اعوان أو (اشعة اللمعات ص: ٧٣٦)

اقول: وقد ذكر العلامة الشامى كما وقع في زماننا في اتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد^١.. فعلم مما ذكرنا من الاقوال: انهم من الخوارج وقد قال عليه الصلوة والسلام في حقهم ما قال وايضاً علم: ان علامتهم انهم يطبقون الايات الواردة في حق الكفار على المؤمنين والآيات الواردة في حق الاصنام على اولياء الله تعالى كما هو حال الغلاة في زماننا فكيف يكون رأسهم ورئيسهم شيخ الاسلام لانه ورد في الحديث (انهم يبرقون من الاسلام كما يبرق السهم من الرمية) فالتعجب ان مع المروق من الاسلام كيف يكون شيخ الاسلام؟ نعم، انقلب الدوران ففى كل يوم يحدث شيخ الاسلام وشيخ القرآن.

بيت: وهكذا يذهب الزمان على العبر * ويفنى العلم ويندرس الاثر

ونحن الى الآن نسمع شيخ الاسلام البزدوى^{١١} و شيخ الاسلام السرخسى^{١٢} مثلاً وصار الامر اليوم اسهل فكل من كتب ورقة او ورقتين او ترجم شهراً او شهرين صار شيخ الاسلام وشيخ القرآن فيا للشيخوخة ولعل هذا اختلاف عصر وزمان لا دليل ولا برهان

(١) فخر الاسلام علي البزدوي توفي سنة ٤٨٢ هـ. [١٠٨٩ م.] في سمرقند

(٢) شيخ الاسلام محمد السرخسي توفي سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

ما من شيخ الزمان الحاضر يكون هكذا وبعد اللتيا والتي لا يكون شيخ الاسلام من يكون من الخوارج بدليل من الشكل الاول بان من سماه الشيخ شيخ الاسلام لا يكون شيخ الاسلام لانه من الخوارج وكل من يكون من الخوارج لا يكون شيخ الاسلام. ينتج مع رعاية الشرائط لمطلوبنا.

اما الصغرى فلما ذكرنا من نقول العلماء واما الكبرى فلحديث (يمرقون من الدين) الخ. فظهر ان ما قال الشيخ في خطبة (كشف الشبهات: ص: ٢) واختص للحرمين الشريفين وبلاد العرب الشيخ، القدوة، ناصر السنة، قانع الشرك والبدعة، الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب النجدى نور الله مرقده وبرد مضجعه. مردود على فيه برغم انفسه حيث لم يدع النبى صلى الله عليه وسلم النجد وقال (هناك يطلع قرن الشيطان) اهـ. وهل هذه الاجراء عظيمة وقاحة بينة.

واما قوله فانهزم اهل الكفر والشرك والبدعة باللهجة الحسنة.

فغلط من حيث العربية لان انهزم لازم، لا ينصب المفعول كما لا يخفى على من مس رسائل الصرف والنحو.

وقوله والالسنه القاطعة واللسان الصادقة ففى غاية السقوط لان القطع مشهور فى السنان لا فى اللسان، سيما وقد ذكر بعده قوله واللسان الصادقة فالظاهر والالسنه القاطعة.

وقوله واللسان الصادقة يضحك عليه الصبيان فان المطابقة بين الموصوف و الصفة من ضروريات النحو فالواجب من حيث شريعة النحو ان يقول والالسنه الصادقة لتحصل الموافقة بين الموصوف و الصفة وكذا يحصل التناسب مع قوله والالسنه القاطعة و لعله كان فى ذلك الوقت بسبب وجد حصل له من مدح من ذمه علماء الحق قاطبة بين النوم واليقظة. فمادرى ما يكتب. اللهم ايقظه من سنة الغفلة.

وقوله الف فى ذلك تأليفات الطيبة. فأیضا غلط لان المطابقة بين الموصوف و الصفة فى التعريف و التنكير شرط لازم لايسامح فيها فاللازم ان يقول وتأليفاته الطيبة و

لعل الشيخ حصلت له عداوة مع علماء النحو والصرف حيث لا يعمل بقواعدهم كما له عداوة بالعلماء والأساتذة والأولياء سيما سيد الأولياء محي الدين ابن عربي فانه يفرط في شأنه تبعا لمرشده ابن تيمية كما ذكرنا انه يقول له تارة كافر وتارة ملحد وتارة زنديق اعاذنا الله تعالى منه.

قوله فاشمر الاخى، ايضا غلط فاحش لان المضاف بالاضافة المعنوية يجب تجريده عن التعريف ولا شك ان الاخ مضاف الى ياء المتكلم. فعليه بمطالعة الكافية والشفافية فانظر ايها المتصف اذا كان شخص لا يقدر على العبارة الصحيحة في ورقة بل صفحة وتكون له فيها اغلاط كثيرة فكيف يدعى الشيخوخة؟ وكيف يسمى درسه بـ(در سكاه بى نظير) ولعل هذا وجه تسميته به فاذا كانت حال الخطبة هكذا فقس عليها الباقي ولنعم ما قال الشاعر:

بيته:

خشت اول چون نهد معمار كج * تا ثريا ميرود ديوار كج

و كيف قال دار العلوم حقانية: اهي عنده حقانية؟

بيته:

انگشت حيرت در دهن * نيمش درون نيمش برون

و العجب انه كيف كتب مع (سيدو) لفظ شريف لان لفظ شريف مع المكان يكتب من يكون معتقدا للمكين لان شرافة المكان بشرافة المكين كما هو المثل السائر على لسان البادي والحاضر والشيخ لا يعتقد سيد الاولياء محي الدين ابن العربي الشيخ الاكبر -نور الله مرقده و افاض علينا من بركاته- فكيف يعتقد صاحب السوات والظاهر انه طغى عليه قلمه.

و كذا قوله راولپنڈی. لا ادري كيف ذكر في العبارة العربية الفصيحة البليغة التي يضحك منها صبيان المكاتب كما لا يخفى على من طالع اللغات الجديدة.

ثم وقع نظري على قوله من الكتب التوحيد في (ص: ۲). فان الكتب ايضا مضاف و معرف باللام والله لا ينقضى غضبي بل عجبى على هذه الوقاحة وليس مقصودنا

الرد بالمؤاخذات اللفظية والمناقشات العربية فان في تأليفاته على ما رأيت اغاليط من حيث العربية، نبهنا على بعضها وساعنا عن بعضها والاستقصاء لابد من الدفاترو الاسفار الا (ان ما لا يدرك كله لا يترك كله) فنبهت لك ايها اللبيب فان القليل انموذج الكثير والغرفة تنبئ عن البحر الكبير.

ولا تغتر ايها العاقل! بما قال في اخر الخطبة في مدح نفسه مؤسس جماعة التوحيد و السنة في بلاد الافاغنة فان المعتزلة يسمون انفسهم اصحاب العدل، والتوحيد فهل يغتر بهذا الاسم عاقل فضلا عن فاضل لانا نقول عدلهم يبطل توحيدهم وتوحيدهم يبطل عدلهم والمنكرون عن التقليد يسمون انفسهم اصحاب التوحيد و اهل الحديث فهل يصدق عاقل والمنكرون عن الحديث يسمون انفسهم اهل القرآن فهل هم كذلك؟ كلا! والله ليسوا باهل القرآن فان اهل القرآن من هو عامل بالقرآن والعمل بالقرآن لا يمكن بدون الحديث و اهل الحديث هم العاملون بالحديث (و العمل بالحديث لا يمكن بدون الفقه والفقه المدون فقه الاثمة الاربعة فلا بد من التقليد) وهم يقولون للمقلدين مشركين (... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ الآية. الكهف: ٥)

وما قال في الاخير دار القرآن پنج پير يوم الاثنين ثالث عشر ذو الحجة - قوله پنج پير، لا نظيره في العربية.

واما قوله ذو الحجة فايضا غلط لان الثالث عشر مضاف الى ذى الحجة و جر الاسماء الستة بالياء كما قال العلامة ابن الحاجب في الكافية ابوك و اخوك و حموك و هنوك و فوك و ذو مال.

و المعجب كل المعجب ان صدر المدرسين مولانا محمد عناية الرحمن ايضا لم يلاحظ هذه الخطبة الفصيحة البليغة حتى يصححها او يأمر بتصحيحها فانه ضم مع كتاب (كشف الشبهات) فتواه في المصافحة و لعله ما نظر فيها قبل الطباعة والشيخ ايضا لم يتأمل فيها و مفاسد قلة التأمل يضيق عنها نطاق البيان، فعليك بالتأمل قبل البيان و حين البيان و بعد البيان و ما توفيقى الا بالله، عليه توكلت و اليه انيب.

قال محمد بن عبد الوهاب النجدى فى (الاصول الثلاثة) وانواع العبادة التى امر الله بها مثل الايمان والاسلام والاحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرغبة والخشوع والخشية والانابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة.

فاقول: ما المراد من الدعاء والاستعانة ان كان المراد ان نجيب الدعوات والمستعان هو الله تعالى فلا ريب فيه انه صحيح، عقيدة اهل الاسلام كافة. وان كان المراد ان طلب اجابة الدعاء من الله تعالى بوسيلة احد وحرمة وبركته وطلب العون والنصرة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة وحرمتهم، شرك فهذا امر باطل قد ذكرنا سابقا فى مقصد اثبات التوسل فلا نعيده. وكيف يكون شركا فان صفات الواجب تعالى واجبة لذات الواجب مستقلة لا احتياج فيها. وصفات المخلوقين محتاجة غير مستقلة فالنجيب للدعوات هو الله تعالى والمستعان هو الله تعالى. قال الله تعالى (... وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَصِفُونَ * يوسف: ١٨) فإى شرك فيه؟ كيف؟ وقد ذكرنا سابقاً ان مشكلة التوسل مما اجمع عليه العلماء كما نقلنا من تاج الدين السبكي رحمة الله عليه وهذا لا ينافى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * الفاتحة: ٥) فان المعبود والمستعان هو الله تعالى والذوات الفاضلة وحرمتهم وقرّبهم ومحبتهم وسيلة فى البين فان علماء الاسلام كلهم يعرفون معنى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * الفاتحة: ٥) لا انه ظهر لمحمد بن عبد الوهاب النجدى.

والخوف من احد غير الله تعالى لا ينافى الخوف من الله تعالى. الا ترى الى قوله تعالى لموسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام (... بِأَمْرِى أَقِيلُ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * القصص: ٣١) فانه حصل الخوف لموسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لا صارت العصا حية فهل لاحد ان يقول ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام خاف من الحية وهذا ينافى قوله تعالى (... فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * آل عمران: ١٧٥) وقال تعالى نقلا عن موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام (وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * الشعراء: ١٤) فهل لاحد له شائبة العلم ان يقول ان خوف موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من القبط ينافى الخوف من الله تعالى وكذا قوله تعالى (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ * الآية. القصص: ٢١) ومنها قوله تعالى حكاية (... إِنِّى أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونَ ﴿الشعراء: ١٢﴾ وكذا قوله تعالى حكاية (وَإِنِّي خِفْتُ الْعَوَالِي مِنْ وَرَأْيِي ﴿
الآية. مريم: ٥) وكذا قول هارون على نبينا وعليه الصلوة والسلام (... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿طه: ٩٤) وكذا قولهما (... إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقَرْطَ عَلَيْنَا ﴿
الآية. طه: ٤٥) ومثل ذلك كثير في الفرقان.

وقد صرح العلماء في قصة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام: فيها دليل على
ان الخوف من المؤذيات لا ينافي الكمال والتوكل. ولعل الشيخ ايضا ما وقع بصره على
تلك الايات.

و ايضا ورد في الحديث انه عليه الصلوة والسلام كان يحرس حتى نزل (... وَاللَّهِ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿المائدة: ٦٧) فهل هذا ينافي الخوف من الله تعالى.

و ايضا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبس درعين في الجهاد فهل هذا ينافي
الخوف من الله تعالى؟ كلا!

و ايضا الصديق الاكبر رضى الله عنه لما اخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ليلة الهجرة الى الغار كيف ورى مع الكفار حيث قال (رجل يهدنى السبيل) وما كان هذا
الاخوف الكفار. فهل لاحد ان يقول ان هذا ينافي الخوف من الله ولا ينكر عما ذكرنا الا
غمر جاهل او معاند متجاهل. ولا ادرى ان مرشد الشيخ: هل كان يخاف من المؤذيات
ومن كان يقدر على اذاه ام لا. و هل ذرياته يخافون ممن يقدر على ايدائهم ام لا؟

و الدعاء وان كانت عبادة الا ان الدعاء يكون من الله تعالى. الا ترى الى
حديث الضرير (اللهم انى اتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ...) اهـ. فان
السؤال فيه من الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلة في البين فای شرك
فيه؟ نعم، من يقول مجيب الدعوات والمستعان وكاشف الضر وشافي المرضى مثلا
الوسيلة حقيقة فهذا شرك كما ذكرنا سابقا من فتوى العلماء: ان اعتقاد كون الوسيلة
حلال المشكلات شرك. فما اهون شركهم.

واما الإستغاثة فمعناه طلب الغوث ولا ادرى ما يقولون في معنى مثال المنادى

المستغاث، مثل يا لعمر، اى يا قوم اغث لعمر وان قلت انه من الحى قلنا، لا تخصيص فى الاية بالميت والحى وان قلت ان الاستغاثة من الحى من قبيل الاسباب قلنا، ذكر سابقا ان التوسل بالأموات والاستعانة بهم ليس خارجاً من الاسباب لا ينكره الا جحوداً او ظلوم.

واما الذبيح والنذر ان كان باسم غير الله تعالى فلا شك ان النذر لغير الله حرام باجماع العلماء ما لم يقصد صرفه الى الفقراء وكذا الذبيح. واما ان كان المراد ان يصل ثوابه الى المقبور الفلانى، فای حرج فيه؟ كيف والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يضحى عن امته بمن لم يضع وكذا على رضى عنه كان يضحى عن النبي الله عليه وسلم بعد وصاله صلى الله تعالى عليه وسلم وما ذلك الا لوصول الثواب والا فلا ضحية الواحدة كيف تصح عن جميع الامة وهذا هو محل الحديث والا فالرجل يذبح الدجاج للضيف وكذا الشاة. الا ترى ان الصحابى لما اراد الذبيح للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر الصديق وغيرهما واخذ المدية، قال عليه الصلوة والسلام له (ياك والحلوب). نعم، من ذبح لمحض تعظيم غير الله تعالى لا لان ياكل منه كما يكون عند قدوم السلطان وكما يكون فى بعض البلاد عند الجيش فهو حرام لا مطلقاً كما لا يخفى على اولى النهى.

والنذر الذى يقع من اكثر العوام بان ياتى الى قبر بعض الصلحاء ويرفع ستره على راسه، قائل يا سيدى فلان! ان قضيت حاجتى كرد الغائب ومعافة المريض فلك منى من الذهب او من الطعام او من الكسوة او من الشمع مثلاً كذا باطل اجماعاً. نعم، لو قال يا الله! نذرت لك ان شفيت مريضى او نجوه ان اطعم الفقراء بباب السيدة نفيسة او نحوها او اشتري حصيراً لمسجدها وزيتاً يوقدها او دراهم لمن يقوم لشعائرها مما يكون فيه نفع للفقراء.

والنذر لله تعالى وذكر الشيخ انما هو محل لصرف النذر لمستحقه العاكفين برباطته او مسجده او جامعه بهذا الاعتبار، اذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد المصرف لكن لا يحل صرف الا الى الفقراء لا الى ذى علم لعلمه ولا لذى نسب لنسبه ولا لحاضرى الشيخ الا ان يكون واحداً من الفقراء.

واذا عرفت هذا فما يؤخذ من الدراهم ونحوها وينتقل الى ضرائح الاولياء

تقربا اليهم فحرام بالاجماع مالم يقصد صرفها الى الفقراء الاحياء قولاً واحداً وقد ابتلى الناس بذلك. في (النهر الفائق^[١]) و (البحر الرائق) و (الفتاوى الشاهجهانية و فتاوى عزيزيه ج: ٢، ص: ١٠٧، وج: ١، ص: ٩٠) و (الدر المختار، كتاب الصوم) قوله باطل بالاجماع بوجوه: منها انه نذر مخلوق و النذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة و العبادة لا تكون لمخلوق و منها ان المنذور له ميت و الميت لا يملك و منها انه ظن ان الميت يتصرف في الامور دون الله تعالى و اعتقاده كفر .

فعلم من هذا التفصيل ان الحكم مطلقاً خطأ كما هو يدن الغالين المتجاوزين اتباعاً لمرشدهم فالحاصل ان الذبح لا هداء الثواب لاحد و يذكر عند الذبح اسم الله تعالى لا غير، جائز كما علم من اضحية النبي صلى الله عليه وسلم من امته و اضحية على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم و غير ذلك مما ذكرنا سابقاً جائز و هو عمل ما ذكر في (التفسير الأحمدي: ص: ٦٩).

و من ههنا علم ان البقرة المنذورة للاولياء كما هو الرسم في زماننا حلال طيب و الا فالنذر لغير الله تعالى حرام كما علمت أنفاً بان لم يقصد صرفه الى الفقراء و قصد التذلل غاية التذلل لغير الله كما هو معنى العبادة على ما صرح به مرشد الشيخ في (كتاب التوحيد): العبادة التذلل غاية التذلل. وكذا قال القاضي البيضاوى (ص: ٨) و العبادة اقصى غاية الخضوع و التذلل و منه طريق معبد اى مذلل و ثوب ذو عبدة اذا كان في الصفاقة و لذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى. قال في (المنهية) اى لا يجوز شرعاً و عقلاً فعل العبادة الا لله لان المستحق لاقصى غاية الخضوع من يكون مولياً لا عظم النعم من الوجود و الحياة و ثوابهما و لذلك يحرم السجود لغير الله تعالى لان وضع اشرف الاعضاء على اھون الاشياء و هو التراب، غاية الخضوع.

اقول: هذا هو المراد بالقصر المستفاد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُكَ الآية. الفاتحة: ٥) فان معناه على قانون البلاغة الباحث عن المعانى الثابوتية: نعبدك و لانعبد غيرك اى نتذلل غاية التذلل لك لا لغيرك.

و اما المحبة مع اولياء الله تعالى فامر آخر غير العبادة لانا مأمورون بالمحبة مع الانبياء عليهم الصلوة و السلام مع ان العبادة لغير الله تعالى مطلقاً حرام و لذلك ورد في

(١) مؤلف النهر الفائق عمر بن نجيم المصري توفي سنة ١٠٠٥ هـ. [١٥٩٦ م.].

الحديث الذى صححه الامام البخارى رحمه الله عليه (واسالك حبك وحب من يحبك) فعلم ان المحبة مع من يحب الله تعالى امر مطلوب سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالاهتمام ولاشك ان انبياء الله تعالى واوليائه يحبون مع الله فلو كانت المحبة عين العبادة لما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك كما لا يخفى ولذلك ورد فى الرواية (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب)

و اما الاستعانة من الله تعالى لاينافى فى الوسائل كما علم مفصلا فى بحث التوسل. الا ترى الى ان طلب الوسائل والآلات لاينافى كون الله تعالى مستعانا. ولاينافى (اباك نستعين) قال القاضى البيضاوى: الاستعانة: طلب المعونة وهى اما ضرورية او غيرها.

والضرورية ما لايتأتى الفعل دونها كاقترار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل.

وغير الضرورية تحصيل ما تيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف (البيضاوى: ص: ٨).

فعلم ان طلب الوسائل لاينافى كون الاستعانة من الله تعالى كما هو مزعوم الفتن المنكرة ولذا قال البيضاوى فى (ص: ٩) ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة.

وما ذكر فى (ص: ١١) من قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * الزمر: ٣٠).

ان كان المراد من ايراده نفى الحياة البرزخية كما هو مزعوم الفتن المنكرة فذلك باطل لان الاحاديث الصحيحة دالة على حياة الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والشهداء والصديقين والصالحين كما ورد فى الحديث (فنبى الله حى يرزق) وكذا ورد فى الحديث (من صلى على نائبا ابغته ومن صلى على عند قبرى سمعته) (المشكاة: ص: ٧٩) والسمع لا يكون بدون الحياة كما لا يخفى وكذا روى الدارمى عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة ولم يؤذن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم ولم يبرح

سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلوة الابهمة يسمعا من قبر النبي صلى الله عليه وسلم. رواه الدارمي (المشكاة ص: ٥٣٧).

و كذا صرح في (عقائد علماء الديوبند) وتلك عقائد علماء العالم سوى الفئة المنكرة بان للانبياء عليهم الصلوة والسلام حياة برزخية جسدانية ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام (مررت بقبر موسى فاذا هو يصل في قبره). والصلوة تقتضي جسدا حيا و كذا صرح به في (التفسير المظهرى) بل ذكر في رواية الترمذى تلاوة (سورة الملك) من موضع لا يعرف فيه القبر كما ذكر في (المشكاة باب فضائل القرآن) وقد ذكرناه مستوفى في المقاصد ونقلنا عن (التفسير المظهرى): ان الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل تجرى في الانبياء والصديقين والصالحين على ما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا النساء: ٦٩) وان كان المراد الموت الظاهري الديوى فلا ينكر عنه عاقل.

و ايضاً روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما من احد يسلم على الا رد الله تعالى على روى حتى ارد غايه السلام) رواه ابو داود والبيهقى في الدعوات الكبير.

و كذا روى الدارمي والنسائي (ان الله تعالى ملائكة سياحين في الارض يبلغونى من امتى السلام) (المشكاة: ص: ٧٨) قال في الحاشية (رد الله على روى) ليس المراد بعود الروح عودها بعد المفارقة عن البدن وانما المراد انه صلى الله عليه وسلم في البرزخ مشغول حول الملكوت مستغرق في مشاهدة الرب جل وعلا كما كان في الدنيا في حالة الوحي و في الاحوال الآخر فعبر عن افاقته من تلك المشاهدة وذلك الاسفراق بَرَدَ الروح.

و الحاصل ان مشكلة الحياة البرزخية للانبياء عليهم الصلوة والسلام مما تلقته الامة بالقبول سلفا وخلفا اولاً وآخراً والفئة المنكرة تكرها كما ذكر مولانا السيد حسين احمد المدنى نورا لله مرقده وبرد مضجعه وافاض عليه شأبيب الغفران في (الشهاب الثاقب) ان شئت فقله و للعلامة السيوطى رسالة في حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ذكر

فيها دلائل شافية كافية دالة على حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام، من اراد فليطالعها فان فيها شفاء العليل و دواء الغليل.

وما ذكر في (ص: ١٣): ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى، يقولون نريد منهم التقرب الى الله تعالى و يزيد شفاعتهم عنده.

فتمننت بتي لان كفرهم كان بالعبادة لا بالتوسل بعباد الله الصالحين. والدليل عليه قوله تعالى (... ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى * الآية. الزمر: ٣) فعلى تقدير ان يكون تلك اسماء صالحهم انما كفروا بالعبادة لان الاستثناء من النفي اثبات فتقديره ما نعبدهم الا نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ولاشك ان عبادة غير الله لا يكون سبباً لقرب الله تعالى بل سبباً للبعد من الله تعالى والمنكرون كيف يقيسون التوسل على العبادة فان التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة مستحسن العلماء عربا وعجماً و عبادة غير الله تعالى شرك اجماعاً. فكيف يصح القياس.

والمشركون وان اقروا بالخالق كما يدل عليه قوله تعالى (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ * الآية. لقمان: ٢٥) وامثاله الا انهم يشركون مع الله تعالى غيره في العبادة فلذا حكم عليهم بالشرك لان التوسل بالذوات الفاضلة المستحسن عند العلماء قاطبة شرك.

ولا يشك مؤمن ان الرازق والخالق والمحیی والممیت والمعز والمذل هو الله تعالى وكلنا عبید تحت قهره الا ان الانكار عن تفاوت المراتب زندقه والحاد. فوجه عدم دخولهم في التوحيد مع الاقرار بالخالق والرازق هو الشرك في العبادة (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ * الآية. الانعام: ٩١) فكان اقرارهم كلا اقرار.

والعجب! كيف خفى على مرشد الشيخ هذا المعنى مع كونه واقفا بالعربية ولنعم ما قيل: حبك الشيء يعميك ويصمك وصاحب الغرض مجنون وللجنون فنون والكلام ذو شجون.

ولا يطلب المؤمن الرزق من غير الله تعالى ولا يعتقد كاشف الضر الا الله تعالى

وشافى المرضى الا الله والجواب عن حديث الطبرانى وهو قوله عليه الصلوة والسلام (لا يستغاث بى، انما يستغاث بربى) ذكرنا سابقا انه اذا كانت الدلائل قائمة على جواز التوسل والامة تلقتة بالقبول فلا بد ان يقال ان هذا محمول على التواضع كم ورد فى الحديث (لا تغيبوني على يونس بن متى ولا تقولوا السيد فان السيد هو الله تعالى) مع كون النبى صلى الله عليه وسلم خير الرسل وكونه سيد الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما فى الاحاديث الصحاح.

او نقول هذا مثل ما ذكر فى (المشكاة ص: ٥٠١) فى رواية ابى داود اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى فقال جهدت الانفس وجاعت العيال وهلكت الاموال فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فقال (سبحان الله، سبحان الله) فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه اصحابه ثم قال (ويحك انه لا يستشفع بالله تعالى على احد، شان الله اعظم من ذلك) فان الانكار كان على كون الله تعالى وسيلة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لا على كون الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة لله والا لانكر على القول الاول.

و كون النذر عبادة لاننكره كما ذكرنا سابقاً.

وما ذكر من واقعة تقرب الذباب.

فتكشف عن عقيدته بان الاولياء الاموات جمادات ولذا قاس ايصال الثواب الى الاموات على تقرب الذباب الى الاصنام. وهل هذه الا غواية بيته.

وما قال ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام.

فنقول ان اقرارهم انما لم يدخلهم فى الاسلام لانهم اشركوا مع الله فى العبادة لانهم كفروا بنفس التوسل الى الله تعالى بالنفوس القدسية.

وما قال فى (ص: ١٧) فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة.

ففى غاية السقوط لانه ان كان معنى (لا اله الا الله) نفى الوسيلة فهو ليس بمعناه

بل مخترع من عندك اودعه لذرياتك و ان كان المعنى لامعبود الا الله فهو يعرفه كل مسلم و مؤمن.

و ما قال في (ص: ١٨) و اعلم ان الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له اعداء.

ان كان المراد بهذا التوحيد المخترع من عندك بان يكون التوسل فيه شركا فذلك انسب بك و ان كان التوحيد المبعوث به الانبياء عليهم الصلوة و السلام، الساعون لتبليغه العلماء المجاهدون لاشاعته، الشهداء الباذلون انفسهم و اموالهم في تأييدهم الاولياء فليس مؤمن عدوا له.

و ما قال في (ص: ١٩) و العامى من الموحدين يغلب الفا من علماء هؤلاء المشركين.

فاقول: ان كان المراد من العامى الموحد الذى لا علم له بل جاهل محض مقلدك في التوحيد و الشرك المخترعين، من عندك فلا نسلم ان العامى الكذائى يغلب على عالم واحد فضلا عن ان يغلب على الف بل العالم الكذائى الساعى في اشاعة عقائدك بحمد الله مغلوب لا يقدر على التكلم بالكلام العربى عند علمائنا و لذلك شواهد و امثال لا تخفى من اتباعك خافية. و التفوه بانتساب الشرك الى العلماء من عدم مبالاته بمثل هذه الاطلاقات و ذرياته يقتدون بامامه في سنته السيئة (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) فليقل من الوزراء وليكثر.

و ما قال انه احتج مشركو زماننا. فنقول ان نسبة الشرك الى من هو برئ من الشرك ترد الى المنتسب كما في الحديث الصحيح فنهينا لك رد تلك الكلمة.

و ما قال في (ص: ٢٠) اذا قال لك بعض المشركين (الَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* يونس: ٦٢) و ان الشفاعة حق و ان الانبياء لهم عند الله جاه او ذكر كلاما للنسبى صلى الله عليه وسلم يستدل على شئ من باطله و انت لا تعلم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك ان الله ذكر في كتابه ان الذين في قلوبهم زيغ

يتركون المحكم ويتبعون المتشابه. وما ذكرته لك من ان الله تعالى ذكر ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم بتعلقهم على الانبياء والملئكة والاولياء، قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا امر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه.

يقول العبد العاصي بانواع المعاصي كنت اسمع من خدائع هذه الفئة المنكرة و مسخ الكلام لاثبات المرام و كنت اتعجب منها الا انى رأيتها بعينى فى كتاب مرشدهم و ليس الخبر كالمعاينة. ليت شعرى كيف التشابه فى قوله تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يونس: ٦٢) و هل يعرف معنى التشابه و هل عده النبى صلى الله عليه وسلم او الصحابة او التابعون او تبع التابعين او من بعدهم من السلف الصالحين من التشابهات و كذا الشفاعة حق و كذا ان الانبياء عليهم الصلوة و السلام لهم جاء، اى تشابه فيها بل معناها ظاهرة نعم، فيها تشابه حيث تناقض مطلوبهم و هى العداوة مع اولياء الله تعالى و الانكار من التوسل بجاه عظيم الجاه.

و ايضا اتعجب تعجبا لاساحل له من قوله وانه كفرهم بتعلقهم مع الملائكة اه . أليس للمؤمنين تعات بالانبياء و الملائكة و الاولياء فان من ادعى الايمان بالكلام الالهى و الكلام النبوى لهم محبة مع الملائكة و الانبياء عليهم الصلوة و السلام، يعتقدون عصمتهم و قربهم الى الله تعالى و يجعلونهم الوسائل لفيضان رحمة الله تعالى و بركته، فهم منازل الرحمة فهل هذا التعلق كفر بل المحبة معهم مأمور بها (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * البقرة: ٩٧)

و كذا التعلق بالاولياء امر مطلوب كما فى الحديث و (أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَ حُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ) و كذا (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب)

فانظر الى هذا التحريف و التزوير بان كل ما يكون مناقضا لدعواه فهو متشابه و هذا تعريف جديد للمتشابه و كل جديد لذيد فبذلك فليفرحوا ولا ادرى ان قوله تعالى (... هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ * الآية. يونس: ١٨) كيف هو محكم بين فى مطلوبهم فان مطلوبهم ان التوسل الى الله تعالى بالانبياء عليهم الصلوة و السلام و الاولياء شرك و المعلوم

من الآية مع انضمام (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى * الآية. الزمر: ٣) ان عبادة الاصنام وجعلهم وسائل وشفعاء كفر وبينهما بعد المشرقين وهؤلاء المنكرون كيف اشاعوها ولم ينظروا في عاقبتها، هل يطالعه احد من العلماء وفيها من التلبسات و التزويرات . ولنعم ما قال الشاعر:

بيت:

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم

وانى اتعجب انه كيف اشاعه رجل من ولاية السوات والحال انى سمعت من العلماء والطلبة ان والد والى السوات ذو علم وفهم وذمائم وثقوى واقام المدارس الدينية في ولايته والوالى يحب العلماء وسمعت من الاكابر ان صاحب السوات رحمه الله تعالى رحمة واسعة وافاض علينا من بركاته، كان يقول: مثل كمثل الشتاء، ان الموزيات كلهم يدخلون الى حجرهم في الشتاء وهذه المقولة صحيحة بلاريب فانه بعد زمن صاحب ظهرت الفتن حتى ان رحلا من رئاسة السوات يشيع عقائد محمد بن عبد الوهاب النجدى الذى رأس الوهابية وكان صاحب السوات يسعى في كسر رؤسهم فعلى الوالى الحاضر - اصلح الله ولايته و اخلاه من ذرية محمد بن عبد الوهاب النجدى - ان يستفتى عن علمائه الاجلاء والاساتذة الجهابذة مثل مولانا المارتونجى ومولانا الجكيسرى وغيرهما من العلماء الاعلام فى شان محمد بن عبد الوهاب النجدى واتباعه ويمنع ذلك الرجل الذى طبع كتاب (كشف الشبهات) لمحمد بن عبد الوهاب النجدى عن اشاعة مثل هذه الكتب ويخرج من مدرسته اصحاب العقائد الزائغة وان لا يعيدوا الى مثل تلك الجريمة. و ما اقول ذلك من تلقاء نفسى بل قال المتشدد فى الافاغنة فاشمر الاخى المولوى القارى سيد رحيم فاضل مدرسه عاليه دار العلوم حقانيه سيد وشريف بطبعه . وقال عليه الصلوة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك اضعف الايمان) قال شراح الاحاديث: الاولى مرتبة الولاة والامراء والثانى مرتبة العلماء المبلغين والثالثة مرتبة العوام فانه ورد (بوذى الميث ما يوذى فى أهله) ولا ايداء اعظم من هذا الايداء فى وطن صاحب السوات وهذه عريضتى فى خدمة الوالى ذى المعالى اكررها و

اضر عليها. فان وصلت الى اوج القبول فهي غاية المأمول ولعل الوالى وقف على احوالهم في ولايته فانا نسمع من الطلبة ما يفسدون هناك ويسئون الادب في شأن الاولياء وحكم بعضهم في زمن قريب بشرك من جاء بالغلاف الى قبر صاحب رحمه الله تعالى رحمة واسعة. هذا. والله على ما نقول وكيل.

وما قال في (ص: ٢٠) فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه. منها قولهم نحن لانشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً فضلاً عن عبد القادر او غيره ولكن انا مذهب والصالحون لهم جاء عند الله واطلب من الله بهم فجوابه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون ان اوثانهم لا تدبرهم شيئاً فانما ارادوا الجاه والشفاعة وأقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه فان قالوا هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأوثان ام كيف تجعلون الانبياء اصناماً؟ فجوابه بما تقدم فانه اذا اقران الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما ارادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ولكن اراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له ان للكفار منهم من يدعو الاصنام ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله تعالى فيهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ * الآية. الاسراء: ٥٧) ويدعون عيسى بن مريم وامه وقد قال تعالى (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا بَاكِلَيْنِ الْطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * المائدة: ٧٥ - ٧٦) الى آخر ما قال.

فنقول اما اولاً فبيان القائلين بالتوسل ليسوا اعداء الله تعالى وليس لهم اعتراضات على دين الرسل ولا يصدون الناس عن دين الرسل بل اولياء الرحمن، لهم اعتراضات على اعوان الشيطان وحزبه والمسيئين للادب في شأن اولياء الديان وقال عليه الصلوة والسلام (هنالك يطلع قرن الشيطان) يعنى حزبه واعوانه (ويصدون الناس عن اتباعهم) فانظر الى البون.

و الكفار و ان كانوا يشهدون بالربوبية الا انهم اشركوا بالله في العبادة و عبدوا غير الله تعالى و عبادة غير الله تعالى شرك سواء كان صنماً او غيره و نحن لانعبد غير الله تعالى و ان كان التوسل عبادة فالحي والميت فيه سواء .

والله تعالى قال (قُلْ لَا أَفْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ * الْآيَة . الاعراف : ١٨٨) و مرشد الشيخ لم يذكر الاستثناء و لعله نسي فسبحان من لا ينسى و ليت شعري ما معنى مالكية الضرر و النفع ان كان معناه خالق الضرر و النفع فذلك لا يعتقده احد و ان كان المراد ان النفع و الضرر لا يصلان بدعائه الى احد فذلك باطل . قال الله تعالى (... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * النساء : ٦٤) و تذكر في الآية واقعة الاعرابي على ما ذكرت من (التفسير المدارك) كى تفر عينك و يبرد قلبك او يحرق . و وجد ان الله تعالى غفوراً ليس الانفع وصل بسبب النبي صلى الله عليه وسلم و ان قلت انه في الحياة ، قلنا : واقعة الاعرابي كانت بعد الوفاة فان فيها فتوى من القبر (ان غفر لك) .

و ايضا قال عليه الصلوة و السلام في حق كافر (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) فكان كذلك .

و قال في حق مَلِكٍ مَزَّقَ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم مزقه كل ممزق) فكان كذلك .

و قال عليه الصلوة و السلام (اللهم اجعل عليهم سنين كسنى يوسف) عليه الصلوة و السلام فصار الامر كذلك .

و ايضاً ذكرنا سابقاً في الحديث (انا رسول الله الذى ان اصابك ضرر فدعوته كشفه عنك و ان اصابك عام سنة فدعوته انتبتها لك و اذا كنت بارض قفر او فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك) اه . رواه ابو داود . قال المحشى في تفسير (فدعوته) اى انت بوسيلتى او انا .

فعلم من هذا كله ان النفع و الضرر يصلان الى الخاص و العام بدعائه عليه الصلوة

و السلام و هذا معنى التوسل و ان قلنا انه حين الحياة، قلنا: قد ثبت من مبحث التوسل مطلقتا كما في واقعة الاعرابي وغير ذلك من الدلائل بل يصل النفع والضرر بدعاء غير النبي صلى الله عليه وسلم ايضا كما في الحديث المتفق عليه عن عروة بن الزبير ان سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل خاصمته اروي بنت اوس الى مروان بن الحكم و ادعت انه اخذ شيئا من ارضها فقال: انا كنت آخذها من ارضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من اخذ شبرا من الارض ظلماً طوفه الى سبع ارضين) فقال له مروان: لا اسئلك بيته بعدها. فقال سعيد: اللهم! ان كانت كاذبة فاعم بصرها و اقلها في ارضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها. وبينما هي تمشي في ارضها اذ وقعت في حفرة فماتت. متفق عليه. و في رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه و انه رآها عمياء تلمس الجدر تقول اصابتنى دعوة سعيد و انها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فكانت قبرها. فعلم ان النفع والضرر يصلان الى احد بدعاء ذو جاه. فما يقول مرشد الشيخ؟ فان قال ما قال، قلنا ما قلنا.

و بالجملة الكتب مشحونة بمثل هذه الوقائع باسناد صحيحة ليست باكاذيب كما هو سوء ظن الفئة المنكرة.

و ما قال: ان الكفار منهم من يدعو الاصنام و منهم من يدعو الاولياء الذين قال الله تعالى فيهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا الاسراء: ٥٧).

قلنا دعوة النصارى عيسى عليه الصلوة و السلام انما كانت باعتقاد انه ابن الله او الله او ثالث ثلاثة و دعوة عباد الملائكة كانت عبادتهم اياها لا نفس التوسل بدليل قوله تعالى (... اَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا الآية. المائدة: ٧٦) و كذا قوله تعالى (وَيَسْأَلُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُنْمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ سبأ: ٤٠) و كذا قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ الآية. المائدة: ١١٦) فهذه كلها ظاهرة في ان

الدعوة كانت بطريق العبادة و مرشد الشيخ كيف غفل عن هذا؟

وما قال في (ص: ٢٢) ان الله كفر من قصد الاصنام و كفر ايضاً من قصد الصالحين و قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فنقول ان المراد من القصد القصد بالعبادة كما يظهر من (صحيح البخارى ج: ٢، ص: ٧٣٢ في كتاب التفسير) بعدما ذكر الودّ و السواع و يعوق و نسا اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصباء و سموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك و تنسخ العلم عبادت. ولا شك ان عبادة غير الله شرك سواء كان صنماً او صالحاً فلا يكون دليلاً لمرشد الشيخ و ان كان المراد مطلق القصد الى الصلحاء فذلك ليس بشرك كما هو الظاهر على ان الظاهر من سياق (البخارى) ان العبادة كانت للانصباء كما هو الظاهر من قوله و سموها باسمائهم و قوله عبادت لا للصلحاء و العبادة لغير الله تعالى شرك مطلقاً سواء كانت للانصباء المسماة باسماء الصلحاء او انفس الصلحاء كما لا يخفى على ذى لب.

وما قال: (ان الدعاء مخ العبادة).

فنقول: نعم، لكن الدعاء من الله كما في (اللهم انى اتوسل اليك بنبيك) فالدعاء من الله و الالتجاء بوسيلة نبي الرحمة.

وما قال في (ص، ٢٣) ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا او غيره: هل اشركت في عبادة الله غيره فلا بد ان يقول: نعم.

فنقول قد ذكرنا مراراً ان الدعاء من الله تعالى و الذوات الفاضلة وسائل في البين الا ان من توسل بالاحياء فانما الدعاء من الله تعالى كما توسل عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه و قال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك فاليوم نتوسل اليك بعم نبيك و قال العباس رضى الله عنه اللهم ان القوم توسلوا بى اليك لمكانى من نبيك فاستقم اه.

واما النحر: فقد مر تفصيله.

وما قال ان الشفاعة باذن الله تعالى.

قلنا: التوسل ايضا في معنى الشفاعة.

وما قال في (ص: ٢٤) ان الله تعالى اعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال (...)

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ الجن: ١٨)

قلنا: عامة المفسرين بينوا معنى (لا تدعوا) اى لا تعبدوا مع الله احدا.

وما قال في (ص: ٢٥) وان قال هو من قصد خشبة او حجرا او بنية على قبر او غيره يدعون ذلك و يذبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى فيدفع الله ببركته او يعطينا ببركته فقل: صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار والابنية التى على القبور وغيرها.

قلنا السؤال عن الله تعالى ببركة احد لا يكون شركا كما في الحديث (اللهم افتح بصعاليك المهاجرين) اى ببركتهم وفي الحديث (انكم تنصرون وترزقون بضعفائكم) اى ببركة ضعفائكم فلامعنى للشرك فيه.

وما قال في (ص: ٢٦) انه الذى يفعلونه في هذا الزمان بعينه، ان عبادة الله وحده لاشريك له هى التى ينكرون علينا اجعل الآلهة الها واحدا، ان هذا لشيء عجاب.

فتعنت ظاهرا يقول احد الانبياء والاولياء آلهة ام يعتقدونها آلهة ام يعبدونها؟ كلا وحاشا! وقد صدق قول ابن عمر رضى الله تعالى عنه في بيان علامة الخوارج: انهم يطبقون الآيات في حق الكفار على المؤمنين فعرفنا بهذه العلامة كونه خارجيا كما عرفنا بغيرها من العلامات بل التوسل بهم اقرب لوحداية الله تعالى بان الذوات الفاضلة بسبب رسوخهم في التوحيد وقربهم من الله بالعبادة والرياضة نتوسل بهم الى الله تعالى.

وما قال في (ص: ٢٦) فاعلم ان شرك الاولين اخف من شرك اهل زماننا بامرئين: الاول ان الاولين كانوا يدعون الالهة في الرخاء واما في الشدة فيخلصون لله الدين (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ۝ الآية. الاسراء: ٦٧)، (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝ الآية. العنكبوت: ٦٥).

قلنا الحكم بكون المسلمين مشركين شركا اكبر من شركهم، غاية الغلو والجرأة فكيف يليق بحال عاقل انتساب الشرك الى المسلمين المعتقدين للتوسل الثابت بالادلة والتوسل في الشدة والرخاء على السواء وهو لا ينافي دعوة الله خالصاً بوسيلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او الولي او بجاه من له جاه كما سبق نقلا من تفسير (روح المعاني).

وما قال في (ص: ٢٧) ان الاولين يدعون مع الله اناسا مقربين عند الله تعالى و الملشكة او يدعون احجارا واشجارا مطيعة لله تعالى ليست عاصية و اهل زماننا يدعون مع الله اناساً من افسق الناس اهـ.

قلنا: كلامنا في الذوات الفاضلة والفضل لا يكون الا بالعبادة لا بالفجور والزنا وترك الصلوة والسرقة فعلم ان قوله في (ص: ٢٧) اذا تحققت ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصح عقولا واخف شركاً مردود على انف المنكرين.

وما قال في (ص: ٢٩) واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكتفر سبحانه الله! ما اعجب هذا الجهل؟

فنقول ان التوسل ليس انكارا عن التوحيد حتى يكون المتوسلون مشركين ونحل ما لهم ودمهم كما هي العقيدة الزائغة للفئة المنكرة وهذا يكشف لك ما قال العلامة الشامي رحمه الله عليه: انه كان يبيع سفك دماء المسلمين ونهب اموالهم فظهر من هذا ان من كان مخالفاً عن عقيدته فهو مشرك عنده دمه حلال وماله حلال ولذا قتل علماء اهل الحق كما ذكرنا سابقاً.

وما قال في (ص: ٢٩) فكيف بمن رفع شمساً او يوسف او صحابياً أو نبياً في رتبة جبار السموات والارض؟

فنقول هذا بهتان عظيم لان القائلين بالتوسل علماء العرب والعجم وعلماء المذاهب الاربعة الذين انحصر الحق في زمانهم فيهم. كيف يرفعون النبي او الصحابي او الولي مرتبة الجبار؟ بل اعتقدوا انهم عبيد مربيون متعبدون خاشعون معرضون عن اللذات منهمكون في الطاعات وهذا هو اعتقاد عبديتهم فضلا ان يعتقدوهم في رتبة الجبار فانا

نعتقدهم عبيد الجبار.

وما قال في (ص: ٢٩) ان علياً احرق اناساً، كلهم يدعون الاسلام وهم من اصحاب على رضى الله تعالى عنه ونعلموا العلم من الصحابة.

قلنا ان تلك الفرقة هى الفرقة السبائية اتباع عبد الله ابن سبأ فانهم كانوا يقولون لعلى رضى الله تعالى عنه: انت الهنا وانت رازقنا ويقول على رضى الله تعالى عنه انما انا ابن امرأة، آكل واشرب فلما لم يرجعوا عن قولهم احرقهم. فهؤلاء كانوا مرتدين فكيف يقاس المتوسلون القائلون بعبودية الذوات الفاضلة على السبائية القائلة لعلى رضى الله تعالى عنه: انت الهنا ورازقنا.

مصرع:

هذا لعمري فى القياس بديع

والتوسل ليس مخالفاً عن الدين حتى يكون سبباً لقتال المسلمين كما فى عبيد القداح الذين ذكرت.

وما قال فى (ص: ٣٠) ويقال الذين قال الله تعالى فيهم (يَخْلِقُونَ بِاللَّهِ) الآية. التوبة: (٧٤) ما قالوا.

فان ذلك فى شأن المنافقين الذين قالوا فيما بينهم (... لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) الآية. المنافقون: (٧) كما فى (صحيح البخارى) عن زيد بن ارقم مفصلاً فكيف يقاس المتوسلون على المتأففين الذين هم فى الدرك الاسفل من النار.

وما قال فى حكاية قول بنى اسرائيل (... يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) الآية. الاعراف: (١٣٨).

كيف يقاس عليهم حال المؤمنين الذين يقولون (لا اله الا الله محمد رسول الله) المخلصين فى التوحيد القائلين للتوسل وهذا ايضاً معنى ما قال ابن عمر رضى الله تعالى عنه فى بيان علامة الخوارج: انهم يطبقون الايات الواردة فى حق الكفار على المؤمنين.

واما ما قال فى (ص: ٣١) وقول اناس من الصحابة: واجعل لنا ذات انواط

فحلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا مثل قول نبي اسرائيل لموسى عليه الصلوة و السلام: اجعل لنا الها كما لهم آلهة).

فاقول: هذا لا يدل على نفى التبرك لانا قد ذكرنا ان التبرك بشعره المبارك و الحبة المباركة و بسائر ثيابه و بفضل وضوئه ثابت بالا حاديث الصحيحة و النصوص الصريحة كما ذكر في قوله تعالى (... فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ... الآية. البقرة: ٢٤٨) قال المفسرون فيه: عصا موسى عليه الصلوة و السلام و نعلاه و عمامة هرون عليه الصلوة و السلام و قفيز من المن الذي كان ينزل عليهم و رضاض الالواح كانوا يقدمونه و يسكنون اليه في القتال و يستفتحون به على عدوهم كما في (الجلالين: ص: ٣١) و مثل ذلك في (المدارك) و (الخازن: ج: ١، ص: ١٧٢) و علم منه جواز التوسل بالتبركات ايضاً.

و ايضاً ذكر في (المشكاة) عن طلق بن علي: خرجنا وفد الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعناه و سلمنا معه و اخبرناه بان بارضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضاً و تغمض ثم صبه لنا في اداة و امرنا فقال (اخرجوا فاذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم و انضجوا مكانها بهذا الماء و اتخذوها مسجداً) قلنا ان البلد بعيد و الحر شديد و الماء ينشف فقال (مدوه من الماء فانه لا يزيد الا طيباً) رواه النسائي (المشكاة: ص: ٦١).

فعلم ان مسألة التبرك بما لا ينكر عنها عاقل مصدق بالكلام النبوي و هؤلاء المفرطون ينكرون عنها و قد ذكرناها بالاستقصاء في مقصد التوسل. و اما الانكار على من يسأل ان يجعل لهم ذات اواط فلاجل مشابهة الكفار من غير غرض صحيح لا لان التبرك ممنوع. كيف؟ و الروايات فيه كثيرة فقياس احدهما على الآخر قياس مع الفارق. الا ترى الى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يهتم اللبث في المواضع التي لبث فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر الحج و ما ذلك إلا للتبرك بتلك المواضع المتبركة.

و ما قال في (ص: ٣٢) فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم ان رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون (لآله الا الله) وان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون ان (لآله الا الله) .

فنقول ان قتال اليهود كان لانكارهم رسالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر عقائدهم الكفرية من كون عزيز عليه الصلاة والسلام ابن الله و(....) لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴿١١١﴾ الآية. البقرة: ١١١) و(....) لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً ﴿٨٠﴾ الآية. البقرة: ٨٠ الى غير ذلك. والقتال مع بنى حنيفة لاجل الانكار من الزكاة وقد ورد في الحديث. (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله. فاذا قالوا لا اله الا الله فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الله) الحديث. والزكاة ايضا حق الله تعالى و بهذا احتج ابو بكر رضى الله تعالى عنه على الصحابة فكيف يقاس حال المسلمين المصدقين بالاحكام على المنكرين وهذا من قياساته البديعة.

وما قال: ان اعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث.

فنقول ان اولياء الله تعالى فهموا معنى الاحاديث واعوان الشيطان تجاهلوا عنها. وما قال في (ص: ٣٣) ان الاستعانة بال مخلوق فيما يقدر عليه لانكرها كما في قصة موسى عليه الصلوة والسلام (....) فَاسْتَعَانَهُ النَّبِيُّ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴿١٥﴾ الآية. القصص: ١٥).

فنقول: الاستعانة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة من اصحاب القبور ليس فيها طلب الامور الغير المقدورة فان الله تعالى قادر على كل شئ و يجيب الدعاء بحرماتهم وبركتهم واما الامور الغير المقدورة لهم فلا نسألها منهم وهذا هو المراد بحديث طويل فيه (لا الثفن احذكم على رأسه بعير يقول يا رسول الله! اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا) قد بلغت الى آخر الحديث. والتوسل بالذوات الفاضلة ليس خارجاً عن دائرة الاسباب كما عرفت سابقاً.

وما قال في (ص: ٣٤) وهذا مثل ان تأتى عند رجل صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك كما كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك واما بعد موته فكلا وحاشا! بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعائه لنفسه.

فنقول هذا كاشف عن عقيدته الزائفة: ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا
لا يسمع ولا يقدر على دعاء احد في البرزخ وهذا باطل بلاريب. لان الادلة على حياة
الانبياء كثيرة قد ذكرنا سابقا نبذا منها فالانكار تعنت.

و الدعاء عند قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ما انكر عليه السلف بل قال الحسن
البصري رحمه الله عليه: في خط طويل: ان لم تحب الدعاء عند قبره صلى الله تعالى عليه
وسلم ففى اى موضع تجاب فقد عده من مواضع الاجابة على ما ذكرنا.

وايضاً قال تاج الدين السبكي رحمه الله عليه: ما زال السلف يتوسلون بالانبياء
عليهم الصلوة والسلام والاولياء حتى جاء ابن تيمية فابتدع اهـ . فعلم ان الانكار من
التوسل مخالفة عن السلف وبدعة، نعم، سلف محمد بن عبد الوهاب وقدوته وامامه انكر
ذلك وهو ابن تيمية ونحن لا نعتقده سلفاً.

بيت:

نحن بما عندنا وانت بما عند * صدك راض والرأى مختلف

و ليكن هذا اخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف الذى لا بضاعة له الا السيئات في
رد كتاب رأس الوهابية ورئيسهم.

اللهم! اجعل سعيه مشكوراً مقبولاً بجاه الرسول النبي الامين وصلى الله تعالى على
خير خلقه محمد واله واصحابه اجمعين وما توفيقى الا بالله، عليه توكلت واليه انيب وانا
العبد الاواه محمد حمد الله الداجوى مسكناً والحنفى مذهباً والقادري مشرباً والمظاهري
تلميذاً (دار للتدريس داجى) فرغت من تسويدها غرة ربيع الثانى يوم الثلاثاء سنة ١٣٨١ هـ .

تمت الكتابة بعون الله البارئ بيراع محمد گل رحيم الاسمارى مالك المكتبة
الرحيمية الواقعة ببلدة فشاور يوم الاحد الثالث والعشرين ربيع الثانى سنة ١٣٨٥ هـ .
الحمد لله ٢١ آگست سنة ١٩٦٥ م.

غوث العباد

بيان الرشاد

من تأليفات

مصطفى أبو سيف الحمامي

أحد علماء الازهر و خطيب المسجد الزينبي

به كتابت مالك

كتب خانة رحيميه محله جنگي پشاور شهر

قد اعنى بطبعه طبعة جديدة بالارفت

وقف الاخلاص



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول - تركيا

ميلادي

هجري شمسي

هجري قمرى

١٩٩٤

١٣٧٢

١٤١٤

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل و ما

الشكر الجليل و كذلك جميع كتبنا كل مسلم مأذون بطبعها بشرط حودة الورق و التصحيح

(أَدْخِلْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتَّيِّبَاتِ هِيَ أَحْسَنُ) *

الآية. النحل: ١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يا غياث المستغيثين باسباب وغير اسباب.

احمدك لانك اكرم الاكرمين. وارجو رحمتك اذ انت الحليم التواب. واشهد ان لا اله سواك فانك الخلاق العليم. وعدم يا مولاي! كل ما عداك لولاك. ولا استثناء من هذا الحكم العظيم. واشهد منشرح القلب، منطلق اللسان: ان احبابك لهم عندك جاه كبير. من والاهم تواليه بجزيل الاحسان. ومن ناوأهم تهينه هنا وفي يوم المصير.

اما بعد: فلما كتبت مقدمة ديوانى الثالث (منتهى آمال الخطباء و منار المسترشدين النبلاء) استتبع الكلام فى بعض فصولها كلاما طال وطاب. انبت به حقائق لا تزال خفية لليوم على طوائف، من الناس. رأى ذلك بعض قادة الامة العلماء. لاحرم الله الوجود منهم. فسرّوا به واثنوا عليه وبالغوا فى الثناء فقال فيه حضرة صاحب الفضيلة: رجل العلم والتحقيق والصفاء ولسان الدفاع عن الاسلام اليوم الشيخ يوسف الدجوى احد هيئة كبار العلماء بديارنا المصرية اثناء تقريره الديوان ما نصه:

اما مقدمة الديوان فهى مقدمة تفوق المقاصد اتى فيها من التحقيق ما يجمع كل مكابرو من الحق الصراح ما تنشرح به الصدور وتقر العيون ومن السنة النبوية ما يدعن له العلماء ويشهد له اساطين الكبراء.

وقال فيه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل شيخ العلماء بوادى الفرات الاستاذ البحاثة الكبير الشيخ محمد سعيد العرفى فى تقريره لهذا الديوان، ما لفظه: ولكن لو دريت انه اتى فى المقدمة بما بهر العقول من تبيان مجد الاسلام وعظمة مقام النبوة. و

رفعة اصحاب الكمال بابلغ العبارات وافصح الجمل وارصن الكلم. واحسن الاساليب مدللا على ذلك بالحجج الناصعة والبراهين القاطعة بحيث لو قلت يجب على كل طالب علم متمسك بدينه ان يطالعهما ليفترف من بحرهما الزاخر وعبائها الخضم، ما جادلني الاحسود مكابر او جاهل متفقه الى آخر ما قال.

وقال فيه حضرت صاحب الفضيلة العلامة الكبير، والمحدث الشهير، فخر الاقطار المغربية و خادم العلم بالخرمين الشريفين ونزيل مصر الآن، الاستاذ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي مايلي:

اما مقدمة الديوان فلعظم مزيته كادت تغنى عن ضخام المجلدات، لما اشتملت عليه من جميل الصفات في دقائق المعتقدات فالاولى ان تجعل رسالة مستقلة ليرد عذب حياضها اكابر العلماء الاجلة.

ان هذه الشاء على تلك المقدمة من اولئك القادة الهداة جعلنى افرح فرح شكر له سبحانه وتعالى على ان اظهر على يدي ما جعل مثل الشيخ الشنقيطي في فضله يستقل عليه ان يكون مورداً للعلماء الاجلة والذي يراه ان يكون ذلك حياضاً عذبة يردها الاكابر من العلماء الاجلة وليس الشيخ الشنقيطي وحده الذى اقترح طبع ذلك الفصل من تلك المقدمة في رسالة مستقلة بل وافقه عليه الكثير من افاضل العلماء. وشددوا على في ذلك لم يكون النفع بها اعم. فلم يسعنى الا النزول على ارادتهم والمبادرة الى تحقيق اميتهم و دعوتها.

غوث العباد ببيان الرشاد

وقد تفضل هؤلاء العلماء الاجلاء فقرظوا تلك الرسالة تقرظاً قليلاً، عليه ان يكتب بماء الذهب و اجزلوا فضلهم فيه على (بوسام) من الشرف منحويه لم اسمع ان منحوه احداً قبلى، يعرفه من يرى ذلك التقريظ وهو شرف اتقبله شاكرًا مولاي عليه و معتبرا ان ذلك تشجيع من حضراتهم لى بموافقتهم لى على ما تضمنته تلك المباحث. اصبح ذلك امراً مجمعاً عليه من علماء الاسلام، وهم ائمة الامة وادلاؤها في دياجى المضلات.

وانى اسأل ربى وهو اكرم مسؤول ان يتقبل ذلك منى وان ينفع به عباده.

وها انا ذا اقدم بيد الاخلاص والادب تلك المباحث لحضرات القراء الافاضل.

ولا ينتهى سرورى ان رأوها اهلا لان ينظروا اليها والسلام.

مصطفى ابوسيف الحمامى

حياة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى البرزخ حياة حقيقية

روى ابن ماجة عن ابى الدرداء انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: (اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصل على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها). قال: قلت: وبعد الموت؟ قال (ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء) عليهم السلام. ووافق ابن ماجة احمد وابوداود وابن حبان والحاكم فى رواية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء). ومن هذا الوادى ما رواه ابن سعد^(١) والبخارى بسند صحيح. ورواه ايضا القاضى اسمعيل والحاثر فى مسنده وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم) اى تحدثون شؤوننا ويحدث لكم احكامها (فاذا انا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على اعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم).

فهذه اعمال امة باسرها صلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يفهم من الحديث الاول. وسواها كما يفهم من الحديث الثانى. اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى. انها تعرض عليه فيحمد الله لخيرها ويستغفره لشرها. ومن فى الدنيا له ذرة من العقل ينكر حياة من هذا حاله؟ ولا تفهم ان هذا العرض على الروح بل هو على البدن مع روحه من غير شك، كما يفيد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء) جوابا لمن استبعد عرض العمل عليه صلى الله

(١) ابن سعد المعروف بكتاب الواقدي ومؤلف الطبقات الكبرى توفي سنة ٢٣١ هـ. [٨٤٥ م.]

تعالى عليه وسلم بعد الموت وسأله السؤال المار فاهما ان هذا العرض انما يكون عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ببدنه وبدنه بعد الموت بلى وانتهى. فافهمه صلى الله تعالى عليه وسلم ان اجسام الانبياء حية لا تبلى. وهذا العرض عليه ببدنه ليقطلع من نفسه ذلك الاستبعاد.

ويزيدك بصيرة في حياة الانبياء في قبورهم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء احياء في قبورهم يُصَلُّون) رواه ابو يعلى والبيهقى وهذا حديث لم يقتصر على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بل تعدى الى جميع الانبياء فحكم عليهم بانهم احياء في قبورهم يفعلون فعل الاحياء في الدنيا وهو الصلاة ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة وذكر الله تعالى وهى اعمال لو شك شك في حياة فاعلها لكان شاكا في حياة نفسه.

وقد جاء هذا المعنى كذلك في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (مررت ليلة أُسرى بى على موسى عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلى في قبره) رواه ابن عساكر والطبرانى والنسائى وابن حبان وابن خزيمة ومسلم. ولا يتردد الناظر هنا في ان الصلاة هى الصلاة ذات الركوع والسجود فان الشرع اذا اطلق الصلاة لا يفهم منها الا ذلك المعنى.

وكذلك جاء هذا ايضا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد رأيتنى في جماعة من الانبياء) الى ان قال (واذا ابراهيم عليه الصلوة والسلام قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فعانت الصلاة فأمتهم) الحديث رواه مسلم من حديث الاسراء وهذا الحديث يذكر شبه سيدنا ابراهيم عليه السلام وشبهه، انما يكون ببدنه الحقيقى. فدل ذلك قطعاً على انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم اماما وهم بابدانهم التى كانوا عليها في الدنيا.

وكذلك جاء ذكر وصف اجسامهم في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (رأيت عيسى وموسى وابراهيم فاما عيسى فاحمر جعد) اى مجتمع الخلق شديده عريض الصدر (واما موسى فأدم) اى اسمر جسيم سبط حسن القدر كانه من رجال الزُطِّ صنف من السودان والهنود (واما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه

وسلم. فها هو ذا عليه الصلوة والسلام كما يصف بدن سيدنا عيسى الحى يصف بدن سيدنا موسى وسيدنا ابراهيم عليهم الصلوة والسلام المنتقلين من هذه الدار وهل يقال جسيم وحسن القدر الا للحى بجسمه الحقيقى الذى خلق به. وانى ازيدك يقينا بهذا المعنى واذهب يك فى حياة الانبياء الى ابعد مما سمعت. فقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (كانى انظر الى موسى فى هذا الوادى محرماً بين قطوانيتين) القطوانية: العباءة البيضاء المنسوبة الى قطوان بنده بالعراق وروى ابن ماجة واحمد ومسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (كانى انظر الى موسى هابطاً من النية) مكان مرتفع (وله جوار) صوت مرتفع الى الله تعالى بالتلبية (كانى انظر الى يونس بن متى على نافه حمراء جمعة) مجمعة الخلق شديده (عليه جبة من صوف خطام نافته خلبة) ليف (ماراً بهذا الوادى ملياً).

وهذا الحديث وما قبله يثبتان ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يخرجون من قبورهم بابدانهم الحقيقية لابسين الثياب ماشين او راكبين، ويذهبون الى حيث يحجون ويلبسون ويراهم بعينه من كشف الله عن بصيرته من العباد. وانت لا تشك فى ان سيدنا موسى وسيدنا يونس انتقلا الى الرفيق الاعلى قبل ان يوجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدهور. واذن فلا شك ان نظره اليهما وهما ذاهبان الى الحج يلبيان انما كان وهما فى عالم البرزخ.

كل هذا نقوله اذا كان ما نروى كلاماً موضوعاً وضماً عربياً. وعلى قواعد الوضع العربى تفهمه العقول وليس هناك استحالة عقلية او شرعية تمنع من فهمه على ظاهره.

وانا بعد ان نفهمه هكذا لانستطيع ان نتردد فى حياة الانبياء فى قبورهم الحياة الحقيقية التى يفعلون معها ما يفعله اقوياء الرجال. فان السفر الى الحج ليس من الامور التى يستطيع فعلها كل حى وانا اذا ترددنا فى ذلك فقد وقفنا امام كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم موقف التكذيب. وهو موقف لا يقوى عليه ذو دين، خصوصاً اذا لاحظنا ما قرره العلماء من ان العدول عن ظواهر النصوص من غير مقتضى قاطع الى معان يدعيها اهل الباطن، الحاد وكفر. وهذا حديث المعراج، وهو متفق عليه، يصرح انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى السموات جماعة من الانبياء سيدنا آدم وسيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف

وسيدنا موسى وسيدنا هرون وسيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهم الصلوة والسلام وكلمه كل واحد منهم بما كلمه ونحن - معشر الامة المحمدية - اليوم والى انقضاء الدنيا نتمتع براحة ما اجلها وما اعظمها. لولا سيدنا موسى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأيناها ولكنا في شقاء يومى طول حياتنا باداء خمسين صلاة فرضها علينا ربنا عز وجل في اليوم وبلغها لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاشار اليه هذا الوجيه الكليم ان يسال ربه التخفيف عن امته، فساله ثم ساله حتى جعلها الكريم الرحيم خمساً فقط. كما انا لليوم وبعد اليوم نذكر ربنا بقول (سبحان الله) و (الحمد لله) الخ، امثالاً لوصية سيدنا ابراهيم الخليل التى وصلت اليها في قول نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم (رايت ابراهيم ليلة اسرى بى فقال: يا محمد! اقرا امتك السلام) و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا خليل الرحمن وصلى الله وسلم وبارك عليك وعلى آلك (واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان) اما كن ممهدة واسعة (وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله) رواه الطبراني.

وهل تشك في ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال رايت فلانا وفلانا يقطعة فانما يريد انه رآهم صلى الله تعالى عليه وسلم باشخاصهم وارواحهم خصوصاً اذا كلموه وروى عنهم مثل ما سمعت وعالم البرزخ تغلب فيه احكام لارواح على احكام الاشباح، فليس بغريب حينئذ ان يرى صلى الله تعالى عليه وسلم سيدنا موسى في تلك الليلة في قبره يصلى ويراه في السموات والارواح ليس ببعيد عليها ان ترقى السموات في قليل من الزمن بلاسبب ترقى عليه كالملائكة تماماً.

واظنك بعد هذا البيان اصبحت حياة الانبياء في قبورهم عندك من الامور البديهية، غير انى ارجوان لا تنسى مع ذلك كله ان الانبياء في عالم البرزخ الان. فلا تقل اذا كانوا احياء فلماذا لا تراهم يذهبون بيننا ويحيون كما كانوا في الدنيا؟ فان لعالم البرزخ احكامه كما لا يخفى على فطنتك ان هذا الذى نشرحه الآن ليس معنى انفردنا نحن بالقول به، بل يشاركنا في تقريره واعتقاده علماء الاسلام متقدموهم ومتأخروهم و لم نقل عن احد منهم ما يؤيدنا لانا وجدنا صرائح من قول رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم تؤيدنا كما سمعت وليس اللياقة في شيء ان يلتفت الى الناس من معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولقد كان هذا المعنى من الأوليات في عصر النبوة ايام ان كانت العنائد تتلقى غضة طرية من مهبط الوحي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت القلوب اذ ذاك في منتهى صحتها لم يطرأ عليها من امراض الشبهات والشكوك شيء . وان شئت فاسمع ما تقوله امنا الجلييلة السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها (كنت ادخل بيتي الذى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى - وانى واضع) التذكير باعتبار انها شخص (ثوبى و اقول انما هو زوجى وابى . فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت الا وانا مشدودة على ثيابى حياء من عمر) رواه احمد وهو تقرير منها واضح جدا انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى لايزال زوجها . لاحرج عليها ان يرى منها ما لا يراه الاجنبى . وهو لا يكون كذلك الا اذا كان حيا حياة حقيقية وهذا يؤيد ما صرح به بعض العلماء من ان نساءه صلى الله تعالى عليه وسلم ما كن في عدة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عقب انتقاله من هذه الدار ، بل كان نكاحهن لايزال قائما بينه وبينهن ومن اجل هذا حرم على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكحهن رضى الله تعالى عنهن .

ومما يدل دلالة واضحة على حياة الانبياء صلى الله تعالى عليهم وسلم بعد انتقالهم من الدنيا: ان المال الذى يتركونه لا يورث عنهم وانما يكون صدقة من الصدقات كما يتصدق الحى بماله ولو كانوا امواتا لكانت تركتهم كسائر تركات الاموات تورث عنهم لو ارثيهم .

وانى الفت نظير القارئ الى تحفظ السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها بالتستر البالغ اذا ارادت الدخول على زوجها وابيها لما دفن معهما سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه حياء منه فان ذلك يفهمنا انها لا تشك في ان سيدنا عمر يراها ، كما انها لا تشك في ان والدها يراها ولكنها ما كانت تتخفظ منه بذلك التستر لانه ابوها ، يجوز له ان يرى من بدنهما ما ينكشف اذا القت ثيابهما التى تستر بها من الاجانب وهذا الذى تصرح به هذه السيدة الجلييلة لم تخترعه من نفسها بل صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله

(وما أبالي قضيت حاجتي على القبور أو في السوق والناس ينظرون) رواه ابن ماجه من حديث، وهو خبر نبوى يفهم في وضوح ان الاموات يرون ما يفعل عندهم كما يرى الاحياء بلا تفاوت، ولذلك لم يفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين من يقضى حاجته عندهم وبين من يقضيها في السوق مجتمع الناس وهم ينظرون اليه في انه يرى لهؤلاء كما يرى لهؤلاء وهو منكشف العورة وحينئذ لا يجوز ذلك عند الاموات كما لا يجوز امام الاحياء. وانى آخذ بيدك الى حيث اريك اكثر من هذا. اريك ان افراد المؤمنين الذين ليسوا برسل ولا انبياء ولا اولياء اذا زارهم زائر وسلم عليهم ردوا عليه السلام فوق رؤيتهم له. وان استغربت هذا فاسمع الدليل. روى مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى زيارة اهل المقابر ان يقولوا لهم (السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وانا ان شاء الله بكم لاحقون. اسال الله لنا ولكم العافية) فهل يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسلم الناس على من لا يسمع ولا يرد؟ اظن ان ذلك تقشعر فيه جلود المؤمنين بحكمة ربنا عز وجل.

بل الامر في طبقات المؤمنين فوق ما رويت لك. فقد روى الترمذى والحاكم و ابن مردويه وابن نصر والبيهقى (في الدلائل) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر انسان. فاذا هو قبر انسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها. فاخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلوة والسلام (هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر) وهل يبقى من شك في حياة امرئ يقرأ القرآن، يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة ان يسمعه من بينه وبينه حائل عظيم من اتربة واحجار، الا انه ينبغي ان يعلم ان هذه الحياة لا تبلغ درجة حياة الانبياء، بل الشهداء في سمو مقامهم لا تبلغ درجة حياتهم درجة حياة الانبياء وان كان القرآن يخبر عنهم انهم احياء يرزقون ويفرحون ويستبشرون فانه ليس بمعقول ان يبلغ فرد من افراد امة ايا كان مركزه سموا وكمالا عند ربه المبلغ الذى بلغه رسوله بل لا اكثر من كل ما سبق، اذهب بك فقد روى البخارى عن ابى طلحة رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام على شفة الركبة) البئر التى لم تطو (فجعل يناديهم

باسمائهم واسماء ابائهم) قتلى بدر الكفار الذين القوا في تلك البئر (يا فلان بن فلان وبا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) قال [الراوى] فقال عمر رضى الله تعالى يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم) فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر مؤكدا بالقسم ان الاحياء الموجودين معه في الدنيا لا يزيدون عن اولئك القتلى الكفار في سماع كلامه صلى الله عليه وسلم وانى احب ان يهون القارئ على نفسه ولا يستغرب عند سماع هذا في حق الكفار. فانه يعلم حق العلم ان البدن من تموت ابدانهم بعد الانتقال من هذه الدار هو الذى يموت بانقطاع الصلة بينه وبين روحه الذى كان يدبره ويحركه. اما الارواح فباقية بعد الموت كما كانت في الدنيا قطعاً. والارواح في الحقيقة هي العاقلة المكلفة الفاهمة التى كانت تسمع في الدنيا الاسئلة التى توجه الى الانسان وترد عليها وهي عين الانسان وهذا البدن آلتها التى تسخرها فيما تريد من اعمال. واذا كانت الارواح التى هذا قدرها باقية بعد الموت كما كانت في الدنيا فاي غرابة في سماعها ما يوجه اليها من كلام بعد ان تموت ابدانها ولو كانت ارواح الكفار و ارواح المؤمنين تزيد صفاء وكمالا بعد موت ابدانها عما كانت قبل ذلك الموت، فانها في الدنيا كانت مقيدة بهذا البدن الظلماني الكشيف ثقيدا عظيما بتدبيرها وتصريفها لشؤونها في كل حال. وبعد الموت انقطع ذلك التعلق العظيم واصبحت مطلقة اطلاقاً لا يعلم قدره الا الله عز وجل ولهذا ينبغي ان تعلم انها تجول في هذه العوالم باذن ربها. فتامر مناماً بمصالح وتنهى عن مضار وتبشر عجائباً وتنذر بمكاره وتأخذ وتعطى وتدعو الله تعالى وتعلم علومها. وتخبر عن غيوب مستقبلها. وهي اذا قالت شيئاً كان حقاً. ما تقول؟ فانها في عالم لا يعرف الكذب. وكم حمد الله تعالى من اطاعها فيما تشير اليه. وكم ندم من خالفها. وكم وصل من خير لعباد الله تعالى الاحياء من طريقها وكم وصل من شر. والفاعل في الكل رب الجميع وهو المسخر لها في كل حركاتها، الآذن لها ان تقول ما تقول وتفعل ما تفعل.

كل هذا ا قوله وبراهينه كما ترى قوة واتجاهاً. وانا اعلم ان بيننا فريقاً تقع منهم هذه الحقائق موقعاً غريباً واليما ولايكادون بصدقونها ولعلك تقول وما ذا يفعلون في هذه الحجج اليقينية التي تسوقها؟

فاقول لك انك يا اخي! كانك لم تكن في الدنيا لتعلم ايها الفاضل ان الفريق الذى نشير اليه لاقيمة للحجة عنده اذا كانت من السنة. كان السنة نسخت في هذا الزمان. نعم، لقد وصلوا في الاستخفاف بالسنة النبوية التى لولاها ما كان لنا دين الى حد لا يكاد يصدقه المؤمن. وماذا عسى ان تنتظر في الاستخفاف بها بعد ان تسمع احد هؤلاء يصرح في غير خجل ان بنتاً صغيرة خادمة اصدق من رواة (البخارى) الذى يعده علماء الاسلام اصح كتاب في السنة. لا تفرع ايها الاخ! واعلم ان هذا الفريق الذى حاله ما نذكر وصل امره الى اكثر مما نقول. فقد طبع في العام المنصرم عام (١٣٤٩ هـ). تفسير لواحد من هذا الفريق بتشجيع من اخوانه ومساعدة كبيرة. هذا التفسير لكلام الله وهو ينكر كلام الله انكاراً صريحاً بصرف كثير من عباراته الكريمة الى معان لا يدل عليها الوضع العربى الذى به نزل هذا الكتاب الحكيم.

وبذلك انكر حقائق، انكارها كفر صريح وقامت له الامة وقعدت. و كان اول خطوة معه ان صودرت نسخة لثلاث وصل الى ايدى الناس ومنهم الجاهل الذى لا يميز صواباً من خطأ. وهذا المفسر الجديد لم يرد على ان اضاف الى الفريق الباطنية واحداً. واصبح بين الامة كالمجذوم يفر منه كل من وقعت عينه عليه، و سترى عاقبة ذلك في يوم يشيب الولدان.

و مع كون ذلك الفريق بتلك الدرجة التى نحكيها مع الحجج النبوية تراه اذا عثر على شبه حجة له على معنى يعتقده تجده يتشبث بها تشبثه بروحه، مع انها من السنة التى لاقيمة لها عنده. ولكنها الاهواء تفعل اكثر من ذلك كما يتشبث بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له) يحتج هؤلاء الناس بهذا الحديث على ان الانسان متى مات فلا عمل له اصلاً و هو خطأ قبيح. فان الحديث الكريم يتكلم عن الاعمال التكليفية التى تزاد بها

الحسنات والسيئات فافادنا ان العمل الذى هذا حاله ينقطع عن الميت بمجرد موته، و معقول هذا الانقطاع، فان الحسنات والسيئات فى دار العمل، و دار العمل الدنيا. و الميت قد انتقل من الدنيا، غير ان الحديث استثنى الاعمال الصالحة التى يبقى نفعها فى الدنيا للاحياء بعد موت العامل. فاخبر انها مادامت منتفعا بها، فالعامل فى ازدياد من الثواب و ان كان فى قبره.

وبما ان الكلام فى الاعمال التى بها مزيد الثواب مَثَلَّ صلى الله تعالى عليه وسلم بالامثلة المذكورة و هذا معنى واضح لا يتوقف فيه عاقل، اما الاعمال التكوينية، فالامر فيها بالنسبة للاموات كما قررنا و لعلنا لا نبعد عن الواقع اذا قلنا ان من النادر ان نجد انساناً ليس له واقعة او وقائع منامية مع اناس ماتوا من زمن بعيد او قريب حاورهم فيها و حاوروه و كان منهم له ما يسره او لا يسره من اقوال او افعال يحكيها بعد ان يقوم من منامه و تقع او تكون واقعة كما قالوا.

وانا ننقل هنا مثالا لاشك فى صحته فى (البخارى) مختصرا و (الطبرانى) مطولا عن انس رضى الله تعالى عنه قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة، قلت لثابت بن قيس: الا ترى يا عم و وجهته يتحفظ فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بشس ما عودتم اقرانكم! اللهم! انى ابرئ اليك مما جاء به هؤلاء و مما صنع هؤلاء ثم قاتل حتى قتل و كان عليه درع نفيسة فمر به رجل مسلم فاخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت فى منامه فقال انى اوصيك بوصية، اياك ان تقول: هذا حلم فتضيعه: انى لما قتلت اخذ درعى فلان و منزله فى اقصى الناس، و عند خبائه فرس تستن. اى تذهب و تجيى عدوا فى نشاط و مرج ولا راكب عليها، و قد كفى على الدرع برمة و فوقها رحل. فانت خالدا فمره فليأخذها و ليقبل لابي بكر رضى الله تعالى عنه: ان على من الدين كذا وكذا و فلان عتيق، فاستيقظ الرجل فاتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها، و حدث ابا بكر رضى الله عنه برؤياه فاجاز وصيته.

هذا لفظ ابن ججر فى (الاصابة) فى ترجمة ثابت بن قيس فهذا رجل ميت يغضب على تركته ان يأخذها غير وارثه فيأمر من يذهب الى قائد الجيش، يخبره بمكانها ليردها الى

ورثته و لما سمع هذا القائد ذلك بعث الى الدرع فاتى بها، ثم امر هذا القائد ان يخبر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما عليه من الدين ليؤدى عنه ليستريح من ناحيته، و حتى لايندم رب الدين على ضياع ماله بموت المديون، و ان يخبره بوصيته بعق غلامه لينفذ هذه الوصية بماله من السلط العامة و ليكون هو قام بمكافاة ذلك الغلام على طول خدمته له في حياته. فنشد ابوبكر رضى الله تعالى عنه ذلك. و انظر لما ذهب الى الرائي، كيف شدد عليه ان يبلغ ما يوصيه به و افهمه ان الأمر جد لا هزل، و حق لا باطل ليقنع من نفسه التردد الذى يقع في النفوس في بعض ما يرى في المنام.

و انظر، كيف يصف المكان الذى به الدرع على مبالغة آخذها في اخفائها. و انظر، كيف فطن هو وحده لذلك الاخذ مع انه ميت و لم يفتن له الاحياء المحيطون به. من كل مكان. فمن بعد هذا ينكر او يتردد او يخطر له شبهة في ان الميت بعد موته يعمل و يقول؟ و هل عقيدة ان الميت لا يقول بعد موته ولا يفعل الا عقيدة من يشسوا من اصحاب القبور.

و اذا احطت علما بهذا كله، علمت ان الامر عادى صرف في مخاطبة الانبياء و الاولياء و جميع المؤمنين، بل و الكافرين بعد موتهم المخاطبة التى لا تقل عن مخاطبتهم و هم احياء في الدنيا فان الميت يسمع و يفهم فمن خاطبه خاطب سميعا فاهما.

و علمت: ان من يحكمون بالشرك على من يخاطب ولياً او نبياً بعد انتقاله من هذه الحياة، بعدوا عن الحق بُعد الحق عن الباطل، و برهنوا بذلك على انهم لم يكلفوا خاطرهم بالنظر في دين الله حتى وصلوا في الجهل به الى درجة ان تخفى عليهم تلك الحقيقة الواضحة؟

هل للانبياء والاولياء وجاهة عند ربنا شيء من وجاهة الانبياء؟

ليعذرني القارئ الفاضل في هذه الترجمة ثم الاستدلال عليها، فان ذلك وان كان بديهيًا عنده، متكرر عند قوم الى حد لا حد له، وانا نكتب ما نكتب، نرجو ان ينتفع اولئك القوم به وان لم ينتفعوا وذلك اكبر الظن بهم. فالدنيا مملوءة - والحمد لله - بمن ينتفع به من المؤمنين الصادقين.

قال ربنا عز وجل في سيدنا موسى الكليم (... وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاءٌ * الاحزاب: ٦٩) وقال في سيدنا عيسى (... وَجِبَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * الآية. آل عمران: ٤٥) هذا كلام ربنا وليس بعد كلام ربنا كلام. لانه الخالق العالم بما عليه خلقه. فاذا ذكر حقيقة وردها احد كان ذلك ردة في ذلك الراد. ذلك لانزاع فيه. وما ذكر من كلامه تعالى يقرر في وضوح ان لربنا عبيدا لهم عنده وجاهة وان سيدنا موسى وسيدنا عيسى صلى الله عليهما وعلى جميع الانبياء وسلم من اولئك الوجهاء.

ومعنى هذه الوجاهة عنده تعالى لمن جعلها لهم المنزلة الرفيعة التي بها يتولى شؤونهم توليا خاصا ويعاملهم كما تعامل نحن الوجهاء عندنا فكما لا نرد نحن طلب الوجهاء عندنا اجلالا لهم واحتراما لمنزلتهم الرفيعة عندنا، كذلك هو تعالى لا يرد طلب الوجيه عنده الاحكامه هو يعلمها، وان اختلف المقتضى للاجابة عندنا وعنده تعالى. وانا نحب كثيرا ان يسمع لنا القارئ الكريم لنقص عليه شيئا من اثار وجاهة الانبياء صلى الله وسلم عليهم عنده تعالى ليزداد ايمانا بها على ايمانه فنقول:

مكث العبد الشكور سيدنا نوح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه الف سنة الاخسين عاما يدعوهم الى الحق ليلا ونهارا، سرا وجهارا، ويلاقى منهم في سبيل تلك الدعوة ما يلقى من اصناف الازياء ولم ينته ذلك عن القيام بما كلف به ولما يش من هدايتهم، قال ما حكى عنه ربنا (... أَنبَى مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ * القمر: ١٠) ثلاث كلمات حرك بها لسانه هذا العبد الكريم، تعرف ايها القارئ! ماذا كان اثرها؟ لقد كان ما قال

مولاه عز وجل (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى آفَرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ دُورٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا * الْآيَةُ. القمر
: ١١-١٤) هيج تعالى السماء لدعوة ذلك العبد الجليل. فافرغت ماءها ينهمر انهما را. و
هيج الارض فقذفت ماءها، يتفجر تفجرا. وبالضرورة كان الجو اذ ذاك في منتهى العبوسة
والغضب.

ولما التقى ماء السماء بماء الارض، كان منهما طوفان عظيم غمر كل الارض، و
في هذا الهول الذي تنخلع له القلوب فزعاً اغرق تعالى كل من على وجه الارض من الكفار
الذين تغير منهم قلب سيدنا نوح عليه الصلوة والسلام ودعا عليهم بتلك الكلمات ولعلك
تقول، وماذا جرى لهذا الرسول ومن آمن معه في ذلك الهول الذي يشيب الولدان؟ وهل
طار عليهم من رشاش ذلك الطوفان شيء او احسب قلوبهم بذرة من ذلك الفرع المذهل؟

فاقول لك: ما كان من ذلك شيء مع انهم في سفينة (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ
كَالْجِبَالِ * الْآيَةُ. هود : ٤٢). وكيف يكون ذلك والقدير الرحيم يقول في تلك السفينة
(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا * الْآيَةُ. القمر : ١٤) وهل يخشى شيئا من يسير محروساً بعينه تعالى التي
لا تنام محوطاً بحفظه الذي لا يس. فليقل لي القارئ وليفتني في مبلغ هذه الوجاهة التي
تغضب، فيغضب الله. وتغضب السموات وتغضب الارض ويغضب الجو ولا يهدأ هذا
الغضب حتى يكون ما تريد من تغير وجه البسيطة كلها واهلاك كل من عليها من الكفار.

و كسر سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام الاصنام التي كان يعبدها
الوثنيون الذين كانوا يعاصرونه، وانت تعرف، ان مس العقيدة باى شيء مظنة
انفجار براكين الغضب وكيف اذا طعن فيها ووصل الطعن الى درجة ان مس الالهية
لا بل تعدى ذلك الى التعدى بالتكبير والتهشيم لنفس الآلهة التي تعبد ويعتقد فيها انها
تنفع وتضر، لذلك لم يكن عليه الصلوة والسلام جزاء عند اولئك الوثنيين الا قتله صلى
الله تعالى عليه وسلم، وليس هذا القتل مطلق القتل بل الم القتل واشده. وهو الاحراق
بالنار التي اججت ثم اججت والقي فيها وهل يدري القارئ، ماذا فعل به ربه، وهو تعالى
يعلم انه ما اقدم على ما اقدم عليه الا غيرته منه على مقامه الاسمى ان يشارك في العبادة؟

لقد كان ان قال عز وجل للنار وهو ربها (... كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ * الانبياء :٦٩).

ان اسم ابراهيم في هذا المقام لا تشيع اذن العقل ابدا من سماع حلاوته . وهل تدري، ماذا كان من النار؟ كان منها ان صدعت بما اراده منها ربها، ولم تمس هذا الخليل بادنئ ضرره، فـ اذا يرى القارئ في تقدير هذه الوجاهة التي بلا سؤال بل مع رفض السؤال كما ورد، سبب لها رب السموات والارض خاصة هذا العنصر المحرق وجعلها عليه بردا وسلاما . فكان صلى الله تعالى عليه وسلم في وسط النار الملتهبة وهو يشعر بهذا البرد اللطيف ولا تظن ان هذا على فخامته كل ما كافأ ربنا به خليفه الا تظن ذلك .

واعلم انه ما حيى حتى بعد هذا العبد الغيور على مولاه الا وبه حيى لهذا اليوم و الى ان تنقضى الدنيا فانه يبعث نبي بعده صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو من ذريته ولم ينزل بعده كتاب من السماء الا وعلى ولد من اولاده انزل كما يقول تعالى (... وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ * العنكبوت :٢٧) اذن لم يؤمن انسان بعد سيدنا ابراهيم الاعلى يد ولد من اولاده .

و معروف، ان ربنا عز وجل جعل الشرائع ارواحاً للخلق كما يقول عز وجل (وَكَذَٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ اَمْرِنَا * الآية . الشورى :٥٢) فمن آمن بهذه الشرائع حيى، ومن لم يؤمن بها كان ميتا . ولقد صرح تعالى بذلك في قوله الكريم : (اَوْمِنْ كَانَ مَيِّتًا فَآخِصَيْنَاهُ * الآية . الانعام :١٢٢) وقوله (وَمَا يَسْتَوِي الْاَحْيَاءُ وَلَا الْاَمْواتُ * الآية . فاطر :٢٢) وغير ذلك كثير في كلام الله تعالى فكان ربنا الشكور يقول لهذا الخليل العظيم : انت قدمت حياتك في سبيلنا وسخوت بها عن طيب خاطر ولم تلتفت لما واستهنت بالموت غيره علينا واجلالا لنا . فكان جزاؤك عندنا، ان حلنا نحن بينك وبين ذلك الموت مكافاة لك على هذا الاخلاص البالغ . وخرقنا عادتنا في ملكنا من اجلك فجعلنا الجسم المحرق بردا وسلاما عليك وليس ذلك فقط كل جزائك عندنا بل جمعنا كل من يحيى في ملكنا في حياتك وبعد مماتك الى قيام انساؤه، انما بك يحيى . هذا جزاؤك عندنا في الدنيا التي ليست دار جزاء وجاه، هذا اثره عند ربنا عز وجل، انما يعلم قدره ربنا فقط . واما

نحن فلا يسعنا امامه الاطأطأ الرأس و التكتوت التام.

و يئس سيدنا موسى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العبد الكلیم الوجیه الذی اصطفته ربنا لنفسه من هداية فرعون وقومه. فاوحى اليه مولاه ان يخرج بمن آمن به من مصر ليلا. واخبره ان سيتبعه فرعون وجنوده لقضاء قضاء فيهم. فخرج عليه السلام بمن اتبعه وصدقه كما امر. ولما علم بذلك فرعون جمع من قومه ما جمع وخرج وراءهم فلما دنا منهم وراوه بجموعه قلقوا وقالوا لسيدنا موسى عليه السلام (... اَنَا لَمُدْرَكُونَ * الشعراء : ٦١) يعنون اننا ميتون ولا بد بيد هذا الطاغية الجبار وجيوشه هذه الكثيرة القوية، فطمأنهم عليه السلام باعظم انواع المطمئنات، اذ قال لهم (... كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * الشعراء : ٦٢) هكذا حكى ربنا عز وجل عنه عليه السلام وعنهم يريد سيدنا موسى ان يقول لهم: ان ظننتم ان فرعون وقومه اقوياء يفتكون بنا.

فاعلموا: العلم الذى لاشك معه ان معى خالق فرعون وقومه القادر على ان يزيل كل هذا الوجود سمواته وارضه فى لحظة واذا كان معنا هذا القادر العظيم، فلا بد ان يكفيننا عدونا ويرشدنا الى ما به نجاتنا منه. واذن دعوا هذا الخوف واطمئنوا كل الاطمئنان و هل تعرف ماذا كان بعد ذلك؟ كان ان هداه ربه الى نجاته ونجاة قومه كما قال عليه الصلوة والسلام لهم فانه تعالى امره ان يضرب بعصاه البحر ففعل كما امر فانفلق البحر الماء السائل وصار شوارع يرونها باعينهم، وهومن كل ناحية من نواحي هذه الشوارع متماسك جامد شاهق متين لا كمتانة المباني التى يبنيتها البشر، بل كالجلل الشامخ العظيم الذى بناه القوى المتين، وحينئذ فرحوا واقبلوا على تلك الشوارع يسرون فيها آمنين، مطمئنين حتى انتهوا الى الشاطئ الثانى ولما وصل فرعون الى البحر وجدته بهذه الحالة اقتحمه هو وقومه فلما صاروا فيه انساب عليهم وانطبق على بعضه كما كان فاغرقهم اجمعين. وسيدنا موسى وقومه ينظرون. وماذا عسى ان يقول القائلون فى تقدير الوجاهة التى هذا قدر عمل الخالق على رضاها، ان الالسنه هنا لتخرسها الهيبة ويعقلها هذا الجلال.

و هذا سيدنا داود الرسول الكريم عليه السلام خليفة الله فى ارضه الذى يقول فيه

خالقه (... نِعْمَ الْعَبْدُ الآية. ص: ٣٠) وصل من جأه عنده سبحانه وتعالى ان جعله عليه السلام يعمل فى الحديد ما لا تعمله النار الملهية والمطارق الثقيلة القوية، جعله يتناول ذلك الحديد بيده اللحم والعظم والعروق فيفصل منه وهو الحديد كما يشاء من الدروع وسواها بغاية اليسر والسهولة والسرعة، كانه فى يده قماش فى يدنا او الين. ولا تعجب ايها القارئ! فان سيدنا داود هذا هو الذى سخره ربه الطيور التى لا تعقل بل و الجبال الجمادات، فجعلها تفهم تسبيحه حينما يسبح. فتأخذ هى فى التسبيح كذلك مشاركة له عليه السلام ويفهم هو منها هذا التسبيح. ان الجاه الذى يعمل له ربنا كل هذا جاء ليس له حد، لقد اجزل ربنا النعمة على هؤلاء الناس. فانى لا اجد عبارة تفى بشرح قدر اللذة التى كان يشعر بها سيدنا داود وهو يسمع الطيور والجبال تسبح بتسبيحه. ولا يمكننى ان اصف ما يقوم به من الفرح بنعمة ربه وهو بتلك الحال او وهو يرى الحديد فى يده ينفصل له كما يشاء عليه السلام.

اما سيدنا سليمان الرسول الكريم فعجيب والله. جاءه عند ربه، ثم عجيب، كيف لا و ربه لم يرض له ان يسير الى مقاصده فى الارض التى جعلها تعالى مكانا لسير الخلق بل جعل تعالى طريقه الى ما يريد الجو كما ابى تعالى ان يجعل مراكبه دواب يسير عليها بل جعل دابته الريح تسير به فى الغدوة مسافات تستغرق شهرا كاملا بالسير المعتاد. وكذلك تسير به فى الروحة وهو بالخيار معها بين ان يجعلها رخاء هينة لينة كما تتساهل مع دابتك فتتركها تمشى الهويناء، وبين ان يجعلها عاصفة شديدة كما تحمل دابتك على السير السريع. وليس هذا كل آثار جأه عند ربه تعالى بل من تلك الآثار ان جعله تعالى حاكما على الجن، مطاعا فيهم، يحبس منهم من يحبس لتمرده و افساده و يطلق من يطلق يَغْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ وَمِنْ تَلْكَأَ مِنْهُمْ وَزَأَغَ عَنْ أَمْرِهِ، اذاقه الله العذاب الاليم بل من آثار ذلك الجأه، ان جعل تعالى له الطير تحت امره يسخره كما يشاء و وهبه فهم منطقته يحاوره و يتفاهم معه كما يتفاهم مع بنى آدم. فقل لى بربك اى جاء هذا الجاه الذى جعل الله تعالى له الجن و الانس و الطير مسخرين له يأترون بأمره و ينتهون بنهيه و مع ذلك يقول له تعالى (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * ص: ٣٩) اى هذا الملك العظيم و

هذا العطاء المعلوم النظير لحساب عليك فيه وان امسكته ولم تعط منه شيئاً لاحد، انت مطلق التصرف فيه، لا جبر عليك في اعطاء، ولا ذم عليك في منع، ومن اجل هذا كان ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده عليه السلام.

اما سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، فكان في جاهه عند ربه آية، كما ان خلقه آية كان عليه السلام، اذا لمس بيده الشريفة مريضاً عوفى من مرضه، مهما كان ذلك المرض ولو عمى او برصاً ولا تستكثر هذا عليه عليه السلام فانه كان فوق هذا. اذا نادى ميتاً ان يحيى حيى باذن الله عز وجل. ولعل ذلك يقع عندك موقع الغرابة، لا تستغرب. واعلم ان مولاه مكنه فوق هذا من مدحش، مكنه من ان يصور القطعة من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك القطعة فتكون طيراً حقيقة باذن الله. واطنك تسارع عند هذا الى قولك: هذا مظهر من مظاهر الخلق والابداع والاختراع. فاقول لك الى هذا الحد وصل جاه سيدنا عيسى عليه الصلوة والسلام عند ربه ولكن لا يخفى على فطنتك ان الفاعل هو ربنا عز وجل وهذه المظاهر اسباب فقط لخلقته تعالى.

واما سيد العالمين حضرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فليس في خلق الله من يدانيه في وجاهته عند ربه، وكيف يدانى من يقول له تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ • الانبياء: ١٠٧) ولفظ (العالمين) معلوم: انه يشمل كل ما عده سبحانه و تعالى. واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لكل الخلق فكيف يكون فيهم من يدانيه في منزلته عند مولاه عز وجل وماذا يقول ملوك البيان في تقدير هذا الجاه العظيم؟ وماذا عسى ان يصف البيان فيمن يخاطبه بقوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ • الآية. الانفال: ٣٣) مع انهم الذين يحكى تعالى عنهم قولهم (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • الانفال: ٣٢) فجاء يحمى وجوده حتى الكفار الذين يستهزئون بالدين ومن جاء بالدين، جاء تقف عنده الابواب والاقلام والالسنه حيرى لا تبدى ولا تعيد. ويزيدك علماً بمبلغ عظم هذا الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ومقدار جاهه عند مولاه تعالى غيرته عز وجل عليه، الغيرة التى تحرم تحريماً قاطعاً ان يتقدم احد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في شئ و

توجب على الكافة ان يكونوا تابعين له في كل شئ لتكون كل حركة من حركاتهم مذكرة لهم ما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم من التوقير والاحترام وما يجب ان يكونوا عليه هم من التبعية المطلقة له عليه الصلوة والسلام، الغيرة التي تجعل رفع الصوت فوق صوته قرينة الردة في احباط جميع اعمال من يرفع صوته فوق صوته صلى الله تعالى عليه وسلم، الغيرة التي تجرد من العقل قوما نادوه وهو في احدى حجراته صلى الله تعالى عليه وسلم ليخرج اليهم. أفهمتهم هذه الغيرة الالهية ان ذلك فيه تكليف لحاظه عليه الصلوة والسلام والذي يقتضيه العقل السليم، انهم كانوا ينتظرونه حتى يخرج هو اليهم من تلقاء نفسه. ومن اعطى هذه الحقائق حقها من النظر، عرف حق المعرفة من هو عليه الصلوة والسلام، الغيرة التي حتمت على كل من يريد الكلام معه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يتقدم الى ذلك الا بعد ان يقدم بين يدي ذلك صدقة.

وانى لارى توجيه هذا باى تحليل مقلدا من شأنه ومعددا لعظمته ثم نسخ تعالى هذا تخفيفا ورحمة بالفقراء ولكن هذا النسخ لا يمكن ان ينسخ ما وقر في النفوس له صلى الله تعالى عليه وسلم من التوقير والتعظيم الذي احده الحكم المنسوخ.

ولما انه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القدر الكبير عند ربه، استطاعت السيدة الصديقة الزوجة الكريمة أمنا الجليلة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ان تقول له (ما ارى ربك الا يسارع في هواك) كما رواه (البخارى) و (مسلم) وغيرهما تريد رضي الله تعالى عنها بكلامها هذا ان ربه عز وجل لا يحوجه الى مشقة سؤال يتجشمها، ثم بعد السؤال تكون الاجابة بل هو تعالى يعلم ما يهواه ويحبه فيفعله له ولو من غير سؤال ولا يفعل له ذلك مطلقا بل بقيد الاسراع وهذا تقوله رضي الله تعالى عنها تحكى به ما تشاهد من عادة الله تعالى معه في امياله ومحباته.

وانا نذكر هنا شيئا يفهم منه الناظر، كيف يطيعه ربه ويسارع في هواه فليسمع سألته صلى الله عليه وسلم اهل مكة، ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين اى (فلقتين) رواه (البخارى) و (مسلم) و (الترمذى) وغيرهم وصرح بهذه آية القرآن فهي من المعجزات التي لا يقوى مسلم على ان يمتري فيها، ولعل هذا الوجود من بدئه لم ير آية مثلها في الضخامة والعظم.

و اراد يوماً صلى الله عليه وسلم ان يقضى حاجة واحتاج الى شئ يستتر به .
فاخذ بغصن شجرة وقال لها (انقادي علىّ باذن الله) ثم ذهب الى اخرى واخذ بغصنها و
قال لها مثل ذلك فانتقلتا من مكانهما الى حيث شاء ثم امرهما ان (تلتثما) فالتأمتا . و
قضى حاجته مستترا بهما ثم تركهما فرجعتا الى مكانهما . رواه (مسلم) فإى جاء هذا
الجاء الذى يأمر فلا يعصيه حتى الجماد؟

وشكا الصحابة اليه يوماً العطش وكانوا بالحديبية فليس فى الجيش الا ركوة بين
يديه صلى الله عليه وسلم والركوة زق صغير بها بقية ماء فوضع صلى الله عليه وسلم يده
الكريمة فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون . فشربوا وتوضؤوا وكانوا
الفا وخمسائة ولو كانوا مائة الف لكفتهم . رواه (البخارى) و (مسلم) فما ذا يقول القارئ فى
جاء لاجله يفور الماء من الاصابع التى بينها وبين الماء المباشنة كلها؟ فانها عظم ولحم . و
اين ذلك من الماء الذى لوتبع من الحجر الصلد لكان اقرب من نبعه من الاصابع؟ فان
الحجر من جنس الارض التى بها ما بها من ينابيع الماء بل احياء الموتى اقرب من هذا فان
الميت كان به حياة وقريب ان تنفخ فيه الحياة ولكن كيف يكون اللحم والعظم ينبوعاً
للماء؟ ان ربنا ليفعل له صلى الله عليه وسلم ما لا يخطر على القلوب، جلّت قدرته .

ودعا لام سيدنا ابنى هريرة رضى الله تعالى عنه ان يهديها الله تعالى وكانت
قالت ما قالت فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من الذم ردا على ابنها ابنى هريرة لما عرض
عليها الاسلام . وكان ابو هريرة يبكى عليها غماً . فلما دعا لها صلى الله تعالى عليه وسلم
بإلهداية رجع ابو هريرة رضى الله تعالى عنه فى الحال الى البيت فسمع خضخضة الماء و
الباب مغلق فلما سمعت حركة قدميه قالت له: مكانك يا ابا هريرة! فلما فرغت من الغسل
فتحت الباب ثم قالت يا ابا هريرة! (اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله)
فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى سروراً . رواه (مسلم) .

و كان صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر يوماً فسأله اعرابى ان يدعو الله تعالى
ان يسقيهم وكانوا فى قحط فرفع يديه وما بالسما قطعة سحاب ، فما رآهما الا وقد ثار
السحاب كأمثال الجبال ولم ينزل صلى الله تعالى عليه وسلم عن المنبر حتى نزل عليه

المطر و صار يتقاطر على لحيته الشريفة ولم تنزل تنظر الى الجمعة التي تليها. سأل صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعور به ان يرفع هذا المطر، فَرَقَعَ صلى الله تعالى عليه وسلم يديه. و قال (اللهم حوالينا ولا علينا). فانقطع المطر في الحال و خرجوا من المسجد، يمشون في الشمس. رواه (البخارى)

و كان خطب صلى الله تعالى عليه وسلم اولاً الى جذع نخلة فلما صنع له المنبر انتقل اليه. فلما احس الجذع بفراقه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يئن اثنى الصبي و الصحابة يسمعون ولولا انه صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن المنبر و ضمه كما تضم الوالدة ولدها الذى يبكى، ما سكت عن اثنى حزناً و اسى و حسرة على بعده عنه صلى الله تعالى عليه وسلم. رواه (البخارى). فماذا يقول القارئ في جاه و عظمة و بركة تبكى خشبة على فراقها. و ليتذكر في هذا المقام قوم يحرمون تحريماً قاطعاً السفر الى زيارته و القرب منه و يخفضون نهاية الغضب عند ذكره شئ من التعظيم. ليقول لهم القارئ ان الخشب الجماد يعظمه و يحمله و يفرج لجواره و قربه منه لدرجة انه يئن و يبكى اذا شعر ببعده عن جواره الكريم.

و مسح صلى الله تعالى عليه وسلم رجل عبد الله بن عتيك لما انكسرت ليلة قتل ابا رافع الذى نقض عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و صار يهجو فأنجبر الكسر في الحال و كانه ما كان يشكوها. رواه (البخارى).

و اكل امامه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل بشماله فامر به صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأكل بيمينه، فقال: لا استطيع كبراً منه فقال له عليه الصلوة والسلام (لا استطعت) فجمدت يده و لم يستطيع بعد ذلك رفعها الى فيه. رواه (مسلم).

و وضعت له السيدة ام سليم رضى الله تعالى عنها حيساً وهو تمر مخلوط بسمن و اقط و ارسلته له مستقلة له، فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده الشريفة في تلك الحيسة و دعا، ثم صار يدعو الناس لياًكلوا فاكلوا و كانوا زهاء ثلثمائة و لا يدرى اكانت اكثر حين وضعت ام حين رفعت؟ رواه (البخارى) و (مسلم).

و طلب منه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ان يدعو الله فيما بقى مع الناس من زاد و كان يسيرا وكانت اصابتهم مجاعة فى غزوة تبوك، فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى ذلك الشئ اليسير. ثم امرهم ان يأخذوا فلم يبق احد من الجيش الا اكل و شبع و لم يبق معهم اناء حتى ملئ وبقى فضلة. فقال حينئذ صلى الله تعالى عليه وسلم (اشهد ان لا اله الا الله و اشهد انى رسول الله لايلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة) رواه مسلم.

و ساخت ارجل فرس سيدنا سراقه رضى الله تعالى عنه الى بطنها فى الارض، لما دعا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حينما تبعه هو و سيدنا ابا بكر رضى الله تعالى عنه و هما فى طريق الهجرة. و كان سيدنا سراقه لم يسلم بعد فاخذ لهما على نفسه عهدا ان يرد عنهما ان هما دعوا له. فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم فنجت فرسه فرجع، يرد عنهما وفاء بعهد رواه (البخارى) و (مسلم).

و دعا صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابيا الى الاسلام. فقال له الاعرابى ومن يشهد على ما تقول؟ فقال له عليه الصلوة و السلام هذه السَّلَمة - شجرة. فدعاها صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت تحته الارض خدا حتى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا، ثم عادت الى منبتها. رواه (الدارمى).

و دعا صلى الله تعالى عليه وسلم عرجون نخلة فجعل ينزل شيئا فشيئا حتى نزل عنده صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم امره ان يرجع الى مكانه فرجع. فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم، ليبرهن لاعرابى على انه نبي فلما راي ذلك الاعرابى طاعة العرجون له صلى الله تعالى عليه وسلم، اسلم. رواه (الترمذى).

و قرأ صلى الله تعالى عليه وسلم قول ابراهيم (رَبِّ اِنَّهُمْ اضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ * الْآيَةِ. ابراهيم: ٣٦) الى (رَحِيمٍ) و قول عيسى (اِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَانَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ * المائدة: ١١٨) فرفع يديه و قال (اللهم امتى، اللهم امتى) و بكى فقال الله تعالى: (يا جبرئيل! اذهب الى محمد، فقل له: - وربك اعلم - فاساله ما يبكيك؟ فاتاه

جبرئيل وساله فاخبره بما قال - وهو اعلم - فقال تعالى يا جبرئيل ! اذهب الى محمد فقل له انا
سنرضيك في امتك ولا نسوئك. (رواه مسلم).

ليقف هنا القارئ طويلا ويفكر في هذا الجاه العظيم الذي يتلطف به ربه هذا
التلطف البديع.

واختطف الذئب شاة فانتزعها منه الراعى. فاقعى على ذنبه وقال له: الا تتقى الله.
تنزع منى رزقا ساقه الله الى. فقال الراعى يا عجب! ذئب يتكلم؟ فقال الذئب: الا اخبرك
باعتجب من ذلك؟ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق.
فذهب الراعى الى المدينة و اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، فامر فجمع
الناس و امر الراعى ان يخبرهم فاخبرهم. رواه (احمد) و (البيزار).

و سأل ابن مسعود من اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا
القرآن؟ فقال شجرة رواه البخارى و مسلم.

وقال سيدنا على كرم الله وجه ورضى عنه: كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بمكة. فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول: السلام عليك
يا رسول الله! رواه (الترمذى).

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (ان بمكة حجراً كان يسلم على ليالى بعثت. انى
لا عرفه الآن). رواه (مسلم).

ابن العقيل و الفهم ايها الناس؟ اشجار و جبال و حجارة تسلم على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم و آدميون يقفون في وجه كل من يريد الاتصال به صلى الله تعالى
عليه وسلم باى حال. هذا شئ غريب عجيب.

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تمس النار مسلماً رأى او رأى من رأى) قال
طلحة: فقد رأيت جابراً و قال موسى: قد رأيت طلحة قال يحيى و قال لى موسى و قد رأيتنى و
نحن نرجو الله. رواه (الترمذى). ارجو ان لا يستكثر القارئ هذا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو رحمة الله تعالى للمؤمنين وقد سبق ما روينا عن (مسلم): ان الله تعالى يقول له: (انا سرهيبك في امتك ولانسؤك). وليتأمل كثيرا في قوله تعالى (في امتك). ان معنى هذا الارضاء كبير ثم كبير ولو فهم الانسان هذه العبارة كما هي عليه لصرح بان هذه الامة لا يعذب منها احد متى كان مسلما. فان ذلك هو الذي يرضيه صلى الله تعالى عليه وسلم وليسوءه من غير شك تعذيب واحد منها. هذا نقوله ولا نستبعده ابدا على ربنا وهو الذي يعد سيد خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في كتابه فوق ما تقدم، فيقول له (وَلَسَوْفَ يَغْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * الضحى: ٥) والمبشرات الشاملة لامة الاجابة كلها كثيرة في السنة وكثيرة.

وجاءه حرمة بن زيد فقال: يا رسول الله! الايمان ههنا؟ و اشار الى لسانه والنفاق ههنا و اشار الى صدره. ولان ذكر الله الا قليلا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فردد ذلك حرمة فاخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بطرف لسان حرمة فقال (اللهم اجعل له لسانا صادقا وقلبا شاكرا وارزقه حُبِّي وحبَّ من يُحبُّني وصيِّر امره الى الخير) فقال حرمة: يا رسول الله! ان لي اخوانا منافقين، كنت فيهم رأسا الا ادلك عليهم؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (من جاءنا كما جئنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن اصرَّ على دينه فالله اولى به ولا تخرق على احد ستر) رواه الطبراني في (الكبير) واما دعاه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرزقه الله حبه لان حبه هو الايمان بعينه كما ان بغضه هو الكفر بذاته. وليس حبه صلى الله تعالى عليه وسلم امرا يحكى باللسان فحسب بل القلب قبل اللسان ومتى استقر حبه صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب رأيت آثاره في الحال من تعظيم يناسب قدره الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن ولوع بالصلوة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن حرص شديد على اتباعه المطلق في كل حركاته وسكناته صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن شوق يتاجج في الفؤاد يطلب طلبا لا هوادة معه ولا سكون ان يسمى اليه و يتشرف بالمشول بين يديه. وما الى ذلك من آثار الحب الصحيح. اما من يقول بلسانه: انا احبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لا يجد من آثار ذلك الحب شيئا فهو محب باللسان لا بالقلب وارجوان تسمع ما يقوله محب امرأة.

بيت: و كنت اذا ماجئت ليلى ازورها * ارى الارض تطوى لى و يدنو بعيدها

وانظر الى اى حد يبدي المحب من الطاعة لحبيبه، اذ يقول:

بيت:

ولو امروني ان امرّ على لظى * لقلت نعيما في هواهم وجنتي

اين هذا من محب يكره زيارة محبوه وينهى اشد النهى غيره عنها ولو سمع امرا يذكر هذا المحبوب بشئ من التعظيم يتحض ويعبس ويوجه اليه من الملام ما تأبى حكايته الاقلام. ليفتني القارئ الكريم محب هذا؟ اما انا فتقع لدى هذه المحبة موقع الغرابة، ان لم اقل انها عجة كاذبة ثم كاذبة.

ولعل القارئ يفهم من هذا النزر اليسير الذي حكيناه هنا عنه صلى الله عليه وسلم الى اى درجة بلغ قدره صلى الله عليه وسلم ووجاهته عند ربه والى اى حد بلغت مسارعته تعالى وطاعته لهواه صلى الله عليه وسلم، عرف هذا حق المعرفة اصحابه رضى الله عنهم وكانوا عربا اتوا ما اتوا من نفوذ البصيرة ومعرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه بفطرهم السليمة واستعداداتهم العالية وزاد هذا بما منحوه من نور الاسلام ومجاورتهم له عليه الصلوة والسلام. لذلك كانوا يعظمونه ويجلونه الى درجة يمثّلها لك ويقربها الى ذهنك قول بعض اعدائهم يصفهم معه صلى الله عليه وسلم، اذا امرهم ابتدروا امره واذا توجّسوا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يجدون النظر اليه تعظيما له ولذلك لما رجع من عندهم قال لقومه: والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقبصر والنجاشي، والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد عمدا الخ. رواه (الخارى).

ومن آثار بلوغهم النهاية في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم: انهم كانوا لو ظفر احدهم بشئ من آثاره كقطعة من ثوبه او قليل من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لاحتقر الدنيا بأسرها بجانب ما ظفروه. كان هو صلى الله تعالى عليه وسلم يرى بعينه ذلك الاجلال البالغ منهم ولا ينكر عليهم شيئا منه اشارة منه صلى الله تعالى عليه وسلم الى انهم في كل ذلك ما تجاوزوا المطلوب منهم نحوه عليه الصلوة والسلام.

ولقد رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ام سليم تجمع عرقه في آنية معها وكان

نائما فاستيقظ وقال: ما تصنعين يا ام سليم؟ فقالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب وفي رواية: انها قالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. فقال: لها عليه الصلوة والسلام مقرا ومشجعا ومادحا (اصبت) رواه الشيخان والنسائي.

و لقد كانوا والله معذورين رضى الله تعالى عنهم فيما يفعلون معه صلى الله تعالى عليه وسلم من انواع التعظيم والاجلال. وكيف لا يعذرهم العاقل وهم يرون خالقه رب السموات والارض معه كما اشرنا سابقا الى بعضه عرفوا وما اذكاهم: انه حبيب ربهم الى تلك الدرجة التى ليس فوقها درجة فكانوا كما وصفنا معه عليه الصلوة والسلام ليبرهنوا لربهم عز وجل: انهم احبوا حبيبه ذلك الحب الخالص من كل شائبة من شوائب التصنع ومتى عدوا من رجال هذه الطبقة احبهم سبحانه وتعالى لان محب المحبوب محبوب بلا نزاع وهم اعلم بدرجة من يحبه الله وبمقدار ما يصل اليه من جزيل الاحسان ممن كل احسان من فيض احسانه ولقد وصلوا رضى الله تعالى عنهم الى حيث كانوا يقصدون فانهم خير امة اخرجت للناس لم يرهذا الوجود من اوله لمنتهاه امة مثلهم فى المنزلة عند ربنا سبحانه وتعالى رضى الله تعالى عنهم ورضى عنا بحبهم. فلقد كانوا المثل الاعلى فى حبه صلى الله تعالى عليه وسلم الحب الذى معه برهانه وهل هناك برهان فوق ما تقدم لك بعضه؟ و اصف الى ذلك: انهم كانوا رضى الله تعالى عنهم يبذلون ارواحهم واموالهم فى طاعته، ولو عرض على احدهم ان يقتل فى اى واد باى نوع من انواع القتل او ان يشاك هو صلى الله تعالى عليه وسلم بشوكة على سريره فى بيته لابى كل الاباء ان يشاك صلى الله تعالى عليه وسلم بتلك الشوكة وسارع هو بكل ما فيه من قوة الى حيث يقتل ليباعد بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين تلك الشوكة وما عن خيال اقول، بل عنهم اقول وكان احدهم فى اقتناع تام انه ان قتل فهو فرد من افراد الناس لا اثر فى الوجود بموته. اما ان مات هو صلى الله تعالى عليه وسلم فهو رسول الله الذى موت الامة باسرها اخف من موته. فانه لولاه ما كانت الامة فلو ذهبت الامة كلها وبقي هو صلى الله تعالى عليه وسلم لكان من القريب جدا ان تهتدى به امة اخرى، تحمل محل التى ذهبت وربما كانت اجل واعظم، لكن لو انتقل هو الى الرفيق الاعلى لا ينتظر ان يحل محله رسول آخر. لذلك كانوا رضى الله

تعالى عنهم في ميادين القتال لا يفكرون في انفسهم ماتوا ام بقوا. ولكنهم في وجل لا يمانئله وجل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رسول الله.

و اسمع مثلاً من ذلك، لما كان يوم احد حاص اهل المدينة حيصه. وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصواريخ فخرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بابيها وابنها وزوجها و اخيها. فقالوا: هذا ابوك، اخوك، زوجك، انبك، تقول: ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ يقولون: امامك، حتى وقفت عليه، فاخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بابي انت وامى يا رسول الله! لا أبالي، اذا سلمت من عطب. رواه الطبراني في (الاوسط). هذه امرأة. فما بال الرجال وما بال عظماء الرجال؟ وكلهم رضى الله تعالى عنهم عظماء. ومن راجع حالهم رضى الله تعالى عنهم يوم انتقل صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اعد له من خير لا يعلم قدره الاربع. عرف ما نقول من حبهم له الحب الذى ما سمع الوجود مثله فلقد ملك الدهول بعضهم الى حد ان اخرس السنتهم وبعضهم وصلت به الصدمة الى درجة ان خارت قواه فهوى الى الارض، لا يستطيع الحركة. وبعضهم استولى عليه الحزن لدرجة ان اذهب عقله و افقده رشده و كان ذلك منهم وهم الكماة الابطال، فخر الدنيا في شجاعتهم و جلدتهم و قوم، هذا وصفهم، انت تقدر مبلغ الحادث الذى يصل بهم في الهزيمة الى الحد الذى نذكر لك. و ما كثير- والله- ذلك منهم لفقد بركة الوجود و شمس الهداية و ينبوع سعادة الدنيا و الآخرة. اللهم صلى وسلم و بارك عليه عدد و كيفما صلى وسلم و بورك و يصلى و يسلم و يبارك عليه. نعم، كان صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقول و فوق ما نقول في العظمة التى لاتدانيها عظمة مخلوق بل ولا يتصور مبلغها عند ربها احد و من اجل هذا كان امته اجل الامم كماً و كيفاً. اما في الكم فحسبك انها وحدها الثلثان من اهل الجنة و جميع الامم ثلث واحد. و اما في الكيف فهى خيرامة اخرجت للناس، اخبر بالاول نبيها، و اخبر بالثانى ربها و بهذا تتناسب عظمة الامة مع عظمة رسولها صلى الله تعالى عليه وسلم.

و مما تشفر منه الطباع و تكذبه البديهة و يلغنه الانصاف لعنا اعتقاد ان كل هذه الامة حتى علمائها و قادتها مشركة، لا تستحق الا محوها من الوجود مع ان رسولها بالقدر الذى عرفت و تقديره لها ماروينا لك. و حكم خالقها و بارئها عليها ما سمعت فانا اذا

ماشينا ذلك الرأي و قلنا: ليس في الامة مؤمن بحق الا شذمة ظهرت في آخر الزمان، ليست هناك في علم ولا في عمل نكون قد وقفنا في وجه كلام ربنا و كلام رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم و دفعنا في صدورهما دفعا، و شهدنا على انفسنا بنقيض ما شهد لنا به ربنا و نبيه، ولا اظن ان الدنيا تحمل عاقلا يرضى هذا و يتقبله.

اننى احب ان يعرف القارئ هذا المقام حق المعرفة فانه في حاجة شديدة اليه في كل زمان وخصوصاً في هذا الزمان الذى ابتلى بكثير من الناس، يخفون من قدره صلى الله تعالى عليه وسلم و يزعمون ان ذلك هو التوحيد و والله ما ذلك توحيداً ولا يقرب من التوحيد، و انه ليفضب التوحيد و اهل التوحيد و يغضب قبل الكل رب التوحيد، و اننى لفى عجب عجاب من رجل يستغرب اكراما نسب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او نسب الى واحد من اخوانه الانبياء صلى الله تعالى عليهم وسلم فان استغرابه هذا، اما ان يرجع لقدرته تعالى على ما يستغرب، و اما الى استحقاقهم الشيء الذى يستغربه و اما الى حصول ذلك الشيء و وقوعه في الخارج بالفعل فان اختار الاول فقد برهن على انه لا يعرف الله ولا مبلغ قدرته فانه لو عرف ذلك، ما استبعد عليه شيئا اراده. ولو ازالة كل هذا الوجود في لمحة،

و ان اختار الثانى فقد اقام الدليل واضحاً على انه لا يعرف من هم الانبياء.

ولو عرف: انهم الطبقة العليا من حزه تعالى و صفوة الصفوة من احبائه، ما استعظم عليهم كرامة يكرمهم بها ربهم ليعلم المستغرب ان هؤلاء الانبياء هم الذين نسوا انفسهم و فنيت ارادتهم في ارادة مولاهم تعالى.

و لذلك ما كانت ترعجهم المزعجات ولا تنههم المؤلمات عن القيام بما كلفوا به منه تعالى بل كانوا مهما عصفت حولهم عواصف البلايا و المحن، لا تراهم الا كالجبال الرواسى التى تهزأ بكل قاططة، او هى لا تشعر بما يجرى حولها من روابيع. و لو لم يكونوا كما نقول، ما استطاعوا ان يقفوا يوماً واحداً في مهب عواصف الاهواء المتباينة ولا امكثهم ان يتحملوا يوماً واحداً ما يصيبهم من الاذى انواع الذى يصوب اليهم من صوب سفهاء الغنم وهو كثير ثم كثير و اذ قد رأينا احدهم يمكث بين قومه الف سنة الا خمسين عاماً

يوالى الدعوة الى توحيد ربه غير ملتفت لما يناله ممن يدعوهم وهو مع تواليه كثير واليم. دل ذلك قطعاً على انهم لا ارادة لهم مع ارادة مولا لهم. وقوم، هذا قدرهم، ليس من العقل ولا من الانصاف ان يستعظم عليهم منحة يمنحوها مهما عظمت.

وان اختار الثالث، كان كمن يسلم المقدمات ولا يسلم النتيجة فانه اذا سلم ان الله تعالى قادر على تلك المنح وسلم انهم يستحقونها كان لا وجه له في وقوفه امام وقوعها ولو كان لادين له الا اذا كان لا يعتقد في ربنا تعالى الحكمة التى تعطى لكل ذى حق ما يستحقه، اما من يعتقد انه حكيم فلا يمكن ابدا ان يتردد في وقوع هاتيك الكرامات. اما من يعتقد فوق حكمته انه كريم شكور يكافى على القليل بالكثير فهذا لا يستبعد شيئا مهما جل على كرمه تعالى وشكره. وكيف يستبعد عليه شيئا وهو الغنى الذى لو سأله اهل السموات والارض كل ما خطر على باله من مطالب مهما بالغ فيها لاعطى الجميع ما يسألون دون ان ينقص من خزائنه شئ. المختار الذى لا يجبر على عطاء ولا يرغم على منع والقدير الذى اذا اراد اعطاء اى شئ، كان من المحال، ان يقهره قاهر على منعه. هذا نقوله لمن يعرفه تعالى ولكنه لا يؤمن بالاديان.

اما ذوو الدين الذين يؤمنون بكتب الله تعالى واخبار الانبياء فان هذا الاستغراب لا يخطر على بالهم لان تلك المنح نطقت بها الكتب الالهية ونطق بها الانبياء ونقل ذلك عنهم نقلا لاشك فيه فلم يبق بعد ذلك كله الا التصديق الخالص الذى لا يشوبه ادنى ريب. ومن ارتاب في حصولها من المؤمنين، كان عده منهم ظلما على المؤمنين.

و خلاصة القول: ان المؤمنين قديما وحديثا اينما كانوا ومتى وجدوا لا يتردد واحد منهم في ان للانبياء عند ربهم جاها عظيما له آثاره الجليلة في حياتهم الدنيوية وبعد انتقامهم، الى الرفيق الاعلى بل ولا يتردد واحد منهم في ان لا تباعهم اهل الاستقامة جاها عنده تعالى، له اثاره في حياتهم وبعد مماتهم. دل على ذلك كتاب ربنا وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فالمرتاب فيه واقف في وجه كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

وانى لا اكذب القارئ الحديث. انا اشتتم من تردد، من تردد، في ذلك رائحة

الاستخفاف بخالق السموات والارض فان العقول متفقة على ان الآثار تدل على من صدرت عنه حقارة وعظما فان حقرت حقر من صدرت عنه و ان عظمت كان عظيماً. ومن ثم ترى الصوفية يقولون: عنوان الرجل اصحابه. يعنون انهم ان صلحوا كان صالحا و على قدر صلاحهم يكون صلاحه و العكس بالعكس و ترى العلماء المشتغلين بتعليم العلم، يستدلون بنجابة الطلبة و بلادتهم على نبوغ المعلمين و ضعفهم. و ترى تفاوتاً هائلا جدا في اجلال الناس لارباب الصنائع فان اثر كل صانع دال على قدر احسانه و براعته في صنعته و على قدر هذا الاحسان و تلك البراعة يحل الناس الصانع و يدعونه الى اعمالهم.

و اذا كان الامر هكذا، فاني اقول: ان اجل خلق الله تعالى على الاطلاق هذا النوع الانساني فاذا لم يكن في هذا النوع عظيم ذو مكانة رفيعة وجاه كريم و كانوا كلهم لاقيمة لهم. ولا يستحقون اجلالا ولا تعظيما، دل ذلك من غير شك على ان الخالق ليس بعظيم. تنزه ربنا و تقدس و كيف يكون عظيما من اعظم آثاره لاقيمة له ولا يستحق اجلالا ولا تعظيما وهو كما ترى شناعة و كفرأ.

اذن نستطيع ان نستنتج من هذا ان الاستخفاف بمن صرح ربنا انه انعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، استخفاف به عز و جل فانه تعالى اخبر في كتابه انه انعم على هؤلاء دون سواهم و في ذلك السوى من انعم عليه بالدنيا باسرها كان يملك كل سهولها و جبالها و مجارها و رجالها و نساؤها و حيواناتها و بلادها و ذهبها و فضتها و مع ذلك لم يعدم مثله ممن انعم عليهم و ذلك يدل بلا نزاع ان انعامه على الواحد ممن انعم عليهم فوق انعامه بالدنيا باسرها بل يمكنك ان تقول: ركعتان يركعهما الواحد ممن انعم الله عليهم خير من الدنيا و ما فيها فانظرا انت. الباقي كيف يكون قدره وهو لا يعلمه الا هو تعالى.

و اذا كان انعامه تعالى على احدهم بهذا العظم فالاستخفاف بهم استخفاف بمن انعم عليهم والاستخفاف بنعمه التي منحها لهم و هذا كفر لا يختلف فيه مسلم ولو لم يكن المستخف بهم، هذه حاله، لكان له شأن آخر مع اولئك النعم عليهم فكان يقول ان هؤلاء مواضع هبات ربنا و هداياه. و الهدايا على مقدار مهديها. و ربنا تعالى لانهاية

لفضله واحسانه و كرمه وغناه فاذن هباته وانواع فضله على من انعم عليهم لا يعلم مبلغها سواه. اذن هؤلاء المنعم عليهم من العظم بالدرجة التى لا تعرف لامثال وانما يعلمها مانحها فقط وبهذا ينظر اليهم بعين، كلها اجلال وتوقير واحترام. ومع ذلك يجزم كل الجزم انه مارعى حرمتهم حق الرعاية لان الكريم الفنى اختارهم من كافة الخلق واصطفاهم وجعلهم خاصته واغدى عليهم من انواع فضله واحسانه ما هو له اهل وعظمهم هو واجلهم اجلالا وصل الى درجة، انه اعتبر اكرامهم اكراماً له واهانتهم اهانة له وطاعتهم طاعة له ومعصيتهم معصية له وفي حكمه العادل، العاذل يكفر ويستحق النار الابدية، يعانى فيها اشد العذاب. من اهان رسولا له واحدا بكلمة واحدة، مرة واحدة في حياته كلها فلم يتب منها. وصمم على انه يستحقها ومات على ذلك بل ليقبل لى هذا المتردد فى جاه وعظيمة احباب ربنا عنده: ماذا يفعل اذا كان بيده من المنافع الدنيوية شئ ممكنه منه ربه وله احباب اعزاء، اجلاء، لا اظن انه يتردد فى بذل ما يستطيعه من ذلك لهم، ان كان فيه من كرم الطباع شئ وذلك معدود بين الناس على اختلاف مشاربهم من مكارم الاخلاق.

بيت:

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا * من كان يالفهم فى الوطن الحشن

ومن النقائص المتفق على قبحها، ان يكون الانسان من السعة وبسطة العيش كما ذكرنا ثم يبخل على ذوى قرباه واحبابه فيكون هو غارقا فى اصناف النعم وهم بين سمعه وبصره يتصورون جوعاً. ان الناس يعدون من ذلك حالة فاقد المروءة لثيما شحيحا، لاخير فيه وليل ذلك لا يرضى به احد لنفسه و اذا كنا لانرضاه لانفسنا على نقصنا وفقرنا و شحنا الطبيعى فكيف نرشاه لمولانا الفنى الذى كل غنى من اثر غناه الكريم الذى كل كرم من فيض كرمه الذى كل العوالم حتى الكافرون به بما فيهم المنكرون لوجوده يتقبلون فى بحسوة كرمه ويرتعون فى موائد نداه ويستظلون بظله الدائم الوارف الامن شاء له غير ذلك ممن لا يستحق من عباده فى آخرته. أفيكون بهذا الفنى وهذا الكرم وهذا الجود وبهذه القدرة الباهرة واذا قيل لنا انه اكرم بعض احبابه بكذا من المنح الجليلة التى ليس بمعتاد

ان يراها غيرهم يقع ذلك موقع الانكار من انفسنا ونحاول بكل ما نستطيع من قوة ان ندفع ذلك القيل ليخبرنى ذلك المنكر اذا لم يكرم هذا القادر الكريم فمن يكرم؟ واذا لم يكن جزيلا كرمه فكرم من يكون جزيلا؟

شئ من آثار وجاهة الأولياء عند ربنا عز وجلّ

امتلت الدنيا اليوم بمنكرى كرامات الاولياء. بل و بمن يهزأون بمن يعتقد كرامات الاولياء و يعدون هذا المعتقد من بقايا القرون الوسطى و يرون انا لانزال فى تأخر فى ديننا و دنيانا مادام الوجود يحمل هذا الطراز من الناس. الأمر هكذا: ولوانك التفت لفئة بسيطة لوجدت اقواما آخرين عندهم الايمان بكرامات الاولياء من اوليات ما ينظرون عليه من العقائد، لايتوهمون ان الدنيا فيها انسان واحد يتردد فى وقوع تلك الكرامات و كثرتها، الكثرة التى صيرتها من الامور المألوفة بين صالحى عباد الله تعالى لانهم يشاهدونها كل يوم ممن يصحبونهم من الاخيار و من يستطيع ان ينكر شيئا يراه كل يوم بعينه.

اما اولئك المنكرون فقد برهنوا بانكارهم هذا على امرين:

الامر الاول: انهم لم يروا ذلك من انفسهم ولا ممن يحبونهم و يصحبونهم من الناس. فقاسوا كل الناس على انفسهم كفاقد حاسة البصر ينكر على كل من يدعى انه يشاهد نورا لانه لايشاهد نورا.

والامر الثانى: انهم لم يطلعوا على كتاب ربنا و سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم و لو اطلعوا عليها لرأوا كثيرا ثم كثيرا من الكرامات، يحكى ربنا انه اكرم بها احبابه و انى لا ارى بأسا من ذكر بعض ذلك هنا.

فاقول حسب القارئ برهاننا على اثر وجاهة الاولياء عنده تعالى قصة (اهل الكهف)

التي قصها علينا القرآن الكريم. فان تلك القصة تضمنت: ان اولئك الفتية ناموا ثلاثمائة عام وتسعة اعوام دون ان يتناولوا فيها طعاما ولا شرابا وهى مدة لم تجرب العادة بان ينامها او ينام القريب من القريب منها احد. كما ان العادة لم تجرب بان يصبر عن الطعام و الشراب احد فى مثلها او فيما يدانى ما يدانيها.

و تضمنت انه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين و ذات الشمال بدون اى سبب ليكون نومهم معتادا لا تتالم منه جنوبهم كل تلك الرقدة الطويلة وهى عناية افخم مما لو تركهم على جنب واحد و سلب عنه الألم.

و تضمنت [القصة] انه تعالى اناهم تحمل الناظر اليهم بحسبهم ايقاظاً وهم رقود. و ذلك من اسباب بعد السوء و اهله عنهم فان اليقظ دائما مهيب بخلاف النائم الذى يستطيع ان يكيد له اضعف الناس و هو لا يشعر.

و تضمنت انه تعالى القى عليهم من الهيبة ما يكفى لان يملأ من يطلع عليهم رعبا و يحمله على ان يولى منهم فرارا. و هو مبالغة فى المحافظة عليهم من ارباب الشر من الناس.

و تضمنت انه تعالى جعل الشمس اذا طلعت و غربت لا تصيب المكان الذى هم به حفظا لهم من الشمس و من حرارتها ان تؤذيهم. منعها تعالى من اصابة الفجوة التى هم بها من الكهف مع انه لاحاجب يحجبها من تلك الفجوة الا غحض القدرة الالهية و لذلك قال تعالى فى هذه المنحة (... ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْآتِيَةِ. الاعراف: ٢٦).

نعم، انها من ايات الله الكبرى الدالة على ان قدرته تعالى لا تقف عند حد. نعم. كان قادرا ربنا ان يحميهم من حرارتها مع تسلطها عليهم او يسلبها الحرارة بالنسبة لهم و لكن ما فعله تعالى اضعف و افخم. و لما ذا فعل ربنا تلك الخوارق الباهرة من اجل تلك الفتية؟ لاجواب على ذلك الا ان وجاهتهم عنده و مكانتهم السامية التى يعلمها هو هى التى بها فعل بهم ما فعل مما ابنا ان قصتهم العجيبة تضمنته.

و مما يدل دلالة قاطعة على جاه اولياء ربنا عنده ما فعله مع السيدة الجليلة الكاملة سيدتنا مريم بنت عمران رضى الله تعالى عنها فانه تعالى قال عنها فى كتابه

(...) كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * آل عمران: ٣٧) فان سيدنا
زكريا لا يقول لها انى لك هذا؟ وهوى ان ما عندها من الرزق وصل اليها من طريق
معتاد وهى لا تقول له فى الجواب هو من عند الله وهو من المعتاد من الارزاق فلم يبق
الا انه كان يجيئها من طريق غير مألوف وذلك هو الكرامة ونداء الملكة لها غير مألوف. وكلامه
رؤيتها سيدنا جبريل ليست بمألوفة. وحملها سيدنا عيسى بلامس بشر غير مألوف. وكلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم وهوى المهد من اجل براءتها ليس بمألوف. وكله حكاه القرآن
فلاشك فيه وهل يكرمها ربها بكل تلك الكرامات العظيمة الا لما لها عنده تعالى من
الوجاهة والمنزلة السامية. ان ذلك من البديهيات التى لا تحتاج فى ادراكها الى طول تفكير.
وفى القرآن كثير غير هذا.

واما ما جاء فى السنة فشيء تصعب الاحاطة به ولا بأس من ذكر شيء منه. فقد
روى البخارى رضى الله تعالى عنه ان سيدنا حبيباً رضى الله تعالى عنه كان ياكل الفاكهة
فى غير اوانها وهواسير.

وان قريشا ارادوا ان ياخذوا قطعة من جسم سيدنا عاصم رضى الله تعالى عنه
بعد ان قتل فلم يستطيعوا، وحال بينهم وبين ذلك ظلة من الزناير.

وان رجلين خرجا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة مظلمة
فاضاء لهما عصا احدهما فلما افترقا اضاءت للآخر عصاه.

وان سيدنا عبد الله والد سيدنا جابر ما زالت تظله الملكة بعد قتله يوم احد حتى
رفعوه.

وان سيدنا سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه كان اذا دعا استجاب الله
دعاه بعين ما يطلب واتفق مسلم فى هذا مع البخارى، كما اتفقا على رواية ان عابدا ممن
قبلنا يسمى جريجاً رضى الله تعالى عنه اتهمته بنى انه ابو والدها الذى ولدته من سفاح
فصل و دعا ونخس الغلام قائلا له: يا غلام من ابوك؟ فانطق الله هذا الوليد الجديد الولادة.

فاخبر بوالده الحقيقي وبرأ هذا العابد الجليل.

وروى (البيهقي) و(الحاكم) و(ابن سعد) عن سيدنا عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه: انه كان يقول قبل يوم احد، اللهم انى اقسم عليك ان القى العدو غدا فيقتلونى ثم يبقروا بطنى و يجدعوا انفى واذنى و تسالنى بم ذلك؟ فاقول فيك، فقتل رضى الله تعالى عنه و فعل العدو به ما طلب.

و غلب المسلمين اعداءهم فى غزوة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبوا الى البراء بن مالك شقيق سيدنا انس بن مالك خادم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، و قالوا: يا براء! اقسم على ربك فقال يا رب! اقسم عليك لما منحتنا اكتافهم والحقنتى بنبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكان ما اقسم رضى الله تعالى عنه و انما طلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم منه ان يقسم على ربه، لانهم سمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فيه (كم من اشعث اغرذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابرّه، منهم البراء بن مالك) رواه الترمذى والضياء^(١) فى (المختارة).

و كهذا الذى حصل من سيدنا البراء ما حصل من سيدنا عمرو بن الجموح رضى الله تعالى عنه لما سمع له اولاده ان يخرج الجهاد فى غزوة احد بعد ان شكا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منعهم له من ذلك و كان اعرج ممن عذرهم الله تعالى ان تاخروا عن الغزو و كان مما قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: والله انى اريد ان أظأ بعرجتى هذه الجنة فلما خرج بسلاحه مع المجاهدين استقبل القبلة وقال: اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائباً الى اهلى فرزقها رضى الله تعالى عنه ولم يرده ربه خائباً و حينئذ قال عليه الصلوة و السلام (والذى نفسى بيده ان منكم من لو اقسم على الله لابرّه منهم عمرو بن الجموح و لقد رأيت به بظاً فى الجنة بعرجته) رواه ابن عبد البر فى (الاستيعاب).

و قال صلى الله تعالى عليه وسلم مثل هذا الحديث دون لفظ منهم فلان فى سيدنا انس بن النضر عم سيدنا انس بن مالك رضى الله تعالى عنه، لما كسرت اخته الربيع سن جارية من الانصار و طلبوا القصاص منها و حكم به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) ضياء الدين محمد المقدسي الحنبلي توفى سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

فكان مع ذلك يقسم ان سنّها لا تكسر ثم قبل اهلها الارش ولم تكسر سن الربيع كما كان يقسم سيدنا انس بن النضر رضى الله تعالى عنه رواه البخارى.

وقال: مثله في سيدنا اويس القرنى^(١) رحمه الله تعالى. رواه مسلم.

و شرب سيدنا خالد رضى الله تعالى عنه السم يبرهن لقوم كافرين ان دين الاسلام حق فلم يضره. رواه البيهقى وابونعيم وابويعل و دعا رضى الله عنه ان يكون الخلل عسلا فكان كما دعا رضى الله تعالى عنه. رواه ابن ابى الدنيا.

و غسّلت الملائكة سيدنا حنظلة رضى الله تعالى عنه لما قتل في سبيل الله. رواه البيهقى وابونعيم وابن سعد و كان سمع خروج المؤمنين للجهاد فلم يسمح لنفسه ان يتاخر عنهم حتى يقتل و كان جنبا.

و رروا ايضاً ان شهداء احد لما نقلوا من مكانهم الذى دفنوا فيه وجدت ابدانهم رطابا لدرجة ان اطرافهم كانت تتنى كما كانوا احياء. و اصاب المسحاة رجل سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه فانبعث دما و كان ذلك بعد ست و اربعين سنة من موته و قوله (فانبعث دما) يفيد انهم احياء باجسادهم حياة تشبه حياة الدنيا. ولولا ذلك ماسال الدم من رجل سيدنا حمزة باصابة المسحاة لما فان الميت لانزاع في انه لادم له.

و لقد روت لنا جريدة الاهرام جملة حوادث لعباد صالحين ماتوا من مئات السنين: انهم وجدوا لا تغير بابدانهم عن حياتهم الدنيوية وقت ما كانوا ينقلونهم من مدافنهم الى مدافن اخرى لمناسبة فتح شوارع جديدة بالقاهرة من عهد ليس ببعيد. وحدثنا نحن بحوادث كهذه ممن لانشك في صدقه فلنقل اذن جميعاً لا ينكر بعد اليوم منكر كما قال سيدنا ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه حينما رأى شهداء احد و رأى ذاك الدم الذى ينبعث ممن مات من ست و اربعين سنة.

و قال سيدنا الزبير رضى الله تعالى عنه لابنه عبدالله وقد اخبره انه ميت لاعمالة ظلما في وقعة الجمل ان عجزت عن شئ منه اى دينه فاستعن بمولاى قال عبدالله: فوالله ما دريت ما يقول حتى قلت: يا ايت من مولاك. فقال: الله فوالله ما وقعت في كربة من دينه الا

(١) اويس القرنى اليمنى استشهد سنة ٣٧ هـ. [٦٥٧ م.]

قلت: يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه. رواه البخارى.

و روى ايضا هو و مسلم و الترمذى: انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) لسمع المنكر ثم لسمع.

وانى اقول: لو لم يرد فى كرامات الاولياء الا هذا الحديث لكان كافياً و فوق الكفاية و انى ارجو حضرة القارئ الكريم ان يقف هنا طويلا و يتأمل فى مبلغ عظم هذه الكرامة التى تحار الافكار عند سماعها فى تقدير جاه سيدنا سعد هذا عند ربه عز و جل.

و روى الشيخان (البخارى و مسلم و الترمذى) انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (سيأتى على الناس زمان فيغزو فثام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون: نعم، فيفتح لهم ثم ياتى على الناس زمان فيغزو فثام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم ثم ياتى على الناس زمان فيغزو فثام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب من صاحب اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون: نعم، فيفتح لهم ثم يكون بعث الرابع فيقال، فيقال: انظروا هل ترون فيكم احدا رأى من رأى احدا رأى اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيوجد فيفتح لهم.) هذا الحديث مما اتفق عليه البخارى و مسلم و هذا الطراز بين صحاح الاحاديث اعلاها و ارقاها و هو يثبت ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا من الوجاهة عند ربهم عز و جل إلى درجة ان الله تعالى يكرم بالفتح و النصر على الاعداء جيشاً، لا اقول منهم رضى الله تعالى عنهم و لا من طبقة رأتهم ولا من طبقة رأت من رأتهم، بل يكفى لنصر الجيش ان يكون فيه واحد فقط رأى واحدا فقط و هذا الواحد الثانى رأى واحدا رأى اولئك الاصحاب رضى الله تعالى عنهم.

و هذا نوع من الوجاهة يجعل من لم يؤمن بالكرامات يؤمن بها رغم انفه، كيف لا و هو يرى رب العالمين يأبى خذلان جيش فيه واحد فى الطبقة الرابعة من اولئك الفر الميامين رضى الله تعالى عنهم و احب ان لا ينسى القارئ: انهم رضى الله تعالى عنهم لم يبلغوا هذه الدرجة الباهرة الا لسرّ هو انهم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. هذا هو الاكسير الذى كان ينقلب به الرجل من بدوى جلف الى عالم ينطق بالحكمة

و من شيطان رجيم الى ملك كريم و من ظلمة خالكة الى نور يتوهج توهجا تضيء به الدنيا من مشرقها الى مغربها.

يا رب! صل وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم و افض علينا من بركاته ما يلحقنا بالصالحين من عبادك.

نعم، كانت صحبتته صلى الله تعالى عليه وسلم تأخذ بيد من في الخفيض فترفعه الى ارقى درجة، لا تتصور رفعة البشر اليها و من شك في هذا فليسمع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يحب الانصار الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن احبهم احبه الله و من ابغضهم ابغضه الله) رواه البخارى و مسلم و الترمذى. هذا جاء عريض و منزلة يعرفها الناس للرسول عليهم السلام، اما رجل من افراد الناس ليس بنبي ولا برسول ثم يكون حبه ايمانا و بغضه يكون كفرا. يحب الله من يحبه و يبغض من يبغضه. هذا شيء لولا ان نقرأه في حديث نبوى في اعلى طبقة من الصحة لكان عجباً و غريباً وقعه في نفوسنا، و مع ذلك من دقق النظر ظهر له ان هذا المعنى الذى يخبرنا به صلى الله تعالى عليه وسلم عن الانصار معنى مألوف معروف ذلك. انك ترى الرجل يعامله الناس بما يعاملون به صاحبه فان كان صاحبه محترما عندهم احترامه و الا اهانوه، و بهذا عامل ربنا عز و جل اصحاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو عنده صفوة الرسل فاختر له عز و جل صفوة الامم لان التناسب فى الصحبة لا بد منه و ربنا هو الحكيم و هو العليم فقير منصور فى حكمته ان ياتى باناس ليسوا بذلك ثم يجعلهم اصحاب اجل خلقه. فان النفرة بينهما تكون مستحكمة لعدم التناسب و بعد المشارب، فاستفد هذا ايها القارى! ولا يقع منك موقعا غريباً ان يكون حب اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم ايمانا و بغضهم كفراً، خصوصاً اذا كان السبب الباعث على الحب او البغض عنوان هذه الصحبة فان الحب و البغض يكونان منصبين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يختلف احد ان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم ايمان و بغضه كفر.

وانى اكتفى بما سقنا قبلا من الخوارق التى بها اكرم الله بعض عباده المخلصين و ابان بها ما لهم عنده من جاه و منزلة رفيعة و ليس ما سبق لنا ذكره بالنسبة لما لم نذكر شيئا يذكر فان الوارد فى الكتاب و السنة لوجع و جمعه عسير ثم عسير لكان كثيرا. و هذا

الوارد بالنسبة لما لم ينقل وبالنسبة لما اكرم الله به احبابه من ذلك العهد لليوم شيء يسير
ثم يسير ولو جمع هذا وهذا لبلغ عشرات بل ومئات المجلدات فان فضل ربنا على احبابه
بعيد حصره. وكله من اثار ما لهم عنده من وجاهة رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم و
حشرنا في زميرتهم.

و اذا كان للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذلك الجاه الذى بيناه فى الترجمة
التي قبل هذه وللاولياء رضى الله عنهم هذا الجاه وقد بينا كالشمس نهارا ولا غيم. فإى
لوم على من يلوذ بهم ويتحبب اليهم ويسر السرور كله اذا انعم الله تعالى عليه بمحبتهم له
ورضاهم عنه ويفتم الغم كله اذا احسن بشيء من تنوير قلوبهم من جهته.

و اى لوم على من يذهب اليهم وهم احياء او اموات ويناديهم فى شدائده كلها و
يستغيث بهم ان يتوجهوا الى خالقهم بما لهم عنده من جاه ومنزلة ويسألوه بالسنتهم
الطاهرة ان يتفضل عليه بمنحه ما له من حاجات. ان من لا يفعل ذلك وهو يعلم ما لهم من
تلك الوجاهة عند ربهم يكون قد غبن نفسه غبنا لا يعرف مداه وجنى عليها جناية لا
يدرى مبلغ اثرها عنده. وسنتكلم فيما ياتى طويلا بمشيئة الله تعالى. نشرح هذا المعنى
شرحا لا يدع فى قلب العاقل شبهة ولا شبه شبهة فلينتظر وهل يستوى من يتقدم الى ربه
بنفسه وهو ملطخ بقاذورات المعاصي، متدنس بدنس الذنوب بمن يتقدم اليه بين احبابه و
صفوته من عباده يحتفى بهم بيده علم القبول الذى لا ينكس وحجة الفوز التي لا تخدش
(أَنْتَ مَعَ مَنْ أَخْتِيتَ).

لفتة لمنكرى تلك الوجاهة

وانسى التفت الى منكرى هذه الوجاهة ومنكرى اثارها او المخفين من شأنها و
شان اثارها.

فاقول لهم انتم يا اخواني في مقام لو فكرتم فيه لجزعتم على انفسكم جزعا عظيما .
و رأيتم مستقبلكم اسود حالكا لا تدرون ماذا قضى لكم فيه من انواع الاهدانات احب ان
تقولوا الى بانصاف ماذا يفعل احدكم اذا كان من ارباب الوجاهة ومن ذوى المروءة و
الاحساب الكريمة والوجوه الوجيعة وفيه من الدم العربي قطرات تجرى وجاء من
يستغيث به ويحتذى بحماه ويلوذ باركان بيته هربا من ظلم الظالمين وعسف الجائرين و
اعتداء اهل السفاهة المعتدين ماذا يكون منك ايها الاخ اذا ترامى هذا في احضانك ولم ير
له ملجأ ولا مفر الا اليك وواجهك بقوله انا في وجهك عائد بجاهك ممن يناوئني ويريد
البطش بي وانا مسكين ضعيف لا ناصر لي لا اظنك وقد دبت في رأسك حمية العرب و
هاجت فيه عاطفة الكرام الا قائلا اني اقف دونه بنفسي وبرجالى وبمالي احوال بينه وبين
اي اذى حتى الشوكة يشاكها من عدوه. انك اذا قلتها وجدت لك اسلافا من العرب
الذين اليهم ينتهى خلق الوفاء في عهدهم فان احدهم كان يسمع الكلمة من المغلوب
يستنصره ويلوذ به وهو في حيه هادئ مطمئن، فليقى رداءه عن كاهله ويقوم ثائرا
كالعاصفة القاصفة ولا يهدأ الا اذا قضى القضاء الاخير على كل ظلم يحيط بمن استغاث
به او يقضى هو و كل من يتصل به وكم شبت حروب وكم ذهبت ارواح في هذا السبيل
نحن لا نبعد و نرجع بك الى العرب الذين بعد عهدهم ونسيت او كادت تنسى اثارهم.

بل نقول لك نحن اليوم نرى الرجل في غاية الذل والضعفة فاذا انتسب الى دولة
من الدول القوية واحتذى بها تبدل بهذه الحماية ذله عزا وانقلبت ضعته رفعة واصبح
يتقلب في انحاء الارض يرفرف على رأسه علم تلك الحماية لا يخشى اعتداء من احد بل
يخشى اعتداءه الاقوياء يمر على من كان يحتقره ويؤذيه بالامس فينكمش امامه لا يبدى و

لا يُعِيد وكم رأينا دولا قامت وقعدت وقام بها من الغضب ما فعلت معه الافاعيل من اجل اعتداء وقع على فرد ممن ينتمون اليها ويحتمون بحمايتها لانها نفهم ان هذا الاعتداء وقع عليها هي لان المعتدى لو كان يعرف قدرها ويحسب الحساب لعواقب غضبها ما كان يجبرؤ على احد تابعيها بالاعتداء عليه. واذا كان هذا لا يزال بين يديك تراه وتسمع به من وقت لآخر مع ان الخلق على ما تعلم من ضعف وذل ولؤم طبع أفترى ربك القاهر القادر الكريم اقل غيرة على احبابه وخواصه من الخلق فيتركهم يفعل بهم اللثام ما يفعلون من انواع الاهانة ولا يعضب لهم ويحميهم من اعدائهم. انك ان فهمت هذا فقد ودعت عقلك ورايت رشدك واقمت البرهان ابلغ واضحا على انك لا تعرف ربك كما ينبغي ان يعرف.

يجب ان تعلم ايها الاديب المذهب ان غيرة ربنا على احبابه وحايته لهم من الخلق فوق ما يقع في خيالك واسمى مما يتصوره فكرك الم تسمع ان حمايته هم وغيرته عليهم جعلته يبيد أئماً بأسرها ولا سبب لهذه الابادة الا غضبهم ولو كنت تحفظ القرآن او تنظر فيه لما احتجت الى تنبيهي هذا.

الم يهلك ربنا قوم سيدنا نوح بالطوفان غيرة وانتصارا لسيدنا نوح عليه السلام؟

الم يهلك بالريح الصرصر العاتبة قوم سيدنا هود انتصارا وغيرة وحماية لسيدنا هود عليه السلام؟

الم يهلك بالصيحة قوم سيدنا صالح غيرة وانتصاراً وحماية لسيدنا صالح عليه السلام؟

الم يهلك قوم سيدنا لوط بالخسف والرجم بالحجارة غيرة وانتصاراً لسيدنا لوط عليه السلام؟

الم يهلك قوم سيدنا شعيب بعضهم بالصيحة وبعضهم بالظلة غيرة وانتصاراً لسيدنا شعيب عليه السلام؟

الم يهلك بالاغراق في البحر قوم سيدنا موسى وسيدنا هرون عليهما السلام غير
عليهما وانتصاراً لهما؟

الم يهلك بالصيحة قوم صاحب ياسين لما نصحهم ان يتبعوا المرسلين فلم يسمعو
نصيحته و كذبوا الرسل الثلاثة عليهم السلام؟

الم يمزق سباً كل ممزق وجعلهم احاديث للناس لما عرضوا عن رسلهم ولم
يتبعوهم؟ و ليس هذا فقط تلك عاداته مع كل امة جاءها رسولها و كذبت كما يقول عز و
جل (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَنبَغْنَا بِفَعْضِهِمْ بَعْضًا وَ
جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ المؤمنون : ٤٤)

و لقد روينا لك فيما سبق و ليس العهد ببعيد قوله تعالى في الحديث القدسي (من
عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب) ان هذا التهديد بالحرب من الله تعالى لمن يعادى له ولياً
بلغ المنتهى فى التهويل و انما ابرزه ربنا بهذه الصورة التى تنخلع لها القلوب هلعا و فرعا
ليعرف الناس لعباده المتقين حقهم و يقفوا امامهم موقف الادب الكامل و الاحترام الذى
كله اخلاص و توقير كافين الكف كله عن اى اشارة تقع منهم موقع الغيظ و الالم فاهمين
حق الفهم قدر من هم فى حمايته مقدرين حق التقدير ماذا يحل بهم من انواع النكار اذا
بدرت منهم بادرة ضد اولئك الصالحين.

نعم ان حماية ربنا لعباده الصالحين هى الحماية التى يقال لها حماية بمعنى هذه
العبارة و ما حماية الافراد و الدول بنسبة حماية هذا الاله القدير العزيز؟ ان حماية الافراد و
الدول لمن تحميه يجوز جوازا قريبا جدا ان تداس و ان تهتك بداهية سماوية تنزل بالحامى
تتركه اثرا بعد عين او بفرد اقوى من الحامى او دولة اقوى من الحماية. فيغلب هذا الحامى
الاضعف بمن هو اقوى منه و بهذا يصبح من كان بالامس فى حماية اولئك المغلوبين ذليلا
حقيرا يعانى من اصناف الصغار ما يستهين معه الموت. دعك من الخلق و قل لى هل
يستطيع الحامى فرداً و دولة ان يحمى التابع من رب الجميع ان ينزل به من اشكال الذل
مالا قبل له به؟ لا ولا يستطيع ان يحميه من الموت ولا يستطيع ان يحميه من عذاب الله بعد

موته وبعد بعثته فانه لا يستطيع ان يحمى نفسه من ذلك ولكن من يحميه ربنا يحميه في دنياه وفي برزخه وفي آخرته ولا تزال راية هذه الحماية على راسه حتى يدخل دار النعيم المقيم والمذات الابدية.

ومن به ذرة من العقل يسمع القادر المنتقم يعلن اعلانا عاما لا يخص فردا دون آخر يهدد به ويتوعد بالحرب كل من عادى له حبيبا ثم يتقدم الى اى حبيب من اولئك الاحبياب بكلمة لا تناسب؟ نعم ان هذه هى الحماية التى لو فهم قدرها الناس ما رضوا بسواها ولا عملوا للوصول الى غيرها.

ومن هذا الوادى فى التهديد الذى ترتعد له الفرائص وتصفرمه الوجوه قول ربنا عز وجل (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) المؤمن (٥١) وقوله عز وجل (... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) الروم (٤٧) وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) الآية. الحج (٣٨) ومن فى الدنيا يستطيع ان يقف امام عباد يصرح من بيده ملكوت كل شئ الواحد القهار انه يدافع عنهم وينصرهم على اعدائهم نصرا جعله حقا واجبا عليه ان من يقف امامهم وحالهم ما ذكر انما يقف امام من اخذ على نفسه نصرهم والمدافعة عنهم سبحانه وتعالى.

ولاشك ان من وقف هذا الموقف مخذول لاحالة وهالك دون اى تردد وانى احب مع هذا ان يقرأ المستخف باحباب ربنا المنكر وجاهتهم ومنزلتهم السامية عند ربهم قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الآية. النحل (١٢٨) نعم احب ان يقرأها ثم يقرأها فانه يجده عز وجل لا يقول ان الذين اتقوا معى ولو قالها لافادت انهم موضع رعايته وعنايته ونصره فان العادة تفضى ان لا يتساهل عظيم فى شان من فى معيته بل يجعلهم دائما محط نظره وموضع حفظه وكلايته نعم ما قال مولانا ذلك بل الذى قاله مولانا الجليل ان الله مع الذين اتقوا فجعل نفسه فى معية عبيده الاتقياء مبالغة فى عنايته بهم ومحافظة عليهم وما فى هذا التعبير من بأس ابد فانه هو الرب والسيد على كل حال وعبيده هم عبيده وكفى وانما ذلك تنزل منه تبارك وتعالى واکرام لعبيده لا تشرب الاعناق لمزيد عليه مع ما فى هذا التعبير من التنصيص على المعنى الذى يوقع الرعب والرهبة فى قلوب

السامعين المعنى الذى لا يحتمل غير الاهتمام والعناية والانتصار لاولئك المتقين وبهذه المعية الالهية للمصلحين من العباد لم يبق اثر ولا شبه اثر لضعف او فقر او جهل او ذل لاولئك الاحباب وكيف يبقى من ذلك وما اليه من النقائص والعيوب شيء . والقوى الغنى العليم العزيز المتصف بكل كمال معهم يفيض عليهم من آثار كمالاته ما يفيض مما لا يعلم قدره سواء عز وجل ومن يسمع مالك الملك ورب العالمين يخبر أنه مع المتقين ثم يدنو اليهم باى اذى أنه خبل حتى يخفى عليه انه يكون كامس الدابر ان كان منه ذلك؟

و اذا لم يكن لمعادى اولئك الاحباب الا النار تنتظرها يوم القيمة يلقى فيها من العذاب ما لا تحتمله الجبال لكفت رادعا واثرا لهذه المعية وتلك الحرب الالهية فكيف اذا انضم الى ذلك ما يتوالى على ذلك المعادى من النكبات الدنيوية التى تنهال عليه كل يوم من ايام حياته تارة فى نفسه وتارة فى امواله وتارة فى اهله وتارة فى احبابه وناصره مما يكون معه دائما موجع القلب مشوش الفكر مفرق الخاطر وقد لا يفظن للسبب الذى له كل هذه الدواهي انى والله الذى نفسى بيده لا الوم ابدان من يتقدم الى اولئك الاتقياء من العباد فيقبل ايديهم بل ولا الوم من يقبل ارجلهم بل ولا الوم من يتبرك بشياهم التى تشرفت بمس ابدانهم المباركة لا بل ولا الوم من يتبرك بنعالهم التى لها الشرف والفخر بانها مداس اقدامهم الكريمة لا وبل لا الوم من يتبرك بالتراب الذى يطئون عليه بتلك النعال .

ولم يخطئ والله منفعة الدنيوية والاخرية رجل يخوض البحار ويقطع القناد فى ظلمات الليل او فى هجير النهار راكبا نجائب همه تسوقه الاشواق الى حيث يكون اولئك الذين لا ذوا بالله واحتما بحماه واتخذوا بضاعتهم الرابحة طاعته يستيقظون اذا نام الغافلون مستترين بظلام الليالى تشهد عليهم السماوات وكواكبها والارض وآكامها وهادها وهم فى محاريبهم ركع وسجد تتدفق سيول عبراتهم على اودية خدودهم تلتهب نيران المخاوف من ربهم فى مراجل قلوبهم وتراهم يصومون اذا افطر عبيد البطون والفروج يبذلون فى وجوه الخير من الاموال ما ملك قلوب كلاب الدنيا واناسهم ربهم ودينهم ومستقبلهم السرمدى و اذا تفرقت قلوب الناس فى شعاب الاهواء والشهوات كانت قلوبهم وقفا على حب مولاهم عز وجل وحب طاعته وحب احبابه لايزالها

طرفة عين ملاحظة جلاله وعظمته. اشرفت عيون قلوب هؤلاء الناس على ما اعد لهم بما
لم تر عين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر فاستهانوا بزخارف هذه الحياة واحتقروا
لذاتها وغفصوا اعينهم عما لها من جمال مزيف.

وكيف ألوم من يتقرب الى اولئك الناس على تقربه منهم وحبهم وهو انما
يتقرب هذا التقرب منهم لانه يعلم ان معهم من بيده الآخرة والاولى. فهو بهذا التقرب
يتقرب اليه هو تعالى ويتعرض لحيه حيث انه احب احبابه وهو يرى ويعلم منه مبلغ تلك
المحبة وهو تعالى اذا احب كان للمحبوب كل ما يحب في دنياه وآخراه فالذى يحب اولئك
المتقين ويدنو منهم للتبرك بهم انما يفعل ذلك ليسعد في هذه الحياة وفي الحياة الابدية ومن
يلوم من يسعى ليسعد السعادة المطلقة.

من هذا يفهم القارئ ان حب الصالحين والتودد اليهم ينفع المحب لا في دنياه
فقط ولا في آخراه فقط بل ينفعه في الدنيا والآخرة معاً وكيف لا ينفعه ذلك النفع ومع
المحسوب من بيده الآخرة والاولى ويفهم ان ابداء اولئك الإصفياء لا يضر من يؤذيهم في
دنياه فقط ولا في آخراه فقط بل يضره فيهما جميعاً وكيف لا يكون ضرر مؤذيهم بهذه
الدرجة والمنتقم القدير يحاربه؟

اذن ليس اللوم على من يحب اولياء الله تعالى واحبابه بل اللوم كل اللوم على من
يحتقرهم ويستصغرهم ويهون من امرهم وينفر الناس عنهم الى حد انه لو امكنه ان يحول
بينهم وبين الناس بحيث لا تكون بينهم جامعة ابداً لفعل فاهما انه يحمي الناس من
الشرك وعبادة غير الله تعالى وهو يحول بينهم وبين ربهم واحبابه. هذا هو الذى يتوجه
عليه اللوم بل اشد اللوم ويجب على المؤمنين ان يبهوه وينصحوه ويبينوا له انه بفعله هذا في
صفوف من يؤذون اولئك الاولياء باحتقارهم ذلك وتخفيف شأنهم وابقاع النفرة في قلوب
الناس منهم وعدم اصناما تعبد من دون الله عز وجل وهم بهذا يؤذون الناس كذلك
بتسببهم في حرمانهم من التقرب من معهم رب الفضل والجود في الدنيا والآخرة فهم
بابعاد الناس عن اولئك الصالحين ويبعدونهم عن ربهم وفضله واحسانه. ذلك لا نزاع
فيه.

انى لاكتب هذا كله اعالج به طوائف من الخلق موجودين على ظهر الارض اليوم
يدينون بالاستخفاف بصالحى عباد الله ولا يستبعد ان يكون فيهم من يدين بالاستخفاف
سيد الخلق و يعمل بكل جهده فى الحيلة بينه وبين امته .

وانى لاستهل حكى على هؤلاء بذهاب عقولهم عن ان اقول انهم عقلاء ثم مع
عقلهم هذا يستخفون باحباب مالك الملك وهم لا يشكون فى كلام الله الذى يخبرانه تعالى
معهم و ان كانوا يشكون فلا علم لى بشكهم ذلك فانى ان اخترت هذا الشق الثانى كان
ذلك منى حكما عليهم بانهم لا يصدقون كلام الله ولا كلام رسوله وهو حكم فى منتهى
القسوة . لا اجترئ على اصداره على احد من اهل القبلة واما كان هذا الحكم لازما
لاستخفافهم ذلك لانتك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر كما روينا لك قريبا ان
احد هؤلاء الاحباب يبلغ من القرب و الدلال على رب الآلاء الى حد انه (لواقسم عليه
لابره) و الحديث صحيح لاشك فيه . و سبق ان روينا لك امثلة وقعت من هذا القبيل . و
معنى هذا ان المسئلة ليست خيالية ولا فرضية بل هى حقيقة واقعة و امر جدى لا هزل فيه
و هذا مقام لا اظن عاقلا يخالف فى انه من السمو و العظمة و الفخامة بدرجة لا يعلمها حق
العلم الا من منحها سبحانه و تعالى .

و اذا كان الاولياء يصلون من العظم عند خالق هذا الوجود الى هذه الدرجة
فليحكم لى على نفسه من يقف امام هذا التعظيم الالهى يحترق و يستصغر اولئك العظماء
اليس حكمه ذلك على الاقل يكون بانه يعاند ربه و خالقه ربه يعظم عبيده وهو
يحترقهم ؟ و ان شاء ان يخفف الحكم عن نفسه فليعترف بانه لا يدري ما يقول و اذا لم
يصدق هؤلاء المستخفون باحباب ربنا هذا الحديث و طعنوا فيه وهو صحيح فما ذا يقولون
فى القرآن وهو يصرح بان اولئك الاتقياء هم الذين يقول ربنا عز و جل فيهم كما قدمنا
ذلك لك (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْآيَةَ. النحل: ١٢٨) فانه تعالى اذا كان معهم كل خير
لا تفرق فى هذا بين حى و ميت ولا بين نبي و ولى فان كلا موصوف بالتقوى و هى - ار
هذه المعية الشريفة التى هى ينبوع كل احسان فمتى وجدت التقوى وجدت هذه المعية
الخاصة و ينبغى ان يعلم ان هذه المعية تقوى كلما قويت التقوى فمعية الله تعالى للانبياء

اقوى منها للاولياء وهى الافضل من كل اقوى منها المفضل فليعلم.

هل التوسل بالانبياء والاولياء كفر بالله؟

هذا العنوان وان كان يقع غريباً فى نفس القارى الكريم. يقول بموجه اناس موجودون اليوم على ظهر الارض فيصدرون احكامهم بالكفر المبيح للدم والمال وعلى كل من يتوسل بنبي او ولي ان يقضى له ربه حاجته، وانا نقول لهؤلاء الناس رويدا رويدا فان المتوسل بالانبياء والاولياء لا يعتقد ولا يخطر على باله ان الانبياء او الاولياء يقضون له حاجته التى يتوسل بهم الى الله تعالى ان يقضيها له وانما الذى يعتقد ويعمله وينطق به كل متوسل ان قضاء الحوائج بيد رب العالمين لايسال فى قضائها غيره ولا يقضيها سواه وليس المخلوق كائنا من كان ان يقضى حاجة بمعنى يخلقها ويوجدتها مستقلا. هذا ما عليه المسلمون صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانشاهم وايضهم واسودهم، شريقهم وغريبهم. ليس فى عقائدهم ان لغيره تعالى حظاً من الابداد والخلق.

واذن من الاضاحيك ان يقول قائل ان التوسل جائز اذا كان بالاحياء وليس بجائز اذا كان بالاموات فان هذا القول يشم منه رائحة ان الحى لحياته يعمل فيمكن ان يقضى الحاجات وان الميت لموته لايعمل فلا يقضى الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولايعرفه صغير منهم ولا كبير. ونفس التوسل صريح فيما نحكى عن عقائدهم فان المتوسل لايرفع حاجته الا الى ربه ولايطلب قضاءها من غيره وكل ما فى الامر انه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصى ابعده الغفلات عنه تعالى ايماء ابعاد فيفهم من هذا انه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجته وله الحق فى هذا الفهم فان الله تعالى انما يتقبل من المتقين وشؤم المعاصى معروف اثره فى الحرمان من الخيرات لاجل هذا يتقدم المتوسل اليه تعالى باحبابه الذين لايعرفون لأطاعته مبتهلا اليه بجاههم عنده وحرمتهم لديه ان يقضى له حاجة لاجل هؤلاء الاحباب هم الذين عودهم تعالى ان ينعم عليهم. فالمتوسل انما ياراهم وبهم طلب حاجته عسى ان يحظى بالانعام عليه بحاجته وهو بين

هؤلاء المنعم عليهم وهم قوم لا يشقى جليسهم فقط فكيف بمن جعلهم وسيلته الى من عودهم الانعام والاحسان. وهو تلطف في المسئلة جدير صاحبه ان يسعف بحاجته ولا يحرم منها.

و اذا كان هذا هو السر في التوسل فلا اثر اذن فيه لحياة المتوسل بهم او موتهم. فانهم احباب ربنا تعالى على اى حال كانوا و حرمتهم عنده هى حرمتهم و انعامه عليهم انعامه احياء كانوا ام امواتا وهويكرم محبهم كما يهين مبغضهم على اى حال كانوا فلا بعد اذن ان يكرم محبهم المتوسل اليه بهم بقضاء حاجته.

اذا عرفت هذا عرفت انه فى ناحية و قول من يقول ان التوسل لا يجوز الا بالاحياء فى ناحية اخرى لاصلة بينهما ولا قرب.

و تعجب كل العجب اذا سمعت ذلك القائل يؤيد ما يذهب اليه بان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توسلوا فى استسقائهم بسيدنا العباس رضى الله تعالى عنه و لم يتوسلوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدل عملهم هذا على ان التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز لانه انتقل من هذه الدار هكذا يستبدلون على تلك الدعوى.

و نحن نقول لهم. ان هذه الصورة من التوسل لا نخالفكم نحن فى ان المتوسل به فيها يتعين ان يكون حياً لان الناس يخرجون فى الاستسقاء من البلد الى خارجها و هناك يكون المتوسلون و الذى يتوسلون به. فيجب اذن ان يكون المتوسل به حيا معهم حياة دنيوية اما من بارح الدنيا من الانبياء و الاولياء فالبرزخ حكمه عليهم و من احكامه عليهم انهم لا يخرجون منه يمضون مع الناس نهارا جهارا حتى يكون بهم المتوسل خارج البلد هذا هو السر الذى من اجله توسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بسيدنا العباس دون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الصورة صورة الاستسقاء اما فى غير هذه الصورة فيجوز التوسل بالحى و الميت على السواء كما فهمناك.

و الفرق بين الحى و الميت فى غير صورة الاستسقاء فرق مضحك لانعلم احدا من علماء الاسلام لامن المتقدمين ولا من المتأخرين ذهب اليه ولا اشار اليه غير ذلك الرجل الذى فاض اعجاباً بنفسه فهوى الى هوة من الاحتقار و الازدراء لانهاية لها و عامله الله بغير

ما كان يقصد ذلك الرجل الذى خرق الاجماع فى كثير من مسائل وسفر حربا بينه وبين صالحى عباد الله فاعلنه ربّهم بالحرب فكان له فى حياته ما كان من اهانات تتلوها اهانات وماذا ينتظر القارئ من الامانات لرجل عالم فوق ان تتفق كلمة سماء عصره و معهم حكامه على الحكم عليه بايداعه فى ظلمات السجون ولا زال فيها حتى فارق هذه الحياة والله اعلم بما لاقاه فى قبره.

نحن ما قلنا يوما ان المنح التى يمنحها الله عز وجل لصالحى عباده هم الذين يخلقونها ويخترعونها حتى يتوقف فى ذلك من يتوقف ويقول ان ذلك انما يليق بالحقى دون الميت وجعلنا بفرقه هذا نفهم انه يسند الخلق والاختراع الى الحقى دون الميت انما الذى نقوله فى اولئك الصالحين انهم مواضع مباركة يفاض عليها من سماء الفضل الالهى غيوث الرحمات والبركات وانواع الكرامات. وليس بعاقل من يقول ان الحقى اهل لان تفاض عليه تلك البركات. واما الميت فليس باهل لذلك ان المسألة قابلة لان نقول فيها. ان الميت اولى باحسان من الحقى لان الميت احوج الى الاحسان لانقطاع عمله الذى به تزداد درجاته عند الله ولانه اصبح بالموت على بينة تامة من ضعف العبودية ومبلغ حاجتها الى فيض الربوبية. ولا يعلم الحقى ذلك بدرجة علم الميت مع ما يعتري الحقى فى فترات غفلاته من دعاوى طويلة عريضة غدا الميت لا يعرفها لو قلنا هذا لا نكون ابعدنا عن الحق فى هذه المسئلة.

وعلى كل حال يجب ان نعلم ان هذه المنح التى يمنحها ربنا الخاصة خلقه ليس لهم فيها اكثر من ان يتمتعوا بها ويفرحوا فرح شكر بظهورها على ايديهم وربنا تعالى هو الذى يتولى منحه لهم او لغيرهم من اجلهم اما هم فلا دخل لهم فى خلق ذلك لاوهم احياء ولا وهم امواتا فليحفظ هذا ثم ليحفظ.

ومما يدل على طلب التوسل ما رواه احمد وابن خزيمة^[١] فى صحيحه وابونعيم فى عمل اليوم والليلة والبيهقى فى كتاب الدعوات والطبرانى فى كتاب الدعاء وابن السنى وابن ماجه من انه صلى الله تعالى عليه وسلم توسل وعلمنا ان نتوسل بحق السائلين على ربنا اذا نحن خرجنا الى المساجد ولفظ الدعاء (اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك و اسألك بحق ممشاي هذا اليك) الى آخره. فما هو صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسل وهو

رسول الله. بحق السائلين على ربه، يدعو كل مؤمن الى التوسل بهذا الحق الذى جعله ربنا عز وجل للسائلين عليه تفضلا منه واحسانا كما كتب على نفسه الرحمة. وكما جعل على نفسه رزق كل دابة وكما جعل على نفسه اجر من عفا واصلح والسائلون هم الذين عرفوا انه تعالى هو الذى بيده وحده الخير وغير الخير ليس ذلك لغيره فاعرضوا عما سواه و قصروا عليه تعالى سؤلهم عما يحتاجون اليه دق ذلك او جلّ. وهؤلاء السائلون كانوا او يكونون او هم كائنون جعل لهم تعالى حق ان يعطيهم ما يسألون وفوق ما يسألون لمكانتهم السامية عنده تعالى او حق السائلين حرمتهم ومنزلته التى جعلها تعالى لهم وهو معنى لا تخطئ اذا جعلته متعينا.

وانا لا نطيل القول فى هذا الموضوع موضوع التوسل بالاحياء والاموات من الصالحين فان جواز ذلك، بل وطلبه امرين به كل مسلم فى مشارق الارض ومنازلها لان المذاهب الاربعة تميزه ليس بينها خلاف فى ذلك. و الأمة الاسلامية كلها لا تخرج عن هذه المذاهب. ولو كان فى التوسل ادنى ضرر يئود على المتوسل ما اجمع عليه علماء الامة الاسلامية متقدموهم ومتأخروهم وقبلهم رسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولو قال من لا يميز التوسل ان المتوسل يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة فى مسئلته وذلك ضرر.

قلنا له من فى الدنيا يقول ان هذه الواسطة تضر وكيف تضر وهو تعالى الذى امرنا بها فى الدنيا والآخرة.

اما فى الآخرة فحسبك فزع الناس الى الانبياء وتوسيطهم لهم بينهم وبين ربهم فى الشفاعة وسيأتى ذلك فانتظر.

واما فى الدنيا فقد جعل سبحانه وتعالى الانبياء وسطاء بينه وبين خلقه فى هدايتهم. وجعل الاغنياء وسطاء بينه وبين عباده الفقراء يوصلون رزقهم وفضله اليهم وجعل الاطباء وسطاء بينه وبين المرضى يتسببون فى دفع الامراض عنهم واعادة الصحة اليهم وجعل الأطعام وسيطا بينه وبين الحيوانات به يدفعون الجوع عن انفسهم ويجلبون

الشعب. وقل ذلك في الماء وقله في اللباس وقله في النوم وقله في النكاح وقله في مراكب الماء وقله في السعى على الارزاق فانه لولا الماء لمتنا ظمناً. ولولا اللباس لمتنا من البرد والحر. ولولا النوم لمتنا تعباً. ولولا النكاح ما رأينا الاولاد. ولولا المراكب لفرقنا في البحر اذا اقتحمتناه. ولولا السعى ما رأينا الارزاق وهكذا كل هذا الوجود مبني على الوسائط. ولولاها ما فعل لنا ربنا شيئاً من حاجاتنا بحسب عادته التي اجراها في خلقه، بل يوم القيمة لا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل الا بواسطة الأعمال (... فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * الاعراف: ٨) (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * المؤمنون: ١٠٣-١٠٤)

وكل هذا لا ينكره جاهل ولا عالم ولا عاقل ولا احمق. اللهم الا من فقد عقله وجن جنونا وجعل يهدي بما لا يدرى، فمثل هذا لا يقام لكلامه وزن ولا يلتفت اليه فاذا كان من يتخذ شيئاً من هذه الوسائط كافراً كان من يتوسل باحباب الله اليه ويجمعهم وسائط كافراً ولا فرق ابداً.

وان قال المانع ولماذا لا يرفع السائل مسأله الى الله تعالى بلا توسط احد؟

قلنا ليس الكلام في هذا لانه محل اتفاق انما الكلام في ذلك التوسيط ونحن نقول لكم وماذا فيه وقد جعله ربنا سبباً لقضاء حوائج عباده وامره فرجع الحاجة الى الله تعالى سبباً لقضاء الحوائج. والتوسل اليه باحبابه آخر. فالمتقدم الى ربه بعباده ليقضى له حاجته متقدماً اليه بسببين. والذي لا يتوسل متقدماً اليه بسبب واحد. والمتقدم اليه بسببين اولى بفضل له واحسانه ممن يتقدم اليه بسبب واحد. ولهذا المعنى توسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق السائلين على ربه وعلمنا ان نتوسل بذلك كما تقدم. بل روى الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاءه ضرير البصر فقال ادع الله ان يعافيني فقال (ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك) قال فادعه فامرته أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوبهذا الدعاء (اللهم انى اسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربي فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه فى) ولما دعا الرجل كما امره صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب الله له و

عافاه واصبح بصيرا.

فليقل لنا اولئك المانعون ولينصفوا اهم اعلم بما يليق بالله عز وجل من سيد رسله
وهو يامر الضريير ان يوسطه بينه وبين ربه في حاجته لتقضى؟ اظنهم لا يستطيعون ان
يقولها فليتفضلوا اذن وينضموا الى اخوانهم اهل الاسلام بما فيهم رسولهم ويتنازلوا عن هذا
المذهب الواضح البطلان المعاند لصحيح البرهان وان ابوا فليعلموا انهم الذين يجادلون في
الحق بعد ما تبين.

الاستغاثة باحباب الله عِنْدَ الشَّدَائِدِ

اما استبشاع فريق من الناس واستنكارهم استغاثة الناس باحباب الله تعالى
عند الشَّدَائِدِ فهو استنكار غريب واستبشاع انما يصدر من رجل يستبشع ما امر الله به. بل
اقول ان انكار هذا انكار للمحور الذى عليه تدور مصالح الناس في هذا الدار بل هو ينكر
ما جبلت عليه الفطر من مبدئها لمنتهىها فان ربنا عز وجل امرنا. وانظر امرنا ان نتعاون
على البر والتقوى. ووعد من امثل امره هذا وعدا تطرب الآذان لسماعه. وتطير القلوب
شوقا اليه ولا تذكره الجوارح الا اندفعت اندفاع السهم الى ذلك التعاون لا تعرج على شيء
سواه. ذلك الوعد الكريم هو ان يكون ربنا القدير الكريم في عون العبد ما كان العبد في
عون اخيه ومن يسمع ان من بيده الخير كله يكون مع من يعين اخوانه ثم لا يقضى كل
اوقاته في تلك المعاونة.

عرف الناس ان معاونة بعضهم بهذه الدرجة وعرفوا مبلغ حرص كل عاقل على
الوصول الى هذه الدرجة ليكون رب الآخرة والاولى معه بمعوته ونصرته وتوفيقه وستره.
فلما عرفوا ذلك صار احدهم اذا عرضت له منفعة يريد ان يجلبها او مضرة يريد ان يدفعها
يفزع الى اخوانه يسأديهم ويستعين بهم طالبا اسعافهم له ومعونتهم التى امروا بها من
خالقهم ووعدهم عليها ذلك الوعد الحق ليقوى بهم على جلب مصلحته او دفع مضرته

والانسان قليل نفسه كثير باخوانه ضعيف وحده قوى اذا انضموا اليه فاذا سمعه الناس يستغيث بهم هرعوا اليه وزاحموه على قضاء حاجته وكذلك يفعل هو معهم اذا استغاثوا به وهكذا يتبادل الناس هذا التعاون في ليلهم ونهارهم في سرائهم وضررائهم، ضعفوا امام حاجتهم ام لم يضعفوا هم يرون هذه الاستعانة وهذا التعاون لذة يتقاضونها ويحنون اليها بطبعهم الكريم من ناحية ومسارعة الى امثال امر ربهم لينالوا وعده المحبوب من ناحية اخرى.

وهذه الاستعانة المرغبة فيها غير الاستعانة الخاصة بالله تعالى التى لا تطلب من سواه فان الاستعانة بالخلق معناها طلب المعونة منهم على وجه التسبب لمعونة الله تعالى التى هى خلقه واجباده لحاجاتهم التى يطلبونها منه فمعونة الخلق سبب ومعونة الله مقصد خفى. هذا الفرق على ذلك الفريق فجعلوا الاستغاثة بالخلق والاستعانة بهم عند الشدائد منكرا عظيما واشراكا بالخالق عز وجل كانهم عافاهم الله يرون ان المستعين بانسان يطلب منه ان يخلق له ما يستعين به عليه وهو فهم من لم يعرف الدين ولا اهل الدين.

وكيف يعرف ذلك من يكفر الناس بشيء هو قطب رضى هذا الوجود وعليه مدار نظامه فان الاستغاثات والاغاثات لو منعت بين الناس لوقفت الحركة وتعطلت المصالح واصبحنا نرى الناس ينظرون باعينهم الى من يراق دمه او ينهب ماله او يهتك عرضه فلا يلتفتون اليه وهويستغيث بهم بل يروونه احق بما يفعل به باستغاثاته. تلك و ذلك القضاء النهائى على الانسانية واثارها المباركة بل هو انسلاخ من الحيوانية ونزوع الى خصائص الجمادات فان الاستغاثات والاغاثات معروفة بين الحيوانات التى لا تعقل، ولا نعرف الجمود اما مقتضيات الاغاثة الا من الجمادات فقط فهل يريد من يمنع الاستغاثات ان ننجاز الى نوع الجمادات؟ قد يقول ذلك الفريق انا لا اذكر الاستغاثة بالحيى انما كل انكارى على الاستغاثة بالميت لان الحى له حركة وعمل. فاذا استغيث به تحرك وسعى الى المستغيث وعمل معه ما يطلبه منه اما الميت فلا يتأنى منه ذلك لهذا ارى الاستغاثة به كفراً وشركاً يحل به دمه كمرتد عن دين الاسلام وانا نضحك بملء فمنا او نأسف اشد الاسف لهذا العقل الذى ينقل الشيء من مأموره مرغب فيه اشد الترغيب

الى منهى عنه منفر عنه كل التنفير وهو هو عينه له يتغير اى تغير. فان الاستغاثة بالميت صيغته هي هي نتي يستم به حى، وعقبة تستغيث ميت هي بعينها عقبة المستغيث باخيه الحى يستغيث بكل منهما ان يعينه على قضاء حاجته بصفته السببية اولا يعتقد لا فى الحى ولا فى الميت ان له ادنى دخل فى الابدان والخلق.

و لعل ذلك الفريق يرى ان الميت صار كالحجر لا حى ولا حركة له فكيف يستنثا به؟ وانا نعود بالله من اعتقاد مثل هذا فى اى ميت فضلا عن احباب ربنا عز وجل ومع ذلك نتكلم معهم حتى على هذا الفرض. فنقول ان غاية ما حصل من يستغيث بالميت الذى صار كالحجر فى نظرهم انه اعتقد ما ليس سبباً سبباً ومن هذا حاله معذورة من يرميه بانه بلغ من الجهل درجة كبيرة فهو فى استغاثته عابث ولا فائدة له منها والذى ينسفى ان يتنسه مثل هذا من هذه الغفلة العظيمة وان يعمل على تخليص نفسه من هذه الغباوة الفريدة فاذا كان ذلك استيقظ ووجه استغاثته الى من يمكن ان يسمعه ويغيثه. هذا الذى نقرره فى مثل ذلك الغبى الفرضى ولا يمكن ابدا ان نقول لمثل هذا انت تستغيث بمن لا يخلق فاهما ان يخلق حتى تصدر عليه حكمنا بكفره واشراكه فانه حينما يستغيث بالاحياء الذين يميزون له الاستغاثة بهم لا يعتقد فيهم انه يخلقون له ما يستغيث بهم لاجله والا كان ذلك كفرا مع ان الله تعالى امر به وهل يامر ربنا بالكفر؟

كل هذا نقوله على تقدير ان المنتقل من هذه الدار من احباب الله تعالى لاقية له اصلا ولا اعانة له بحال ونحن لا نقوله ولا نجيز لاحد ان يقوله. ونرى ضلالا عظيماً ان يقوله مؤمن بالله تعالى ذلك انا بينا بالبرهان القاطع فيما سبق ان الانبياء احياء فى قبورهم يرون ويسمعون ويعلمون حتى الحج والتلبية وذلك شئ كثير. فهل كثير على من ذلك حاله ان يتولى اعانة غيره كما يعينه اى حى وان كان ذلك الغير لا يشعر به ولا يراه. وهذا القرآن يصرح ان الشهداء احياء يزرقون اى يأكلون ويشربون ويتلذذون بذلك تلذذ الحى الذى يزرقون فى هذه الحياة فانه تعالى سوى بينهما فى انه يرزق كلا منهما وكذلك من هذا حاله ليس بكثير عليه ان يعين سواه.

وقد عرفت مما سبق ايضا ان ارواح الصالحين تجول فى هذا العالم باذن ربها و

تقول ما تقول وتفعل ما تفعل لمن شاء ربنا ان تقول له وان تفعل ومن يقول ان امثال هؤلاء كثير عليهم ان يعينوا زد على كل هذا ما صرح به القرآن من انه تعالى (... قَع الَّذِينَ اتَّقَوْا الآية. النحل: ١٢٨) ولم يقل القرآن انه معهم وهم في دار التكليف فقط بل اطلق فدل ذلك انه معهم في كل حال في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة. ومن في الدنيا يرى كثيرا على الله تعالى ان يكرم هؤلاء الاحباب باغاثة من يستغث بهم بواسطتهم او مباشرة وليتأكد القارىء ان هذا الذى يستغث بهم لا يستغث بهم جزافاً بل يستغث بهم لانهم احباب ربنا واولياءه فاما انه تعالى وليهم في الدنيا والآخرة ولذلك لا نراه ابدا يستغث بسواهم ممن فارق هذه الحياة اذن هذه الاستغاثة موجهة في الحقيقة الى ربهم ووليهم. ومن استغاث بعبدك وهو يعلم انه لا حول ولا قوة الا بك فهو مستغث بك. فاذا انت سخرت ذلك العبد في اغاثته ومكنته من ذلك فانت المغيث في الحقيقة والعبد آلة هذه الاغاثة وهذه الحقيقة لا تخرج المستغث عن ان يكون مستغثاً بعبدك ولا تخرج العبد اذا اغاث بقوة سيده عن ان يسمى مغيثاً فليعلم .

ثم كثيرا ما ترى بعض الناس يستغث بنبي او ولي. فتسأله ماذا يعمل لك هذا وهو مثلك ايمثل لك ماله تستغث به فيبادرك في الحال بقوله انى استغث به لانه اقرب الى ربى منى فلعله يتوجه الى ربه بوجهه الوجيه عنده. ويبتهل اليه بلسانه الطاهر ان يقضى لى حاجتى. وقد سأل كاتب هذا كثير من الناس هذا السؤال مرات كثيرة فاجبت بهذا الجواب بعينه من اناس عامة عند استغاثتهم ببعض الصالحين.

فاذا نحن حللنا استغاثة الناس باحباب الله تعالى الاموات الى هذا المعنى الذى يقصدونه ويفسرون به استغاثتهم وهو معنى في غاية الصحة والوضوح فكيف تكون كفرا تلك الاستغاثة واشراكا بالله عز وجل تحل به دمائهم واموالهم وفروجهم؟ ان هذا الذى يقولونه لا يخالف ابدا محض الايمان.

وان قال هذا الفريق ان هذه الاستغاثة والاستغاثة بالاموات لم تكن في الصدر الاول ولا حصلت من واحد من سلفنا الصالح. ولو كانت خيرا لكانت منهم وما فاتتهم. فاقول ان هذا النفى اللسانى سهل جدا لا يكلف النافى اكثر من تحريك لسانه حركة بسيطة اما اثبات ذلك فدونه احوال. فان هذا النافى ما كان مع كل فرد من

افراد السلف الصالح يسمع كل كلمة ينطقون بها ويرى كل عمل يصدر منهم حتى يصح منه هذا النفي الكلى قد يقول انه لم ينقل عنهم. ولو كان لنقل لنا من ذلك شيء. وانا نقول له ان النقل لم يحط بكل ما كان في ذلك العهد. فكم من اعمال واقرار كانت ولم تنقل. ولو نقل كل ما صدر في ذلك الزمن من قول وفعل لضاقة عنه الاوراق ووقفت عجزا عن نقله الاقلام على انا نقول ان ائمة هذا الدين قادة الخلق وورثة الانبياء قد استغاثوا في عصورهم المختلفة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبغيره من الانبياء والصالحين وهم اعلم الناس بالدين وباسراره وما يميزه وما يمنعه وقد نقل ذلك عنهم وهذه الكتب بين ايدينا فيها من ذلك الكثير ثم الكثير. وان شئت ان تسمع من ذلك شيئا فدونك. روى البيهقي ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستسقى به وانشد ابياتا في آخرها.

وليس لنا الا اليك فرارنا * واين فرار الخلق الا الى الرسل

و روى الطبراني ان سيدنا سواد بن قارب انشد بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قصيدته. التي فيها:

فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلنا عن سواد بن قارب

وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ(الصواعق المحرقة) ان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه قال:

آل النبي ذريعتي * وهووا اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غدا * بيدى اليمين صحيفتي.

وقال شمس الدين بن جابر الاندلسي:

- قسما لئن ابصرت دار محمد * وشهدت من مغناه مغنى مبهجا
لاعفرن بتربها كرما له * خدا بمسكوب الدموع مضرجا
ولأدعون دعاء عبد مخلص * يا سيد الكونين انت المرتجى
يا من اذا لجأ الضعيف لبابه * ابت المكارم ان يضيق من لجأ
عظمت ذنوبى والعظامم كلها * بعظيم جاهك نرتجى ان تفرجا
خذ سيدى بيدى اغثنى اننى * اصبحت فى بحر الذنوب ملجلجا
من منقذى الاشفاعتك التى * تنجى اذا لهب الجحيم تأججا
صلى عليك الله ما صدع الدجى * صبح تلالاً ضوءه وتبلجا

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمة الله عليه:

- يا سيد الرسل الذى فاق الورى * بأسا سما كل الوجود وجودا
هذى ضراعة مذنب متمسك * بولائكم من يوم كان وليدا
يرجو بك المحيا السعيد وبعثه * بعد الممات الى النعيم شهيدا
صلى عليك وسلم الله الذى * احيا بك الايمان والتوحيدا

وقال الامام تقى الدين [١] ابن دقيق العيد:

- يا رسول الملوك دعوة من زا * دبه شوقه وصح وداده
لك اشكو حالا من الدين والدن * يا شديدا غلوه واقتصاده
هوهم ثنى السرور وغم * كدر العيش عكسه واطراده
وعليك السلام من ذى اشتياق * انت فى الحشر كنزه وعتاده

وقال الامام كمال الدين بن الزملىكانى [٢] رضى الله تعالى عنه:

- يا صاحب الجاه عند الله خالقه * ما ردّ جاهك الاكل افاك

(١) محمد بن على بن وهب المصرى الشافعى المعروف بابن دقيق العيد المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ [١٣٠٢].

(٢) محمد بن على بن عبد الواحد الزملىكانى الشافعى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ [١٣٢٧ م].

- انت الوجيه على رغم العدا ابدًا * انت الشفيح لفتاك ونسالك
يا فرقة الزرع لاقيت صالحه * ولا شفى الله يوما قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى ابدًا * ومن اعانك في الدنيا والاك
يا افضل الرسل يا مولى الانام ويا * خير الخلائق من انس واملاك
ها قد قصدتك اشكوبعض ما صنعت * بى الذنوب وهذا ملجأ الشاكى
قد قيدتنى ذنوب عن بلوغ مدى * قصدى الى الفوز منها فهى اشراكر
فاستغفر الله لى واسأله عصمته * فيما بقى وغنى من غير امسك
عليك من ربك الله الصلوة كما * منا عليك السلام الطيب الزاكرى

وقال جمال الدين بن نباتة المصرى:

- يا خاتم الرسل لى فى المذنبين غدا * على شفاعتك الغراء تعويل
وانت اكرم من طاف الرجا وسعى * الى حماه فكان القصد والسؤل
صلى عليك الذى اعطاك منزلة * شفيعها فى مقام الحشر مقبول
انت الملاذ لنا دنيا وآخرة * فباب قصدك فى الدارين مقبول

وقال العارف بالله الشيخ حسين الدجاني مفتى الشافعية بيافة:

- يا خير مول عن الجاني المسمى عفا * وطاب من طيبه العرب البهاليل
ما اثم للعبد ملجا غير سيده * وما له فى سوى عليك تأميل
انت العياذ الملاذ المستجار به * فليس الا اليك الأمر موكل

وقال سيدى محمد البكرى الكبير رحمة الله عليه.

- ما ارسل الرحمن او يرسل * من رحمة تصعد او تنزل
فى ملكوت الله او ملكه * من كل ما يختص او يشمل
الا وطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها واصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به في كل ما ترجى * فانه المقصود والمأمل
وعذبه من كل ما تحتشى * فانه الملجأ والمقل
وحط احوال الرجا عنده * فهو شفيع دائما يقبل
وناديه ان اذمة انشبت * اظفارها واستحكم العضل
يا اكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قدمسنى الكرب وكم مرة * فرجت كريبا بعضه يذهل

نقلت هذا كله من (كتاب شواهد الحق) للشيخ المحب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حياً ظهرت آثاره اعظم ظهوره الشيخ يوسف النبهاني^(١) اطال الله حياته والذي نقلته قطرة من بحر مما في هذا الكتاب وما في هذا الكتاب قطرة من بحر مما قيل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم توسلاً واستغاثة به عليه الصلوة والسلام واذا اضيف ما قيل في غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء والاولياء الى ما قيل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لاحصر له نثراً ولا نظماً. فليكتف الناظر هنا بما نقلنا ولينظر كلام ائمة الاسلام وسادة الامة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مخاطبتهم له وأستغاثتهم به عليه الصلوة والسلام يجد ان ما عليه الامة مع علمائها في جهة وما يقوله ذلك الفريق في جهة أخرى.

واقرب من كل هذا ان نقول لمنكر صدور ذلك من السلف الصالح سلمت لك ذلك يا اخى. ولكن هل كل مالم يفعله السلف الصالح منكراً لا يجوز فعله؟ ان هذا انما يقوله الجاهل بدين الاسلام. يريد بجهله هذا ان يلصق بهذا الدين انه من القصور بالدرجة التي لا يحسن معها التصرف في الحوادث التي تحدث بعد عهد نزوله. و هل يرضى له بذلك لك مسلم. وهو الدين الذى نزل صالحاً لكل زمان ومكان. لديه من سعة النظر مالا يتوقف معه عن الحكم على اى حادث بحكمه المناسب له. ولقد كان ان حدثت له حوادث لا تخصى بعد زمن تشريفنا به وحكم عليها كلها ومن بينها ما حكم عليه بالوجوب القطعى ولا يزال في استعداد لان يحكم على اى حادث يحدث فلا يضر الجواز اى عمل انه لم يعمل الا بعد زمن طويل من الصدر الاول.

(١) الشيخ يوسف النبهاني توفي سنة ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢ م.] في بيروت

بقى ان يقال ان بعض العوام اذا استغاث باولئك الاحباب يخاطبهم في استغاثته بالفاظ ربما فهم منها سامعها انهم يطلبون منهم مالا يليق ان يطلب الامن الله تعالى وانا نقول في هذا انك لو سألت هذا الذي يوهمك قوله ويجعلك تسيء الظن به لا زاح ما في نفسك باظهار مكنون قلبه ونخبؤايمانه الصريح الصحيح الذي لم يطرأ عليه من امراض القلوب ما يخدشه ولقد راجعناهم كما قلنا سابقاً ثم راجعناهم فكان يملأ قلوبنا سرورا مانسمع منهم من عبارات تشف عن ايمان في غاية الصفاء والمثانة فكان لا نستغرب ذلك. فان الفطرة السليمة لا يخفى عليها ما يناسب الخالق وما يناسب المخلوق. نحن نقول هذا في الفطرة السليمة بمجرددها. فكيف اذا شئت وشابت في احصان المؤمنين من ابائهم وجيرانهم و علمائهم؟ على انك لو دققت النظر قليلا لوجدت في لغتنا ما يسبغ تلك العبارات ولا ياباها. فانك تستطيع ان تقول فلان هداى واضلنى واغنانى وافقرنى. واحيانى واماتنى واسعدنى واشقانى ورزقنى فرج كرى واقالنى عثرتى اذ تسبب لك فيما تنسبه اليه.

و هذا القرآن يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (...وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * الشورى: ٥٢) ويقول في الاصنام (رَبِّ اِنَّهُمْ اِضْلَلْنَ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ * الآية. ابراهيم: ٣٦) ويقول فيمن تسبب في حياة نفس (... وَفَنَ آخِيَاَهَا فَكَأَنَّمَا آخِيَا النَّاسَ جَمِيْعًا * الآية. المائدة: ٣٢) ويقول (... فَارْزُقُوْهُمْ مِنْهُ * الآية. النساء: ٨) ويقول حاكياً عمن حاج ابراهيم في ربه لما قال له سيدنا ابراهيم (... رَبِّى الَّذِى يُخْبِى وَيُعِيْثُ قَالَ اَنَا الْخَبِىُّ وَ اُمِيْثُ * الآية. البقرة: ٢٥٨) فلم له ذلك سيدنا ابراهيم وانتقل الى حجة غيرها. لانه يعلم انه صادق فيما يقول ولا يابى الدين ما يقول لانه على معنى انه يتسبب في حياة من اشرف على الموت وموت من هو فى عافية وغير ذلك كثير فى الكتاب ولم يعد ذلك اشراك بالله تعالى ولا له بمخالفته اى صلة. والسنة صرحت باسناد تفريج الكروب واقالة العثرات اليسا ولو انا تنطعنا لقلنا ان هذا كفر فان الاحياء والاماتة والهداية والاضلال والرزق والاشقاء والاسعاد وتفريج الكروب واقالة العثرات وما اليها. لا يقدر عليها الا الله عز وجل فمن اسند منها شيئا لغيره عز وجل فقد مرق من الاسلام وكان مشركا نحن لم نبلغ من الجهل بلغتنا الكريمة الى هذه

لدرجة وهى التى تسند الافعال الى الاسباب اسناداً اعتيادياً ليس فيه ادنى حرج. فلو
انا اوتينا سعة من العلم واحاطة بأسلوب لغتنا وبصيرة باستعمالات كتابنا وسنة نبينا،
لخففنا من حدتنا وهوتا من غضبنا وشدتنا على من يخاطب احباب ربنا بما يخاطب به
ربنا وقلنا ان هذا من ذاك وتصرفنا تصرف ربنا ونبينا فى مثل هذه الاسنادات وقلنا ان
الخطب هين. لم نفعل ذلك وابتنا الا ان نشدد ومن شدد شدد عليه وان حكم على
عباد الله المؤمنين بالكفر الصريح والشرك المحض ونتبع ذلك باشارة التى منها القتل
واراقة الدماء يجب على ذلك الفريق ان يعرف ان ايجاد الفعل لا بد له من امرين. سببه
الذى كلف به الخلق. و الامر الثانى الابدان والخلق الذى يصدر من الله تعالى كل انعال
الخلق هكذا. فباختبار مباشرة الاسباب يسند الفعل الى الله تعالى ولقد وصل الاسناد الى
السبب ان يقول ربنا عز وجل لسيدنا عيسى عليه الصلوة والسلام (... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الْقَلْبَةِ الْآيَةِ. المائدة: ١١٠) فنسب اليه الخلق والابدان باعتبار التصوير و
النسخ كما اسند اليه ابراء الاكمه والابرس و احياء الموتى لما انه تسبب فى ذلك ولم يطلق
ذلك ربنا الا لانه تعالى يميز لغيره من خلقه ان يعبر بمثل تلك العبارات دون ان يكون فيها
شئ متى كان القلب ينطوى على ما للخلق وما للخلق فتسند الى كل ما يليق به.

واذا احاط القارئ بكل هذا عرف حق المعرفة اين دين الله؟ واين تلك الاحكام
بالشرك على من يخاطب فى استغاثته احباب ربنا بما لا يكون ايجادا وخلقاً الا من ربنا عز
وجل. وعلمت ماذا من الاثم الموبق على من يقتل مؤمناً لتعبير سائح لغة وشرعاً كنتك
التعابير التى هى موضوع كلامنا وعلمت اى جرم يرتكبه من ينطوى لاهل الايمان على
المدوات الخطرة ويواجههم بالمخاطبات الجافة الخشنة ويعاملهم بالمعاملات التى لا تليق
الا باعداء الله الكافرين مع ان الله تعالى يميز ما ينعون، وهو الذى باسمه يفعلون ما
يفعلون من المنكر مع اوليائه وعباده الصالحين ولو ان اولئك الناس قالوا لمن يعير بتلك
العبارات الموهمة فى نظرهم الافضل والاحسن ان تبدل هذه العبارات التى قد يفهم منها
سوء امن يسئ الظن بالمؤمنين بعبارات لا توهم ولا يفهم منها احد ما لعله يسئ ظنه بهم
ليوقاؤا ذلك ما لقوا من يقول لهم انكم ابعدتم عن الحق وقتلتم ما يعده الانصاف خطأ فان
ما لا يردم خيراً مما يوهم بلا نزاع.

هذا تحرير القول في هذا الموضوع الذى غالى فيه ذلك الفريق الذى نشير اليه الى درجة ان جعله من ابواب الكفر التى لا يمتري فيها انسان وقد عرف القارئ مما تقدم مبلغه فليحرص عليه فانه لا يجده الا في هذه العجالة التى اشتد حرصها على بيان الحق غير تابعة في ذلك المخلوق والله تعالى اعلم.

هل التردد والتودد الى احباب ربنا عبادة

واما القول بان التردد الى صالحى عباد الله تعالى والتردد اليهم واجلالهم والتقرب منهم على اى حال كانوا في درجة العبادة لهم وبهذه العبادة يكون الانسان مشركاً بالله تعالى مرتداً عن الملة الاسلامية فهو قول تقشعر منه ابدان العقلاء ولا يليق ان ينظر اليه المؤمن الا بعين الازدراء والمقت، قول اذا قيل انه صدر من مجنون او ممن لا يعرف دين الاسلام وجد ذلك القليل ارتياحاً في نفوس المؤمنين وصادف هوى في نفس كل من يعرف لدين الاسلام قدره ولو انا قلنا بموجب ذلك القول لكان اكبر المشركين بالله عز وجل واعظم العابدين للخلق الخارجين عن الملة الاسلامية هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ما تقدم لنا حكايته عنهم من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم شيء اليه المنتهى في اجلال الخلق وتعظيمهم ولا نظير. ابدأ ان يلحق بهم عبد في هذا الميدان مهما كان محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبياء والاولياء واذن يكونوا اكبر المشركين كما قلنا لذلك التعظيم الذى روينا بعض ما يدل عليه فيما سبق ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقر ورضى باكبر الشرك. ولعل حضرات القائلين بان ذلك التعظيم عبادة يفزعون من هذا ويضطربون ليفزعوا وليضطربوا وليرتقوا السماء لينزلوا الى الارض فليس لهم من هذا مخرج الى يوم القيامة. لقد قلنا لهؤلاء الناس ونقول ولكنهم لا يفهمون ولن يفهموا ان اجلال هؤلاء الاصفياء وتعظيمهم تعظيم لربهم الذى عظمهم وانعم عليهم واخبر انه معهم معية هداية وتوفيق ونصر واکرام.

اذن هذا التعظيم يفعله الناس طمعا في احسان ربهم وهرباً من اهانتته لانه

يحسن الى من احب احبابه ويهين من اهانهم ولهذا نجد الناس لا يعاملون الفسقة بتلك المعاملة الجلييلة ابدا بل نراهم يعاملونهم بعكس ما يعاملون به الصالحين يفرون من الفاسق اينما كان وربما رأيتهم يحولون انظارهم عنه اذا جالسهم لئلا تقع عليه وتراهم يتسللون من مجلسه واحدا واحدا يحملهم على ذلك فهمهم ان هذا الفاسق مغضوب عليه من ربه فهو شؤم على نفسه وعلى من جالسه والبعد عن الشؤم بمن وبركة.

و مختصر القول في حب الصالحين وزيارتهم والتردد اليهم في رياض الرحمات التى يحلون بها احياء وامواتا. ان ذلك مهما بلغ من العظم عند المؤمن لم يتجاوز درجة الحب في الله تعالى. والحب في الله عز وجل معروف قدره في نظر الدين من انه اوثق عرى الايمان. والذى افهمنا انه اوثق عرى الايمان حضرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلينظر القارئ اين هذا مما ننقله ونحكيه. نعم ان عجباً ان يكون الشيء ارقى المقامات في دين الاسلام ثم يحكم عليه اناس بانه كفر واشراك. لعيلم هؤلاء الناس ان العبادة التى يعرفها المؤمنون هى نهاية الحب والخضوع والخوف والرجاء والطاعة والذل تقربا الى المعبود بحق الذى له نهاية الانعام والاحسان. وبيده الضر والنفع والاسعاد والاشقاء والاعزاز والاذلال في الدنيا والاخرة.

هذه هى العبادة وهذا هو المعبود الذى لا يرضى المؤمنون عن عبادته بدلا ولو احرقوا بالنيران ونشروا بالمناشير وانى اتحدى كل من يقول ان الناس يعبدون احباب ربنا. ان يأتوا بمثال واحد فقط من المؤمنين يعتقد في نبي او ولى ان له نهاية الانعام والاحسان وبيده الامر كله وبناء على هذا الاعتقاد يخضع له الخضوع كله ويتقرب اليه بشيء من العبادات انهم ان فعلوا ذلك ومن يفعلوا الى قيام الساعة. صدقنا كل ما يقولون وكنا معهم نحول بين الناس وبين اولئك الصالحين نحميمهم من الاشراك بهم.

انى اقول: وكل عاقل يقول معنى. ان احقر واجهل واسفل وافسق مؤمن على وجه الارض لو قلت له تعال اسجد لفلان الولي او النبي تعبد به بذلك من دون الله. او تقرب اليه باى من انواع العباد التى تعبد بها ربك او صرحت له بلفظ العبادة. وقلت له تعال. هذا الولي او النبي ولو كان سيد العالمين صلى الله عليه وسلم او ادعه ان

يقضى لك حاجة من دون الله. ما كان بينه وبينك ان كان يعتقد انك عاقل جاد في قولك الا القتال ان قدر عليك او المهجر طول حياته ان كان لا يقدر وكيف لا يفعل ذلك معك. وهو يعتقد انك تدعوه الى شقائه الابدى وقد يشك في سلامة عقلك فهما تظاهرت له بذلك وبرهنت له عليه.

و بهذا تعلم انه يفترى الكذب على الله تعالى وعلى عباده من يقول ان مجيئ الاولياء يعبدونهم ويصدق عليهم قول الله تعالى (... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ وُلُفَى * الآية. الزمر: ٣) فان الآية تقول بصراحة ما نعبدهم فاثبتت ان اولئك المشركين كانوا يعبدون الاصنام عبادة حقيقية كما يعبد المؤمنون ربهم الحق عز وجل، وقالت اية اخرى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْهَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ * الآية. البقرة: ١٦٥) فهذه الآية صريحة في ان عبادة الاوثان كانوا يسوونها بالله تعالى في المحبة بل اخبر ربنا تعالى في آية اخرى ان اولئك المشركين كانوا ينظرون الى آلهتهم نظرة اكبر من نظرتهم الى رب العالمين ويرجحونها عليه. ذلك انهم كانوا اذا جعلوا لله تعالى قربانا وجعلوا لاصنامهم قرايين سمحوا لانفسهم ان ياخذوا مما جعلوه لله ويضيفونه الى ما جعلوه لاولئك الحجارة اما العكس فلا تسمح به نفوسهم ابدا وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دَرَاكِمٍ مِّنَ الْخَرْثِ وَالْإِنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغَائِبِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * الانعام: ١٣٦)

و مما يدل دلالة قاطعة على ان اولئك المشركين كانوا يعتقدون ان تلك الحجارة آلهة حقا تستحق العبادة تنفع وتضر وتفل فعل الاله ان التعصب لاولئك الاصنام وصل من اولئك الناس لدرجة ان وقفوا امام السيوف والرماح والنبال وجها لوجه متعرضين للاهوال والحتوف مصممين التصميم كله على انهم اما ان يموتوا عن اخرهم محتفظين على عقيدة ان تلك الحجارة آلهة حقا مع الله تعالى. بل ارجح عندهم منه او يقضوا القضاء الاخير على من يدعوه الى عقيدة توحيد الله عز وجل ونبذ هذه الاصنام واعتقاد انها حجارة لا تضر ولا تنفع. نعم لقد استخفوا الموت واهواله عن ان يقبلوا هذه العقيدة، و كانت تلتهب قلوبهم نارا على من يمس تلك الحجارة بكلمة لا تناسب، و كانوا مملوئين

بعقيدة ان تلك الالهة تعطى وتمنع وتنصر وتخذل وتعز وتذل.

ولا اذل على هذا مما روته الصحاح عنهم انهم كانوا يقولون يوم احد باعلى اصواتهم (اعل هبل) اى يا الهنا المسمى بهبل ندعوك ونطلب منك ان ترتقى وترفع على اله المسلمين بقره والقلة عليه دائما كما ارتقيت وارتفعت عليه اليوم فانك ان تباديت على ما نطلب منك من غلبة اله المسلمين نتمادى نحن على الانتصار على المسلمين كما انتصرنا عليهم اليوم. وهذا يدل قطعاً على ان القوم كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً ان الذى نصرهم وخذل المسلمين هو آلهتهم. وجاء هذا النصر من ان تلك الالهة غالبت اله المسلمين فغلبته، ولهذا هم يطلبون من هبل الذى هو احد آلهتهم ان يدوم على هذه الغلبة. ومن هو اله المسلمين عندهم؟ هو رب العالمين الذى ان سئلوا عن خلق السموات والارض لا اعترفوا بانه هو ومع ذلك ينظرون على ان آلهتهم تغلبه وتنصر عابديها على عابديه. ولذلك كانوا يفتخرون على المسلمين فى ذلك اليوم ويقولون لهم لنا العزى ولا عزى لكم اى اننا لما كان لنا اله المسمى بالعزى قوينا عليكم بقدرته وغلبناكم وانتصرنا عليكم ولم يستطع ربكم ان يقاوم عزانا. ولو كان لكم العزى كما هو لنا ما جرى لكم اليوم ما جرى فان العزى كان يحفظكم وينصركم كما حفظنا ونصرنا فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمين ان يردوا عليهم فى الكلمة الاولى بقولهم (الله اعلى واجل) اى ليس الامر كما تعتقدون من ان آلهتكم اعلى من ربنا بل الامر هو بالمعكس وافعل التفضيل يراعى عقيدة المخاطبين او هو على غير بابه وان يردوا عليهم فى الكلمة الثانية بقولهم (الله مولانا ولا مول لکم) هذا لفظ البخارى.

و اذا كان ما نحكى هو عقيدة اولئك المشركين فى اصنامهم فهل يستطيع اولئك الذين يسوون بين المسلمين الذين يحبون الاولياء ويتوددون اليهم ويتردون على الاماكن التى هم بها وبين اولئك المشركين فى ان كلا عابد اوثانا. او ثان المشركين الحجارة و او ثان المسلمين الاولياء والانبيا هل يستطيعون ان يأتونا بمؤمن واحد من جميع انحاء الدنيا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا يعتقد فى الاولياء والانبيا كما يعتقد اولئك المشركون فى اصنامهم. ويعبد الاولياء والانبيا كما كان اولئك المشركون يعبدون

آلهتهم ان طلوع السماء وتناولهم الشمس اقرب اليهم من ان ياتوا بذلك المؤمن الواحد.
و اذن لامناص لنا من ان نواجههم. ولا مواخذة بانهم يرمون المؤمنين بما لا وجود
له الا في اذهانهم. وسيرون عاقبة هذا ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ قَوْلَ وَلَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا مَن آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ * الشعراء: ٨٨-٨٩))

لو سمعوا لى

ولو سمع لى هؤلاء الناس لقلت لهم اقلعوا عن هذه الظنون الكاذبة وتطهروا من
تلك الخيالات الخاطئة وتورعوا عن احكامكم التى تصدرونها على المؤمنين كل يوم بدون
عقل ولا روية فانكم ترتبون على تلك الظنون وهاتيك الاحكام آثارا هى منتهى البشاعة
والفظاعة فان من يحكم بالشرك على واحد لا يرى حرجا فى قتله وارقه دمة تقربا الى الله
تعالى وهذا ما انتم عليه ويراها العالم كله منهم فانكم ما دخلتم جهة من الجهة الافتكتهم
فتك الجبابة. وبطشتم بطش من لا يعرف الشفقة ولا الرحمة. ومن رآكم وانتم تذبحون
عباد الله المؤمنين الموحدين جزم كل الجزم انكم تتلذذون بقتلهم وترتاحون لبادتهم. ولا
يخيل له انكم لو امكنكم ان تطهروا العمورة من اثار المؤمنين لفعلتم فرحين مسرورين
لا ترون اى باس فى استحلال فروجهم واموالهم ظانين انكم بهذا كله تنتصرون للتوحيد
على الوثنية والوثنيين. انى انصحكم ثم انصحكم وليس على الا ذلك. ان تثبوا الى
رشدكم وتفكروا فى عاقبة ما انتم عليه وترجعوا الى ما قاله العلماء فى الحكم بالكفر فانكم
تجدونهم شددوا فى ذلك كل التشديد حتى صرحوا ان العالم لا يجوز له ان يقدم على الحكم
بكفر مؤمن الا اذا سد فى وجهه كل باب يمكن ان يصل منه الى ايمانه اما لو وجد بابا واحدا
ذلك حاله فلا يجوز له ابدا ان يحكم عليه بالكفر مهما كثرت الابواب القاضية بتكفيره
حملا لخال المؤمن على الصلاح وبعدا عن موبقه ان ذلق فيها الحاكم هوى على ام راسه
هو يا آخره شقاء عظيم وهل رأيت بلاء يقع فيه الرجل المؤمن اعظم من ان يفتى بكفر
مؤمن آخذاعلى عهده انه من اهل الخلود الابدى فى النار غضب عليه ربه غضبا لا يرضى

عنه بعده ابدا هذا في الآخرة واحكام المرتد في الدنيا تصورها فقط تدور له على الرأس و
تنقطع الاكباد اسي وحسرة على من تجرى وتنفذ فيه تلك الاحكام. ان هذا شيء عظيم
ثم عظيم اذا تعلق بمؤمن واحد فكيف اذا تعلق بمئات والاف ومئات الآف بل بالعالم
الاسلامى كله في اى جهة من جهات الدنيا.

لهذا كله اقول لكم واشدد في القول واجب عليكم وجوبا هو أكد الواجبات
عليكم بعد الايمان ان لا تتعجلوا على المؤمنين في احكامكم وراجعوهم وانظروا هل
عندهم من موجبات الشرك شيء؟ وموجبات الشرك معروفة فان رايتم تلك الموجبات
فاحكموا. ولن تجددوا ذلك في اجهل المؤمنين وان لم تجدوا. وهذا هو الواقع فامسكوا
السنتكم واعمدوا سيوفكم عن عباد الله تعالى. ولا تؤاخذوني اذا قلت لكم. راجعوا
موجبات الكفر فادرسوها درساً جيداً واعرفوها معرفة لا تقل عن معرفتكم للشمس وانتم
تبرونها ليس دونها سحاب فانه ليس بلاء يصيب الانسان في الدنيا والآخرة الا واصله
الجهل. فاقتلوا الجهل قتلاً في هذا الباب حتى اذا ما اصدرتم حكمكم على مؤمن بالكفر
يكون حكماً صحيحاً وتحسنوا الاحسان كله لو محوتم من الراح اذهانكم هذا الباب كله
باب التكفير وارقة دماء المسلمين فانه اخطر شيء عليكم ولو انصفكم لغضبتهم من
انفسكم في هذا الباب فانكم لا تقفون في تكفيركم عباد الله تعالى الى حد عامة الناس
التي قد يصدقكم الجاهل سوء الظن في تكفيركم لهم. بل تتجاوزون ذلك الى الحكم على
العلماء الاجلاء ورثة الانبياء وقادة الامة ومفرعيها اذا دجت مشكلة في اى درجة كانوا
من العلم ولو كانوا شيوخ شيوخ الاسلام.

وموضع العجب ان الحكم بالكفر وقدره ما شرحنا يصدره اجهل واحد منكم
على اى واحد من غيركم لا يتوقف في حكمه مهما كانت درجته في الجهل والانحطاط و
درجة غيره في العلم والارتقاء ومتى اصدر حكمه هذا لا ترددون كلكم في صدقه واصابته
كبد الصواب.

واحب ان تقولوا لى، اذا كنتم تحكمون على علماء الاسلام بالكفر وهم المرجع

عند الاختلاف فما يفعل المسلمون معكم اذا اختلفتم معهم في شيء؟ هل يتحاكمون الى علمائهم ام يتحاكمون اليكم فان قلنا انهم يتحاكمون الى علمائهم تذرنا انهم عندكم كافرون ولا يميز ان ينتدب الكافر كفر اشراك لان يكون حكما فان الحكم في ارقى درجة والكافر كفر اشراك في اخط درجة.

وان قلنا انهم يتحاكمون اليكم ولا مسلم على وجه الارض الا انتم في نظركم. رأينا ان ذلك هو المتعين الذي لا ترضون غيره والنتيجة لهذا انكم تكونون الخصم والحكم هذا تحديد موقفكم فاعرفوه. ويمكن للناظر هنا ان يظن انكم انما اصدركم حكمكم حتى بكفر العلماء لتخلصوا منهم فانهم هم الحكم المرضي الحكومة عند الناس وهم الذين تسمع لهم الامة ان حكموا لكم او عليكم فاذا ما وفقتم لان تفهموا الامة ان هؤلاء العلماء الذين تجلّونهم كل الاجلال وترجعون اليهم في كل اموركم كافرون مشركون لا يصح ان تسمع لهم كلمة ولا يؤمنوا على حكم؟ فانكم بذلك تكونون نجحتن نجاحا ليس بعده من نجاح و لكنى اوكد لكم انكم لا يمكنكم بحال ان تصلوا من الامة الى ذلك الحال فاربحوا انفسكم واسمعوا ما قدمت لكم من نصيح.

هل تجوز زيارة القبور؟

هذا عنوان يتبادر الى ذهن القارئ منه ان هناك اناسا يخالفون في جواز زيارة القبور. وانا اقول له اني لذلك وضعت. وازيدك ان اولئك الناس الذين يخالفون في جواز زيارة القبور يشددون في تحريمها تشديدا عظيما ولذلك تراهم ينظرون الى من يميز تلك الزيارة او يضعها بعين الاحتقار والازدراء ويسمونه (قبوريا) ولا تعجب اذا قلت لك انهم يمنعون الناس من زيارة القبور منعاً قهريا ويمدون ايديهم بالضرب المؤلم الى من لم يمثل نهيم.

لا اقول ذلك نقلا عن غيري حتى يجد الشك سبيلا الى نفسك فيما انقله لك بل انا الذى انقله ونقلني عن حسن. فلا يخطر ببالك اى شك فيه، ولعلك تجد واحدا غيري و

اتنين وعشرة ومئات وآلافاً يوافقونى فى نقل ذلك اليك. وهذا جهل بالدين الى حد يجعل السامع به يعجب ان يكون فى الدنيا من المسلمين لليوم، من يصل جهله بدينه الى هذا الحد الذى ذكره وكتابته فضيحة من اكبر الفضائح لمن ينسب اليه وكيف لا يكون فضيحة وهو جهل بمذاهب المسلمين كلها؟ فهى تحيز تلك الزيارة وتشرح للزائر آدابها وهو جهل كذلك بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم زار القبور بنفسه وعلّم اصحابه كيف يزورون القبور وكان منهم ذلك فى حياته الدنيوية صلى الله تعالى عليه وسلم.

اما زيارته هو صلى الله عليه وسلم فيدل عليها ما رواه مسلم عن ام المؤمنين السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرها ان جبرئيل جانه فقال له ان ربك يأمرك ان تاتى أهل البقيع فتستغفر لهم وانه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء البقيع فقام طويلاً واطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات وانها رضى الله تعالى عنها قالت له كيف اقول لهم؟ فقال (قولى السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم للاحقون) بل روى مسلم عن امنا السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ان زيارة البقيع كانت عادة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لفظها. كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلما كانت ليلتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين واناكم ما توعدون غدا. مؤجلون. وانا ان شاء الله بكم للاحقون. اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقى).

واما زيارة المؤمنين للقبور فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليمه لهم كيف يزورون فاسمع شيئاً مما يدل على ذلك. روى البخارى ومسلم حديث المرأة التى كانت تزور قبر صبي لها وتبكي، فلم ينهها صلى الله تعالى عليه وسلم عن زيارتها وانما قال لها (اتقى الله واصبرى) وقال لها (الصبر عند الصدمة الاولى) وروى مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى المقابر فكان قائلهم يقول (السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وانا ان شاء الله بكم للاحقون. اسأل الله لنا ولكم العافية).

نعم كان منهيًا عن زيارة القبور في صدر الاسلام والناس قريبا عهد بجاهلية ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وبفعله.

اما فعله فقد سمعته واما قوله فهو (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) رواه مسلم من حديث و رواه غيره وانا لا ادرى ماذا يحصل للناس من الضرر في زيارة القبور حتى يمنعها اولئك الناس ذلك المنع القاطعة والذي اعلمه عن تلك الزيارة انها الدواء الذي لانظير له للقلوب التي قست ثم قست. ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تُرِقُّ القلب وتدمع العين وتذكر بالآخرة فزوروها ولا تقوا هُجراً) رواه البيهقي. وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا تقوا هجرا) نهى عن آفة من آفة زيارة القبور التي من اجلها لاتجوز الزيارة. وهذه الآفة اكثر ما تكب من النساء فان الواحدة منهن اذا رأت قبر ابنتها او ابيها او اخيها او زوجها طيب المعاشرة هاجت عاطفتها. و عواطف النساء رقيقة وحينئذ يكون منها من انواع الجزع ما تهتز له السموات ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لعن الله زوارات القبور) رواه احمد وابن ماجه والحاكم.

ومن آفات زيارة القبور ان الناس يخرجون اليها في بعض الجهات بحالة تنافى الانسانية فيختلط الرجال بالنساء في الطرق وعلى المقابر اختلاطاً لا يرضاه عقل ولا دين. و على المقابر يأكلون ويشربون ويتبرزون وينامون ويفعلون ما يفعلون مما يستحي القلم عن تسطيره فالزيارات التي هذا حالها لاتجوز لهذا العارض لا لانها زيارات وعلى مثل هذه الزيارات يحمل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لأن يجلس احدكم على حجرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خبر له من ان يجلس على قبر) رواه مسلم.

و ان لم نفهم لزم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه ما كانوا عاملين بمثل ذلك الحديث الناهي عن الجلوس على القبور. وذلك ان سيدنا مالكا رضى الله تعالى عنه روى في موطنه ان سيدنا علياً رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه كان يتوسد القبور ويضطجع عليها ومعروف من هو سيدنا على علماً ودينياً.

و روى البخارى عن سيدنا خارجة بن زيد انه قال رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وان اشدنا وثبة الذى يشب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه. وقال عثمان بن حكيم اخذ بيدي خارجة فاجلسنى على قبر واخبرنى عن عمه يزيد بن ثابت انه قال قال انما كره ذلك الجلوس على القبر لمن احدث عليه وقال نافع كان ابن عمر رضى الله تعالى عنه يجلس على القبور. روى كل هذا البخارى ومنه يعلم القارئ ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يفهمون ان النهى عن الجلوس على القبور كان مقيدا بجلوس خاص بل ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه جلس بنفسه على القبور. وقد روى سيدنا انس رضى الله عنه انه قال شهدنا دفن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على القبر. و روى الطبرانى فى (الكبير) و (الاصسط) جلوس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قبر سعد بن معاذ يوم دفن. و روى الطحاوى^(١) بسند صحيح عن سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على القبور لحدث غائط او بول.

و بعد فانا نقول لاولئك الذين يمتنعون زيارة القبور نرجوكم ان تقرؤا هذا فقط لتروا بانفسكم انكم فى واد ودين الاسلام فى واد آخر و لعلكم اذا رأيتموه اقلعتم عما انتم عليه ولا نظن بكم الا ذلك بعد ان تروا ان رسولنا صلى الله عليه وسلم امام الجميع زار القبور. و كانت زيارتها عادته و زارها اصحابه فى حياته و هو بنفسه علمهم كيف يزورونها و تبعهم على ذلك كل هذه الامة من عهدهم الى اليوم و هذه كتب العلماء حنفية و مالكية و شافعية و حنبلية و غيرهم بها بيان تلك الزيارة و كذلك دواوين السنة النبوية مفهومة بسيان جوازها و التدب اليها و كيف تكون و من رأى كل هذا ثم انكره و لم يعجبه فلا حيلة لنا فيه و امره الى ربه و الله تعالى اعلم.

(١) احمد الطحاوي الحنفي توفي سنة ٣٢١ هـ. [١٣٣ م.] فى مصر

هل في القبر عذاب ونعيم؟

انكر عذاب القبر و نعيمه اناس ينتسبون الى الاسلام وقد برهنوا بانكارهم هذا على جهل فاحش بدينهم فان الكتاب و السنة ناطقان بما يكون في القبر من نعيم و عذاب نطقاً لا يجراً على انكاره مسلم و اليك البيان.

قال ربنا عز وجل في كتابه (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * المؤمن: ٤٦) أَفَهَمَّتْنَا هذه الآية ان فرعون و قومه يعرضون على النار غدوًّا و عشيا و هذا العرض لا يخلو اما ان يكون في الدنيا او القبر او في الآخرة اما في الدنيا فلم يكن ذلك قطعاً و اما في الآخرة فالآية تقول بصراحة تبين حالهم هناك (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * غافر: ٤٦) فاذن هذا العرض ليس في الآخرة و اذا انتفى ان يكون في الدنيا و الآخرة تعين ان يكون في القبر هذا دليل الكتاب على ما نقول.

و اما السنة الصحيحة فورد منها شيء كثير يدل على ذلك المعنى فقد روى الشيخان البخارى و مسلم و النسائي^(١) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بعد ما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال (يهود تعذب في قبرها).

و روى (النسائي) و (مسلم) و اللفظ له انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر).

و روى (الشيخان) و (الترمذى) و (النسائي) و (ابوداود) انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر على قبرين فقال (انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير) اى في نظر الناس (اما احدهما فكان يمشى بالنميمة و اما الآخر فكان لا يستتر من بوله) ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنتين. ففرس على هذا واحدا و على هذا واحدا ثم قال (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا).

و روى (الترمذى) عن هانئ مولى سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنهما ان سيدنا

(١) احمد النسائي توفي سنة ٣٠٣ هـ. [٩١٥ م.] في رملة.

عثمان رضي الله تعالى عنه كان اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته قيل له اذكر الجنة والنار ولا تبكى وتذكر القبر فتبكي فقال انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فلما بعده اشد منه). قال وسمعت صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (ما رأيت منظرا قط الا والقبر افطع منه) قال هانىء وسمعت نشد على قبر).

بيت:

فان تنج منها تنج من ذى عظمة * والا فاني لا اخالك ناجيا

وروى (البخارى) و (مسلم) و (ابوداود) و (النسائي) انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ان العبد اذا وضع في قبره وتول عنه اصحابه انه ليسمع خفق قرع نعالم اذا انصرفوا عنه اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمدا؟ فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا في الجنة فيراها جميعا. واما الكافر والمنافق فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب مطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين). وهذا الحديث يثبت شيئا اخر غير مقصود الترجمة وهو سؤال القبر.

وورد في احاديث اخرى السؤال عن ربنا عز وجل وديننا زيادة عن السؤال عن نبينا ولهذا السؤال هو فتنة القبر الذى فيه يقول الله تعالى (يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * ابراهيم ٢٧:) وفي هذا القدر كفاية وفوق الكفاية للمسلم الذى يريد الوصول الى الحق من طريقه والله الموفق.

هل تجوز زيارة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم؟

لعل القارئ الكريم يفرغ لرؤيته هذه الترجمة ويقول ماذا جرى حتى تفرد زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم بترجمة خاصة وانت فيما سبق برهنت بالادلة القاطعة على ان

زيارة اى منتقل من هذه الدار جائزة بل مندوب اليها ومرغوب فيها؟ هل هناك قيد يخرج
صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك الاطلاق ويجعل زيارته وحده غير مندوب اليها ولا
مرغوب فيها؟.

فاقول لك رويدا يا اخى اعذرني في افراد هذا البحث بترجمة خاصة فان اولئك
الناس الذين عنهم حكينا فيما سبق منع زيارة القبور منعوا زيارته صلى الله تعالى عليه
وسلم واختصوها في المنع بتشديد شديد جدا. جعلهم يستيبحون مقاتلة زائريه صلى الله
تعالى عليه وسلم و صنفوا في هذه المسئلة بعينها مصنفات و اصدروا فتاوى تفهم اهل
الاسلام ان شد الرحال الى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز. اما لو شد المؤمن رحله
الى زيارة مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم للصلوة فيه فذلك جائز و دليلهم الوحيد الذى
هذبوه في كل مصنفاتهم و فتاوىهم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تشد الرحال الا الى
ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الاقصى) رواه الشيخان (البخارى و
مسلم) وغيرهما. و انى اعجب ثم اعجب ان يفهم ذو عقل منع زيارته صلى الله تعالى عليه
وسلم من هذا الحديث مع فهم جواز شد الرحال الى المدينة المنورة بانواره صلى الله تعالى عليه
وسلم لاجل الصلاة في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم و انما عجبت ثم عجبت من ذلك
الفهم لان المدينة المنورة بانواره صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان لها اى قيمة بين البلاد
قبل هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم اليها. و هذا المسجد الكريم مسجده صلى الله تعالى
عليه وسلم لولا اضافته اليه عليه الصلوة والسلام لكان ككل المساجد لا فضل له على اى
مسجد من مساجد الدنيا. فالمسجد انما عظم هذه العظمة و صارت الصلاة فيه بالف صلاة
في سواه هذه المساجد لانه المسجد الذى اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم و بناه و الذى
يشرفه بالصلوة فيه و الذى كانت تهيم فيه الرحمت و البركات لخطوته بحلول شخصه
الكريم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

و اذا كان الامر هكذا فهل من المعقول ان يقال ان هذا المسجد له بركات تعود
على المسافرين اليه فلماذا يجوز شد الرحال اليه. و اما لرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الذى
ما عظم المسجد الا بنسبة اليه فلا بركة فيه تعود الى زائريه و اذن لا يجوز ان تشد الرحال

الى زيارته ان هذا انما يقوله المجانين الذين لا يَعْتَوْنَ ما يقولون او يقوله عدو الاسلام و
رسول الاسلام و اما المؤمنون الذى له حظ من العقل فلا يمكن ان يخطر بباله هذا المعنى
السخيف. و الحديث الذى يستند اليه لئولئك الذين يريدون ان يحولوا بينه صلى الله تعالى
عليه وسلم و بين امته فى ناحيته و ما يذهبون اليه فى ناحية اخرى. فانه يتكلم عن المساجد
خاصة يقول للناس انتم عملاء يجب ان تصان اعمالكم عن العبث الذى لا فائدة فيه.
فاوصيكم ان لا تسافروا و تتحملوا متاعب السفر و مشاقه من اجل ان تصلوا بمسجد من
مساجد الدنيا فاهمين ان له فضلا على غيره لا تفعلوا ذلك فانكم تتعبون فى سفركم بلا
فائدة تعود عليكم. لان المساجد كلها فى مستوى واحد لا فضل لبعضها على بعض لكن
لا تفهموا ان ذلك على عمومته بل فى الدنيا مساجد ثلاثة لها ميزة على غيرها من المساجد،
المسجد الحرام بمكة، و المسجد النبوى بالمدينة المنورة، و المسجد الاقصى بالقدس. هذه
المساجد وحدها لو شددتم الرحال اليها لا يضيع تعبكم بل يعود عليكم من الثواب بمضاعفة
ثواب الصلاة فيها ما يوازى تعبكم و زيادة.

و انما امتازت هذه المساجد الثلاثة لان المسجد الحرام امر بينائه فبناه سيدنا
ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام و كان يساعده فى بنائه سيدنا اسمعيل عليه السلام ثم
هو بجوار بيت الله الحرام قبله العالمين. فلذلك البناء و هذا الجوار العالى نال من الشرف ما
جعل الصلاة فيه مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد.

و اما مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعظمته لما قدمنا ثم هو بجوار بيته صلى
الله تعالى عليه وسلم ولا يشك مؤمن فى ان بيته صلى الله تعالى عليه وسلم مهما على شرفه و
عظم قدره لا يصل ابدًا الى شرف بيت رب العالمين. لهذا كانت الصلاة فى مسجده صلى
الله تعالى عليه وسلم بالف صلاة فيما سواه ليشير التفاوت فى عظم الثواب الى التفاوت فى
شرف الجوار.

ولان المسجد الاقصى بناه سيدنا يعقوب عليه السلام بعد ان بنى المسجد الحرام
جده سيدنا ابراهيم عليه السلام باربعين سنة كما جاء فى حديث ورد ان الذى ابتداء بنائه
سيدنا دواد عليه السلام و اتاه سيدنا سليمان عليه السلام و هو غير معقول بالنسبة للمسافة

التي بينهما. والحديث بها متفق عليه ويمكن ان يكون الذي كان منهما عليه السلام تجديدًا. ثم كان هذا المسجد مصلى انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام و كان بجوار بيوتهم و بجوار روضاتهم التي هم بها بعد انتقالهم الى الرفيق الاعلى عليهم السلام ولا يخفى ان جوار الانبياء وان كان رفيع القدر عظيمًا لا يصل الى درجة كرم جواره صلى الله تعالى عليه وسلم. لهذا كانت الصلاة في المسجد الاقصى بخمسائة صلاة فيما سواه من المساجد كما ورد. هذا التجديد في الكل بحديث رواه البيهقي في (شعب الايمان).

هذا ما يستطيع الانسان ان يفهمه من السر في التفاوت بين هذه المساجد الثلاثة وبين غيرها وفي تفاوت الثواب بينها هي.

ولنعد الى الكلام مع المانعين زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم فنقول لو فهمنا ان النهى عن شد الرحال في الحديث المذكور عام في كل سفر الا السفر الى هذه المساجد للزم انه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي نطق بهذا الحديث وعليه انزل ما كان فاهما له او كان يفهمه ولكنه ما عمل بمقتضاه وبقي غير معمول به او غير مفهوم حتى جاء هؤلاء و فهموه وعملوا به. ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يسافر للجهاد ويأمر بالسفر له و بالسفر لتعليم العلم وتبليغ الشريعة بالسفر للقضاء بين الناس واقامة العدل بينهم و هي اسفار لم تكن الى هذه المساجد بل الى غيرها. و كان اصحابه رضى الله عنهم يسافرون للتجارة و الى ما يهمهم من شؤون الدنيا في اى ناحية من نواحي الارض وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ذلك ويقره ولا ينكر عليه بل شد الرحال اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو موضوع النزاع كان في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فان الوفود كانت تفد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من انحاء الارض مسافرين له لم يبعثهم على ذلك الا حب لقائه صلى الله تعالى عليه وسلم يرى هذا ويقره بل ويحرص عليه بما كان يثبت به تلك الوفود من الجوائز كان يمنحهم بها وهو الآن في روضته الشريفة مثله وهو حتى تماما كما برهنا على ذلك سابقا فزيارته الآن لا تختلف ابدا عن زيارته قبل ان ينتقل الى الرفيق الاعلى و نبه هو صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك في قوله (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكاغما زارنى في حياتي) رواه الدارقطني في سننه والبيهقي وابن عساكر و

الطبراني في (معجميه الكبير) و (الاوسط).

و ليس ما تقدم هو الذى يلزم على فهمنا ذلك الحديث كما يفهمه اولئك الناس بل يلزم كذلك ان نحبس انفسنا فى الدوائر التى نحن مقيمون بها حبساً لا نخرج منه ابداً لانا ان خرجنا منها فقد سافرنا الى غير المساجد الثلاثة ويلزم كذلك ان لا يجوز لنا السير فى الارض للاعتبار والعظة وقد امرنا ربنا عز وجل بهذا السير فى كتابه وحرصنا عليه فى غير آية من كتابه فهل يتناقض ربنا العليم الخبير فيا امر بالسير فى الارض بكتابه وينهانا عنه فى سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

ويلزم ايضا ان لانسافر لصلة ارحامنا اذا كانوا بجهات بعيدة وقد امرنا ربنا بهذه الصلة وشدد علينا فيها. و وعد من يقوم بها ان يصله وتوعد من اخل بها ان يقطعه.

ويلزم كذلك ان يكون علماء الاسلام من اول هذه الامة الى اليوم فى خطأ عظيم حيث انهم يعتقدون فى كتبهم الدينية الابواب والفصول يذكرون فيها زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم ما يتعلق بها من ترغيب فيها ومن آداب ينبغى ان تراعى فى القيام بها. و هل يسمح عاقل ان يلتزم كل تلك اللوازم الشنيعة من اجل كلمة فلتت من رجل عاش فى سخط الامة ومات فى سخطها مبعداً بالسجن عن الناس لئلا يطير شره عليهم ووصل سخطه علماء عصره عليه الى درجة ان ضللوهم وفسقوه وبدعوه وحكم بعضهم عليه بالكفر والخروج من الملة الاسلامية. بل كفر بعضهم من يطلق عليه لقب شيخ الاسلام والاف هذا فى ذلك ما ابان به وجهة نظره فهل رجل ذلك حاله يصح ان يلتفت اليه فضلاً عن ان يحترم الى درجة ان يقلد فيما يذهب اليه.

ولورأى القارئ ما اثبت عليه علماء عصره من الكذب والتدليس فى النقول حتى الاحاديث لا يؤيد ما يريد ان يذهب اليه. ولورأى ان بعضهم اثبت عليه عقائد تتعلق بخالق السموات والارض فى غاية الشفاعة لفرّ هارباً واضعاً يده على رأسه مستعيذاً بالله تعالى من غضبه وانتقامه هذا هو الرجل الذى افتتن به الناس اليوم لحد انهم عادوا اهل الاسلام من اجله ونبذوا مذاهب ائمة الاسلام وهداة الخلق لمذهبه.

وانسى بما احمل من لقب عالم اسلامى آمر و اشد في الامر كل مؤمن ان يشتد رحله الى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم وانه على ذلك ما قاله هو عليه الصلوة والسلام فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) رواه الدارقطنى و البيهقى وغيرهما.

وقال (من جاءنى زائرا لا يعلمه حاجة الا زيارتى كان حقاً علىّ ان اكون له شفيعاً يوم القيامة) رواه الطبرانى في (معجمه الكبير). و الدارقطنى^(١) في (اماليه) وابن المقرئ^(٢) في (معجمه) وغيرهم.

وقال (من زارنى متعمداً كان في جوارى يوم القيامة) رواه العقيلي^(٣) وغيره. وهو شئ لا يسمعه مؤمن ويهدأ له بالّ حتى يتشرف بالمثل بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وهل بى جنون حتى اصدر امرى للمؤمنين ان لا يزوروا رسولهم وولى نعمتهم الذى له فى عنق كل مؤمن مئة محال ان يقوم بشكرها؟ ومن يستطيع ان يكافى من اخرجه من نار ابدية الى نعيم ابدى. ان من يامر الناس ان لا يزوروا سيد الوجود وصفوة الخلق لا يدري ماذا يفعل انه يحول بين عباد الله وبين رحمة الله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة الله للعالمين فليعرف ذلك، اولئك المانعون ليعلموا فى اى موقف هم؟

وانسى احب ان يعلم القارئ المؤمن ان الاجماع على طلب زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم طلبا اكيدا لم يخالف فى ذلك لاعالم ولا جاهل ولا اسود ولا ابيض ولا رجل ولا امرأة. بل صرح بعض هداة الامة ان هذه الزيارة واجبة فرارا من الجفاء الذى رمى به صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يزره فانه قال عليه الصلوة والسلام فيما رواه ابن النجار (من لم يزرنى فقد جفانى) قال (ما من احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر) و هذا شئ يخيف اهل الايمان.

نعم لم ير الناس ولم يسموا من عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لهذا العهد الذى نحن فيه الآن احدا يخالف فى طلب هذه الزيارة الكريمة، الا هذا الرجل الذى نشر

(١) علي الدارقطنى توفى سنة ٣٨٥ هـ. [١٩٥ م.]

(٢) ابن المقرئ احمد المالكي توفى سنة ١٠٤١ هـ. [١٦٣١ م.] في مصر

(٣) محمد العقيلي عدت الحرمين توفى سنة ٣٢٢ هـ. [٩٣٤ م.]

اليه و من اغتربه من عصره لليوم وهم افراد يعدون على الاصابع بين امة باسرها تعد بمئات الملايين عندهم هذه الزيارة بعد الحج الذى هو احد اركان الاسلام. وليفهم القارئ معنى هذا اللفظ الضخم بعد الحج ولو كان لهؤلاء المانعين عقل و روية لسكتوا عن الجهر بهذه الشنيعة وهم يرون عباد الله تعالى بالآلاف و الملايين تبعثهم الاشواق المقلقلة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيتركون اوطانهم و احبابهم و اموالهم يتابعون المسير ليلا و نهارا يبتهلون الى ربهم ان يطيل آجالهم حتى يصلوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا وصلوا فلا تسأل عن مبلغ ما يقوم بهم من مسرات ثم مسرات فان ذلك شئ انما يعلمه العليم الخبير. و من قرأ عبارات المشاق لذلك المقام الكريم عرف ان المؤمنين فى عالم و هؤلاء المانعين فى عالم آخر. و لودنا القارئ من تشرف بذلك المقام فى طريق اياه الى بلاده حيث يلقي الاحباب و الابناء و الاوطان و الاموال بسمع انات تتلوها آنات و زفرات تتصاعد اثر زفرات حنيننا الى الرجوع ثم الرجوع الى ذلك المقام الرفيع مقام اجل عبد رآه هذا الوجود: مقام الشفييع المشفع احب خلق الله الى الله. و اوجه اهل الوجاهة عنده تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم و رزقنا زيارته مرات ثم مرات فى عفرو عافية اللهم آمين.

تعالى ربنا ان يكون جسماً

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الآية. الشورى : ١١)
ذلك قوله تعالى عن نفسه فى كتابه الكريم وهو فى نفى عام ينطق فى صراحة ليس بعدها صراحة انه تعالى لا يشبهه شئ ولا يشبه هو تعالى شيئاً من هذا العالم علوية و سفلية. هكذا وصف ربنا نفسه وهو وحده الذى يعلم حقيقة نفسه فهو وحده الذى يعلم كيف يصفها وليس لاحد كائنا من كان ان يستقل بوصفه علت كلمته ولو كان نبياً مرسل او ملكا مقربا. فان بيننا معشر الخلق، و بينه عز و جل التباين التام هو قديم و نحن حادثون وهو خالق و نحن مخلوقون. فلو كان مثلنا لكان مخلوقاً مثلنا او كنا خالقين مثله و هذا باطل اذن لاصلة بيننا و بينه تعالى يمكن معها لاي مخلوق ان يحيط علماً به عز و جل حتى يصفه باى وصف. اذن هو عز و جل منزّه عن المادة و كل خصائص المادة. و من هنا اخذ القول المعروف (كل ما خطر ببالك فانه بخلاف ذلك) اذن العقول معقولة عقلاً تاماً عن ان

نحوم حول هذا الحمى المقدس باكثر مما وصف تعالى به نفسه الذى منه قوله تعالى (....لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * الشورى : ١١) هذا اصل قاطع لا نزاع فيه يرجع اليه كل نص جاء في شريعتنا يومهم ظاهره خلاف ذلك.

اذن للاستواء فى قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * طه : ٥) معنى ما يناسب ربنا عز وجل خلاف ما يوممه ظاهرا للفظ وهو ما لا خلاف فيه بين ائمة الهدى من اول هذه الامة الى اليوم.

و هاك امثلة تفهم منها كيف يقول فى هذا اولئك الهداة رضى الله تعالى عنهم عن امنا الجليلة السيدة ام سلمة رضى الله تعالى عنها انها قالت فى هذا الاستواء (الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به ايمان، والجحود به كفر) رواه ابن مردويه واللالكائى.

وقال فيه سيدنا ربيعة بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه : (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعل الرسول البلاغ وعلينا الصدق) رواه اللالكائى.

وقال فيه تلميذه الامام مالك بن انس رضى الله تعالى عنه استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف. وكيف عنه مرفوع وقال للسائل عن ذلك وانت رجل سوء، صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل رواه البيهقى.

و اذا كان سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه يرى السائل عن هذا مبتدعاً ولا يتردد فى الحكم على مجرد سؤاله هذا بانه بدعة من اجلها يهان الرجل ويطرد من مجلس العلم الذى لا يطرد منه مسترشد؟

فماذا يظن القارئ به رضى الله تعالى عنه اذا رأى قوماً لا يسألون فقط عن كيفية هذا الاستواء؟ بل يتهمون بكل جرأة على شرحها وبيان معناها ليس ذلك لانفسهم خاصة فكان يرمون الامر بل يتجاوزونها الى غيرهم. ولا يقتصرون فى بيان ذلك الكيف على السننهم تشرح ذلك لكل من يظفرون به من الامة بل تعدوا ذلك الى بيانه باقلامهم

ليبقى بعدهم ما بقيت الدنيا فكتبوا كتباً ملئوا الأرض بها كلاماً وعينوا فيها هذا الكيف كل التعيين فقالوا ان ربنا عز وجل له العلوم من جميع الوجوه فعينوا له تعالى جهة والذى له جهة له مكان قطعاً وعينوا هذه الجهة وذلك المكان فقالوا انه على العرش بذاته ولئلا يخطر على البال معنى يؤول هذا تاويل يلىق به عز وجل قالوا ان العرش يثط ويصوت حقيقة به تعالى كما يثط ويصوت الرجل تحت الراكب المستعجل ولم يكفهم كل هذا فى بيان غرضهم بل جنوا وقالوا ان ربنا تعالى يدنى نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيام ويقعده بجانبه على العرش. الى هذا الحد وصل هؤلاء الناس فى شرح كيفية هذا الاستواء الذى اتفق ائمة الهدى انه غير معقول وكيف يعقل هذا الاستواء مع قوله تعالى ((... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ *)).

ولو انا نزلنا انفسنا من هؤلاء الناس منزلة سيدنا مالك من سائله ما وجدنا كلمة تؤدى ما فى نفوسنا من ناحيتهم ولولا انا بصدد رد مقالاتهم هذه ما استجزنا لانفسنا ان نحكيها وصفاً لربنا وولى نعمتنا فى الدنيا والآخرة ولكنه مقام البيان يخرج الى مثل هذه المضائق.

ولقد الف احد ائمة هؤلاء الناس قصيدة طويلة عريضة تعد بالآلاف احد عناوينها (فصل فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بانه ليس على العرش آله يعبد ولا فوق السموات آله يركع له ويسجد) هذا العنوان فقط من التفت اليه فهم منه ان الرجل فى غضب شديد على معتقدى تنزيه الله تعالى عن حلوله على العرش بذاته. ولا يرى ازاء هذا الا ان يرد عليهم ويفهمهم ان الخالق المعبود فوق العرش بذاته ويابى ان يذكرهم الابوسفين وصف الجهمية ووصف المعطلة.

اما الجهمية فسبة الى جهنم بن صفوان الذى قال عنه هذا الرجل فى نونيته هذه ما لا يقال ولا يعاد وهو تلميذ الجعد بن درهم الذى صحى به احد الولاة فى آخر دولة بنى امية خطب هذا الوالى يوم العيد الاكبر وبعد ان انتهى من خطبته قال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم والى مصبح بالجمد بن درهم ثم نزل فذبحه متقرباً الى الله تعالى بتطهير الارض منه.

(١) جهنم بن صفوان السمرقندي قتل سنة ١٢٨ هـ. [٧٤٥ م.] فى حسان

و اما المعطلة فيعنى بهم من لا يوافقونه في عقيدة ان ربنا جسم قاعد على العرش بذاته فعطلوه باعتقادهم هذا من هذا الوصف مع انه موصوف به كما يزعمون. هذا حكم هذا الرجل على مخالفه في طالعة عنوان واحد من عناوينه الكثيرة. ومعنى هذا ان الامة باسرها جهمية ومعطلة في هذه العقيدة، مع انها عقيدة المسلمين في كل عصر.

بل غلا هؤلاء الناس ثم غلوا في حكمهم على من خالفهم حتى حكموا عليهم بالشرك بل جعلوهم شرا من المشركين ولسنا نقول هذا دعاوى مجردة، بل نقولها معها ادلتها التي لا تقبل طعنا وكلها من نونية هذا الرجل واسمع ما يقول.

شعر:

والفوق وصف ثابت بالذات من * كل الوجوه لفاطر الاكوان
لكن نفاه الفوق ما دافوا به * جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بان قدر الله اء * لى لا بفوق الذات للرحمن

واسمع:

ان العلوه بمطلقه على التـ * ..مميم و الاطلاق بالبرهان
له العلو من الوجوه جميعها * ذاتا وقهرا مع علو الشان

واسمع:

الله فوق العرش فوق سمائه * سبحان ذى الملكوت والسلطان
ولعرشه منه اطيظ مثل ما * قد اطر رحل الراكب العجلان

واسمع:

بل عطلوا منه السموات العلى * و العرش اخلوه من الرحمن

واسمع ما يقوله : لسان المنزه يلوم المجسم على اعتقاده ذلك

وزعمت ان محمدا يوم اللقا * يدينه رب العرش بالرضوان

حتى يرى المختار حقا قاعدا * معه على العرش الرفيع الشان
وزعمت ان لعرشه اطا به * كالبرحل اط براكب عجلان

واسمع ما استحسنته في كتاب آخر له وانشده وهو:

فلا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعه.

اي اعترفوا ايها الناس واعتقدوا اعتقادا لا يشربه انكار ان ربنا قاعد على العرش وانه
يقعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بجانبه يوم القيمة. واسمع:

واعلم بان الشرك والتعطيل مذ * كانا هما لاشك مصطحبان
ابدا فكل معطل هو مشرك * حتما وهذا واضح التبيان

واسمع ما هو اشد:

لكن اخو التعطيل شر من اخي الـ * إشراك بالمعقول والبرهان
واسمع ما يتضمن ان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه يوافقه على الحكم بالكفر على كل من
ينزه ربه عن ان يكون جسما قاعدا على العرش، قال:

و كذلك النعمان قال وبعده	*	يعقوب والالفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه	*	فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر ان الله فوق العرش لا	*	يخفى عليه هوا جس الاذهان
فهو الذى لاشك في تكفيره	*	لله درك من امام زمان
هذا الذى في الفقه الاكبر عندهم	*	وله شروح عدة لبيان

ولقد عجبت و طال عجبى لما رأيت هذا مسندا الى هذا الامام الاعظم في كتابه
الضيق الاكبر و راجعت هذا الكتاب من اوله الى آخره فلم ارفيه اشارة الى هذا القول و
الذى وجدته فيه يناقض هذا النقل كل المناقضة وهذا ما يقوله رضى الله تعالى عنه في
ذلك الكتاب عن ربنا عز وجل لاحد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له له يد ووجه و

نفس فما ذكر في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف. ولا يقال ان يده قدرته او نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول القدر والاعتزال ولكن يده صفة بلا كيف و غضبه ورضاه صفتان من صفات بلا كيف.

هذا كلام الامام في هذا المقام وهو ناطق بانه رضى الله تعالى عنه كبقية السلف في الايمان بالمتشابه دون تعيين كيف بل اول كلمة من هذا الكلام ترد على هذا الرجل اكبر رد فانه رضى الله عنه يقول لا حد له وهذا الرجل يحدده تعالى ثم يحدده وابن هذا من هذا؟ فهذا الرجل رغم دعواه الامامة والاجتهاد المطلق يروج بدعته هذه بالكذب على الامام ابي حنيفة رضى الله عنه. وهذا الفقه الاكبر بين ايدينا فليراجعه من شاء وغير غريب ان يكذب هذا الرجل فانه مبتدع داعية الى بدعته غال فيها كل الغلو وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصرف بدعته كما قرره العلماء رضى الله عنهم.

تركمت متن الفقه الاكبر الذى احالنا عليه واخذت اقلب فى صحائف شرحه للملا على القارى لعلنى اعثر على هذه المقالة، وبعد تعب كثير عثرت عليها ومعها الحكم عليها بالكذب ولم اعثر عليها الا بعد ان انتهى المتن وما يتعلق به وجدتها فى اوائل المسائل التى الحقها الشارح بشرح الكتاب وهذا ما عثرت عليه.

قال رحمه الله وما روى عن ابي مطيع البلخى رحمه الله انه سأل ابا حنيفة رحمة الله عليه عن قال لا اعرف ربى فى السماء هوام فى الارض فقال قد كفر لان الله تعالى يقول (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * طه ٥) وعرشه فوق سبع سمواته قلت فان قال انه على العرش ولا ادرى العرش فى السماء ام فى الارض؟ قال هو كافر لانه انكر كونه فى السماء فمن انكر كونه فى السماء فقد كفر، لان الله تعالى فى اعلى عليين وهو يدعى من اعلى لامن اسفل انتهى.

والجواب انه ذكر الشيخ الامام ابن عبد السلام فى كتابه جل الرموز انه قال الامام ابو حنيفة رحمة الله عليه من قال لا اعرف الله قال: تعالى فى السماء هوام فى الارض كفر، لان هذا القول يوهم ان للحق مكانا ومن توهم ان للحق مكانا فهو مشبه انتهى. ولا شك ان ابن عبد السلام من اجل العلماء واوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لاعلى ما

(١) حكم ابو مطيع البلخى الحنفى توفى سنة ١٩٩ هـ. [٨١٤ م.] فى بلخ

(٢) عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسى توفى سنة ٩٧٨ هـ. [١١٠٧ م.]

نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوى مع ان ابا مطيع رجل وضاع عند اهل الحديث كما صرح به غير واحد. هذا كلام العلامة ملا على القارى. ومنه يعلم امور:

الامر الاول: ان تلك المقالة ليست فى الفقه الاكبر وانما نقلها عن ابى حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون اسنادها الى الفقه الاكبر كذبا يراد به ترويج البدعة.

الامر الثانى: ان هذا الناقل مطعون فيه بانه وضاع كذاب لا يحل الاعتماد عليه فى نقل يبنى عليه حكم فرعى فضلا عن اصلى فالاعتماد عليه. وحاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها ان يروج بدعته.

الامر الثالث: ان هذا النقل صرح امام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن ابى حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذى نقله عن هذا الامام الاعظم رضى الله تعالى عنه فاعتماد الكذاب واغفال الثقة خيانة يراد بها تأييد بدعته وشي حرام تكفى واحدة منها فسط لان تسقط الرجل من عداد العادل العاديين لا نقول عن عداد العلماء او اكابر العلماء او الاثمة المجتهدين ويعتلم الامر اذا علمنا ان الخانات الثلاث فى نقل واحد وهو مما يزعم الناظر فى كلام هذا الرجل على ان لا يثق بنقل واحد ينقله. فانه لافرق بين نقل ونقل فاذا ثبتت نجاته فى هذا جاز ان تثبت فى غيره وغيره

اسا الامام يعقوب اندى هو ابو يوسف رحمة الله عليه صاحب الامام الاعظم رحمة الله عليه فلم اعثراه على كلام كهذا بعد البحث الطويل فلمعله كذب آخر غير ما تقدم، بل لاشك فى انه كذب يروج به هذا الرجل بدعته ويجعل ابا يوسف كالا امام من اسلافه فى اعتقاد هذا البلاء العظيم.

قد يقول قائل لعل الرجل لا يعلم حال ابى سليح ولا يكون اطلع على التكذيب؟ فاقول أجمته مطلق دونه كل مجتهد كما يدعى هو وشيخه و كل مفتتن بهما ولا يعرف الكذابين الوضاعين ان ذلك ليس بمعقول كما انه ليس من المعقول ان يطالع الرجل شروح الفقه الاكبر دون ان يعرف مذهب الامام فى التشابه وذلك فى فاتحة الكتاب فاذا لم يكن رأى تكذيباً لهذا النقل الا ذلك لكفى. زد على ذلك ان العز ابن عبد السلام قبل هذا

الرجل بزمَن وكتبه يتهافت عليها الصغير والكبير لعلمه وفضله فلمدم اطلاق هذا الرجل على كلام العزلا يرضاه هو لنفسه. ولا يرضاه له محبوه لانه يكون غفلة عما بين اليدين و هل يرضى لنفسه امام دونه كل امام في نظر نفسه ونظر المغرورين به. وانا نناقش هؤلاء المساكين مناقشة هادئة ننظر هل يرضى العقل بهذه العقيدة؟ عقيدة ان ربنا عز وجل جالس على العرش بذاته. قديم عندكم ام حادث؟

فان قلتم حادث انقطع الكلام بيننا وبينكم من اول خطوة. فان الذي يمتد حديث الخالق لا يخاطب والكلام معه ضائع.

وان قلتم انه قديم كما هو اعتقاد المسلمين وعليه الشرائع الالهية والعقلاء من اول الدنيا. انتقلنا الى سؤال آخر وهو ا قديم هذا العرش الذي فوقه ربنا القديم ام حادث.

فان قلتم انه قديم انتهى الكلام بيننا في هذه الخطوة الثانية فانه لا خلاف بين الاديان كلها في ان كل ما عدا ربنا حادث بما في ذلك العرش.

وان قلتم انه حادث قلنا لكم ا كان ربنا القديم على هذا العرش الحادث قبل ان يوجد ام لا.

فان قلتم كان انتهى الكلام معكم في هذه الخطوة الثالثة فان الذي لم يوجد هناك ان يتصور العقل ان يكون محل كون وقرار عليه فان ذلك يقتضى انه موجود والقرص انه معدوم.

وان قلتم لا انتقلنا الى سؤال آخر وهو كيف استوى ربنا بذاته على العرش بعد ان وجد هذا العرش؟ هل تغير ربنا عما كان عليه قبل وجود العرش وبهذا التغير صار على العرش ام لم يتغير ومع ذلك صار على العرش؟

فان قلتم تغير حتى صار على العرش قلنا لكم معنى هذا انه تحرك وانتقل عما كان عليه حتى صار على العرش ومعروف ان الحركات والسكنات من اخص خواص الاجسام، فعمل هذا يكون ربنا جسماً واذن يكون حادثاً فان كل جسم حادث بلانزع و

اذن يكون ليس بالآله والمتفق عليه انه آله.

وان قلتم لم يتغير ومع ذلك صار على العرش. قلنا هذا ليس بمعقول فانه قبل ان يخلق العرش ما كان على العرش قطعاً فاذا كان على ما كان عليه بعد وجود العرش لم يتغير. كان معنى هذا انه ليس على العرش قطعاً. كما كان قبل وجود العرش وتناقض ان تقولوا انه على ما كان عليه ومع ذلك صار على العرش والى هنا سدت جميع المنافذ في وجوهكم وظهر لكم انكم تقولون في ربنا ما لا يقبله نقل ولا عقل.

فان التزمتم ذلك وتماديتم على مقاتلتكم هذه بالغنا في بيان فساد ما انتم عليه و قلنا لكم اذا كان ربنا فوق العرش بذاته كما تزعمون فقولوا لنا أبينهما اتصال وتماس كما يتماس الجالس منا بمجلسه ام لا؟ فان قلتم لا كان عجيبياً فان عبارتكم صريحة في الاتصال والتمكن والمماسه فانكم تقولون فوقه بذاته وتقولون فوقه بذاته وتقولون قاعد او جالس او يجلس بجانبه غيره فاذا لم يكن مع هذا تماس ولا اتصال ولا تمكّن فلا فوقية حينئذٍ ولا ذات ولا قعود ولا جلوس ولا اجلاس وبهذا تسجلون على انفسكم انكم تقولون ما لا نعقلون.

وان قلتم نعم اثبتتم على انفسكم اثباتاً قاطعاً انكم تقولون انه تعالى جسم فانه لا يتصل بالمكان ويتمكن من الجلوس عليه الاجسام. ومن يقول ان ربنا جسم نقول له ولا نكنى انت تؤمن برب غير رب العالمين فان رب العالمين يصف نفسه بقوله في كتابه (...). لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * الآية. الشورى: (١١) واذا كان لا مثل له كان غير جسم قطعاً والذى يؤمن برب جسم يقول ان ربه الذى يؤمن به مثل جميع الاجسام العلوية والسفلية و اين هذا ممن ليس كمثله شيء.

علم هذا الفريق علماً ليس بالظن ان الله جسم كالا اجسام. فالتزم ان يثبت له مكاناً يحل فيه كمسائر الاجسام فان محالاً ان يكون جسم في غير محل يحل فيه.

واما نحن فنتزعه ربنا عن كل هذا ولا نتردد في الحكم بان من يؤمن به يؤمن بغير رب العالمين والذى نقوله ان ربنا كان قبل المكان عرش وغيره وخلق العرش وغيره من

هذا العالم وهو بعد الخلق على ما كان عليه منزلها عن الجسمية وعن لوازم الجسمية. فلا مكان له لانه كان قبل المكان ولا يحتاج الى المكان والا فكيف كان مستغنيا عنه قبل خلقه.

يا ربنا لك الحمد على حلمك هذا الذى لا يتناهى على عبيدك الذين يقولون فيك ما لا يناسب قدرك نعم لا احد اصبر منك يا مولاي على اذى تسمعه كما يصفك رسوك صلى الله تعالى عليه وسلم فان بعض عبيدك يقول انك لست بموجود وانت الذى لولاك ما كان موجود فانه ليس بمعقول ان توجد الاشياء انفسها او توجد هي وحدها بلا موجد فان ايجادها انفسها يقتضى انها موجودة معدومة متقدمة متأخرة فاعلة منفعة في آن واحد وهو محال وجودها وحدها بلا موجد فيه حدوث بلا محدث وفعل بلا فاعل وهو محال كذلك. ويقول بعض عبيدك ان لك شركاء لا يحصرون كلهم يستحقون العبادة معك ولو كان الامر كما يقولون لأمكن ان يختلفوا فلا يكون من هذا الوجود شئ وهو مشاهد الوجود.

ويقول بعض عبيدك ان لك اولادا. وبديع السموات والارض الذى بهذه القدرة الباهرة اى حاجة له بالولد الذى انما يقصد ليكون قوة وعونا للوالد.

ويقول بعض عبيدك ان لك زوجة والزوجة تتخذ للولد. وقد علم غناك عنه فمحال ان تكون لك زوجة ثم الزوجة تكون من وادى زوجها فلو كانت لك انت الها آخر. فيمكن الاختلاف فيلزم المحال. وكذلك يقال في الولد.

ويقول بعض عبيدك الذين نتكلم معهم الآن انك جالس على العرش كجلوس احدنا في مكانه وقد تبين فساد ما سبق.

كل هذا وما مائله مما لا يليق بجلالك وعظمتك يا مولاي يقوله من يقوله وانت تسمعه وتحلم على من يقوله بل وترزقه تغدق عليه ما تغدق من النعم التى لا تحصى واذا تنبه لخطئه يوماً واناب اليك ونزهك عما يقول واعتقد فيك ما انت اهل به بدلت سيئاته حسنات وعفوت عنه وغفرت له وجعلته من احبابك الذين اعددت لهم دار كرامتك

الابدية لهم فيها ما اشتبهت انفسهم انك يا مولاي غفور رحيم عفو كريم فلك الحمد حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك.

ولنعمد الى ما كنا فيه فنقول ان هؤلاء الناس الذين يقولون ان ربنا على العرش بذاته على بدعة من اشنع البدع واقبحها واجرئها على الله عز وجل وابعدا عن الحق كما انها برهان من اوضح البراهين على سخافة العقل الذي يقبلها ويصدق ان ربنا كما تمتصه وكل الذي تمسك به هؤلاء الناس ويؤيدون به هذه البدعة. ظواهر آيات و احاديث يجب ان تفهم على غير هذا الظاهر فرارا من المحال الذي يترتب عليه ونحن نعلم وكل مسلم يعلم ان العقل اصل الشرع واساسه وعليه بنى فلا يمكن بحال من الاحوال ان يكون في هذا الشرع ما يقف العقل في وجهه ويعانده وينابذه.

والذي اتفقت عليه الائمة انا اذا رأينا في الكتاب او في السنة ما ظاهره يصطدم مع العقل وجب صرفه عن هذا الظاهر ليتلائم ويتفق مع العقل وفي الكتاب والسنة كثير من هذا صرف عن ظاهره دون اي توقف في صرفه ذلك.

ولو انا اخذنا بكل ظاهر من ظواهر الكتاب والسنة دون ان تعمل عقولنا فيه لانقلنا في عشية اوسعاما من صفوف المسلمين الخلق الى الكافرين الذين لا ريب في كفرهم.

وبعد فكل الايات والاحاديث التي جاءت تدل على ان ربنا استوى على العرش لم تقل آية منها ولا حديث ان ربنا استوى على العرش بذاته وهذا القيد (بذاته) من اختلافات هؤلاء الناس اكاذيبهم على الله ورسوله. ونحن نقول في هذا كما يقول سلفنا الصالح رضى الله تعالى عنهم في التشابهات كلها. ان له معنى لا نقا بربنا هو يعلمه ونحن لا نعلمه. وننزه ربنا عن ظاهره هاهنا ولا نعتقد فيه ابدا وبهذا نبأ من التشبيه والتعطيل.

و اذا ابى هؤلاء الناس الا الاخذ بما يقتضيه هذا الظاهر قلنا اذن صار الاخذ بظواهر الشريعة قاعدة لكم في مثل هذا مما جاء يثبت ظاهره لربنا صفات تشبهه بخلقه،

فانتم اذن تقولون ان ربنا تعالى في السماء اخذا لظاهر قوله تعالى ﴿ءَايِسْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ الآية. الملك: ١٦) فان من يفهم هذا النص على ظاهره يقطع بانه تعالى مطرووف في السماء والسماء ظرف له هو داخلها مع الملائكة وهذا غير كونه تعالى على العرش قطعاً فهل نأخذ بالنصين معا فنقول انه تعالى على العرش وفي السموات في آن واحد ام كيف الحال وتقولون انه تعالى في الارض كما انه في السماء كما يقول عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ الآية. الزخرف: ٨٤) وكما يقول تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الآية. الانعام: ٣) فهاتان الايتان تقولان بحسب ظاهرهما ان ربنا تعالى وتقدس في الارض كما انه في السماء فكيف يكون ربنا على العرش وفي السماء وفي الارض في وقت واحد؟ واذا لاحظنا مذهبكم الذي يقول بذاته قلنا انكم تقولون انه تعالى بذاته في كل من السموات والارض والعرش فيكون ربنا على مذهبكم ذوات ثلاثة. ونسلكم تقولون انه في كل بذاته وهو واحد. واذا قلتومعا وجدتم لكم نظيراً يقول ان الثلاثة واحد. بل وتقولون انه تعالى مع كل انسان كما يقول عز وجل (... مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ الآية. المجادلة: ٧) واذا اضفنا الى ذلك انه مع كل انسان بذاته لزم انه تعالى ذوات تعد بالملايين وبملايين الملايين.

وكذلك تقولون انه تعالى فوق صراط مستقيم بذاته كما يقول سبحانه (... إِنْ رُبِنَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هود: ٥٦) وهو مثل (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى طه: ٥) تماماً فما قيل فيها يقال هنا.

وتقولون كذلك انه تعالى (... بِأَنبَإِهِمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ الآية. البقرة: ٢١٠) ان مذهبكم هذا يقول ان ذوات ربنا وامكنته لا تنتهى ابداً وكل هذه وما مائلها وهو كثير محالات لا يقول بها احد لكننا لو تقيدنا بالظاهر من النصوص الشرعية صرنا اليها ولا بد. اذن لابد من الاستنارة بنور العقل في مثل هذه النصوص وجناية كبرى على الدين ان يهدد العقل ولا يلتفت الى ارشاده في فهم كتاب ربنا وسنة رسوله.

كل هذا نقوله توضيحاً للمقام في ذاته وتساهاً مع هؤلاء الناس ولو انا ضيقنا

عليهم و دققنا في محاسبتهم ما تكلمنا معهم كلمة واحدة و لرايناهم احقر من ان يخاطبوا. و هل يستحق ان يخاطب من يقول ان ربنا يجلس احد خلقه بجانبه على العرش يوم القيامة. و لعل جاهلا محبا للرسول صلى الله تعالى عليه و سلم يقول هذا غاية التعظيم لنبينا صلى الله تعالى عليه و سلم فماذا فيه؟ فاقول ولكنه غاية في نقص ربنا عز و جل و هل من العقل ان يعظم المؤمن الرسول بما يكون نقصاً في رب الرسول؟ و هل ذلك الا كما كان من قوم سيدنا عيسى عليه الصلوة و السلام في تعظيمه؟ و من من العقلاء يرضى ان يصف ربه بانه قاعد على العرش قعودا يشاركه و يقارنه و يجاوره فيه احد خلقه ان هذا القرآن لا يرضاه العقل ابدا.

و الذى تصرح به هذه المقالة ان هؤلاء الناس يختارون ان ربنا عز و جل لا يساوى العرش و لا يزيد عنه و انما ينقص عنه. فانه لولا نقصه هذا عندهم ما وجد فيه مكان يجلس فيه النبي صلى الله تعالى عليه و سلم و انى لارى المناقشة مع هؤلاء الناس بعد نقل هذا النص عنهم لا معنى لها لا ثبات انهم يعتقدون الجسمية في ربنا عز و جل و بهذا النص ايضا اصبحنا لا نستغرب اعتقادهم ان ربنا تعالى جسم ذاهب في الكبر و الشغل الى حد لا تتصوره العقول و كيف تتصور العقول كبر و ثقل جسم لا يحمله العرش الا بصعوبة و عناء. لدرجة انه يثبط به و يصوت حقيقة كما يثبط و يصوت رحل الراكب تحته. و العرش معلوم ان السموات و الارض بالنسبة له شئ صغير فان الجميع في جوفه يحيط بها كما يحيط الظرف الكبير بالمظروف الصغير.

و انى ازيد القارئ بصيرة بعقيدة هؤلاء الناس فاترك هذا التلميذ و اعرج على شيخه الذى لا يعجبه حتى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و لا سيدنا على ابن ابي طالب كرم الله وجهه و فى نظره ان كل الامة فى نهاية الغباوة و الجهل و البعد عن الحق فليسمع القارئ نقلا عنه فى غاية الضخامة يليق بمشيخته و مركزه العظيم.

قال لاحياه الله و لا بياه ان الله اعظم من كل شئ و اكبر من كل خلق و لم يحمله العرش عظما و لا قوة، و لا حمله العرش حملوه بقوتهم، و لا استقلوا بعرشه و لكن حملوه بقدرته و قد بلغنا انهم حين حملوا العرش و فوقه الجبار فى عزته و بهائه ضعفوا عن حمله

واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا (لاحول ولا قوة الا بالله). فاستقلوا به بقدرته الله و ارادته ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السموات ولا الارض ولا من فيهن. ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم اكبر من السموات السبع والارضين السبع؟ انتهى هذا الكلام بعجره و بجره.

ولعل القارئ تعثره دهشة ويسارع اليه انكار ان هذا النقل صادر عن ذلك الرجل المسكين وانى احول بينه وبين ذلك الانكار وارجوه ان يراجع المجلد الخامس والعشرين من كتاب (الكواكب الدراري) لابن ذككون الحنبلي وهو محفوظ بالخزانة الظاهرية بدمشق. ليراه بعينه هناك بالحرف الواحد ضمن كتاب رد به هذا المسكين على كتاب (اساس التقديس) للفخر الرازي ومن ذلك المجلد نقله بحاشية معروف وبخطه الكريم وصل الى. وهذا النص لا يبقى معه في نفس اى انسان ادنى شك في ان القوم يعتقدون من قرارة نفوسهم ان ربنا جالس على العرش حقيقة بدرجة من الثقل جعلت حملة العرش على قوتهم الهائلة لا يقرون على حمل العرش وفوقه ربهم تعالى ولشدة ذلك الثقل وقعوا وقوعاً جثوا فيه على ركبهم ولم يستطيعوا ان يقفوا معتدلين حتى لقنهم فائدة (لا حول ولا قوة الا بالله) فلما لقنوها امكنهم ان يحملوه عز وجل ولولا تلك الفائدة لعجز العالم كله سمواته وارضه وانسه وجنه وملائكته ان يحملوه. - تنزهه وتقديسه - وبينما انت في غيبوبة لدهشتك من عظم وثقل هذا الجسم اذ تسمع هذا الرجل يقول انه تعالى لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة. فتستقل به وتحمله بقدرته ولطف ربوبيته.

هكذا يقول هذا الرجل المسكين وهو كلام يصح ان يكون وصفا لمعنى خيالى روائى. لا وصفا لرب العالمين تعالى وتقديس. وانى لاظن ان الوثنى يَسْمُو بضمه عن هذا الخيال المضحك ولست اتصور استعدادا يصدر عنه مثل هذا التخريف الا استعداد قدماء المصريين وتصوراتهم في آلهتهم اما استعداد اسلامى فمعاد الله ثم معاذ الله ان يخطر على فكره مثل هذه السخریات.

ولسنا نترك هذا الكلام على فساده دون ان نناقشه فنقول الانسان اذا ادعى ان

الله يتصف بكذا وجب عليه ان يثبت ذلك بدليل شرعى لا مغز فيه فهل من هذا الوادى قول هذا الرجل وقد بلغنا الخ. حتى يثبت لا ثبات ما وصف ربه به؟ لقد بحثت ثم بحثت عن اصل يصح ان يرجع اليه كلام هذا الرجل فلم اجد شيئا ابدا لا فى كلام ربنا ولا فى سنة نبيه لكننى رأيت كلمات نقلت عن وهب بن منبه الرجل المعروف بانه اجبارى يكثر من حكاية الاسرائليات التى غالبها لا اصل له تلك الكلمات تحكى عجز الملائكة عن حمل العرش حتى لقنوا الحوالة وباقى النقل السابق ليس بموجود اصلا مع تلك الكلمات فهى من زيادات هذا الرجل من غير شك ليروج بدعته ومع ذلك لا يحل للرجل العالم ان يحكى مثل هذا الكلام الاسرائيلى سندا لحكم فرعى او عقيدة ما دام لا سند له من كلام الله ولا كلام رسوله. بل كلام الله وكلام رسوله ينكرانه كل الانكار. ثم كيف لو شاء لحملته بعوضة مع تلك المبالغات الهائلة فى وصف ضخامته وعظمه وثقله تعالى. ومع العلم بان البعوضة من اصغرها خلق الله عز وجل. هل يتغير ذلك الجسم من تلك الحال الى صغرو وخفة يناسبان البعوضة ام يبقى على ما هو عليه ومع ذلك ثقله البعوضة وتقوى على حمله وهو عليها.

ان اخترتم الاول لزمكم ان ربنا يتغير ولوقام التغير بربنا كان حادثا بلا نزاع وهو محال. وان اخترتم الثانى لزم محال ايضا فان العقل لا يستطيع ان يتصور جرما فى نهاية الصغرو والضعف يقوى ويتسع لحمل جرم فى نهاية الكبر والثقل وكل منهما على ما هو عليه وقد عد ربنا ان دخول الجمل فى سم الخياط محال. وعلق على وجوده دخول الكفار الجنة واذا كان هذا محالا فكيف لا يكون الف الف محال ذلك الذى تختارونه واذا بطل هذا وذاك كان هذا الكلام المنقول من هذا الرجل المسكين كاذبا لا محالة لا يجوز ان ينسب الى الشرائع السماوية الحكيمية. ولا ان يتصف بمضمونه مولانا الذى يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص وبهذا النقل الكاذب الخاطى الجنونى اصبحنا لا نتردد فى ان القوم لا يرون من النقص فى شىء ان يعتقدوا ان ربنا عز وجل جسم محدود وانه قاعد وجالس على العرش قعودنا على امكنتنا وان العرش يقله بصعوبة وعناء لحد انه ينط و يصوت من ثقله عليه لا يكونون فى هذا ولا يعنون معنى مجازيا وانه قادر على ان يتشكل

من صغر الى كبير وبالعكس وعلى ان يثقل ويخف، ويخف ويثقل وهذه صفات لا نعرفها لربنا عز وجل الذى خلق السموات والارض وما فيهما واليه المصير وانما هي صفات لرب آخر بخيله هؤلاء الناس ورضوه رباً لانفسهم. وقد عاجلناهم بما تقدم لينبذوا هذا الاله الذى بتلك الصفات الخيالية الخرافية. فان تبعونا فالخير ارادوا لانفسهم والا فليهنؤا به ثم ليهنؤا.

واما نحن فنكفر باله هذا وصفه ولا نرضاه رباً لنا ابداً لانا اعقل من ان نرضى لانفسنا فضيحة كهذه لا نظن ان الرجل العاقل يفتضح باكبر منها. نعم نحن نرفع قدر العقل عن ان يلتفت لمثل هذا الا بغاية الاحتقار والازدراء والمقت ولا نصدق ابداً ان يصفى لمثل هذا وصفا للخالق المعبود الا المجانين واشباه المجانين وذلك ما نسجله هنا و تلقت له نظرقوم افتنوا بهذا الرجل المسكين وتلميذه ذلك افتانا اداهم لان يقلدوهم التقليد الاعمى مع الاستماتة في حبهما والدفاع عنهما وتقديسهما التقديس الذى يندهش له كل من يعرفه وبينما تراهم مع هذين الرجلين هكذا اذا تراهم يرمون الائمة الاربعة بكل داهية ويرونهم احقر من ان يقلدوا وهم الذين وقع الاجماع من الامة كلها من عهدهم لليوم على انهم جديرون بقيادتها في دينها. ولذلك اتبعتم بما فيها من اولياء و علماء وملوك وسواهم من فضلاء العالم. وانا اتبعهم ذلك الاتباع لما كانوا عليه من فرط الورع وسعة العلم ونفوذ البصيرة وقوم هذا حالهم لا ينتظر لمقلدهم الماشى وراههم الا الوصول الى ما يريد من السعادة في الدنيا والآخرة.

نعم نرجو ان يلتفت اولئك المفتنون بهذين الرجلين الى ما نحكى عنهما من سوء عقيدة ما سمع الدهر بمثلا ومن يد خائنة تعودت ان تكذب وتدلس وتنقل الحقائق الدينية على غير وجهها وفي غير مواضعها وقد تقدمت عينه من ذلك عن هذا الرجل وعن تلميذه ومن رجل خاطئة لا يعجبها السير الا في سبيل من لا يوثق بهم من اهل الاهواء والاغراض كما وصف الشيخ بذلك بعض معاصريه، وكما نراه باعيننا في كتبهما. و كذلك تجدهما اذا استدلا نقلا كل ما هب ودب مما لا حقيقة له تعرف ولا اصل له بوصف. يهيم في اوديته هذا الرجل وتلميذه ويوردان منه ما يوردان. وهما يعلمان قيمته و

قدره جرياً وراء بدعتيهما هذه التي استحكمت ثم استحكمت في نفوسهما حتى افقدتهما العقل والرشد. نعوذ الله من البدع وآثارها ومن قلوب تتأجج وتلتهب غضبا على كل عباد الله خصوصاً احباب ربنا عز وجل. ذلك فوق ما الرجلان عليه من طيش و رعونة لاحد لهما. ومن نظر في كتبهما نظرة بسيطة يتقن ما اقول و اناس هذا حالهم من الظلم الفاحش ان يكونوا ائمة لخيرامة اخرجت للناس. ولعله لا يتردد عاقل في ان من يشي وراء امثال هؤلاء هالك ثم هالك.

وعجبنا العاجب ان يتعصب هؤلاء الناس لهذه المقالة الجنونية لحد ان يختصوها بقسط عظيم من عنايتهم حتى الفوا فيها المؤلفات التي لا تحصى ولقد بلغت الجراءة باحد هؤلاء المساكين ان يسمى رسالة الفها في هذا الموضع باسم (اثبات الحد لله عز وجل وانه قاعد وجالس على العرش) هذا العنوان وحده كاف وفوق الكفاية لاثبات المقصود. فانظر كيف لم يسنح مؤلفها محمود بن ابي القاسم الدشتي من قوله (قاعد وجالس) لا تكفيه مادة الجلوس وحدها ولا مادة القعود وحدها وفي كل منهما غنية ولكنه جمع بينهما بصيغة اسم الفاعل التي تفهم التلبس بالفعل ليفيد غرضه ثم مؤكدا بعد تأكيده كل التأكيد بقوله (اثبات الحد لله عز وجل) فانه تعالى اذا كان محدودا كان جسما في مكان قاعدا وجالسا او على اى شكل كان لان المحدود هكذا يكون لقد رفع هذا الرجل برفع الحياء عن وجهه وجاهر بما عليه القوم مجاهرة لا تحتل صرفا ولا تاويلا واذا كان اسم الرسالة فقط يفيد كل ما ذكرنا فما ذا عسى ان ينتظره القارئ من المعنون له.

ومعلوم ان هذه الطائفة اذا كتب احدهم في مثل هذه المعانى اجلب بخيله ورجله. لا يرقب الا ولازمة لا في رب ولا في مربوب بجولات لاحد لنشاطه فيها لا تخلوا في ميادين البدع والمبتدعين.

وانا بعد هذا البيان نجزم ان القارئ صارق اماكنه ان يقيد هؤلاء الناس بقيد من حديد ويجمع ايديهم الى اعناقهم. ثم يقبض على تلك الاعناق باصابع من فولاذ قبضا لا يستطيعون الإفلات منه بحال فليحرص عليه ثم ليحرص فانه مما انفردت به هذه الرسالة والله تعالى اعلم.

الأجتهاد والمجتهدون

الاجتهاد المطلق مقام رفيع كم حاول الوصول اليه فحول فقضوا وهم في هذه المحاولة ومحجوب شاسع المزار كم سافرت اليه ابطال على نجائب المم عشرات السنين قطعوا فيها من شعابه واوديته ومهامه الكثير ثم الكثير ثم كلت رواحهم وانقطعت دون ان يدنوا منه. وميدان كم هم ان ينزل فيه فرسان، ولكنهم بعد ان رأوا اهل السباق فيه رجعوا مقتنعين انهم ليسوا من رجال هذا الميدان وانما كان الاجتهاد بهذه المنزلة لانه قيادة عامة للامة بأسرها ويزيد في خطورة هذه القيادة انها مقيدة بسلوك سبيل واحد هو سبيل الله تعالى الذى ارسل لبيانه لنا سيد انبيائه صلى الله عليه وسلم فالقائم في هذا المقام ينوب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان تلك السبيل للناس كافة لا يشبهه على اى سالك منزل من منازلها ألا وهو مستعد للارشاد اليه وهذه الطريق بجانبها سبل اخرى لا يحصى العدد ولا يأتى عليها البيان. وما من سبيل منها الا وعلى رأسه ما لا يعد ولا يحصى من شياطين الانس والجن يدعون اليه السالكين مؤكدين كل التأكيد انه سبيل الله تعالى حقاً اما سبيل الله الذى هو سبيله بلا ريب فيقولون فيه بلهجة جازمة انه سبيل مفضلة مهلكة لا يلاقى مسالكها الا الردى. ولا ينتهى الا الى الشقاء. ولا يقولون ذلك مطلق قول بل يردفونه ببراهين عدد المطر كل برهان له مقدماته ونتائج. والمضلون لا يعدمون من الابطاطيل ما يسمونه براهين ويدندون ثم يدندون حول مقدماتها ونتائجها ليقوموا حق القيام برؤايفهم الاغوائية.

ولا شك ان قيادة ذلك شأنها في منتهى الدقة والخطر كيف لا؟ والمتصدرها ورائه امة لم تسر خلفه خطوة الا بعد ان فهمت منه ان الطريق الذى كلف الله عباده بسلوكه هو عين الطريق الذى يسلكه ومعنى هذا انه ان ضلّ ضلّت ورائه كل الامة وقد علمت ان المضلات كثيرة ثم كثيرة واى خطر فوق هذا الخطر؟

وان شئت فقل في تحديد هذا القائد ان الامة لم تسر خلفه الا بعد ان سمعت

حكمه بان كل ما يستنبطه من الاحكام التكليفية يدعو العالم الى العمل به دل عليه الكتاب و السنة جزئية جزئية وهو حكم لا يجرؤ على اصداره الا رجل مخصوص رجل عرف من اللغة العربية لغة ونحواً ما يكفى لفهم الكتاب و السنة فما يعتمد على الوضع العربى و الذوق العربى فان من لا يعرف ذلك من العربية لا يؤمن عليه ان يفسر الآية او الحديث بمعنى فى ناحية و المعنى الذى وضع له اللفظ او التركيب فى ناحية اخرى و يحيط مع هذا بآيات و احاديث الاحكام لئلا يفزع الى القياس فى حادثة و فى الكتاب و السنة ما يدل على حكمها.

و معلوم انه لا قياس مع وجود النص، و ليس ذلك فقط الذى يعرفه بل يضيف اليه معرفة الناسخ و المنسوخ من الكتاب و السنة لانه اذ لم يعرف ذلك ربما اصدر حكماً تكليفاً يتعب الناس فى امتثاله وهو منسوخ و لا ينتصر على هذا بل يحيط معه علماً بما اجمع عليه العلماء قبله لئلا يقود الناس الى ما يخالف اجماع العلماء و ما الى هذا ينتهى ما يحيط به بل عليه مع ذلك ان يعلم من فن الحديث دراية ما يميز به صحيح الحديث من حسنه، من ضعيفه، من موضوعه لئلا يختلط عليه الامر فيحكم فى الحل و الحرمة مستنداً الى حديث ضعيف او يميز ان يعمل الناس بالموضوع و كل لا يجوز و لا يقف الامر فى علمه الى هذا الحد بل و عليه ان يعلم من علم الاصول. اصول الفقه ما به يفهم متى يفيد الدليل الوجوب او الحرمة او الندب او الكراهة او الاباحة. و ماذا يعمل لو تعارض دليلان نص و ظاهر او ظاهر و محكم او محكم و مفسر او منطوق و مفهوم او عام و خاص او مطلق و مقيد او كانا من واحد و اتفقا قوة وضعفاً او اختلافاً. و كيف يتصرف اذا لم يجد فى حادثة كتاباً و لا سنة و لا اجماعاً و ما الى ذلك مما لوجهه المتصدر للقيادة لم يدر اين سبيل الله و اين غيرها من السبل المفضلة.

كل هذا يجب ان يحيط به علماً من يقول انى مجتهد.

ولهذا كله اساس يجب ان يكون قبل الكل و هو الاعتقاد السليم البعيد عن البدعة و الاستقامة التى تنكسر عندها سهام المطاعن دون ان تخدشها بخدش لان المجتهد قدوة فى عمله و اعتقاده.

فاذا كان مبتدعاً قاذ الناس الى بدعته فاوردتهم المهالك واذا كان غير مستقيم شكك الناس في امانته فنبذوه او مشى وراءه في اعوجاجه من لا يشك فاورد الموارد وعلى كل لا يصلح ان يكون اماماً.

ولما كان الاجتهاد هذا طول سبيله وعورته لم يكن في عهد النبوة وهو ابرك الاعصار واجلها من هذا الطراز العالى الا افراد وقد كانوا عرباً نزل القرآن وجاءت السنة بلغتهم مع ما كانوا عليه من الذكاء الفطرى الذى ما سمع الدهر بمثله ثم مع ذلك ما كانوا يحتاجون لعلم كثير ما ذكرنا فانهم كانوا يتلقون الشريعة من مهبطها صلى الله عليه وسلم يستمعونها من لسانه الكريم تخرج من بين شفتيه الكريمتين لا معلم ولا استاذ لهم غيره صلى الله عليه وسلم وهو سيد المعلمين واستاذ الاساتذة ولا تنس انهم في اناتهم مغمورون في بركاته لا تغرب عنهم شمس انواره ولا ينقطع مدد اسراره عنهم لحظة من ليل او نهار ومع كل هذا لم يصل منهم رضى الله عنهم الى هذا المقام مقام الاجتهاد المطلق الا افراد قليلون كما قلنا لك. وكان باقيهم رضى الله عنهم يرجعون في معاملهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او الى اولئك العلماء الذين نشير اليهم. فانهم كانوا يفتون بما تعلموه منه وهو بعد لم ينتقل الى الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم.

واحب ان يعلم القارئ مع ما تقدم ان الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا في حفظهم بدرجة نقلها نحن اليوم. ومن يعقل ان رجلاً تقرأ عليه قصيدة طويلة مرة واحدة فيحفظها ويعيدها كما سمعها. ويبلغ حفظه لها الى درجة ان يعيدها مرة ثانية من آخر بيت منها راجعاً الى اول بيت حتى ينتهى منها كما كان من سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

علم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه القوة فيهم فكان اذا حدثهم الحديث لا يعيده اكثر من مرتين وتكون قراءته امامهم ثلاث مرات كافية. لان يحفظه اضعفهم حفظاً وبذلك يكون قد تأكد كل التأكيد عند الباقيين. هذا نقول عن اناس حضروا الاسلام في عفوان شبابه ونهاية فتوته وكانوا في فرح به لا يحسد فانهم كانوا قبله في ظلمات بعضها فوق بعض عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا يتكلمون

كالانسام بل هم اضل كانوا ينحتون الحجارة بأيديهم يزيلون منها ما يزيلون ويبقون ما يبقون ويصورونها كما يشاؤون. ثم يضعونها بأيديهم حيث اشتهوا ثم يقبلون بعد ذلك كله على عبادتها كما يعبد المؤمنون رب العالمين.

وقد كانت تنزل بهم اعوام شديدة يجوعون فيها فاذا ألهمهم من الجوع بادروا الى آفة صنعوها من عجوة فتناولوها واكلوها ثم تبرزوها وقد كانوا قبل ذلك بلحيظات يعبدونها ويعتقدون انها آفة حقاً تضر وتعطى وتمنع فلما اشرقت عليهم شمس الاسلام تبددت عنهم ظلمات ذلك الكفر الشنيع وانفتحت ابصارهم وبصائرهم واسماعهم وانفتحت السنتهم فسمعوا الحق ونطقوا به وكما يشاء نظروا وعملوا.

فلو كان هذا المقام مقام الاجتهاد هينا لينا لكان كل هؤلاء الناس على الذروة العليا من الاجتهاد بكل تلك العوامل التي وصفناها لك وحيث كانوا مع الاجتهاد كما ذكرنا دل ذلك على ان مقام الاجتهاد بلغ من الاستعصاء التمتع، اسماً ما يتصوره المتصورون في مقامات البشر وزاد هذا المعنى وضوحاً ما كان في القرن الثاني والثالث بعد ذلك القرن الكريم قرن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فان السواد الاعظم في هذين القرنين الجليلين كان في درجة التقليد الصرف ولم يتجاوز هذه الدرجة الا افراد ايضاً. و تستطيع ان تعلم وصول اولئك الافراد الى هذا المقام بمعنى لا يجعله غريباً عند النفس. ذلك المعنى هو قربهم رضى الله تعالى عنه من عهده المبارك صلى الله تعالى عليه وسلم وتشرفهم برؤية اصحابه رضى الله تعالى عنهم او برؤية من رآهم او رأى من رأى من رآهم. وقد شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان هذه القرون الثلاثة خير القرون واخبر ان الله تعالى يفتح الجيش فيه واحد من الطبقة الرابعة من اصحابه ببركة ذلك الواحد. فاذا اختصت هذه القرون الثلاثة بقيادة الخلق وهداتهم واثمتهم كان هذا الاختصاص في غاية الظهور. وانى ارجو واشدد في الرجاء ان يكون هذا المعنى على بال القارىء فان به كان اولئك الناس ائمة القرن الثاني والثالث اعاجيب. وكيف لا وانت تسمع الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه يخبر عن نفسه انه لو امل ما يحفظ لوقر مركباً وتسمع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يخبر انه كتب حل بعير عن الامام محمد بن الحسن صاحب

الامام ابي حنيفة رضى الله تعالى عنهم في اول قدمه قدمها عليه وهو بالضرورة لا يكتب الا ما يحفظ واذا كان هذا حفظه عن واحد ممن لقيهم فكيف يحفظه عن الباقيين وهم كثيرون وكثيرون.

وتسمع ان الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه كان يحفظ الف الف حديث باسانيدها. ويعرف كيف يقول في اتي واحد من اتي اسناد من كل تلك الاسانيد ويعرف لما ذا قال فيه ما قال. نعم كانت صدورهم سجلات لا يمحي ما نقش فيها ما حيوا ولذلك كان احدهم يحدثك اليوم الحديث وتساله عنه بعد عشرين سنة فيسترده لك دون ان ينقص او يزيد حرفا واحداً. وانت لليوم وبعد اليوم تقرأ ان اصح الاسانيد ما كان عن مالك عن نافع عن ابن عمر لقوة ضبط سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه وحفظه. وساعد على هذا الحفظ الباهر ان مهمهم كان واحداً هوهم آخرتهم لم تشتت افكارهم في اودية الدنيا ولم تتفرق هواؤهم في شعابها وسباسبها وما كان لها في انفسهم اى مقدار ان اقبلت استخدموها فيما يرضى ربهم. كما تسمع ان سيدنا مالكاً رضى الله تعالى عنه قاسم سيدنا الامام الشافعى ماله مرات.

وكما تسمع ان سيدنا الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه عاد من اليمن الى مكة بمال جزيل فضرب خيمة جلس فيها قبل دخول البلد وفرق كل ما كان معه. وقام وليس بيده من كل ذلك المال درهم ولا دينار.

وكما تسمع ان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه رأى رجلاً يتوارى منه فناداه و سألته لماذا هذا التوارى؟ فاخبره انه مدين له بعشرة آلاف درهم من زمن بعيد فقال سبحان الله أبلغ بك هذا الامر الى هذا الحد؟ جعلتك في حل فاجعلنى في حل مما دخل في قلبك متري. كنت تعلقانى وكان رضى الله تعالى عنه ينفق مثل ما يصرف على نفسه واهله اما ما كان يواسى به تلاميذه من المال فهذا كان الذى لا يحصى وسبق الى سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه مال كثير وراه سيدنا الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وكانه اعجبه فوهبه له كله.

وان ادبرت عنهم لا تلتفت اليها قلوبهم. ولهذا تسمع ان سيدنا احمد بن حنبل

رضى الله تعالى عنه كان يمكث الايام محبوساً في بيته لا يجد من اللباس ما يصلح لخروجه و مع ذلك كانت تهدي اليه الهدايا الكثيرة فيردها فلاموه على ذلك فقال رضى الله تعالى عنه انها ايام قلائل وتنقضى.

واناس هذا شانهم في الاقبال على الآخرة وعدم الاهتمام بالدنيا ليس بغريب ان يصلوا الى ذلك المقام الرفيع. خصوصاً اذا كانوا من الورع كما تسمع عن ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه انه تخرج عن الاستظلال بظل حائط مدينة لثلا يكون ذلك نفعاً جره قرضه.

ومن تعظيم العلم الى مثل ما تسمع عن سيدنا مالك من انه كان اذا اراد ان يجلس للتحديث يغتسل ويتعطر ويلبس احسن ثيابه ويسرح لحيته ويتجمل ثم يجلس. ولدغته يوماً عقرب ست عشرة مرة وهو يحدث فكان يتغير ويتلوى ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيماً له.

ومن الخوف من الله تعالى الى مثل ما تسمع عن سيدنا احمد بن حنبل انه بال في طسب و هو مريض مرض الموت دماً عبيطاً. فرأى ذلك الدم طيب فقال في سيدنا احمد رضى الله تعالى عنه هذا رجل فتت الحزن كبده.

وكما تسمع ان الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه دعى للقضاء فامتنع عنه فضرب في ذلك بالسياط وحبس بل ومات في الحبس ولما سمع اشفاق المشفقين عليه وهم يقولون ماذا عليه لوولى واتقى هذه السياط؟ قال سياط الدنيا ولا سياط الآخرة.

ومن الاجتهاد في طاعة الله تعالى كما تسمع ان الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه مكث يصلى الفجر بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة.

وكما تسمع ان الامام احمد كان يصلى في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة فلما مريض وتقدمت سنه كان يصلى مائة وخمسين ركعة.

وكما يقول عنه من عاشره ما رأيته افطر الا يوماً واحداً افطر واحتجم.

و كما تسمع ان ابا حنيفة حج اكثر من خمسين حجة.

ومن الامانة في العلم بدرجة لا تخطر على افكارنا اليوم، كما تسمع عن سيدنا مالك رضى الله تعالى عنه يقول انى لا تفكر فى مسألة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لى فيها رأى الى الآن. ويقول من احب ان يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه فى الآخرة ثم يجيب ويقول ادركنا اهل العلم ببلدنا وان احدهم اذا سئل عن المسئلة كانما الموت اشرف عليه ويقول انى اخاف ان يكون لى من المسائل يوم اى يوم.

ومن التقلل فى المآكل والمشارب والزهد فيها الى مثل ما يقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما شبت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

و كما تسمع سيدنا مالكاً يقول لقد استحييت من ربى من كثرة ما اتردد على بيت الخلاء و كان لا يذهب اليه الا كل يومين مرة.

و ليس ما ذكر هو كل ما ساعد اولئك الافراد على وصولهم الى مقام الاجتهاد بل كان هناك مساعد اى مساعد فوق ما ذكر وهو ان الوقت كان وقت تبليغ الشريعة فكان تعلم العلم وتعليمه هو الميدان الذى يتسابق فيه الرجال اذ ذاك حتى كان الواحد يسافر لاجل التثبت من حديث واحد شهرا كاملا.

ولما ان الوقت كما قلنا كان ادعاء العلم اذ ذاك محفوف بالخطر. فلا يفتح احد فاه بتلك الدعوى الا وتجد هداة الامة كلهم اتجاء اليه ينظرون. اعحق هو فيما يدعى ثقة فيما يقول؟ ضابط لما يسمع؟ يستند فى علمه الى ركن شديد اذا استند اليه لا ينهار به؟ قدوة حسنة فى عقيدته وعمله فاذا توفرت هذه الشروط تركوه والناس يبلغهم ما يبلغ وامنوا الناس من ناحيته وان كان غير ذلك اخذوا على يديه وسدوا عليه المسالك ورفعوا اصواتهم اينما كانوا يبسينون للناس قدره ويحذرونهم من اخذ دينهم عنه ومن لم تصل اليهم اصواتهم لبعدهم او لأنهم لم يجدوا بعد كتبوا اليهم الرسائل والكتب التى بين ايدينا منها

لليوم السرج المنيرة و الشمس التي تغرب شمس السماء وهى لا تغرب و كم بهذه الكتب افتضح ناس و انفض الناس من حول اناس. و هل ننتظر منهم فوق انهم ربما قالوا فى الرجل انه لا يساوى بعرة و لقد وصل تحريهم و مبالغتهم فى وضع كل انسان فى منزلته. اللاتقة به ان بعضهم ذهب الى ان سيدنا احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه محدث فقط و ليس من فريق الفقهاء المجتهدين. و بين يدينا اليوم كتاب (الانتقاء فى فضل الثلاثة الاثمة الفقهاء) المالك و الشافعى و ابى حنيفة رضى الله تعالى عنهم و هو للحافظ ابن عبد البر رضى الله تعالى عنه و هو بالضرورة لم يقل ما قال الاتابعاً لرجال فى ذلك المهد.

هذا قولهم فى احمد بن حنبل و معروف من هو احمد بين الامة الاسلامية من عصره لليوم وهو الذى يقول فيه بعض معاصريه كأنه جمع له علم الاولين و الآخرين.

هذه الرقابة العلمية الشديدة على رجال ذلك العصر جعلت اولئك الافراد يبالغون ثم يبالغون فى استيفاء ما به لا تسهم تلك الرقابة و الرقابة العليا عندهم رقابة ربهم عز و جل كما تقدم ما يفهمك ذلك، لهذا وصلوا الى ما ارادوا و فوق ما ارادوا.

و لو اردنا ان ننقل للقارئ ثناء رجال العلم و حملة الشريعة فى ذلك العصر على هؤلاء الاثمة لطال بنا الكلام ثم طال فان كل امام من هؤلاء الاثمة المشهورين الف فى فضله مؤلفات تعد بالمجلدات فما ذا عسى ان ننقل؟ غربت شمس اولئك الاثمة رضى الله عنهم و لم تر الدنيا شمس امام بعدهم لهذا اليوم.

نعم انتهت تلك القرون و انتهى من تسمع وصفهم من رجالها و لم نسمع بعدهم ان رجلاً ادعى الاجتهاد المطلق و سمع ان تتبعه الامة كما تتبع اولئك الاثمة رضى الله عنهم لم نسمع ذلك و ان كان جاء بعدهم الكثير الطيب من العلماء الذين تطيش عقولنا اليوم لسماع وصفهم حفظاً و ديناً و سرفى انهم لم يدعوا تلك الدعوى مع فضلهم ذلك انهم كانوا علماء حقاً، عرفوا قدر انفسهم و قدر اولئك الاثمة فرأوا الفرق بينهما كبيراً و البون بعيداً فوقوا عند حدهم و رحم الله امرأ عرف قدر نفسه و هكذا انت لا تجد انساناً يعرف قدر انسان آخر الا اذا كان من واديه فى علمه فالمرء اذا كان عالماً يعرف قدر العالم. و اذا كان سياسياً يعرف قدر السياسى. و اذا كان حائكاً يعرف قدر الحائك و اذا

كان صائناً يعرف قدر الصائغ. و اذا كان حدادا يعرف قدر الحداد و اذا كان زارعاً يعرف قدر الزارع و هكذا فالجاهل لا يعرف قدر العالم ولا الحائك يعرف قدر السياسي و لا الزارع يعرف قدر الحداد ولا الحداد يعرف قدر الصائغ و هكذا و بارك الله في العلم ولا حرمنا منه فهو ابو كل الفضائل و منه ما نتكلم فيه و لقد حدث الجلال السيوطي نفسه رضي الله تعالى عنه ان يدعى هذه الدعوى دعوى الاجتهاد المطلق فكادت تسمع من فمه حتى قامت عليه قيامة العلماء في عصره و عرفوه قدره فسكت. و وقف عنه حده و السيوطي من يعلم القارئ حفظاً و اتقاناً و هذه كتبه تملأ الدنيا في كل فن من فنون العلم بل اين السيوطي ممن سبقه من علماء الاسلام في احاطتهم و يقظتهم. و مع ذلك لم تسمح انفسهم ان يدعوا تلك الدعوى كما قلنا لك ولو ادعوا ما قبلت منهم و لكنوا جاهلين بمقدار الامة.

هذا امام الحرمين رضي الله تعالى عنه يقول ما تكلمت في علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضي ابي بكر^(١) وحده اثني عشر الف ورقة يعني اربعا و عشرين الف صحيفة هذا يحفظه في فن واحد عن رجل واحد من اهل ذلك الفن. و قال يوما لتلميذه الامام الغزالي يا فقيه فتغير وجه الغزالي كأنه يستصغر هذا الوصف على نفسه فقال له افتح هذا البيت ففتح مكانا فوجده مملوءا بالكتب. فقال له ما قيل لي يا فقيه حتى اتيت على هذه الكتب كلها يعني حفظاً و كان امام الحرمين رضي الله تعالى عنه رجلاً شافعيًا عاديًا يتبع الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لم يدع الاجتهاد و هو يحفظ كتباً تملأ بيتاً.

و هذا السرخسي رحمه الله عليه [٣] يكتب كتابه المبسوط و هو ثلاثون جزءاً و كان اذ ذاك في السجن ليس له من المراجع الا صدره و هو اذا استدل لمذهبه او لمخالفه نقلاً او عقلاً يخيل لك ان الجبل يزول و دليله لا يزول. ثم يؤيد مذهبه بخدش مذهب مخالفه بما لا تشك معه ان مذهبه هو الحق. و لا تعجب ايها القارئ فان هذا الرجل نقل مترجموه انه كان يحفظ اثني عشر الف كراس اي اربعين الفا و مائتي الف صحيفة اذا كان الكراس عشر ورقات هذا حفظ السرخسي الذي مات في القرن الخامس كإمام الحرمين المتقدم و

(١) إمام الحرمين عبد الملك الشافعي توفي سنة ٤٧٨ هـ. [١٠٧٩ م.] في نيشابور.

(٢) القاضي أبو بكر محمد الباقلاني توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٣ م.] في بغداد.

(٣) شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد المتوفى سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

مع ذلك لم يدع الاجتهاد بل كان رجلاً حنفياً يتبع الامام ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه.

واذا كان ذلك حفظ اولئك المتأخرين فما ظنك بحفظ تلاميذ الائمة كالامام محمد الذى تقدم ان الشافعى رضى الله تعالى عنه كتب عنه حمل بعير في اول قدمة قدمها عليه. ولا يظن ان الشافعى كتب كل ما عنده من العلم. ومن راجع طبقات العلماء و اخبارهم وقف من هذا على العجب العجيب وقد يقع ما نحكى غرباً في نفوس اهل هذه الازمنة نظراً لفشو الجهل وضعف القوة الحافظة.

مات العلماء رضى الله تعالى عنهم ومات معهم علمهم وخلف من بعدهم خلف ليسوا في العلم هنا ولا هناك رأوا في انفسهم انهم علماء وانهم ائمة لخلو الزمان عن الائمة وكان اول هؤلاء على ما نعلم رجل رأيناه نحن باعيننا كان عند نفسه في السماء، وعند غيره من عارفيه لايزيد عن امثاله قدر تقدير ان لم ينقص عنهم وبين يدينا لليوم بعضهم هؤلاء هذا الرجل مقام الاجتهاد وتكلم في سهولته ثم تكلم حتى اوقع في نفوس سامعيه ان هذا الاجتهاد في امكان كل انسان. ثم مات وكلامه يرنّ في آذان من حضروا دروسه وتغلغل في قلوبهم ما فقهوه عنه فتقدم اناس منهم الى تلك الدعوى بقلوب كلها جراءة واستهانة بما تقدموا اليه. ثم تبع هؤلاء آخرون ثم سار ورائهم آخرون وصار كل واحد من هؤلاء داعية الى الاجتهاد المطلق حتى غدوا اليوم لا يحصرون فاصبحنا وقد امتلأ القطر من هذا الصنف صنف المجتهدين كل مجتهد منهم عند نفسه دونه بمراحل اكبر امام تقدم. ولذلك تراهم ينظرون الى الائمة رضوان الله عليهم بعين الاحتقار والازدراء. ويتكلمون فيهم بما يفهم سامعهم ان اولئك الائمة كانوا السبب الوحيد في كل بلية نزلت و تنزل بالمسلمين ويصرحون بان هذا الشر لا ينقطع مادام من مقلدى هؤلاء الائمة فرد واحد على ظهر الارض.

اما اذا تحققت فكرتهم وهم المصلحون العظماء عند انفسهم بان سلك وراءهم طريق الاجتهاد المطلق كل انسان ولو لم ير مجلس علم طول حياته فحينئذ تتغير الحال ينقلب الشر خيراً والبؤس يساراً والخنول نباهة والشقاء سعادة والضعف قوة. ومن جالس هؤلاء الناس وقرأ ما يكتبون تعجب كل العجب من حملاتهم المتتالية على كل

من لم يوافقهم على منهجهم وهم يسرون في هذا وراء رجلين سبّاه من عصور الى ما كان يدعى. وهما الرجلان اللذان عنهما كتبنا ما كتبنا في الفصل السابق ولقد كان لسانهما في هذا الميدان ميدان الطعن على الائمة ورميهم بالدواهي والطعن على مقلديهم احده من السيف و احتر من الجمر فورث هذا عنهما من اعجابه ووراءهما سار.

ان هذا وحده يدل دلالة قاطعة على ان هذه الطائفة من اولها الى آخرها ليست من الامامة بل ولا من العلم في شيء. فان كتاب ربنا عز وجل يقول (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ۗ الْآيَةُ الْحَشْرُ: ١٠) هذه الاية نقرأها ونسمعها كل يوم وهي تعلمنا العطف والرحمة على جميع المؤمنين موجودين او لحقوا بربهم وتطلب منا ان نسأل ربنا عز وجل ان يرزقنا الصفاء والمحبة لهم. وتخص من سبقونا بالايمان احياء وامواتا. فتدعونا ان نطلب لهم منه عز وجل المغفرة كما نطلبها لانفسنا ومن سبقنا من الائمة والعلماء بعدهم لم يستثنهم الله تعالى ممن سبقونا بالايمان. بل ورد النهي عن سب الاموات لما انهم افضوا الى ربهم. بل ورد ان الساعة لا تقوم حتى يلعن آخر هذه الامة اولها.

ومن هذا تعلم ان الطعن على اولئك الائمة ومن تبعهم من العلماء ممن سبقونا بالايمان مخالف لصريح القرآن وخروج على وصاياه وآية من آيات القيامة. خفت هذه الدعوى دعوى الاجتهاد على أولئك الناس لانها لا تكلفهم رجوعا الى نتائج ابحاث ائمة هذا الدين من عهد نزوله لليوم فان ذلك التحقيق لا يطيقونه ولا يصبرون عليه وانما الذي يعشقونه ويموتون في هواه دعوى الاجتهاد لانها دعوى لذينة طنانة زنانة فتجد احدهم يقول ما يقول ويعمل ما يعمل. فاذا سألته على اى مذهب ما تقول وتفعل؟ اجابك بكل تبجح بجج. على مذهب الكتاب والسنة وهو جواب يتضمن ان القوم يجزمون ان مذاهب الائمة الاربعة خارجة عن الكتاب والسنة. وما خرج عنهما ضلال مبين بلا تردد فتكون الامة من صدرها الاول لليوم في ضلال مبين.

ويتضمن ان الكتاب والسنة بقيا بلا فهم لهذا الزمان القريب من الساعة. فلما تشرف الوجود بحضراتهم انكشفت خفاياهما وتبينت للناس احكامهما وانا لا ادري ما

قيمة هذا البيان. وقد مضى من الامة شبابها واطيب حياتها واصبحت في دور الهرم والشيخوخة. ان امة تمكث خمسين وثلاثمائة والالف سنة تتخبط في دياجير الجهالات والضلالات. وكتاب ربها وسنة نبيا بينها لا تفهمهما ولا تعمل بهما لا يشك عاقل انها احط امة رآها هذا الوجود. هذا قدر هذه الامة المحمدية عند حضرات مجتهدي زماننا لكننا نرى كتاب ربنا وسنة نبينا يصرحان بخلاف ذلك. يصرحان بان هذه الامة (... خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * الآية. آل عمران : ١١٠) فليقل لنا حضرات مجتهدينا من نصدق؟ انصدقهم هم؟ ام نصدق ربنا ورسول ربنا؟ انى اخشى ان يطعن اولئك الناس على ما نذكر من الكتاب والسنة. لان مذهبهم في الحكم على الدليل بالصحة وبالبطالان موافقته لهواهم او مخالفته. فان وافق صح وان كان موضوعاً. و ان خالف كان باطلاً وان كان في اعلى درجات الصحة. والذي يظهر ان هؤلاء الناس لا يفضون ممن يقول لهم يا ابناء الضالين والضلالات لان الذى يحكم على امة باسرها حتى انتمها و علمائها لا يغضب لذكر افراد آبائه بالضلال وانا نترك هذا لهم.

وهل يدري القارىء من هم اولئك المجتهدون؟ الجواب انهم طبقات مختلفة من امثال الذين اخبرناك عنهم فيما تقدم من انهم وصلوا الى حد انهم انكروا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم اضاف الى انكار السنة ما فعله بالكتاب وهو في حكم انكاره وقد سبق ما يفهمك ذلك وبعضهم يرى الحديث الذى لا مطعن في صحته فيقول اذا لم يفهمه او خالف هواه هو صحيح السند ولكن معناه غير صحيح.

وبعضهم يرى ان الدين كله ان يكون مع الناس ظريفا لطيفا يوافقهم على كل ما يهونون ولا تغضب احدا منهم ولو بكلمة حق، تقولها له. اذا فعلت ذلك كنت لا بأس عليك حتى ولو تركت الايمان.

وبعضهم يرى ان الاجتهاد والاستنباط هو شتم هذه الامة وطعن في الصميم من دينها وعرضها وهذا الوصف وان كان عاما في جميع هذه الطوائف له مزيد اختصاص بهذا البعض وبين يدينا اليوم مجتهدة روى لها احد العلماء وهو موجود للآن. حادثة تدل على غيرة سيدنا عمر رضى الله عنه على النساء فكان جوابها على تلك الرواية قولها عمر هذا

الرجل منحط. هذا حكمها الذى اداها اليه اجتهادها. وعلة هذا الحكم انه غيور و هذه العلة موجودة عند كل مؤمن. وهى عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد و كذلك ربنا غيور. و لهذا حرم الفواحش كما اخبر عنه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فماذا تقول حضرة المجتهدة؟

وانى اعجب من هذه المجتهدة التى تقول هذا سيدنا عمر الذى لم يره هذا الوجود كثيرا من امثاله بعد النبيين. اتفقت على ذلك كلمة المرافق والمخالف و كيف يكون منحطاً يا حضرة المجتهدة من لو سلك فجا لها به الشيطان و سلك غير فجه كما نطق به الحديث الصحيح.

و من احكام هذه المجتهدة التى استنبطها و جازت بها أن الرجل لا يجوز له ان يباشر المرأة بعد ان تحمل لان باقى الحيوانات هكذا، متى حملت الانثى لا يقر بها الذكر و هو حكم من مواقف العقول فلنتركه لها دون اى خدش.

ولا اكثر على حضرة القارئ من ذكر اصناف هؤلاء المجتهدين و طبقاتهم و اختلاف نحلهم ومذاهبهم و مبلغ ما وصلوا اليه من البعد عن الدين الحق بسبب اجتهادهم ذلك. و لعل القارئ يعجب من ان يكونوا مجتهدين و بعيدين عن الحق لا تعجب ايها المؤمن، فان ذلك نتيجة لازمة لاجتهاد لا يعتمد على مقدماته اجتهاد كل مقدماته الدعاوى الطويلة العريضة التى لا اساس لها الا الجهل التطويل العريض والغرور الذى لانهاية له و صفاقة الوجه التى لا تؤثر فيها القوارع مهما تست و هل لاجتهاد هذا قدره الا نتيجة واحدة هى الضلال والاضلال.

والذى جراً هؤلاء القوم على تلك الدعوى عدم تقديرهم لمقدماتها او نتائجها. التقدير المناسب لها و قد سبق ان قلنا ان درجات اى طائفة اما يعرفها افراد هذه الطائفة لا الغريبيون منها فلجهل اولئك الناس بالاجتهاد و المجتهدين ادعوا ما ادعوا. و كيف يعد من طبقات اهل العلم من لا يميز ان يقلد احد احدا و يوجب على الكافة ان يجتهدوا و ان غضبوا و ابوا الا ان يحسبوا انفسهم من العلماء فليتحملوا اذا الحكم عليهم بانهم ينكرون قول الله عز و جل (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَفْرَمٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ السَّخَرِيفِ آذَانُوهَا بِهِ وَلَوْ رُذُوهَا إِلَى

الرَّسُولِ وَالْأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ * الآية. النساء ٨٣: وقوله تعالى (... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * النحل ٤٣).

فان الآية الاولى تخبر ان العقول تتفاوت و هناك امور تخفى على عقول ولا تخفى على عقول ولامت قوماً على مباشرتهم ما يخفى عليهم وجهه. وافهمتهم ان الواجب كان ان يَرُدُّوا ذلك الى من لا يخفى عليه. فكان يرشدهم الى الحق فيه بعلمه. وهذا غير ما يقولون.

والآية الثانية تقول في وضوح ان من الناس من تعرض له احوال لايعلمها و حينئذ عليه ان يسأل من يعلمها. وهذا كذلك غير ما يقولون ثم الحس يشهد لما نقول فانك ترى في الناس من تعالجه الايام والشهور بل وطول حياته على ان يحفظ آية من القرآن بل ان يخرج حرفاً واحداً من مخرجه فلا يستطيع. فكيف يكون مثل هذا مجتهداً؟

بيت:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى استامها كل مفلس

كيف يعرف من العلم شيئاً من ينكر السنة. وهى بيان الكتاب كما يقول عز وجل (... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ * الآية. النحل ٤٤) وهل عرفنا نحن كثيراً مما كلفنا به الا بالسنة فقد جاء الكتاب بتكاليف الفاظها الدالة عليها تدل لغة على غيرها. فلولا ان السنة بينت ان الشرع نقلها من معانيها اللغوية الى تلك المعانى الشرعية لكنا متمثلين التكاليف بمجرد فهمنا تلك المعانى اللغوية والعمل بما تتضمنه كيف يعرف من العلم شيئاً بل كيف يعقل من ينكر الكتاب مع السنة وهو لا يكون مجتهداً الا بالكتاب والسنة؟ بل كيف يكون هذا مؤمناً؟

وان شاء القارئ ان يلمس جهل هؤلاء الأدعياء فليقل لاي واحد منهم ارجوك ان تخبرنى عن فلان المحدث ما قيمته بين المحدثين؟ او احب ان اسمع من لفظك المبارك حديثاً نبوياً واحداً بسنده او اكون شاكر لو افهمتنى من اى واد من اودية الدلالة دلالة هذا الدليل على هذا الحكم؟ وتذكر له حكماً ودليلاً او اقبل يدك الكريمة كما علمتنى

كيف اعمل اذا حدثت حادثة وليس لها في الكتاب والسنة دليل صريح ولكني وجدت فيهما اشباها كل شبيه له حكم غير حكم الاشباه الاخرى لوقلت له هذا وما اشبهه من المسائل التي لا تخفى على طلبة العلم فضلا عن الائمة المجتهدين ما درى ما يقول فضلا عن ان يجيب عنه.

ولقد اردت يوماً ان اسير غورا امام كبير من هؤلاء الائمة فسألته عن مسألة ذات وجهين احدهما معتقده فسارع الى الجواب بما يعتقده فرأيت ان اخدش هذا الجواب خدشاً بسيطاً فما كان اسرعه الى الرجوع عن جوابه بمجرد سماعه هذا الخدش فضحكت وقلت هكذا يكون الاجتهاد وهكذا يكون المجتهدون.

كيف يصدق القارئ ان يكون امثال من ذكرنا مجتهدين لا سيما اذا علم انهم من الاعوجاج بحيث ان بعضهم لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج ولا يتهيب امورا اخرى لها المكان الاول في باب الرذيلة، وفي فطنة القارئ ما يغنينا عن تلويث القلم في تلك القاذورات.

ومن الجراءة على الفتوى بدرجة انك لو وجهت الى اجهلهم ادق مسألة لاجاب عنها فوراً بدون تأمل ولا روية. وربما لو وجهت هذه المسئلة الى سيدنا جبرئيل وميكائيل واسرافيل وجميع الانبياء والمرسلين واتباعهم العلماء الراسخين لوقفوا امامها موقف الحيرة والارتباب.

ومن الرغبة في الدنيا والشغل بها بحيث لا يتحرك الا لها وربما كانت صلاته وصيامه لها ان كان يصلى ويصوم.

ومن الغفلة عن الله تعالى بدرجة انهم بادروا الى ما نحكى عنهم من التلاعب بدين الله تعالى لما ايقنوا انهم لا يعاقبون على اعتقاد معتقده و لو كان كفرا بالله تعالى ولا على قول يقولونه و لو كان يعتدى على الاديان كلها ولا على فعل يفعلونه و لو بلغ ما بلغ من باب الرذيلة متى غفلت عنهم عين القانون الارضى و كانوا في مأمن في يده و تيقنوا مع هذا ان العصر لا يزن كل ما ينتسب الى العلم بميزان النقد الصريح العادل كما كان في

المصور التي قدمنا لك الكلام عنها ولو شابه هذا العصر تلك المصور فيما نقول لكان حى العلم اعز من ان يحوم حوله الادعياء وكيف يحومون وفي ذلك تكون فضيحتهم التي تدخل معهم القبور؟

ومن سوء الاعتقاد بالحالة التي حكينا لك بعضها فيما مضى ومن الخيانة في العلم والتصرف في نصوصه بدرجة لا يعلم القارئ مداها الا اذا تناول كتاباً من كتبهم وقرأه من اوله الى آخره وراجع نقوله مراجعة دقيقة لا اقول انهم يتصرفون في الفاظ النصوص فقط بل اقول ان تصرفهم في معاني ما ينقلون اشد واشمل هؤلاء هم مجتهدوا زماننا الذين ملأوا الارض تشنيعاً على من يخالفهم ويحذر الجهالة عن التقليد.

انى اصرح والقى تصريحى هذا بين اظهر الناس جميعاً اليوم انى منضم الى علماء الامة الذين قرروا ان باب الاجتهاد مغلق وأؤكد انا انه صفح في هذه الازمنة بصفائح من فولاذ وكيف لا اصرح بذلك وانا ارى بعينى اثار اعتقاد جواز الاجتهاد تفسد في الارض فساداً عظيماً ليس معنى ما اقول ان العقل يمنع ان يوجد مجتهد في هذه الاعصار او فيما بعدها ان هذا لا نقوله ولا نرى من يقوله في زمرة العقلاء لانه حكم على الله تعالى بانه منع فضله عن الناس وسد عليهم هذا الباب او انه ليس بقادر ان يخلق من فيه استعداد الاجتهاد والاول حكم يحتاج الى وحى ولا وحى. والثانى كفر بالله عز وجل ولكنى رأيت فساداً عظيماً ينفذ الى الناس في دينهم ودنياهم فسدت كما سد غيرى ينبوعه و لمحت استعدادات ضعيفة شرحت اثرها، وحكمت ان هذه استعدادات غير استعدادات الاجتهاد. هذا كل ما فعلته وهو ظاهر كل الظهور من كلامى لمن يتأمل ولا يطير بالكلمة يسمعا دون ان يدري من اين جاءت و الى اى واد ذهبت.

و لست ارى علاجاً لهذه الحالة التي تمثل الفوضى في العلم اقوى و اظهر تشيل الآ رقابة دينية فعالة تقف كل انسان عند حده. وان لم يقف ادبته الادب الرادع الذى يجعله عبرة لغيره بعد ان يفيدته هو الفائدة المقصودة. واما ترك الناس هكذا حبلمهم على غار بهم يقول كل امرئ، في دين الله ما يقول ويفعل ما يفعل فهذا ما لا يرضاه عقل ولا دين. نعم لقد وصلت الفوضى الى حمة اليوم الى حالة لا تحتل وكيف تحتل وقد وصلت الى حد ان

اكبر عالم دينى لو تكلم بكلمة دينية ينصح بها عباد الله وله عليها ماله من الادلة و
البراهين من كتاب ربه وسنة رسوله، لقام عليه ما لا يحصى من الشبان والشابات فلسقوه
بالسنة حداد، ومزقوا عرضه تمزيقاً وجعلوه فى الجهل الوحيد الفريد وكثير من هؤلاء يعجز
عن قراءة آية واحدة وقد لا يكون رأى فى حياته حديثاً واحداً وكثير منهم ثم كثير لم يقف
موقف عبودية لربه فى كل حياته ولكنه الجهل والغرور وعدم الحياء وعدم الرادع و
حسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد ازرى هؤلاء الجهلة بالمجتهدين وفضحوا العلماء وهوتوا الدين وصغروا من
شانه وجعلوا الاجتهاد العوبة من الاعيب وأضحكة من الاضحيك وما كنت اظن
ان تصل الجرأة على الاجتهاد فى دين الله الى هذا الحد ولولا انى ارى هؤلاء الناس
بمعينى ما صدقت ما يقال عنهم، وكيف اصدق ان يكون فى طبقات المجتهدين الذين
نتيجة اجتهادهم دين تدين به الامة. انسان ربما لم يربعنه كتاباً فى الشريعة ولا جلس
طول حياته بين يدي عالم دينى جلسة واحدة وكل الذى عنده من المؤهلات وجه صفيق
لا يعرف الحياء ولا يعرفه الحياء وكلما كان اقوى فى هذه الصفة يكون الامام الاكبر الاشهر
وان شئت ان ترى وتلمس الفرق بين مجتهدينا واهل الاجتهاد الصحيح فقل مجتهدنا ربما
لم يركع لله تعالى ركعة واحدة لافرضاً ولا نفلاً وابو حنيفة رحمة الله عليه يصلى الفجر
بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة وكل ليلة ركوع وسجود.

مجتهدنا قد لا يكون صام يوماً واحداً حتى ولا فى رمضان وابن حنبل يصوم الدهر
كله لا يفطر الا يوماً واحداً احتجماً فيه.

مجتهدنا لا يقف عند سؤال مهما دق واستصعبى ومالك بن انس يقف فى مسألة
واحدة بضع عشرة سنة لم يتفق له فيها رأى قاطع. ويسئل عن ثمان واربعين مسألة
فيقول لا ادرى فى اثنتين وثلاثين منها ويبكى من الفتاوى والمسائل ويقول انى اخاف
ان يكون لى من المسائل يوم اى يوم.

مجتهدنا قد لا يكون رأى حديثاً واحداً ويغضب كل الغضب ممن يتردد فى
الاعتراف باجتهاده وابن حنبل يحفظ الف الف حديث كما يقول ابو زرعة ولم يكتب

(١) ابو زرعة احمد الرازي توفى سنة ٣٧٥ هـ. [٩٨٥ م.] فى مكة المكرمة

سوادا في بياض الاحفظه كما قال ابنه عبد الله. ومع ذلك لا يتفق معاصروه على انه من الفقهاء المجتهدين.

مجتهدنا لو حفظ حديثا في الصباح ينساه في المساء لغلبة النسيان على الازهان في هذا العصر غلبة لا تكاد تتصور. وما كان يعرف هذا النسيان في علماء السلف فضلا عن مجتهديههم بل كانت صدورهم سجلات لا تمتد يد المحو الى ما بها بحال ولذلك حفظ الله بهم الدين ولو كانوا مثلنا ما وصل الينا من دين الله كلمة وقد سبق التنبيه على ذلك.

مجتهدنا يقبل قدميك لو عرفته بعظيم اى عظيم من عظماء الدنيا ولو وهما ولو كان من اكفر الكفار ويرى صحة هذا والتردد اليه شرفا لا يقاربه شرف. واهل الاجتهاد الحق يفرون من خلفاء المسلمين ويغضبون لتلك الصحة فيأبون كل الالباء بل يكرهون اكراها عليها ويهانون رجاء ان يقدموا عليها فيتجملون ما يهددون به وهو اليم. ولا يسمحون ان يصحبوا اولئك الخلفاء وقد سبق ما يدل على ذلك.

مجتهدنا يتهالك على المال ولا يبالي من اتى واد وصل اليه ولو من الربا او من مال يتيم. و ابو حنيفة يتخرج من ظل حائط مدينه.

مجتهدنا ربما اقتحم اخطر موبقة وهر يضحك لجراءته على الله بل ربما كفر بالله العظيم وخلع ربة الاسلام من عنقه فاهما انه بذلك وصل الى ذروة مقام الاجتهاد، و ائمة المسلمين في بكاء وعويل وانتحاب خوفاً وجلالاً على انفسهم ان يكونوا مغضوباً عليهم من ربهم مع انهم في طاعته ليلا ونهارا طول حياتهم لا تستثنى واحداً منهم.

سمع الشافعى رحمه الله عليه حديثاً في الرقائق فاغشى عليه حتى قيل مات. و سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) وَلَا يَأْذُنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ المرسلات: (٣٥ - ٣٦) فتغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه. فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين. اللهم خضعت لك قلوب المعارفين وذلت لك رقاب المشتاقين. الهى هب لى جودك وجللتنى بسترِكَ واعف عن تقصيرى بكرم وجهك.

وكان ابو حنيفة يصلى بالليل ويبكى من خشية ربه حتى يرحمه جيرانه من كثرة
بكائه.

وتقدم ان سيدنا مالكاً كان يبكى ويقول انى اخاف ان يكون لى من المسائل
يوم اتى يوم.

وتقدم ان سيدنا احمد بلغ به الخوف من الله تعالى الى انه كان يبول الدم.

مجتهدنا اذا ذكر عنده ائمة الاسلام، لسانه السيف البتار فى اعراضهم يمزقها
تمزيقاً وتراه عند ذكر اولئك الهداة كان حى اخذته فاذهبت عقله وجملته يهذى بما لا يعى
وما كان ائمة الاسلام هكذا فهذا الامام الشافعى رحمه الله تعالى لما زار ابا حنيفة فى قبره
ترك القنوت فى صلاة الصبح ادباً معه ولم ير من المناسب ان يجاهر هذا الامام الاعظم
بالخلاف على مرأى منه ومسمع. وكان يتوسل به الى الله تعالى اعتقاداً منه انه جدير بذلك
وقال فيه الناس: كلهم عيال على ابي حنيفة فى الفقه وقال فى سيدنا مالك رضى الله تعالى
عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب. وقال فى سيدنا احمد بن حنبل تلميذه خرجت
من بغداد وما تلفت بها افقه ولا اورع ولا ازهد رلا اعلم من احمد وقال فيه ايضاً.

شعر:

قالوا يزورك احمد و تزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زارنى فبفضله اوزرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقال لمن معه قميص احمد اما القميص فلا افجعك فيه. ولكن بله وارفع الى الماء
لا تبرك به.

ويقول مالك يخاطب الشافعى رحمه الله عليه لما ساه عن ابي حنيفة رحمه الله عليه
رأيت رجلاً لو ناظرك فى هذه السارة ان تكون ذهباً لقام بحجته.

وقاسم الشافعى ماله غير مرة اعترافاً بفضله. واستحسن الشافعى مالا عظيماً.

اهدى اليه فاهداه له كله فكلمه ان يبقى له دابة يركبها فابى. واستعظم ان يركب تربة على دابة وطنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدميه.

وقال احمد رحمه الله تعالى فى الامام الشافعى رحمه الله تعالى كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فهل لهذين من خلف؟

مجتهدنا ربما كان لم يحفظ القرآن من آية واحدة. واذا كان يحفظه كله فقد لا يكون تجاوز عدد الاصابع فى ختمه. وابو حنيفة رحمة الله عليه يحصى ما قرأه من ختمات القرآن فيكون سبعة ألف ختمة.

هذه مقارنات ذكرناها مرغمين وفى النفس ما فيها من ذكرها وانما ذكرناها لينفذ منها القارئ الى حيث يرى اين ائمة زماننا من ائمة الاسلام حقاً ولولا مقام البيان ما سمحت نفسى بهذه المقارنة ابداً ومن يرضى ان تقرن الملائكة بالكلاب؟

ثم ارجوان يفهم المطلع الكريم انى انما كتبت هذا الفصل أبين به مقام الاجتهاد لمن لعله لايعرف قدره. ورجاء ان يراه بعض اولئك المجتهدين المساكين. ويكون به بقية من الشعور الحى. فيحس بانه ترك الجادة وركب الصعب وحاد عن سبيل الامان الى سبيل الخطر المحقق وكى يطلع عليه اناس ربما وقع فى نفوسهم استحسان ما يقوله (اولئك المفتونون) وقياماً بما يجب على العلماء من محاربة البدع اذا رفعت رأسها و من القضاء على الباطل اذا حاول ان يلبس ثوب الحق. واى قيمة للعالم اذا لم يقف فى وجه المعاندين حدود الله اللاعين بدينه الخارجين على اوليائه واحبابه. ان العالم جندى من جنود الله عز وجل بل هو القائد الاعلى لجنود الله فان كل مؤمن جندى من جنود الله ولعله لا يخالفنى احد فى ان من العار العظيم والفضيحة التى لا تدانيها فضيحة ان يؤتى الاسلام فى صميمه وقادة حراسه ينظرون مكتوفة ايديهم مقيدة ارجلهم خرسا السنتهم لا يبدون ولا يعيدون ان الجهاد باللسان والقلم فى هذا العصر ليس بأقل من الجهاد باللسان فى زمن الجهاد. وانى لارى واجباً على العلماء خصوصاً فى هذا الزمن الذى توج فيه الفتن كموج البحر ان يبينوا للناس ما يرضاه ربنا من اعمالهم وما لا يرضاه حتى لايبقى لاحد عذرى جهل ما هو عليه من بلايا ورزايا دينية ودنيوية.

وانى اعود فاقول لاولئك الزاعمين انهم مجتهدون اذا لم تعلموا ايها الناس ما تفعلون فاعلموا انكم تلعبون بالنار او تمزحون مع البحر وهو غضبان فان كان لكم طاقة بالنار او بالبحر فتمادوا على ما انتم عليه والا فالفرار الفرار من هذا الموقف المذهل والله تعالى اعلم.

الشفاعة

نحن في زمن اتسع فيه الحرق على الراقع. فانك لا تلتفت الى طائفة لتفهمها قدر بعدها عن الجادة الا وتبدولك طائفة اخرى اشد بعدا عن المنهج القويم والكل في حاجة قصوى لان تعالجهم حتى تقتلع من انفسهم شجرة الزبغ التى اضلتهم. وتغرس مكانها شجرة الرشاد والارشاد. نعم لقد اصبحتنا في زمن سادت فيه الفوضى في العقائد لدرجة ان يجهر بالكفر الصريح من كان بالامس يتظاهر بالايمان الصادق دون ان يجد من يلتفت اليه التفات استغراب وانكار. وسادت فيه الفوضى في العلم لحدان اصبحت دفة الارشاد بايدى شبان وشابات لو سالت احدهم عن ربه لمار كيف يقول. ومع هذا لو تكلم اكبر رأس من هداة الخلق العلماء بكلمة ينفر بها عن رذيلة او يحرض على فضيلة لقام عليه اولئك الاولاد كالكلاب الضارية فنهشوا عرضه نهشا ورموه بالدواهي مما جعل العلماء اليوم في انكماش. حطمو اقلامهم وخزنوا سنتهم في افواههم وتركوا الامر لاولئك المفسدين يفتشون كل يوم من ابواب جهنم ما يفتحون ويدعون الناس الى ولوجها و اقتحامها ويتهافت الناس تهافتا الى ما يدعونهم اليه حتى اصبح العمل كالعلم والاعتقاد فوضى لا يميز صحيحه من فاسده ولا يكفر احد في ايقاف هذا الامر عند حد وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نقول بهذه المناسبة انا بصدد ان نتكلم مع كثير من الناس انكروا حتى الشفاعة يوم القيامة وهى ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانكارها عجيب ثم عجيب اذا صدر من رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

اما ما يشتهى من كتاب الله تعالى آيات كثيرة. منها قوله تعالى (...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ الآية. البقرة: ٢٥٥).

ومنها قوله عز وجل (... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ * الآية. الانبياء: ٢٨) و
منها قوله تعالى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ
يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ * النجم: ٢٦).

فان الآية الاولى تثبت الشفاعة باذنه عز وجل والآية الثانية تثبت الشفاعة لمن
ارتضى ربنا ان يشفع. والآية الثالثة كالاولى تثبت شافعين باذنه عز وجل وقيد هذا
الاذن يفهم ان الشفاعات كرامات يكرم الله تعالى بها من يشاء من عباده ليرى الخلق
فضله عنده لانها كشفاعتنا هنا يصمم احدنا على الامر ينتقذه من العقوبات فيكلمه
شفيع من ارباب الوجاهة ان ينقض ما ابرم فيكون ذلك في الحال يحمله على ذلك رهبة منه
او رغبة فيه ان الشفاعات التي بهذا المعنى مستحيلة على ربنا عز وجل لانه اذا اراد شيئا
نفذه. ولو عارض فيه جميع العالمين و ارادوا ان لا ينفذ والرغبة والرهبة لا يتصف بهما لانه
رب كل شيء القادر القهار.

واما ما يثبت الشفاعة من السنة الصحيحة فكثير، من ذلك حديث الشفاعة
المشهور الذي اتفق على روايته البخارى ومسلم ورواه غيرهما وفيه ثم يقال يا محمد ارفع
رأسك، سل تعط واشفع تُشَفِّعْ ومن ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (شفاعتي لاهل
الكبائر من امتي) رواه الترمذى عن سيدنا جابر. وقال سيدنا جابر من لم يكن من اهل
الكبائر فما له وللشفاعة؟ وكذلك روى هذا الحديث النسائي وابوداود واحمد وابن
حبان والحاكم.

ومن ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء و
العلماء والشهداء) رواه ابن ماجة.

ومن ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته)

ومن ذلك ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث طويل (ثم يضرب الجسر على
جبهتهم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ) قيل يا رسول الله وما الجسر قال (دحض
مرزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسك). تشبيه ظاهر (تكون بنجد فيها شويكة يقال لها

السَّعْدَانِ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالطَّيْرِ وَكَالْجَاوِيدِ الْخَبِيلِ وَالرَّكَابِ. فَنَاجٍ مُسْلِمٌ وَمُخْدُوشٌ مُرْتَلِّ وَمُكْدُوسٌ مَدْفُوعٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ قَالُوا الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مَنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ فَتَحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ وَالْإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا : 'أَمَرْنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّا أَمَرْنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا).

وكان أبو سعيد راوى هذا الحديث يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقروا ان شئتم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً بُضْأُ عَفْهًا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا النساء : ٤٠) فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها اقواما لم يعملوا خيرا قط. يعنى غير الايمان قد عادوا حَمَمًا فيلقِيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة بذور البقل في حميل السيل ما يحمله السيل من الطين. الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر واخضر. وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كأنك ترقى بالبادية، قال (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خبر قدموه) ثم يقول ادخلوا الجنة فما التمسوه فهو لكم فيقولون ربنا اعطينتنا ما لم نعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا. فيقولون يا رب وما افضل من هذا فيقول احل عليكم رضائى فلا اسخط عليكم بعده ابدا.

هذا بعض ما ورد من كتاب ربنا وسنة نبينا يدل على ان الشفاعة واقعة يوم

القيمة فمن لم يؤمن بها مع كل هذا فاني ابشره بما بشره به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن منيع وهو قوله عليه الصلوة والسلام (شفاعتى يوم القيمة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من اهلها) وقد عد العلماء هذا الحديث من المتواتر. فمن احب ان لا تناله الشفاعة من المؤمنين فليتماد على انكاره الشفاعة ومن احب ان تناله فليصدق ربه ونبيه ويوافق اهل السنة والجماعة في الاعتراف بها ليكون معهم من الناجين.

ولعمل كل ما قدمنا من الموضوعات وضح كل الوضوح بما اوردنا عليه من دلائل قاطعة وبراهين ساطعة لا يمكن لمن اوتى نصيبا من الفهم ان ينكر شيئا منها الا اذا كان لا يبالي بضحك الناس عليه اذا انكر الشمس وهى في كبد السماء.

وانى تعمدت ان اوضحه كما رأى القارى ليعرفه اناس لا يعرفون ولبصح به اناس آخرون عقائد في نفوسهم تنافيه، وليراه اناس غير هؤلاء وهؤلاء غلاظ شداد على المؤمنين فيستبين لهم ان لاحق لهم في تلك الغلظة والشدّة، فيخففوا من وطأتهم الثقيلة. وليزداد به الذين امنوا ايمانا. فانه ان شاء الله نور (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ المائدة: ١٦) والله تعالى اعلم

شهادة العلماء الاعلام لكتاب غوث العباد ببيان الرشاد

اختصرناها من تفریط الطبعة الاول نظراً لضيق المقام

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد ربنا عز وجل على جزيل آلائه ونشهد ان لا اله الا الله شهادة من عرف الحق فعمل به و علمه فان ذلك هو الذى يدعى فى ملكوت السموات عظيماً. ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله ذو الجاه العظيم والمقام الاسمى. اللهم صل وسلم و بارك عليه وعلى اخوانه الانبياء وعلى من تبعهم حريصاً على سلوك نهجهم، فانهم بركة الامم فى كل زمان.

اما بعد فقد اجلنا جياذ الافكار فى ميادين هذه العجالة الكريمة التى سميت بحق (غوث العباد ببيان الرشاد) فاذا هى حق صراح. وماذا بعد الحق الا الضلال. تؤيده حجة دامغة. وهل يقف فى وجه دافع الحجج الا مبطل مكابر. تعبر عنه عبارة ما ارقها و ما اذقها. ومن يستطيع ان يخدش بيان ملك البيان يزود عن احباب الله انبياء واولياء فوق ما يزود الاسد عن عرينه فى غصبة لهم على من يستخف بشانهم. انما تشبهها غصبة البحر اذا هاج. ومن فى قلبه ذرة من الايمان ثم لا يغضب لاحباب ربنا اذا استخف بشانهم تحرى عقائد معينة فشرح الصدور بشرح ما عليه فيها الامة المحمدية فى مشارق الارض ومغاربها فى هذا العصر. وفى جميع عصور الاسلام المتقدمة لانعرف فيها سوى ما شرح. وهل اذا تكلم الحق يعرف المؤمنون سوى ما يتكلم به؟ ونحن لا يقع منا موقع الغرابة ان تكون هذه العجالة بهذا المقدار ومؤلفها حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى ابوسيف الحماسى احد علماء الازهر وخطيب المسجد الزينبى الذى ما رأيناه وقف موقفا الا رأيت الحق بجانبه يحوطه من كل نواحيه حفظه الله وزاده توفيقاً ليرينا كل يوم آية من آياته يؤيده بها الحق ويخذل الباطل.

وانا فى هذا المقام لايسعنا الا ان ندعو الامة باسرها الى اعتقاد ما تضمنته هذه

العجالة ونبذ ما عداه والله الهادى الى سواء السبيل.

يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء ختم
محمد البيلوى خطيب المسجد الحسينى ونقيب
الاشراف بالديار المصرية
السيد محمد بن محمد زباره اليمنى امير القصر السعيد
بحر في ٥ محرم سنة ١٣٥٠ هـ
بصنعاء اليمن

عمود ابو دقيقه مدرس بتخصيص الازهر
محمد عبد الفتاح العنانى المدرس
بكلية الشريعة الاسلاميه
محمد محمد البحيرى
من علماء الازهر الشافعية
بالقسم الثانوى

محمد حبيب الله الشنقيطى خادم العلم بالحرمين الشريفين وفاته الله دسوقى عبد الله العربى من هيئة
كبار العلماء محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الاسلاميه بالآستانة سابقاً محمد حنفى بلال وكيل
الحرم الزينبى واحد علماء المالكية.

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى وفقنا لطبع كتاب غوث العباد فانه لما كان فى كتاب البصائر
بيان احوال ابن تيمية وبعد ما طبع الكتاب المذكور وصل الى كتاب غوث العباد فيه
تاكيد ما اقول ومزيد تفصيل وتحقيق فى بعض المسائل فان صاحب البيت ادرى بما فيه.
اردت ان الحقها بكتاب البصائر تأييداً ومن الله التأييد وبه الاعتصام وصلى الله على خير
خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين.

العبد الاواه محمد حمد الله الدجوى

٢٠ رمضان المبارك سنة ١٣٨٥ هـ.

فهرست مَضَامِين البَصَائِر لِمنكري التَّوَسُّلِ بِاهل المقابر

خطبة الكتاب وسبب التأليف	٣
اما المقدمة ففيه نكات: النكتة الاولى: في بيان حقيقة الموت	٤
النكتة الثانية: ليس المراد بانقطاع تعلق الروح عن البدن انقطاعا كلياً بالنظر الى كل الافراد بل في الجملة	٥٧
النكتة الثالثة: ان الحياة البرزخية هل هي خاصة بالشهداء ام عامة	٥٨
النكتة الرابعة: في تفصيل تفاوت الحياة البرزخية	٥٨
النكتة الخامسة: ان الموت صفة وجودية او عدمية	٥٩
النكتة السادسة: في بيان الكرامة	١٠
النكتة السابعة: في الكرامة بعد الممات	١٤
النكتة الثامنة: في انه هل تكون قول غير المقلد حجة للمقلد	١٧
النكتة التاسعة: هل يكون لزوم الكفر كفراً	١٨
النكتة العاشرة: في تحقيق الايمان والكفر	١٩
المقصد الاول: في اثبات سماع الموتى	٢١
المقصد الثاني: في اثبات التوسل الى الله تعالى	٢٣
انواع التوسل	٢٥
نقل قول ابن تيمية بعدم جواز التوسل والرد عليه	٥٣
تفصيل قول الطبراني انما يستغاث بالله تعالى	٥٥
جواز التوسل للمتقين	٥٦
جواز الاستعداد من الاموات	٦٠
اعجوبة في بيان تاثير الروح في الروح	٦٣
نقل قول استاذ الاساتذة مولانا نصير الدين الفرغشتوى رحمة الله عليه	٦٩
نقل قول مولانا اشرف على النهاوى والاعجوبة	٧٧
المقصد الثالث: في التنقيد على ما ذكر في بحث الانكار من سماع الموتى	٧٨
نقل رجوع عائشة عن انكار سماع الموتى	٨٢
اثبات سماع الموتى في مذهب ابي حنيفة	٨٢
الجواب عن واقعة هشام بن العاص	٨٤
الجواب عن حديث (قليب بدر)	٨٨
الجواب عن حديث (خفق النعال)	٩١
تنبيه	٩٥
الجواب عن السلام على الميت	٩٨

١٠٤	تفصيل قوله عليه الصلوة والسلام (كنومة العروس).
١٠٧	تفصيل التمسك بأقوال ابن حزم.
١٠٨	الجواب عن قولهم ان الميت بعد السؤال بلا روح.
١١٠	تفصيل قول الشامي ان لم ترد ضالتي الخ.
١١٤	تفصيل ان للروح بالجسد تعلقا الخ.
١١٦	تفصيل تقسيم التلقين الخ.
١١٩	المقصد الرابع: في التنقيذ على ما ذكر في بحث الانكار عن التوسل.
١٢٠	الجواب عن انكار الفيضان من روح المقبور.
١٢٥	جواب الانكار عن بشرته عليه الصلوة والسلام.
١٢٦	تفصيل ما قال ان زيارة النبي مخصوص.
١٢٨	الجواب من قوله ان الدعاء عند قبره عليه الصلوة والسلام بدعة.
١٣٠	الجواب عما قال اذا عيبتكم الامور الخ.
١٣٥	حديث اصابة القحط في زمن عمر رضى الله عنه.
١٣٧	الحكمة في اخفاء قبر دانيال عليه الصلوة والسلام.
١٤٠	الجواب عن عدم سؤال السوط لبعض الصحابة.
١٤٢	تفصيل الخطاب والنداء.
١٤٤	الجواب عن عدم كشف القبر الخ.
١٤٦	عدم منافات التوسل بقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) وكونه في دار الاسباب.
١٥١	الجواب عما قال: من نكاح ازواجهم الخ.
١٥١	الجواب عما قال: هل الارض تبصر او تسمع؟
١٥٢	الجواب عما ان ظن السبكي لا يعتمد عليه.
١٥٤	الجواب عن حديث (لا تشد الرحال) الخ.
١٥٦	تفصيل المحبة مع غير الله تعالى.
١٥٩	نداء ابي بكر رضى الله عنه الى النبي عليه الصلوة والسلام بعد الوفاة.
١٦٠	واقعة حضرت قطب صاحب الخ.
١٦٢	واقعة جد مولانا اشرف على التهانوى.
١٦٥	جواب عما قال ان الامام الرباني قال الخ.
١٦٧	تفصيل خروج النساء الى زيارة القبور الخ.
	تصريح مولانا عبد الحى اللكنوى و مولانا السيد انور شاه الكشميرى صدر المدرسين
١٧٠	بديوبند بسماع الموتى.
١٧٢	عدم التعطل في القبور.
١٧٢	جواب اغلوطة مشهورة مبنية على مسألة الايمان.

الحاشية: البحث الاول في تعريف البدعة	١٧٤
البحث الثاني: في ان بعض الخ.	١٧٥
البحث الثالث: في الدعاء.	١٧٧
(اللهم انت السلام) ليس بدعاء بل ثناء.	١٧٨
بيان بعض آداب الدعاء.	١٨٠
تحويل الوجه الى الجماعة للدعاء.	١٨٢
قال العلامة الكشميري.	١٨٣
الجواب عما قال في رسالته في بحث الدعاء.	١٨٤
البحث الرابع في حيلة الاسقاط.	١٨٩
بيان الدور.	١٩٢
جواز الاعطاء جملة لفقير.	١٩٢
الجواب عن تمسكه بقوله غايه الصلوة والسلام (العائد في هبته كالكلب) الخ.	١٩٤
الدوام على الامر المستحسن.	١٩٧
الجواب عن حوالته على كتاب الامام الشاطبي.	١٩٨
ذكر اعجوبة ان المفعول المضاف مرفوع.	٢٠٠
الجواب عن ان في الميلاد تقليد الغاندي.	٢٠١
وضع المصحف حين الدور.	٢٠٣
التصدق لنفع الميت على الفقراء واهداء تلاوة القرآن.	٢٠٦
التلاوة عند القبر.	٢٠٨
تحقيق التلاوة بالاجرة.	٢٠٩
تنبيه.	٢١١
الفرق بين الصلة و الاجرة.	٢١٣
تنبيه آخر.	٢١٤
الاستشفاء بالقرآن.	٢١٥
تفصيل قوله عليه الصلوة و السلام (التمائم من الشرك).	٢١٨
تذنيب في بيان احوال ابن تيمية اليمنى الحراني.	٢١٩
فتوى مولانا قطب الدين الفرغشتوي.	٢٢٨
الخارج عن المذاهب الاربعة في ذلك الزمن.	٢٣٠
ان محمد بن عبد الوهاب النجدي من الخوارج.	٢٣١
الناقشات اللفظية على خطبة كشف الشبهات.	٢٣٣
منع النذر لغير الله تعالى ما لم يقصد صرفها الى الفقراء.	٢٣٩
الاستعانة من الله تعالى لا ينافي الوسائل.	٢٤٠

٢٤١ حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام في البرزخ.
٢٤٣ حديث نستشفع بالله عليك.
٢٤٥ خدائع هذه الفئة المنكرة ومسخ الكلام لاثبات المرام.
٢٤٦ العريضة الى والى السوات عبد الحق المعروف بجهاريب.
٢٤٨ معنى قوله تعالى (لَا أَفْلِكُ لِنَفْسِي فِتْرًا وَلَا نَفْعًا) الآية.
٢٥٠ وصول النفع والضرر بدعاء غير النبي عابه الصلوة والسلام.
٢٥٠ الجواب عما قال ان الله كفر من قصد الخ.
٢٥١ الجواب عما قال: فاعلم ان شرك الاولين الخ.
٢٥٣ بيان الفرقة السبائية.
٢٥٤ جواز التوسل بالتبركات.
٢٥٥ جواب ما قال ان الله ما فهموا معنى الاحاديث.
٢٥٦ تاريخ ختم التأليف وتاريخ الكتابة.

فهرست غوث العباد ببيان الرشاد

٢٥٨ مقدمة الكتاب. وبها السبب الحامل على استقلال هذا الكتاب.
٢٦٠ حياة الانبياء في البرزخ حياة حقيقية، وهو بحث بديع به من الادلة ما يثلج قلوب المؤمنين.
٢٦٢ ماذا يلزم لوتردنا في تلك الحياة مع تلك الادلة؟ هل نحن في راحة ما اعظمها لولا سيدنا موسى ما رايناها؟ هل نحن نذكر الله بمسيفة وصانا بها سيدنا ابراهيم الخليل؟
٢٦٣ لماذا لانرى الانبياء يذهبون بيننا ويمشون اذا كانوا احياء في قبورهم؟
٢٦٥ هل يقرأ القرآن احد افراد المؤمنين في قبره وتسمع قراءته؟
٢٦٥ هل تبلغ حياة غير الانبياء ولوشهداء درجة حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام؟
٢٦٦ لماذا تزيد ارواح المؤمنين صفاء بعد مفارقتها الابدان. هل بيننا من ينكر هذه الحقائق، وما حال هؤلاء؟
٢٧٠ هل للانبياء والاولياء وجاهة عند ربنا؟ شيء من وجاهة الانبياء.
٢٧٥ شيء من وجاهة سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم.
٢٨٣ كيف كان اصحابه رضى الله عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم في المحبة والاجلال؟
٢٨٩ شيء من آثار وجاهة الاولياء عند ربنا عز وجل.
٢٩٧ لفظة لشكرى تلك الولاية.
٣٠٠ الكلام على قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.

- بیان ان التقرب من هؤلاء الاحباب فی الحقيقة تقرب الی ربهم عزوجل. ۳۰۱
- هل التوسل بالانبياء والاولياء كقرب الله تعالى؟ ۳۰۴
- هل توسل سيد الخلق ودعانا لان نتوسل؟ والدليل على ذلك. ۳۰۶
- الاستغانة باحباب الله عند الشدائد. ۳۰۹
- هل الحق ان الميت له فعل، وبيان ذلك؟ ۳۱۰
- هل التردد والتودد الی احباب ربنا عبادة؟ ۳۱۹
- الكلام على قوله تعالى (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى). ۳۲۱
- لو سمعوا لى. ۳۲۳
- هل تجوز زيارة القبور؟ ۳۲۵
- هل فی القبر عذاب ونعيم. ۳۲۹
- هل تجوز زيارة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم؟ ۳۳۰
- الكلام على المساجد الثلاثة، وعلى التفاوت بينها نفسها وبين غيرها فی الثواب. ۳۳۱
- تعالى ربنا ان يكون جسما. ۳۳۶
- الاجتهاد والمجاهدون. ۳۵۳
- الظعن على الائمة ومن تبعهم من العلماء مخالف لصريح القرآن. ۳۶۳
- الشفاعة. ۳۷۳
- ما يثبت الشفاعة من كتاب الله تعالى. ومن سنة النبی صلى الله تعالى عليه وسلم؟ ۳۷۶
- تقريب الكتاب. ۳۷۸

کُتِبَ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ اُولُو الْاَلْبَابِ

ایضاح احکام و امور من

افادات حضرت العلامة الفہامة شیخ القرآن
والحدیث مولانا **محمد اللہ جان** الداجوی مدظلہ

مرتب

خادم العلماء والاولیاء والطلبا مولوی عبدالقدوس المظہری
المدرس بدارالعلوم مظہر العلوم ڈاکھی

دملاوید و پتہ داد ہے :-

نزد دارالعلوم مظہر

العلوم یار حسین روڈ
ڈاکھی صوابی :-

مظہری کتب خانہ